تنبيه الغافلين

تأليف

أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي

المتوفى سنة ٣٧٥ هـ

حققه وخرج أحاديثه

شريف عبد الله

متضمنة الحكم على الأحاديث من كتب

الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني

الناشر

دار البيان العربي



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٤٨٦ / ٢٠٠٥

الناشر

دار البيان العربي

١٨ درب الأتراك القاهرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

فإنه من الحبيب إلى نفوسنا وقلوبنا أن نتعرض - بعون الله وفضله - لتحقيق كتب التراث وما حوته من درر، ولكنها قد تكون دررًا اختلطت بها بعض الشوائب، وهذه طبيعتها، وإن من فضل الله سبحانه أن يقيض لها من ينقيها، ويميز غثها من سمينها، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا «تنبيه الغافلين» للزاهد العالم نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي رحمه الله، هو من الكتب الجليلة التي جمع فيها مؤلفه شيئًا من الموعظة والحكمة، داعيًا فيها أن ينظر القارئ إليها في محاولة لتذكير نفسه أولاً وترقيق قلبه، ثم ليجتهد في أن يذكر بها غيره ﴿ومن أحسن قولاً من دعى إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ وما ذلك منا إلا امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾.

كن مشعلًا في جنح ليل حالك يهدي الأنام إلى الهدى ويبين
وانشط لدينك لا تكن متكاسلا واعمل على تحريك ما هو ساكن
وابدأ بأهلك إن دعوت فإنهم أولى الورى بالنصح منك وأقمن
والله يأمر بالعشيرة أولًا والأمر من بعد العشيرة هين.

ولنذكر قول الإمام الشافعي (رحمه الله): من وعظ أخاه بفعله كان هاديا.

رزقنا الله وإياكم عزيمة شديدة، وإخوان صدق يذكروننا ويعينوننا.

ولقد كان من عملنا في هذا الكتاب:

١- تخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها وموضوعها.

٢- عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآيات.

نسأل الله أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزاننا يوم نلقاه.

الفقير إلى عفو الله

شريف عبد الله



بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

هو : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدي ، علامة ، من أئمة الحنفية ، من الزهاد المتصوفين .

قال عنه الإمام الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» : الإمام الفقيه المحدث الزاهد . . . ، صاحب كتاب «تنبيه الغافلين» يروى عن محمد بن الفضل بن أُنيف البخارى وجماعة ، وتروج عليه الأحاديث الموضوعة . روى عنه أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذى ، وغيره . اهـ .

له تصانيف : منها :

١- تفسير القرآن . الموجود منه أجزاء متفرقة ، أوله تفسير سورة الحاقة .

٢- «عمدة العقائد» . ٣- «بستان العارفين» فى التصوف .

٤- خزانة الفقه ، «رسالة» .

٥- تنبيه الغافلين ، «مواعظ» ، وهو هذا الكتاب الذى نقوم بطبعه .

٦- فضائل رمضان . ٧- المقدمة ، فى الفقه .

٨- «شرح الجامع الصغير» فى الفقه .

٩- عيون المسائل ، فتاوى وتراجم .

١٠- دقائق الأخبار فى بيان أهل الجنة وأهوال النار .

١١- مختلف الرواية ، فى الخلافيات بين أبى حنيفة ومالك والشافعي .

١٢- شرعة الإسلام ، فقه . ١٣- النوازل من الفتاوي .

١٤- تفسير جزء عم يتساءلون ، موجز .

١٥- رسالة فى أصول الدين .

وفاته : توفى - رحمه الله - سنة (٣٧٥ هـ ، ٩٨٣م) وقيل : فى غيرها .

وقال الذهبى : نقلت وفاته من خط القاضى شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الحق - أيده الله - فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

انظر ترجمته فى : الفوائد البهية (٢٢٠) ، والجواهر المضية (٢/ ١٩٦) ، كشف الظنون (٤٤١) سير أعلام النبلاء (٢٣٠) ، تاريخ الإسلام (٤/ ١٩) ، تاج التراجم (٥٨ ، ٥٩) ، هدية العارفين (٢/ ٤٩٠) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى هدانا لكتابه وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أحبابه ، حمدًا يستجلب المرغوب من رضائه ، ويستعطف المخزون من عطائه ، ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه ، والعارفين لأوليائه وآلائه ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المصطفى ، ونبيه المجتبي ، وعلى آله وعترته الطيبين ، وعلى أصحابه وأمته أجمعين .

(قال الفقيه) الزاهد العالم نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى - رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم - : إنى لما رأيت الواجب على من رزقه الله تعالى المعرفة فى الأدب ، والحظ فى العلم ، والنظر فى الحكم والمواعظ ، والوقوف على سير الصالحين ، واجتهاد المجتهدين فى ذات الله سبحانه وتعالى بما نطق به كتاب الله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل : ١٢٥] الآية . وبما وردت به السنة ، وهو ما روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه- أنه قال : «كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانًا مخافة السآمة علينا» [(١)] ، وجمعت فى كتابى هذا شيئًا من الموعظة والحكمة، شافيًا للناظر فيه، ووصيتى له أن ينظر فيه بالتذكر والتفكر لنفسه أولاً، ثم بالاجتهاد بالتذكير لغيره ثانيًا؛ فإن الله تعالى أمرنا بذلك كله، والسنة وردت فيه، قال الله تعالي: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال بعض المفسرين : معناه كونوا عاملين بما كنتم تعلمون الناس من الكتاب ، وقال فى آية أخري: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر : ٢٨] وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر : ١ ، ٢] وقال الله تعالى فى آية أخرى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**» [(٢)] .

ومن أعرض عن النظر فى الحكم والمواعظ وسير السلف لا يعدو إحدى خصلتين : إما أن يقتصر على قليل من العمل، ويتوهم أنه من جملة السابقين إلى الخيرات، أو يجتهد بعض الجهد فيعظم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٦٨)، ومسلم، حديث (٢٨٢١)، و«**التخول**» اختيار الوقت المناسب للموعظة.

(٢) ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» حديث (١٠٠٤)، وقال القاري في «**المصنوع**» حديث (٩٤) ليس بحديث إنما هو من كلام السري السقطي.

ذلك فى عينه، ويفضل بذلك نفسه على غيره، فيبطل بذلك سعيه ، ويحبط عمله ، فإذا نظر فيها ازداد حرصًا على الطاعات ، وعرف قصوره عن بلوغهم فى الدرجات ، فنسأل الله التوفيق لأزكى الأعمال ، وأعظم البركات؛ إنه منان قدير .

١ - باب الإخلاص

(قال الفقيه) رحمه الله : حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف قال : حدثنا محمد ابن جعفر الكرابيسى قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو مولى المطلب عن عاصم عن محمود بن لبيد أن النبى ﷺ قال : «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا : يا رسول الله ، وما الشرك الأصغر ؟ قال : «**الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم خيرًا**» (١) .

قال الفقيه رحمه الله : إنما يقال لهم ذلك لأن عملهم فى الدنيا كان على وجه الخداع ، فيعاملون فى الآخرة على وجه الخداع ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء : ١٤٢] يعنى : يجازيهم جزاء الخداع ، فيبطل ثواب أعمالهم ، ويقول لهم : اذهبوا إلى الذين عملتم لأجلهم ؛ فإنه لا ثواب لأعمالكم عندي؛ لأنها لم تكن خالصة لوجه الله تعالى، وإنما يستوجب العبد الثواب إذا كان عمله خالصًا لوجه الله تعالى ، فإذا كان لغيره فيه شركة فالله بريء منه .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل عن عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ أنا غنى عن العمل الذى فيه شركة لغيري، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه بريء**» (٢) ، يعنى : من ذلك العمل ، ويقال : يعنى : من العامل ، ففى هذا الخبر دليل على أن الله تعالى لا يقبل من العمل شيئًا إلا ما كان خالصًا لوجهه ، فإذا لم يكن خالصًا فلا يقبل منه ، ولا ثواب له فى الآخرة ، ومصيره إلى جهنم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ يعنى من أراد بعمله الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة ، أعطيناه فى الدنيا مقدار ما شئنا من عرض الدنيا لمن نريد ، يعنى : لمن نريد أن نهلكه . ويقال: لمن نريد أن نعطيه بإرادتنا أى متاع لا بإرادته ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يعنى : أوجبنا له فى الآخرة جهنم ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ يعنى : يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ يستوجب المذمة ، يعنى: يذم نفسه ويذمه غيره ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء : ١٨] يعنى : مطرودًا مبعدًا من رحمة الله تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعنى: من أراد ثواب الآخرة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ يعنى : عمل

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، حديث (٢٣١١٩)، وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١/ ١٠٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وانظر «**صحيح الجامع**» رقم (١٥٥٥). و«**الرياء**» أن يعمل العبد العمل من أجل الناس.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم بنحوه، حديث (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢) .

للآخرة عملاً من الأعمال الصالحة خالصًا لوجهه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعنى : مع العمل يكون مؤمنًا؛ لأنه لا يقبل العمل بغير إيمان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعنى : الذين يعملون ويطلبون ثواب الآخرة ، ولا يعملون لرياء الدنيا ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء : ١٩] يعنى : عملهم مقبولاً ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يعنى : يعطى كلا الفريقين من رزق ربك ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء : ٢٠] يعنى : ما كان رزق ربك ممنوعًا من المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، فقد بين الله تعالى فى هذه الآية أن من عمل لغير وجه الله فلا ثواب له فى الآخرة ومأواه جهنم ، ومن عمل لوجه الله تعالى فعمله مقبول ، وإذا عمل لغير لوجه الله تعالى ، فلا نصيب له من عمله إلا العناء والتعب ، كما جاء فى الخبر .

قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا إسماعيل عن عمرو عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «**رب صائم ليس له حظ من صومه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له حظ من قيامه إلا السهر والنصب**» [١] يعنى : إذا لم يكن الصوم والصلاة لوجه الله تعالى فلا ثواب له ، وهذا كما روى عن بعض الحكماء أنه قال : مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة ، كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة ، فيقول الناس : ما أملأ كيس هذا الرجل ! ولا منفعة له سوى مقالة الناس ، ولو أراد أن يشترى له شيئًا لا يعطى به شيء ، كذلك الذى عمل للرياء والسمعة ، لا منفعة له من عمله سوى مقالة الناس ، ولا ثواب له فى الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان : ٢٣] يعنى : الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور ، وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس .

وروى وكيع عن سفيان الثورى عمن سمع مجاهدًا يقول : جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله ، إنى أتصدق بالصدقة فألتمس بها وجه الله تعالى ، وأحب أن يقال لى خير؟! فنزلت هذا الآية : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [٢] يعنى : من خاف المقام بين يدى الله تعالى ، ويقال : من كان يريد ثواب الله : ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يعنى خالصًا ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠] ، وقال حكيم من الحكماء : من عمل سبعة دون سبعة لم ينتفع بما يعمل : أولها : أن يعمل بالخوف دون الحذر ، يعنى : يقول : إنى أخاف عذاب الله ، ولا يحذر من الذنوب ، فلا ينفعه ذلك القول شيئًا . والثانى : أن يعمل بالرجاء دون الطلب ، يعنى : يقول : إنى أرجو ثواب الله تعالى ، ولا يطلبه بالأعمال الصالحة ، لم تنفعه مقالته شيئًا . والثالث : بالنية دون القصد ، يعنى : ينوى بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات ، ولا يقصد بنفسه، لم تنفعه نيته شيئًا . والرابع : بالدعاء دون الجهد ،

(١) حسن صحيح: أخرجه ابن ماجه ، حديث (١٦٩٠)، وأحمد (٨٦٣٩) وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (١٠٨٣).

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» حديث (٨٥٢).

يعنى : يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ، ولا يجتهد ، لم ينفعه دعاؤه شيئًا ، وينبغى له أن يجتهد ، ليوفقه الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت : ٦٩] يعنى : الذين جاهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفقنهم لذلك . والخامس : بالاستغفار دون الندم ، يعنى : يقول : أستغفر الله ، ولا يندم على ما كان منه من الذنوب ، لم ينفعه الاستغفار ، يعنى : بغير الندامة . والسادس : بالعلانية دون السريرة ، يعنى : يصلح أموره فى العلانية ، ولا يصلحها فى السر ، لم تنفعه علانيته شيئًا ، والسابع : أن يعمل بالكد دون الإخلاص ، يعنى : يجتهد فى الطاعات ، ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى ، لم تنفعه أعماله بغير إخلاص ، ويكون ذلك اغترارًا منه بنفسه .

وروى **أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال** : «**يخرج فى آخر الزمان أقوام لاجتلاب الدنيا مثل الحلب**» وفى نسخة أخرى : «**يجلبون**» أى : يأكلون الدنيا بالدين ، وفى أخرى : «**يجتلبون الدنيا**» يعنى : يأخذونها «**فيلبسون لباس جلود الضأن ، فى اللين ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله: أبى تغترون أم على تجترئون**» الاجتراء أن يجعل نفسه شجاعًا من غير تفكر ولا روية : «**فبى حلفت ، لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحكيم العاقل فيها حيران**» [(١)] .

وروى وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبى صالح قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أعمل العمل فأسره ، فيطلع عليه ، فيعجبنى ذلك ، ألِي فيه أجر ؟ قال : «**لك فيه أجران : أجر السر وأجر العلانية**» [(٢)] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : معناه : أنه يطلع على عمله ويقتدى به ، فله أجران : أجر لعمله ، وأجر للاقتداء به ، كما قال النبى ﷺ : «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» [(٣)] . وأما إذا كان يعجبه أن يطلع على عمله ، لا لأجل الاقتداء به ، فإنه يخاف ذهاب أجره .

وروى عبد الله بن المبارك عن أبى بكر بن أبى مريم عن ضميرة عن أبى حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله، فيستكثرونه ويزكونه ، حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله تعالى من سلطانه ، فيوحى الله تعالى إليهم : إنكم حفظة على عمل عبدى ، وأنا رقيب على ما فى نفسه ، إن عبدى هذا لم يخلص لى عمله ، فاكتبوه فى سجين ، ويصعدون بعمل عبد فيستقلونه ويحتقرونه ، حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه ، فيوحى الله إليهم : إنكم حفظة على عمل عبدى ،**

---

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٠٤). وانظر «ضعيف جامع الترمذي» رقم (٢٤٠٤)، و «يختل» بسكون الخاء وكسر التاء : يطلب .

(٢) **ضعيف**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٨٤)، وانظر «ضعيف جامع الترمذي» رقم (٢٣٨٤) .

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (١٠١٧)، (من حديث جرير بن عبد الله) .

وأنا رقيب على ما فى نفسه ، إن عبدى هذا أخلص لى عمله ، فاكتبوه فى عليين» (١) ففى هذا الخبر دليل على أن قليل العمل إذا كان لوجه الله تعالى ، خير من الكثير لغير وجه الله تعالى ؛ لأن القليل إذا كان لوجه الله تعالى فإن الله يضاعفه بفضله ، كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء : ٤٠] ، وأما الكثير إذا لم يكن لوجه الله تعالى فلا ثواب له ومأواه جهنم .

(قال الفقيه) رحمه الله : حدثنى جماعة من الفقهاء بأسانيدهم عن عقبة بن مسلم عن شفيّ الأصبحى حدثه : أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك الله ، حدثنى حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ وحفظته ، حدثك به وعلمته ؟ فقال أبو هريرة : اقعد لأحدثك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ ما معنا أحد غيرى وغيره ، ثم نشغ نشغة - أى : شهق شهقة- فخر مغشيًا عليه ، فمكث عليه قليلا ثم أفاق ومسح وجهه ، فقال : لأحدثنكم بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ ، ثم نشغ نشغة أخرى ، فمكث طويلاً ثم أفاق ومسح وجهه ، فقال : لأحدثنكم بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ ، ثم نشغ نشغة أخرى ، فمكث طويلاً . ثم أفاق ومسح وجهه، فقال : حدثنى رسول الله فقال : «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يقضى بين خلقه ، فكل أمة جاثية ، فأول من يدعى به رجل قد جمع القرآن ، ورجل قتل فى سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله تعالى للقاريء : ألم أعلمك ما أنزلت على رسلي؟ قال : بلى يا رب ، قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل والنهار ، فيقول الله تعالى له: كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال فلان قاريء ، فقد قيل ذلك ، ويقال لصاحب المال : ماذا عملت فيما أتيتك ؟ قال: كنت أصل به الرحم ، وأتصدق به ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال فلان جواد سخى – وهو ضد البخيل – ، فقد قيل ذلك ، ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله ، فيقول له : لماذا قتلت؟ قال : قاتلت فى سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل أردت أن يقال لك فلان جرئ ، فقد قيل ذلك**» ، ثم ضرب رسول الله ﷺ بيده على ركبتى فقال : «يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق الله تعالى تسعر بهم النار يوم القيامة» (٢) قال فبلغ ذلك الخبر إلى معاوية فبكى بكاءً شديدًا وقال : صدق الله ورسوله ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود : ١٥ ، ١٦] . وقال عبد الله بن حنيف الأنطاكى : يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة ، إذا التمس ثواب عمله : «ألم نعجل لك ثوابك ؟ ألم نوسع لك فى

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٤٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٨٢) . وانظر «صحيح جامع الترمذي» رقم (٢٣٨٢) . «**تسعر**» توقد ويحمى عليها .

المجالس ؟ ألم تكن المرأس فى دنياك ؟ ألم نرخص بيعك وشراءك؟ ألم تكن مثل هذا وأشباهه ؟» .

(وقيل لبعض الحكماء) :

من المخلص ؟ قال : المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته ، وقيل لبعضهم : ما غاية الإخلاص ؟ قال : أن لا يحب محمدة الناس ، وقيل لذى النون المصرى : متى يعلم الرجل أنه من صفوة الله تعالى ، يعنى : من خواصه الذين اصطفاهم الله تعالى ؟ قال : يعرف ذلك بأربعة أشياء : إذا خلع الراحة ، يعنى : ترك الراحة ، وأعطى من الموجود ، يعنى : يعطى من القليل الذى عنده ، وأحب سقوط المنزلة ، واستوت عنده المحمدة والمذمة .

وقد روى عن عدى بن حاتم الطائى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يؤمر بأناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها ، واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها ، وإلى ما أعد الله لأهلها ، نودوا : أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة وندامة ، ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددته لأوليائك ؟ فيقول الله تعالى : أردت بكم ذلك ، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، وإن لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين – يعنى : متواضعين – تراءون الناس بأعمالكم ، خلاف ما تنطوى عليه قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجللتم الناس ولم تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ، فاليوم أذيقكم أليم عقابي، مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى**» . (١)

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون : ١] ثلاثًا ، ثم قالت : إنى حرام على كل بخيل ومنافق ومراء**» (٢) وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن قال : للمرائى أربع علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان مع الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به . وروى عن شقيق بن إبراهيم الزاهد أنه قال : حسن العمل ثلاثة أشياء : أولها : أن يرى أن العمل من الله تعالى ؛ ليكسر به العجب ، والثانى : أن يريد به رضا الله ؛ ليكسر به الهوى ، والثالث : أن يبتغى ثواب العمل من الله تعالى ، ليكسر به الطمع والرياء ، وبهذه الأشياء تخلص الأعمال ، فأما قوله : أن يرى أن العمل من الله تعالى يعنى : يعلم أن الله تعالى هو الذى وفقه لذلك العمل ؛ لأنه إذا علم أن الله تعالى هو الذى وفقه ، فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بعمله . وأما قوله : يريد به رضا الله تعالى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٤/ ١٢٥)، وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٢٢٠) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو جنادة وهو ضعيف .

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الأوسط حديث (٧٣٨)، وفي «الكبير» حديث (١١٤٣٩)، وانظر «**ضعيف الجامع**» رقم (٤٧٧١) .

يعنى : ينظر فى ذلك العمل ، فإن كان العمل لله تعالى وفيه رضاه فإنه يعمله ، وإن علم أنه ليس لله فيه رضا فلا يعمله ، كيلا يكون عاملاً بهوى نفسه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف : ٥٣] يعنى : تأمر بالسوء وبهواها . وأما قوله : أن يبتغى ثواب العمل من الله تعالى يعنى : يعمل خالصًا لوجه الله تعالى ، ولا يبالى من مقالة الناس . كما روى عن بعض الحكماء أنه قال : ينبغى للعامل أن يأخذ الأدب فى عمله من راعى الغنم، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الراعى إذا صلى عند غنمه ، فإنه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه، كذلك العامل ينبغى أن لا يبالى من نظر الناس إليه، فيعمل لله تعالى عند الناس وعند الخلاء بمنزلة واحدة ، ولا يطلب محمدة الناس .

وقال بعض الحكماء :

يحتاج العمل إلى أربعة أشياء حتى يسلم : أولها : العلم قبل بدئه ؛ لأن العمل لا يصلح إلا بالعلم ، فإذا كان العمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . والثانى : النية فى مبدئه ؛ لأن العمل لا يصلح إلا بالنية

كما قال النبى ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي**»[1] فالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الطاعات لا تصلح إلا بالنية ، فلا بد من النية فى مبدئها ليصلح العمل . والثالث : الصبر فى وسطه ، يعنى : يصبر فيها حتى يؤديها على السكون والطمأنينة . والرابع : الإخلاص عند فراغه ؛ لأن العمل لا يقبل بغير إخلاص ، فإذا عملت بالإخلاص يتقبل الله تعالى منك ، وتقبل قلوب العباد إليك . وروى عن هرم بن حيان أنه قال : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .

وروى سهيل بن صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن الله تعالى إذا أحب عبدًا قال لجبريل : إنى أحب فلانًا فأحبه ، فيقول جبريل لأهل السماء : إن ربكم يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، فيوضع له القبول فى الأرض ، وإذا أبغض الله عبدًا فمثل ذلك**» .[2]

وروى عن شقيق بن إبراهيم الزاهد أن رجلاً سأله فقال : إن الناس يسموننى صالحًا ، فكيف أعلم أنى صالح أو غير صالح ؟ فقال له شقيق رحمه الله : أظهر سرك عند الصالحين ؛ فإن رضوا به فاعلم أنك صالح ، وإلا فلا . والثانى : اعرض الدنيا على قلبك ، فإن ردها فاعلم أنك صالح . والثالث: اعرض الموت على نفسك ، فإن تمنيته فاعلم أنك صالح ، وإلا فلا ، فإذا اجتمعت فيك هذه الثلاثة فتضرع إلى الله تعالى ؛ لكيلا يدخل الرياء فى عملك فيفسد عليك أعمالك .

وروى ثابت البنانى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : «**أتدرون من المؤمن ؟**» قالوا : الله

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (١)، ومسلم، حديث (١٩٠٧)، (من حديث عمر بن الخطاب).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٣٢٠٩)، ومسلم، حديث (٢٦٣٧).

ورسوله أعلم ، قال : «**الذى لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب ، ولو أن رجلًا عمل لطاعة الله تعالى فى بيت فى جوف بيت إلى سبعين بيتًا ، على كل بيت باب من حديد ، لألبسه الله تعالى رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدوا**» ، قيل : يا رسول الله ، وكيف يزيدون ؟ قال : «**إن المؤمن يحب ما زاد فى عمله**»، ثم قال : «**أتدرون من الفاجر ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : «**الذى لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يكره ، ولو أن عبدًا عمل بمعصية الله تعالى فى بيت فى جوف بيت إلى سبعين بيتًا ، على كل بيت باب من حديد ، لألبسه الله تعالى رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدوا**» . قيل : وكيف يزيدون يا رسول الله ؟ قال : «**إن الفاجر يحب ما زاد فى فجوره**»(١) .

وروى عن عوف بن عبد الله أنه قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله تعالى فيما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته(٢) ، وقال حامد اللفاف : إذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة أشياء : أولها : يرزقه العلم ويمنعه عن عمل العلماء . والثانى : يرزقه صحبة الصالحين ، ويمنعه عن معرفة حقوقهم . والثالث : يفتح عليه باب الطاعات، ويمنعه من إخلاص العمل .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : إنما يكون ذلك لخبث نيته ، وسوء سريرته ؛ لأن النية لو كانت صحيحة لرزقه الله تعالى منفعة العلم ، والإخلاص للعمل ، ومعرفة حرمة الصالحين .

(قال الفقيه) رحمه الله : أخبرنى الثقة بإسناده عن جبلة اليحصبى قال : كنا فى غزوة مع عبد الملك بن مروان ، فصحبنا رجل مسهار ، لا ينام من الليل إلا أقله ، فمكثنا أيامًا لا نعرفه ، ثم عرفناه فإذا هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان فيما حدثنا أن قائلًا من المسلمين قال : يا رسول الله ، فيم النجاة غدا ؟ قال : «**أن لا تخادع الله**» قال : وكيف نخادع الله ؟ قال : «**أن تعمل بما أمرك الله ، وتريد به غير وجه الله ، واتقوا الرياء ؛ فإنه الشرك بالله ، وإن المرائى ينادى يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أشياء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، ضل عملك ، وبطل أجرك ، فلا خلاق لك اليوم ، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع**» قال : قلت له : بالله الذى لا إله إلا هو ، أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، إنى سمعته من رسول الله ﷺ ، إلا أن أكون قد أخطأت شيئًا لم أكن أتعمده . ثم قرأ : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٢] (٣) .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : من أراد أن يجد ثواب عمله فى الآخرة ، ينبغى له أن يكون عمله

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» حديث (٦٩٤٣).

(٢) حديث عوف بن عبد الله: أخرجه هناد في الزهد، حديث (٥٢٨).

(٣) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٦٦١٩).

خالصًا لله تعالى بغير رياء ، ثم ينسى ذلك العمل ؛ لكيلا يبطله العجب؛ لأنه يقال : حفظ الطاعة أشد من فعلها ، وقال أبو بكر الواسطى : حفظ الطاعة أشد من فعلها ؛ لأن مثلها كمثل الزجاج ، سريع الكسر ولا يقبل الجبر ، كذلك العمل إن مسه الرياء كسره ، وإذا مسه العجب كسره ، وإذا أراد الرجل أن يعمل عملاً ، وخاف الرياء من نفسه ، فإن أمكنه أن يخرج الرياء من قلبه ، فينبغى له أن يجتهد فى ذلك ، وإن لم يمكنه فينبغى أن يعمل ، ولا يترك العمل لأجل الرياء ، ثم يستغفر الله تعالى مما فعل فيه من الرياء ، فلعل الله تعالى أن يوفقه للإخلاص فى عمل آخر . ويقال فى المثل : إن الدنيا خربت منذ مات المراءون ؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال البر ، مثل : الرباطات والقناطر والمساجد ، فكان للناس فيها منفعة ، وإن كانت للرياء ، فربما ينفعه دعاء أحد من المسلمين . كما روى عن بعض المتقدمين : أنه بنى رباطا وكان يقول فى نفسه : لا أدرى أكان عملى هذا لله تعالى أم لا ؟ فأتاه آت فى منامه فقال له : إن لم يكن عملك لله تعالى فدعاء المسلمين الذين يدعون لك فهو لله تعالى ، فسر بذلك ، وقال رجل عند حذيفة بن اليمان : اللهم أهلك المنافقين، فقال حذيفة: لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم، يعنى : أنهم يخرجون إلى الغزو ويقاتلون العدو ، وروى عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال : يؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين ، وينصر المنافقين بدعوة المؤمنين .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : تكلم الناس فى الفرائض ، فقال بعضهم : لا يدخل فيها الرياء ؛ لأنها فريضة على جميع الخلق ، فإذا أدى ما هو فرض عليه لا يدخل فيه الرياء ، وقال بعضهم : يدخل الرياء فى الفرائض وغيرها .

(قال الفقيه) : هذا عندى على وجهين : إن كان يؤدى الفرائض رئاء الناس ، ولو لم يكن رئاء الناس، لكان لا يؤديها، فهذا منافق تام، وهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء : ١٤٥]

يعنى : فى الهاوية مع آل فرعون؛ لأنه لو كان توحيده صحيحًا خالصًا لكان لا يمنعه عن أداء الفرائض ، وإن كان يؤدى الفرائض إلا أن يؤديها عند الناس أحسن وأتم ، وإن لم يره أحد يؤديها ناقصة ، فله الثواب الناقص، ولا ثواب لتلك الزيادة ، وهو مسؤول عنها ، محاسب عليها ، والله أعلم .

٢ - باب هول الموت وشدته

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن فضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا الحسين المروزى حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»** (١) أى :

(١) أخرجه أحمد، حديث (١١٦٣٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٠) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح .

المصير إلى دار الآخرة ، ومعنى محبته : أن المؤمن إذا كان عند النزع فى حالة لا يقبل الإيمان فيها يبشر برضوان الله وجنته ، فيكون موته أحب إليه من حياته **«أحب الله لقاءه»** أى : أفاض عليه فضله ، وأكثر العطايا له ، وإنما فسرناه به لأن المحبة على ما فسروها ميلان النفس ، وهو لا يليق بالله تعالى فيحمل على غايته **«ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»** فإن الكافر حين يرى ما أعد له من العقوبة يبكى لضلاله ، ويكره الممات ، فيكره الله لقاءه ، ومعنى كراهة الله له : تبعيده عن رحمته ، وإرادة نقمته ، لا الكراهية التى هى المشقة ؛ لأنه لا يليق إسنادها إلى الله تعالى . قال النووى ليس معنى الحديث أن حبهم لقاء الله سبب حب الله لهم، ولا أن كراهتهم سبب لكراهته، بل الغرض بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم ، انتهى كلامه .

وتوضيحه : أن المحبة صفة لله ، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ، كظهور عكس الماء على الجدار ، ويؤيده ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : **«إذا أحب الله عبدًا شغله به»** ،وفى تقديم يحبهم على يحبونه فى القرآن إشارة إلى ذلك ، أذاقنا الله لقاء محبته وأكرمنا بها، ثم إنهم قالوا: يا رسول الله ، كلنا نكره الموت ، قال : **«ليس ذلك بكراهة ، ولكن المؤمن إذا احتضر جاءه البشير من الله تعالى بما يرجع إليه من الخير ، فليس شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى ، فأحب الله لقاءه ، وإن الفاجر – أو قال : الكافر – إذا احتضر جاءه النذير بما هو صائر إليه من الشر ، فكره لقاء الله ، فكره الله لقاءه»** .

قال : حدثنا محمد بن فضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا وكيع عن الربيع بن سعيد عن محمد بن سابط عن سعيد بن ضابط عن جابر عن عبد الله عن النبى ﷺ قال : **«حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ؛ فإنهم قوم قد كان فيهم الأعاجيب»** ثم أنشأ يحدث فقال : «خرجت طائفة من بنى إسرائيل حتى أتوا مقبرة فقالوا: لو صلينا ثم دعونا ربنا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت ، فصلوا ودعوا ربهم ، فبينما هم كذلك إذا رجل قد أطلع رأسه من قبر أسود خلاسيا فقال : يا هؤلاء ، ما تريدون ؟ فوالله لقد مت منذ تسعين سنة ، فما ذهبت مرارة الموت منى حتى كأنه الآن ، فادعوا الله تعالى أن يعيدنى كما كنت ، وكان بين عينه أثر السجود»[1] .

قال : حدثنا محمد بن فضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا النضر بن الحارث عن الحسن عن النبى ﷺ قال : **«قدر شدة الموت وكربه على المؤمن كقدر ثلاثمائة ضربة بالسيف»**[2] .

(قال الفقيه) رحمه الله : من أيقن بالموت ، وعلم أنه نازل به لا محالة ، فلا بد له من الاستعداد له بالأعمال الصالحة ، وبالاجتناب عن الأعمال الخبيثة ؛ فإنه لا يدرى متى ينزل به ، وقد بين النبى

---

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» حديث (١١١٩) .
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات .

ﷺ شدة الموت ومرارته ، نصيحة منه لأمته ؛ لكي يستعدوا له ، ويصبروا على شدائد الدنيا ؛ لأن الصبر على شدائد الدنيا أيسر من شدة الموت ؛ لأن شدة الموت من عذاب الآخرة ، وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا .

وروى عن عبد الله بن مسور الهاشمي قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : جئتك لتعلمني من غرائب العلم ، قال : «ما صنعت في رأس العلم ؟» قال : وما رأس العلم ؟ قال : «هل عرفت الرب عز وجل ؟» قال: نعم ، قال : «فماذا فعلت في حقه ؟» قال : ما شاء الله . قال : «وهل عرفت الموت ؟» قال : نعم ، قال : «فماذا أعددت له؟» قال : ما شاء الله . قال : «اذهب فاحكم بما هناك ، ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم» ، فلما جاءه بعد سنين قال النبي ﷺ : «**ضع يدك على قلبك ، فما لا ترضى لنفسك لا ترضاه لأخيك المسلم ، وما رضيته لنفسك فارضه لأخيك المسلم**» [١] وهو من غرائب العلم ، فبين النبي ﷺ أن الاستعداد للموت من رأس العلم ، فالأولى أن يشتغل به .

وروى عن عبد الله بن مسور الهاشمي قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام : ١٢٥] ثم قال : «إذا دخل نور الإسلام القلب انفسح وانشرح» ، فقيل : هل لذلك من علامة؟ قال : «نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله» [٢] .

وروى جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه : «**اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك**» [٣] فقد جمع النبي ﷺ في هذه الخمس علمًا كثيرًا ؛ لأن الرجل يقدر على الأعمال في حال شبابه ما لا يقدر عليه في حال هرمه ، ولأن الشاب إذا تعود على المعصية لا يقدر على الامتناع منها في حال هرمه ، فينبغي للشاب أن يتعود في حال شبابه أعمال الخير ؛ لتسهل عليه في حال هرمه .

وقوله : «**صحتك قبل سقمك**» لأن الصحيح نافذ الأمر في ماله ونفسه ، فينبغي للصحيح أن يغتنم صحته ، ويجتهد في الأعمال الصالحة في ماله وبدنه ؛ لأنه إذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة ، وقصرت يده عن ماله إلا في مقدار ثلثه ، «**وفراغك قبل شغلك**» يعني : في الليل يكون فارغًا ، وبالنهار مشغولاً فينبغي أن يصلي بالليل في حال فراغه ، ويصوم بالنهار في وقت شغله ، سيما في أيام الشتاء .

---

(١) **في إسناده**: عبد الله بن المسور ، أحاديثه موضوعة .
(٢) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٠ - ١٨١)، وفيه عبد الله بن المسور ، متروك .
(٣) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٤/ ١٤٨)، وابن المبارك في «**الزهد**» حديث (٢). انظر «**صحيح الجامع**» رقم (١٠٧٧).

كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : «الشتاء غنيمة المؤمن ، طال ليله فقامه ، وقصر نهاره فصامه» [١] ، وفى رواية أخرى : «**الليل طويل ، فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضئ ، فلا تكدره بآثامك**» . وقوله : «**وغناك قبل فقرك**» يعنى : إذا كنت راضيًا بما آتاك الله من القوت فاغتنم ذلك ، ولا تطمع فيما فى أيدى الناس . وقوله : «**وحياتك قبل موتك**» لأن الرجل ما دام حيًا يقدر على العمل ، فإذا مات انقطع عمله ، فينبغى للمؤمن أن لا يضيع أيامه الفانية ، ويغتنم أيامه الباقية .

قال الحكيم (بالفارسية) :

بكودكى بازى بجوابى مستى بيبرى ستى خداراكى برستى ، يعنى : إذا كنت صبيًا تلعب مع الصبيان ، وإذا كنت شابًا غفلت بالله عن الله ، وإذا كنت شيخًا صرت ضعيفًا ، فمتى تعمل لله تعالى ؟ يعنى : لا تقدر أن تعبد الله تعالى بعد موتك ، وإنما تقدر على الاجتهاد فى حال حياتك ، وتستعد لقدوم ملك الموت ، وتذكره فى كل وقت ؛ فإنه ليس بغافل عنك .

وروى عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبى ﷺ : «**ارفق بصاحبى ؛ فإنه مؤمن**» فقال : أبشر يا محمد ؛ فإنى بكل مؤمن رفيق ، والله يا محمد ، إنى لأقبض روح ابن آدم ، فإذا صرخ صارخ من أهله قلت : ما هذا الصراخ ؟ فوالله ما ظلمناه ، ولا سبقنا أجله ، ولا استعجلنا قدره ، فما لنا فى قبضه من ذنب ، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا ، وإن تسخطوا أو تجزعوا تأثموا وتؤزروا ، وما لكم عندنا من عتبة ، وإن لنا عليكم لقية وعودة ، فالحذر الحذر ، وما من أهل بيت شعر أو مدر فى بر أو بحر إلا وأنا أتصفح وجوههم فى كل يوم وليلة خمس مرات ، حتى أنى لأعرف صغيرهم وكبيرهم ، وأعرف منهم بأنفسهم ، والله يا محمد ، لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ، ما قدرت على ذلك ، حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها [٢] .

وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ رأى أناسًا يضحكون ، قال : «**أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى**» ، ثم قال : «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» يعنى : الموت ، ثم قال : «**إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران**» [٣] .

وقال عمر رضى الله عنه لكعب : يا كعب ، حدثنا عن الموت ، قال : إن الموت كشجرة شوك

---

(١) أخرجه أحمد ، حديث (١١٣١٩) ، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٨/ ٣٢٥) بلفظ (الشتاء ربيع المؤمن) من حديث أبي سعيد الخدري . وقال ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» رقمك (٥٠١) قال الدارقطني : تفرد به عمرو بن الحارث عن دراج ، قال أحمد : أحاديث دراج منكرة .

(٢) أخرجه الطبراني في «**الكبير**» حديث (٤١٨٨) ، وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٢/ ٣٢٦) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج ، ولم أجد من ترجمتها ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وروى البزار منه إلى قوله : «**واعلم أني بكل مؤمن رفيق**» .

(٣) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذي ، حديث (٢٤٦٠) . وانظر «**ضعيف جامع الترمذي**» حديث (٢٤٦٠) .

أدخلت فى جوف ابن آدم، فأخذت كل شوكة بعرق منه، ثم جذبها رجل شديد القوى، فقطع منها ما قطع، وأبقى منها ما أبقي. وذكر عن سفيان الثورى أنه كان إذا ذكر عنده الموت كان لا ينتفع به أيامًا، فإذا سئل عن شيء قال: لا أدرى لا أدري. وقال الحكيم: ثلاثة ليس للعاقل أن ينساهن: فناء الدنيا وتصرم أحوالها، والموت، والآفات التى لا أمان له منها. (وقال حاتم الأصم) رحمه الله تعالى: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ، وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى.

(قال الفقيه) رحمه الله: هذا موافق للخبر الذى ذكرناه: اغتنم خمسًا قبل خمس، وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: كان أبى كثيرًا ما يقول: إنى لأعجب من الرجل الذى ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فكيف لا يصفه؟ قال: ثم نزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فقلت: يا أبت قد كنت تقول: إنى لأعجب من رجل ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، كيف لا يصفه؟ فقال: يا بنى، الموت أعظم من أن يوصف، ولكن سأصف لك منه شيئًا، والله كأن على كتفى جبل رضوى، وكأن روحى تخرج من ثقب إبرة، وكأن فى جوفى شوكة عوسج، وكأن السماء أطبقت على الأرض وأنا بينهما، ثم قال: يا بني، إن حالى قد تحول إلى ثلاثة أنواع: فكنت فى أول الأمر أحرص الناس على قتل محمد ﷺ، فيا ويلتاه لو مت فى ذلك الوقت، ثم هدانى الله تعالى للإسلام، وكان محمد ﷺ أحب الناس إليّ، وولانى على السرايا، فيا ليتنى مت فى ذلك الوقت؛ لأنال دعاء رسول الله ﷺ وصلاته عليَّ، ثم اشتغلنا بعده فى أمر الدنيا، فلا أدرى كيف يكون حالى عند الله تعالي، فلم أقم من عنده حتى مات رحمه الله.

قال شقيق بن إبراهيم: وافقنى الناس فى أربعة أشياء قولاً وخالفونى فيها فعلاً. أحدها: أنهم قالوا: إنا عبيد الله تعالي، ويعملون عمل الأحرار. والثانى: قالوا: إن الله كفيل لأرزاقنا، ولا تطمئن قلوبهم إلا مع شيء من الدنيا. والثالث: قالوا: إن الآخرة خير من الدنيا، وهم يجمعون المال للدنيا. والرابع: قالوا: لا بد لنا من الموت، ويعملون أعمال قوم لا يموتون.

وروى عن أبى الدرداء، وفى بعض الأخبار عن أبى ذر، وفى بعض الأخبار عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم، والمعروف عن أبى ذر قال: ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى. فأما الثلاث التى أضحكتنى: فأولها: مؤمل الدنيا والموت يطلبه. يعنى: يطيل أمله ولا يتفكر فى الموت، والثانى: غافل وليس بمغفول عنه، يغفل عن الموت وبين يديه القيامة، والثالث: ضاحك ملء فيه لا يدرى أالله ساخط عليه أم راض عنه، وأما التى أبكتنى: ففراق الأحبه، يعنى: موت محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم، والثانى: هول المطلع، يعنى: نزول الموت، والثالث: الوقوف بين يدى الله، لا أدرى إلى أين يأمر بى ربى، إلى الجنة أم إلى النار.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو تعلم الحيوانات» أى: البهائم «ما تعلمون من الموت ما

أكلتم لحمًا سمينًا أبدًا»(١) وذكر عن أبى حامد اللفاف أنه قال : «مَن أكثر مِن ذكر الموت ، أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة القوت ، ونشاط العبادة ، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل في العبادة . وذكر أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله تعالى ، فقال له بعض الكفرة : إنك قد أحييت من كان حديث الموت ، ولعله لم يكن ميتًا ، فأحى لنا من مات فى الزمن الأول ، فقال لهم : اختاروا من شئتم ، فقالوا : أحى لنا سام بن نوح ، فجاء إلى قبره وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى ، فأحيا الله سام بن نوح ، فإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا ، فقيل : ما هذا ؛ فإن الشيب لم يكن فى زمانك؟ قال : سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت ، فشاب شعر رأسى ولحيتى من الهيبة ، فقيل : منذ كم أنت ميت؟ قال : منذ أربعة آلاف سنة ، وما ذهبت عنى سكرات الموت ، ويقال : ما من مؤمن يموت إلا وقد عرضت عليه الحياة ، والرجوع إلى الدنيا ، فيكره لما لقى من شدة الموت ، إلا الشهداء ؛ فإنهم لم يجدوا شدة الموت ، فيتمنون الرجوع ، لكى يقاتلوا ثانيًا فيقتلوا . وروى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قيل له : لو جلست حتى نسمع منك شيئًا؟ فقال : إنى مشغول بأربعة أشياء : فلو فرغت منها لجلست معكم ، قيل : وما هي؟ قال : أولها : أنى تفكرت يوم الميثاق حين أخذ الميثاق من بنى آدم ، قال الله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه : «**هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى**» (٢) فلم أدر من أى الفريقين كنت أنا ، والثانى : تفكرت بأن الولد إذا قضى الله تعالى بخلقه فى بطن أمه ونفخ فيه الروح ، فقال الملك الذى وكل به : يا رب ، أشقى أم سعيد؟ فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت ، والثالث : حين ينزل ملك الموت ، فإذا أراد أن يقبض روحي ، فيقول : يا رب ، أمع المسلمين أم الكافرين ؟ فلا أدرى كيف يخرج جوابى ، والرابع : تفكرت فى قول الله سبحانه وتعالي : ﴿وَامْتَـٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس : ٥٩] فلا أدرى من أى الفريقين أكون .

(**قال الفقيه**) : طوبى لمن رزقه الله الفهم ، وأيقظه من سنة الغفلة ، ووفقه للتفكر فى أمر خاتمته ، فنسأل الله تعالى أن يجعل خاتمتنا فى خير ، ويجعل خاتمتنا مع البشارة ؛ فإن المؤمن له بشارة من الله تعالى عند موته ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَـٰمُوا﴾ يعنى : آمنوا بالله ورسوله وثبتوا على الإيمان ، ويقال : ثم استقاموا ، يعنى : أدوا الفرائض ، ونهوا عن المحارم ، وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالي : يعنى : استقاموا أفعالاً كما استقاموا أقوالاً ، وقال بعضهم : استقاموا على السنة والجماعة ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ يعنى : على الذين آمنوا واستقاموا ، تتنزل عليهم عند الموت الملائكة بالبشارة ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ يعنى :

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» حديث (١٥٢) (من حديث أم صبية) وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٣٨١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، حديث (١٧٢٠٧) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٦) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

يقولون لهم : لا تخافوا ما بين أيديكم من أمر الدنيا ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠] يعنى : الجنة التى وعدكم الله بها على لسان نبيكم ﷺ ، ويقال : البشارة عند الموت على خمسة أوجه : أولها : لعامة المؤمنين يقال لهم : ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ تأبيد العذاب ، يعنى : لا تبقون فى العذاب أبدًا ، ويشفع لكم الأنبياء والصالحون ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على فوت الثواب ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ يعنى : مرجعكم إلى الجنة . والثانى : للمخلصين يقال لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ رد أعمالكم؛ فإن أعمالكم مقبولة ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على فوت الثواب ؛ فإن لكم الثواب مضاعفًا ، ولا تحزنوا على ما فعلتم بعد التوبة . والثالث : للتائبين يقال لهم : ﴿لا تخافوا﴾ من ذنوبكم ؛ فإنها مغفورة لكم ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على فوت الثواب على ما فعلتم بعد التوبة . والرابع : للزهاد ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ الحشر والحساب ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ من نقصان الإضعاف ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ بلا حساب ولا عذاب . والخامس : للعلماء الذى يعلمون الناس الخير وعملوا بالعلم يقال لهم : ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ فإنه يجزيكم بما عملتم ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ لكم ولمن اقتدى بكم ، وطوبى لمن كان آخر أمره البشارة ؛ فإنما تكون البشارة لمن كان مؤمنًا محسنًا فى عمله ، فتتنزل عليه الملائكة ، فيقولون للملائكة : من أنتم ؟ فما رأينا أحسن وجوهًا ، ولا أطيب ريحًا منكم؟ فيقولون : نحن أولياؤكم ، يعني: حفظتكم الذين كنا نكتب أعمالكم فى الحياة الدنيا ، ونحن أولياؤكم فى الآخرة، فينبغى للعاقل أن يتنبه من رقدة الغفلة .

وعلامة من انتبه من رقدة الغفلة أربعة أشياء : أولها : أن يدبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف . والثانى : أن يدبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل . والثالث : أن يدبر أمر الدين بالعلم والاجتهاد . والرابع : أن يدبر أمر الخلق بالنصيحة والمداراة ، ويقال : أفضل الناس من كان فيه خمس خصال : أولها : أن يكون على عبادة ربه مقبلاً . والثانى : أن يكون نفعه للخلق ظاهرًا . والثالث : أن يكون الناس من شره آمنين . والرابع : أن يكون عما فى أيدى الناس آيسًا . والخامس : أن يكون للموت مستعدًا . واعلم يا أخى أنا خلقنا للموت ، فلا مهرب منه ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب : ١٦] فالواجب على كل مسلم الاستعداد للموت قبل نزوله ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة : ٩٤، ٩٥] فبين الله تعالى أن الصادق يتمنى الموت ، وأن الكاذب يفر من الموت من سوء عمله ؛ لأن المؤمن الصادق قد استعد للموت ، فهو يتمناه اشتياقًا إلى ربه ، كما روى عن أبى الدرداء أنه قال : أحب الفقر تواضعًا لربى ، وأحب المرض تكفيرًا للخطايا ، وأحب الموت اشتياقًا إلى ربى .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : ما من نفس بارة أو فاجرة إلا والموت خير لها ، فإن كانت بارة فقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران : ١٩٨] وإن كانت فاجرة فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

وروى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : «**الموت راحة المؤمن**» (١) .

وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه سئل : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : «**أحسنهم خلقًا**» ، قيل : وأى المؤمنين أكيس ؟ قال : «**أكثرهم للموت ذكرًا ، وأحسنهم له استعدادًا**» (٢) .

قال النبى ﷺ : «**الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله تعالى الأماني**» (٣) يعنى : المغفرة .

٣ - باب عذاب القبر وشدته

حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا ابن معاذ حدثنا حسين المروزى حدثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد ، فجلس النبى ﷺ وجلسنا حوله ، فكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكث به الأرض ، يعنى : يحفر به الأرض ، فرفع رأسه وقال : «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» - مرتين أو ثلاثًا ثم قال- : «**إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه ، كأن وجوههم كالشمس ،ومعهم كفن من الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة ، اخرجى إلى مغفرة الله ورضوانه**» .

قال النبى ﷺ : «**فتخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء ، فيأخذونها فلا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فى ذلك الكفن والحنوط ، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيبة ؟ فيقولون : روح فلان بن فلان بأحسن أسمائه ، ثم ينتهون بها إلى سماء الدنيا ، فيستفتحون لها فيفتح لهم ، فيستقبلها ويشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فتعاد الروح**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٣/ ١٢١) ، والبيهقي في «الشعب» حديث (٩٨٨٦) بلفظ : (الموت كفارة لكل مسلم) من حديث أنس .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، حديث (٨٦٢٣) ، وابن المبارك في «الزهد» حديث (٢٧٢) .

(٣) **ضعيف**: أخرجه الترمذي ، حديث (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٦٠) ، وانظر «ضعيف جامع الترمذي» رقم (٢٤٥٩) .

في جسده ، ويأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته ، فينادى مناد : صدق عبدى فافرشوا له فراشًا من الجنة ، وألبسوه لباسًا من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، يأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، فيقول له : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد به ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى وخدمى» .

قال النبى ﷺ : «**وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزل إليه ملائكة من السماء، سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط الله وغضبه ، فتتفرق فى أعضائه كلها ، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول ، فينقطع معها العروق والعصب ، فيأخذها ، وإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة ، فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون: روح فلان بن فلان بأقبح أسمائه، حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح لها**»

ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠] «**ثم يقول الله تعالى : اكتبوا كتابه فى سجين ثم تطرح روحه طرحًا**» ، ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١]

يعنى : ترد فتعاد روحه فى جسده ، «**فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه لا أدرى ، فيقولان له : وما دينك؟ فيقول : هاه لا أدرى .**

فيقولان له : ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه لا أدرى ، فينادى مناد من السماء : كذب عبدى ، فافرشوا له من فرش النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيدخل عليه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره فتختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذى يسوءك ، فهذا يومك الذى كنت توعد به ، فيقول : من أنت؟ فيقول : أنا عملك السيء ، فيقول : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة» (١) .

(**قال**) : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة حدثنا محمد ابن سلمة حدثنا أبو أيوب حدثنا القاسم بن الفضل عن الحرانى عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ، وضبائر**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود، حديث (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٠٦٣)، انظر «صحيح سنن أبي داود» .

الريحان ، وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال : أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية إلى رحمة الله تعالى ورضوانه ، وإذا أخرجت روحه ، وضعت على ذلك المسك والريحان ، وطويت عليها الحريرة ، وبعث بها إلى عليين ، وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح من شعر فيه جمر ، فتنزع روحه انتزاعًا شديدًا ، ويقال لها : أيتها النفس الخبيثة، اخرجي ساخطة مسخوطا عليك ، إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه ، وضعت على تلك الجمرة ، وإن لها نشيجًا كنشيج الغليان ، ويطوى عليها المسح ، فيذهب بها إلى سجين»[(١)] .

(قال) : وروى الفقيه أبو جعفر بإسناده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : «إن المؤمن إذا وضع فى القبر يوسع عليه فى قبره سبعون ذراعًا طولاً ، وتنشر عليه الرياحين ، ويستر بالحرير ، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، فإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ، ويكون مثله كمثل العروس ، تنام ولا يوقظها إلا أحب أهلها إليها ، فتقوم من نومها كأنها لم تشبع منه ، وإن الكافر يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلاعه فى جوفه ، ويرسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكلن لحمه حتى لا يذرن على عظمه لحما ، فترسل له ملائكة العذاب صم بكم عمى ، معهم مقامع من حديد ، يضربونه بها لا يسمعون صوته فيرحموه ، ولا يبصرونه فيرأفوا به ، فتعرض عليه النار بكرة وعشيا»[(٢)] .

(قال الفقيه) رحمه الله : من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء، ويجتنب أربعة أشياء، فأما الأربعة التى يلازمها : فمحافظة الصلوات، والصدقة، وقراءة القرآن ، وكثرة التسبيح ؛ فإن هذه الأشياء تضيء القبر وتوسعه . وأما الأربعة التى يجتنبها : فالكذب ، والخيانة ، والنميمة ، والبول .

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«تنزهوا عن البول ؛ فإن عامة عذاب القبر منه»**[(٣)] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله تعالى كره لكم أربعًا : العبث فى الصلاة ، واللغو فى القراءة ، والرفث فى الصيام، والضحك عند المقابر»[(٤)] ، وروى عن محمد بن السماك أنه نظر إلى مقبرة فقال : لا يغرنكم سكوت هذه القبور ، فما أكثر المغمومين فيها ، ولا يغرنكم استواء القبور ،

---

(١) أخرجه البزار وابن مردويه كما في «شرح الصدور ص ١٠٢»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٤) «ضبائر» هي الجماعات في تفرقة . والتضبير : الجمع .

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٨) : رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات . وذكره السيوطي في «شرح الصدور ص ١٠٢» وعزاه لهناد في الزهد، وعبد بن حميد في تفسيره.

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» (١/ ١٢٧) وقال : المحفوظ مرسل، وذكره السيوطي في «شرح الصدور ص ٢٢٤»، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا والآخرى وحسنه.

(٤) ضعيف: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» حديث (١٥٥٧) (من حديث يحيى بن أبي كثير) . وانظر «ضعيف الجامع» رقم (١٦٣١) .

فما أشد تفاوتهم فيها ، فينبغى للعاقل أن يكثر من ذكر القبر قبل أن يدخله .

(قال سفيان الثورى) رحمه الله : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران . وروى عن على كرم الله وجهه أنه قال فى خطبته : يا عباد الله ، الموت الموت ، ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، الموت معقود بنواصيكم ، فالنجاة النجاة ، الوحا الوحا ، فإن وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الديدان ، ألا وإن وراء ذلك اليوم يومًا أشد من ذلك اليوم ، يومًا يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه الكبير ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، ألا وإن وراء ذلك اليوم نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد ، وماؤها صديد ، وليس لله فيها رحمة . قال : فبكى المسلمون بكاء شديدًا ، فقال : إن وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، أجارنا الله وإياكم من العذاب الأليم ، وأحلنا وإياكم دار النعيم . وروى عن أسيد بن عبد الرحمن أنه قال : بلغنى أن المؤمن إذا مات فحمل قال : أسرعوا بى ، فإذا وضع فى لحده كلمته الأرض ، وقالت : إنى كنت أحبك وأنت على ظهرى ، فأنت الآن أحب إلىّ ، وإذا مات الكافر فحمل قال : ارجعوا بى ، فإذا وضع فى لحده كلمته الأرض ، فقالت : إنى كنت أبغضك وأنت على ظهرى ، فأنت الآن أبغض إلى .

وروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : أنه وقف على قبر فبكى ، فقيل له : إنك تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال : **«القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»** .(١)

وروى عن عبد الحميد بن محمود المغولى قال : كنت جالسًا عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فأتاه قوم فقالوا : خرجنا حجاجًا ومعنا صاحب لنا ، حتى انتهينا إلى حى ذات الصفاح ، فمات ، فهيأنا له ، ثم انطلقنا فحفرنا له قبرًا ولحدًا ، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد - يعنى : الحية - فتركناه ، فحفرنا له فى مكان آخر ، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فتركناه ، فحفرنا له ثالثًا ، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد ، فتركناه وأتيناك ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ذلك الفعل الذى كان يفعله ، انطلقوا فادفنوه فى بعضها ، فوالله لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها ، فأخبروا قومه . قال : فانطلقنا فدفناه فى بعضها ، فلما رجعنا أتينا أهله بمتاع له كان معنا ، فقلنا لامرأته : ما كان له من عمل ؟ قالت : كان يبيع الطعام - يعنى : الحنطة - وكان يأخذ كل يوم قدر قوته ، ثم يفرض القصل مثله ، ومن الكعبرة - يعنى : عيدان الطعام - فيلقيه فيه .

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وانظر «صحيح جامع الترمذي» رقم (٢٣٠٨).

(قال الفقيه) رحمه الله : فى هذا الخبر دليل على أن الخيانة سبب لعذاب القبر ، فكان فيما رأوه عبرة للأحياء ليمتنعوا من الخيانة ، ويقال : إن الأرض تنادى كل يوم خمس مرات ، أول نداء تقول : يا ابن آدم ، تمشى على ظهرى ، ومصيرك إلى بطنى ، والثانى تقول : يا ابن آدم ، تأكل الألوان على ظهرى ، وتأكلك الديدان فى بطنى ، والثالث تقول : يا ابن آدم ، تضحك على ظهرى ، فسوف تبكى فى بطنى ، والرابع تقول : يا ابن آدم ، تفرح على ظهرى ، فسوف تحزن فى بطنى ، والخامس تقول : يا ابن آدم ، تذنب على ظهرى ، فسوف تعذب فى بطنى . وروى عن عمرو بن دينار قال : كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة ، فاشتكت فكان يأتيها يعودها ، ثم ماتت فجهزها وحملها إلى قبرها ، فلما دفنت ورجع إلى أهلها ، ذكر أنه نسى كيسا كان معه ، فاستعان برجل من أصحابه ، فأتيا القبر ، فنبشها فوجد الكيس ، فقال للرجل : تنح حتى أنظر على أى حال أختى ، فرفع بعض ما كان على اللحد ، فإذا القبر مشتعل نارًا ، فرده فسوى القبر ، فرجع إلى أمه فقال : أخبرينى عما كانت أختى عليه ، فقالت : ولم تسأل عن أختك وقد هلكت ؟ قال : أخبرينى . قالت : كانت أختك تؤخر الصلاة ، ولا تصلى بطهارة تامة ، وتأتى فى أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم ، فتخرج حديثهم ، يعنى : أنها كانت تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة ، وهو سبب عذاب القبر ، فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يتحرز عن النميمة ، وعن سائر الذنوب ؛ لينجو من عذابه ، ويسهل عليه سؤال منكر ونكير ، قال الله تعالي : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وروى البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إذا سئل المسلم فى القبر، فيشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله**» فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ﴾ (١)

ويكون التثبيت فى ثلاثة أحوال لمن كان مؤمنًا مخلصًا مطيعا لله تعالي : أحدها : فى مثل معاينة ملك الموت ، **والثانى** : فى حال سؤال منكر ونكير ، **والثالث** : فى حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة . فأما التثبيت عند معاينة ملك الموت ، فهو على ثلاثة أوجه ، أحدها : العصمة من الكفر ، وتوفيق الاستقامة على التوحيد حتى تخرج روحه وهو على الإسلام ، والثانى : أن تبشره الملائكة بالرحمة ، والثالث : أن يرى موضعه من الجنة ، والتثبيت فى القبر على ثلاثة أوجه : أحدها : أن يلقنه الله تعالى الصواب حتى يجيبهما بما يرضى منه الرب ، والثانى : أن يزول عنه الخوف والهيبة والدهشة ، والثالث : أن يرى مكانه فى الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة .

وأما التثبيت عند الحساب فهو على ثلاثة أوجه ، أحدها : أن يلقنه الحجة عما يسأل عنه ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (١٣٦٩)، ومسلم، حديث (٢٨٧١).

والثانى : أن يسهل عليه الحساب ، والثالث : أن يتجاوز عنه الزلل والخطايا ، ويقال التثبيت فى أربعة أحوال ، **أحدها** : عند الموت ، **والثانى** : فى القبر حتى يجيب بلا خوف ، **والثالث** : عند الحساب ، **والرابع** : عند الصراط حتى يمر كالبرق الخاطف ، فإن سئل عن سؤال القبر كيف هو ؟ قيل له : قد تكلم العلماء فيه واختلفت الروايات ، فقال بعضهم : يكون السؤال للروح دون الجسد ، وحينئذ تدخل الروح فى جسده إلى صدره ، وقيل : تكون الروح بين جسده وكفنه ، وفى ذلك كله قد جاءت الآثار ، والصحيح عند أهل العلم : أن يقر الإنسان بسؤال القبر ، ولا يشتغل بكيفيته ، ويقول : الله أعلم كيف يكون ، وإنما نعاينه إذا صرنا إليه ، فإذا أنكر أحد سؤال منكر ونكير ، فإن إنكاره لا يخلو من أحد الوجهين : إما أن يقول : إن هذا لا يجوز من طريق العقل ، إذ هو خلاف الطبيعة ، أو يقول : يجوز ذلك ولكن لم يثبت ، فإن قال : هذا لا يجوز من طريق العقل ، فإن قوله يؤدى إلى تعطيل النبوة ، وإبطال المعجزة ؛ لأن الرسل كانوا من الآدميين ، وطبيعتهم مثل طبيعة غيرهم ، وقد شاهدوا الملائكة ، وأنزل عليهم الوحى ، وانفلق البحر لموسى عليه السلام ، وصارت عصاه ثعبانًا ، فهذا كله خلاف الطبيعة ، فمنكر هذا يخرج من الإسلام من حيث دخل ، وإن قال : إنه يجوز ولكن لم يثبت ، فنحن قد روينا من الأخبار ما فيه مقنع لمن سمعها ، وفى كتاب الله تعالى دليل على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه : ١٢٤] قال جماعة من المفسرين : المعيشة الضنك سؤال القبر ، قال الله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنى الفقيه بإسناده عن سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا دخل المؤمن قبره أتاه فتانا القبر، فأجلساه فى قبره وسألاه ، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين ، فيقولون له : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربى ؛ والإسلام دينى ، ومحمد نبيى ، فيقولان له : يثبتك الله ، نم قرير العين**» ، وهو قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(١) يعنى : يثبتهم الله على قول الحق ، ويضل الله الظالمين ، يعنى : الكافرين ، لا يوفقهم للقول الحق ، «**وإذا دخل الكافر أو المنافق قبره قالا له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقولان : لا دريت ، فيضرب بمرزبة يسمعها ما بين الخافقين إلا الجن والإنس**» .

وروى أبو حازم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا عمر ، كيف بك إذا جاءك فتانا القبر منكر ونكير؟ ملكان أسودان أزرقان ، ينحتان الأرض بأنيابهما ، ويطئان فى شعورهما ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ؟**» فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤) . (من حديث أبي هريرة) انظر (صحيح جامع الترمذي) .

أمعى عقلى وأنا على ما أنا عليه اليوم ؟ قال : «نعم» قال : إذن أكفيكهما بإذن الله تعالى ، فقال النبى ﷺ: «إن عمر لموفق» [(١)] .

قال : وحدثنى أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد الشاباذى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«ما من ميت يموت إلا وله خوار ، يسمعه كل دابة عنده إلا الإنسان ، فلو سمعه لصعق ، فإذا انطلق به إلى قبره ، فإن كان صالحًا قال: عجلوا بى ؛ لو تعلمون ما أمامى من الخير لقدمتمونى ، وإن كان غير ذلك قال : لا تعجلوا بى ؛ لو تعلمون ما تقدمونى له من الشر لما عجلتمونى ، فإذا ورى فى قبره أتاه ملكان أسودان أزرقان ، فيأتيانه من قبل رأسه ، فتقول صلاته : لا يؤتى من قبلى ؛ فرب ليلة قد بات فيها ساهرا حذرًا من هذا المضجع ، فيؤتى من قبل رجليه ، فيجيء بر الوالدين فيقول : لا يؤتى من قبلنا ، فقد كان يمشى وينتصب علينا حذرا لهذا المضجع ، فيؤتى من قبل يمينه ، فتقول صدقته : لا يؤتى من قبلي؛ لقد كان يتصدق بى حذرًا لهذا المضجع ، فيؤتى من قبل شماله ، فيقول صومه : لا يؤتى من قبلى ؛ فقد كان يظمأ ويجوع حذرا لهذا المضجع ، فيوقظ كما يوقظ النائم ، فيقال له : أرأيت هذا الرجل الذى كان يقول ما يقول، علام كنت منه؟ فيقول : من هو ؟ فيقال: محمد ﷺ**، فيقول : أشهد أنه رسول الله ﷺ، فيقولان له : عشت مؤمنا ومت مؤمنا ، فيفسح له فى قبره ، وينشر له من كل كرامة الله تعالى ما شاء الله» [(٢)] ، فنسأل الله التوفيق والعصمة ، وأن يعيذنا من الأهواء الضالة المضلة والغفلة ، وإن يعيذنا من عذاب القبر ؛ فإن النبى ﷺ كان يتعوذ بالله منه [(٣)] .

وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كنت لم أعلم بعذاب القبر ، حتى دخلت على يهودية ، فسألت شيئًا فأعطيتها ، فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ، فظننت أن قولها من أباطيل اليهود ، حتى دخل النبى ﷺ فذكرت ذلك له ، فأخبرنى أن عذاب القبر حق [(٤)] ، فالواجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر ، وأن يستعد للقبر بالأعمال الصالحة قبل أن يدخل فيه ، فإنه قد سهل عليه الأمر ما دام فى الدنيا ، فإذا دخل القبر فإنه يتمنى أن يؤذن له بحسنة واحدة فلا يؤذن له ، فيبقى فى حسرة وندامة ، فينبغى للعاقل أن يتفكر فى أمور الموتى ؛ فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين ، أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يؤذن لهم بتسبيحة واحدة، فلا يؤذن لهم، فيتعجبون من الأحياء ، أنهم يضيعون أيامهم فى الغفلة والبطالة ، يا أخى فلا تضيع أيامك ، فإنها رأس مالك ، فإنك ما دمت قادرًا على رأس مالك ، قدرت

---

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر ، حديث (١١٦ ، ١١٧) ، وابن أبي داود في البعث (٧) ، وأورده الذهبي في (ميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٧) وقال : خبر منكر .

(٢) أخرجه ابن حبان بنحوه ، حديث (٣١١٣) .

(٣) عن عائشة أن رسول الله ﷺ، كان يدعو في الصلاة : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) . أخرجه البخاري ، حديث (٨٣٢) .

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري ، حديث (١٣٧٢) .

على الربح ؛ لأن بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا ، فاجتهد حتى تجمع بضاعة الآخرة الكاسدة فى وقت الكساد ، فإنه يجيء يوم تصير هذه البضاعة فيه عزيزة، فاستكثر منها فى يوم الكساد ليوم العز ، فإنك لا تقدر على طلبها فى ذلك اليوم . فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاستعداد ليوم الفقر والحاجة، ولا يجعلنا من النادمين، الذين يطلبون الرجعة فلا يقالون، ويسهل علينا سكرات الموت وشدة القبر، وعلى جميع المسلمين والمسلمات، آمين يا رب العالمين؛ فإنه أرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٤ - باب أهوال القيامة وأفزاعها

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : أخبرنا الخليل بن أحمد قال : أخبرنا يحيى بن محمد ابن صاعد قال : حدثنا محمد بن المنصور الطوسى قال : حدثنا يحيى بن إسحاق الصالح قال : حدثنا أحمد بن لهيعة عن خالد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها وعنهم قالت: قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال : «**أما عند ثلاث مواضع فلا : عند الميزان ؛ حتى يعلم إما أن يخف، وإما أن يثقل ، وعند تطاير الصحف ؛ إما أن يعطى بيمينه ، وإما أن يعطى بشماله ، وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويقول : وكلت بثلاثة : وكلت بمن دعا مع الله إلهًا آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب ، فيطوى عليهم حتى يرمى بهم فى غمرات جهنم ، ولجهنم جسر أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك ، والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف ، وكالريح العاصف ، فناج مُسَلّم ، ومخدوش مُسَلّم ، ومكبوب فى النار على وجهه**» (١) .

وحدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : أخبرنا إبراهيم بن يوسف قال : أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**ما بين النفختين أربعون سنة ، ثم ينزل الله ماء من السماء كمنى الرجال ، فينبتون كما ينبت البقل**» (٢) .

وأخبرنى الثقة بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه بأسانيد مختلفة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو واضعه على فيه ، شاخصًا ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر**» ، قال : قلت : يا رسول الله ، وما الصور ؟

قال : «**قرن من نور**» قلت : يا رسول الله ، كيف هو ؟

قال : «**عظيم الدارة ، والذى بعثنى بالحق نبيًا ، لعظم دارته كعرض السماء والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات**» (٣) ، وذكر فى بعض الروايات أنه «**نفختان**» نفخة للهلاك ،ونفخة للبعث ، وفى رواية كعب

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢٤٨٣٧)، والحاكم (٤/ ٥٧٨) .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٩٣٥)، ومسلم، حديث (٢٩٥٥) .
(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، حديث (٣٨٦)، وابن كثير في النهاية (١/ ٢١٤) .

«**نفختان**» وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه : «**ثلاث نفخات : نفخة للفزع، ونفخة للصعق، ونفخة للبعث ، فيأمر الله تعالى إسرافيل فى النفخة الأولى ، فينفخ فيه ، فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض ، وهو قوله تعالى** : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل : ٨٧] **وتتزلزل الأرض، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، وتصير الولدان شيبًا ، وتطير الشياطين هاربة ، وهو قوله تعالى** : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج : ١ ، ٢] **فيمكثون ما شاء الله ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل ، فينفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السماء وأهل الأرض**» - يعنى : يموت أهل السماء والأرض - إلا من شاء الله ، وهو قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر : ٦٨] والاستثناء يعنى به أرواح الشهداء ،وقيل : يعنى به : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، وملك الموت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين - «**فيقول الله عز وجل لملك الموت : من بقى من خلقى ؟ وهو أعلم ، فيقول: يا رب ، أنت حى لا تموت ، بقى جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وحملة عرشك ، وبقيت أنا ، فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم**» هكذا ذكر فى رواية الكلبى ورواية مقاتل .

وقال فى رواية محمد بن كعب عن رجل عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : «**إن الله سبحانه وتعالى يقول : ليمت جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وليمت حملة العرش ، ثم يقول الله عز وجل : يا ملك الموت ، من بقى من خلقى ؟ فيقول : أنت الحى الذى لا تموت ، وبقى عبدك الضعيف ملك الموت ، فيقول : يا ملك الموت ، ألم تسمع قولى** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] **وأنت خلق من خلقى ، خلقتك لما رأيت ، فمت ، فيموت**» . وروى فى خبر آخر : «**أنه يأمره بأن يقبض روح نفسه ، فيجىء إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه بنفسه ، فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماتوا من صيحته ، ويقول : لو كنت علمت أن لنزع الروح مثل هذه الشدة والمرارة ، لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشد شفقة ، ثم يموت فلا يبقى أحد من الخلق ، فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية : أين الملوك ؟ وأين أبناء الملوك ؟ أين الجبابرة؟ وأين أبناء الجبابرة ؟ وأين الذين كانوا يأكلون خيرى ويعبدون غيرى ؟ ثم يقول الله تعالى** : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد ، فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦] . ثم يأمر الله تعالى السماء أن تمطر ، فتمطر السماء كمنى الرجال أربعين يومًا ، حتى يعلو الماء فوق كل شىء اثنى عشر ذراعًا ، فينبت الله الخلق بذلك الماء كنبات البقل ، حتى تتكامل أجسامهم فتعود كما كانت ، ثم يقول الله تعالى : ليحى إسرافيل وحملة العرش ، فيحيون بأمر الله تعالى ، ويأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور ويضعه على فيه ، ثم يقول الله : ليحى جبرائيل وميكائيل ، فيحييان بأمر الله تعالى . ثم يدعو الله تعالى الأرواح ، فيؤتى بها ،

فيجعلها فى الصور ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة البعث ، فتخرج الأرواح كأنها النحل ، قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فى الخياشيم ، فتنشق الأرض عنهم» ثم قال النبى ﷺ : «أنا أول من تنشق عنه الأرض» .

وفى خبر آخر : «إن الله تعالى إذا أحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فينزلون إلى قبر النبى ﷺ ، ومعهم ابراق وحلل من الجنة ، فتنشق عنه الأرض ، فينظر النبى ﷺ إلى جبريل فيقول : يا جبريل ، ما هذا اليوم ؟ فيقول : هذا يوم القيامة ،هذا يوم الحاقة ، هذا يوم القارعة ، فيقول : يا جبريل ما فعل الله بأمتى ؟ فيقول جبريل : أبشر ؛ فإنك أول من تنشق عنه الأرض ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور ، فإذا هم قيام ينظرون»[1] .

– (رجعنا إلى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال : «فيخرجون منها سراعا إلى ربهم ينسلون» – يعنى : يخرجون من قبورهم – «حفاة عراة ، ثم يقفون موقفًا واحدًا مقدار سبعين عامًا ؛ لا ينظر الله إليهم ولا يقضى بينهم ، فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون دمًا ، ويعرقون حتى يبلغ ذلك منهم بأن يلجمهم ، وأن يبلغ الأذقان ، ثم يدعون إلى المحشر ، وذلك قوله عز وجل : ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر : ٨] أي: ناظرين قاصدين مسرعين فإذا اجتمع الخلائق كلهم الجن والإنس وغيرهم ، فبينما هم وقوف إذ سمعوا حسًا من السماء شديدًا ، فهالهم ذلك ، فتنشق السماء ، وتنزل ملائكة سماء الدنيا كمثل من فى الأرض ، فأخذوا مصافهم ، فقال لهم الناس : أفيكم ربنا ؟ – يعنى : أفيكم أمر ربنا بالحساب ؟ – قالوا : لا وهو يأتى – يعنى : يأتى أمره بالحساب –، ثم ينزل أهل السماء الثانية ، فيقومون صفًا خلف أهل سماء الدنيا ،ثم تنزل ملائكة أهل السماء الثالثة ، حتى تنزل ملائكة السموات السبع ، على قدر التضعيف ، ويقومون حول أهل الدنيا» .

(قال الفقيه) : حدثنا محمد بن الفضل قال : أنبأنا محمد بن جعفر قال : أنبأنا إبراهيم بن يوسف قال: أنبأنا محمد بن الفضل عن الأجلح عن الضحاك قال : إن الله تعالى يأمر سماء الدنيا فتنشق بما فيها من الملائكة ، فينزلون فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم الثانية ومن فيها ، ثم الثالثة ومن فيها ، ثم الرابعة ومن فيها ، ثم الخامسة ومن فيها، ثم السادسة ومن فيها ، ثم السابعة ومن فيها ، حتى يكونوا سبع صفوف من الملائكة ، بعضهم فى جوف بعض ، وأهل الأرض لا يأتون قطرًا من أقطارها ، إلا وجدوا عنده سبع صفوف من الملائكة ، فذلك قوله تعالى : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن : ٣٣] ، وقال : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان : ٢٥] .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله تعالى يقول : يا معشر الجن والإنس

---

(١) لم أقف عليه .

إني نصحت لكم ، فإنما هي أعمالكم في صحفكم ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله تعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ثم يأمر الله تعالى جهنم ، فيخرج منها عنق طويل ساطع مظلم متكلمًا ، فيقول الله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ﴾ [يس : ٦٠ - ٦٤] فتجثوا الأمم ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الآية [الجاثية : ٢٨] ، فيقضي الله تعالى بين خلقه ويقضي بين الوحوش والبهائم ، حتى إنه لينتقم للشاة الجماء من ذات القرن ، ثم يقول : كوني ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر : ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ : ٤٠] ثم يقضي بين العباد»(١) .

وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة» فقالت عائشة رضي الله عنها : الرجال والنساء ؟ قال : «نعم» ، فقالت عائشة : واسوأتاه ، ينظر بعضهم إلى بعض ، فضرب على منكبها ، وقال : «يا ابنة ابن أبي قحافة ، شغل الناس يومئذ عن النظر ، وشخصوا بأبصارهم إلى السماء ، موقوفين أربعين سنة ، لا يأكلون ولا يشربون ، فمنهم من يبلغ العرق قدميه ، ومنهم من يبلغ ساقيه ، ومنهم من يبلغ بطنه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا من طول الوقوف ، ثم تقوم الملائكة حافين من حول العرش ، فيأمر الله تعالى مناديًا ينادي: أين فلان ابن فلانة ؟ فيشرف الناس» - أي : فيرفع الناس رؤوسهم لذلك الصوت - «ويخرج ذلك المنادى من ذلك الموقف ، فإذا وقف بين يدي رب العالمين قيل: أين أصحاب المظالم؟ فينادي رجلًا رجلًا ، فيؤخذ من حسناته وتدفع إلى من ظلمه ، فيومئذ لا دينار ولا درهم إلا أخذ من الحسنات ورد من السيئات، فلا يزالون يستوفون من حسناته حتى لا يبقى له حسنة، فيؤخذ من سيئاتهم فترد عليه ، فإذا فرغ من حسناته قيل له : ارجع إلى أمك الهاوية - أي : جهنم - ؛ فإنه» ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ - يعني : سريع المجازاة - «فلا يبقى يومئذ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا شهيد ، إلا ظن لما يرى من شدة الحساب أن لا ينجو ، إلا من عصمه الله تعالى» (٢) .

وروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فيم عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟» (٣) .

وعن عكرمة رضي الله تعالى عنه قال : «إن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول : يا بني ، إني

---

(١) أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٣١) .

(٢) أخرجه ابن مردويه في الإتحاف (١٠/ ٤٥٦) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، حديث (٥٨٢٥) .

(٣) حسن لغيره: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، حديث (٣٤٦٩٤) ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ، حديث (١٧٢٦) ، انظر صحيح الترغيب والترهيب .

كنت لك والدًا فى الدنيا، وأبًا لك، فيثنى عليه خيرًا، فيقول له: يا بنى، قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك، لعلى أنجو مما ترى، فيقول له ولده: إنى أتخوف على نفسى مثل الذى تخوفت، فلا أطيق أن أعطيك شيئًا، ثم يتعلق بزوجته فيقول لها: يا فلانة إنى كنت لك زوجًا فى الدنيا، فتثنى عليه خيرًا، فيقول لها: إنى أطلب منك حسنة واحدة تهديها لى، لعلى أنجو مما ترين، فتقول: لا أطيق ذلك؛ إنى أتخوف على نفسى مثل الذى تخوفت منه، فيقول الله عز وجل: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] يعنى: الذى أثقلته الذنوب، لا يحمل أحد عنه شيئًا من ذنوبه.

وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الكافر ليلجم بعرقه من طول ذلك اليوم حتى يقول: يا رب ارحمنى ولو إلى النار**» (١).

(**قال الفقيه**) أبو جعفر رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا حماد عن على بن زيد عن أبى نضرة بإسناده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله أنه قال: «**لم يكن نبى قط إلا كانت له دعوة مستجابة فعجلها فى الدنيا، وإنى استخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، ألا وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة تحته آدم ومن دونه من البشر ولا فخر**»، ثم قال: «**يشتد يوم القيامة غمه وكربه فى الناس، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: يا أبا البشر، اشفع لنا إلى ربك ليقضى بيننا، فيقول: لست هناك، إنى قد أخرجت من الجنة بخطيئتى، وليس يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن عليكم بنوح، فإنه أول المرسلين، فيأتون نوحًا عليه السلام، ويقولون: اشفع لنا إلى ربك ليقضى بيننا، فيقول: لست هناك؛ إنى دعوت دعوة أغرقت بها أهل الأرض، وإنه ليس يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا إلى إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا، فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقولون اشفع لنا إلى ربك ليقضى بيننا، فيقول: لست هناك؛ إنى قد كذبت فى الإسلام ثلاث كذبات**». قال رسول الله ﷺ: «**والثلاثة جادل بهن عن دين الله تعالى، إحداها قوله تعالى**: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩] **والثانية قوله**: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] **والثالثة قوله: لامرأته: إنها أختى، وليس يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله تكليمًا، فيأتون موسى فيقولون: اشفع لنا إلى ربك ليقضى بيننا، فيقول: لست هناك، إنى قتلت نفسًا بغير حق، وإنى لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتونه فيقولون: اشفع لنا إلى ربك ليقضى، فيقول: لست هناك؛ إنى اُتُخِذت أنا وأمى إلهين من دون الله، وإنى لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن أرأيتم لوكان لأحدكم بضاعة، فجعلها فى كيس وختم عليها، أكان يصل إلى ما فى الكيس حتى يفض الختم؟ فيقولون: لا، فيقول: إن محمدًا** ﷺ **ختمت به**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (٨٧٧٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٦)، وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

الأنبياء ، وقد وافى اليوم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ائتوه» ، فقال رسول الله ﷺ : «**فيأتينى الناس فأقول : نعم ، أنا لها ، أنا لها ، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فيلبث ما شاء الله أن يلبث فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد : أين محمد** ﷺ وأمته؟ فنحن الآخرون والأولون – يعنى : آخر الناس فى الدنيا ، وأولهم فى الحساب يوم القيامة – ، فأقوم أنا وأمتى ، فيفرج الأمم عن طريقنا ، فنمر غرًا محجلين من آثار الطهور ، ويقول لنا الناس : كادت هذه الأمة أن تكون كلها أنبياء ، ثم أتقدم إلى باب الجنة فأستفتح ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد رسول الله ، فيفتح لى فأدخل ، وأخرّ لربى ساجدًا ، وأحمد بمحامد لم يحمده بها أحد قبلى ، ولا يحمده أحد بها بعدى ، فيقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأشفع لمن كان فى قلبه مثقال شعيرة أو ذرة من الإيمان»[(١)] – يعنى : من اليقين – مع شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله» .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه دخل المسجد ،وكعب الأحبار يحدث الناس ، فقال له عمر رضى الله عنه : خوفنا يا كعب الأحبار ، فقال : والله ، إن لله ملائكة قيامًا من يوم خلقهم الله ما ثنوا أصلابهم، وآخرين سجدوا ما رفعوا رؤوسهم ، حتى ينفخ فى الصور ، فيقولون جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ، ما عبدناك حق عبادتك ، وحق ما ينبغى لك أن تعبد ، والذى نفسى بيده ، إن جهنم لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق ، حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة ، فلم يبق نبى ولا شهيد إلا جثا على ركبتيه ساقطا ، يقول كل نبى وكل صديق وكل شهيد: يا رب ، لا أسألك إلا نفسى ، وينسى إبراهيمُ إسماعيلَ وإسحاقَ ، فيقول : يا رب ، أنا خليلك إبراهيم، فلو كان لك يا ابن الخطاب يومئذ عمل سبعين نبيًا لظننت أنك لا تنجو ، فبكى القوم حتى شجوا ، فلما رأى عمر رضى الله تعالى عنه ذلك قال : يا كعب بشرنا ، فقال : أبشروا ؛ فإن لله تعالى ثلاثمائة وثلاثة عشر شريعة ، لا يأتى العبد يوم القيامة بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص إلا أدخله الله الجنة ، والله لو تعلمون كنه رحمة الله تعالى لأبطأتم فى العمل . يا أخى ، استعد لمثل هذا اليوم بالأعمال الصالحة ، والاجتناب عن المعاصى ؛ فإنك عن قريب تعاين يوم القيامة ، وتندم على ما فات من أيام عمرك ، واعلم أنك إذا مت فقد قامت قيامتك ، كما قال المغيرة بن شعبة : إنكم تقولون القيامة القيامة ، إنما قيامة أحدكم موته ، وذكر عن علقمة بن قيس إنه كان فى جنازة رجل فقام على القبر ، فلما دفن قال: أما هذا العبد فقد قامت قيامته ، وإنما قال ذلك لأن الإنسان إذا مات فقد عاين أمر يوم القيامة ؛ لأنه يرى الجنة والنار والملائكة ، ولا يقدر على عمل من الأعمال ، فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة ، فختم على عمله بالموت ، فيقوم

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث (٢٣٢٨)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٢)، وقال: رواه أبو يعلى وأحمد، وفيه علي بن زيد وقد وثق على ضعفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

يوم القيامة على ما مات عليه ، فطوبى لمن كانت خاتمته بالخير . قال أبو بكر الواسطى : الدول ثلاث : دولة الحياة ، ودولة عند الموت ، ودولة يوم القيامة ، فأما دولة الحياة : فإنه يعيش فى طاعة الله تعالي، وأما دولته عند الموت: بأن تخرج روحه مع شهادة أن لا إله إلا الله، وأما الدولة الصحيحة : فدولة يوم القيامة البشرى ، فحين يخرج من قبره يأتيه البشير بالجنة . وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله أنه قرئ فى مجلسه هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ أى : ركبانا ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم : ٨٥، ٨٦] يعنى : مشاة عطاشا ، فقال : أيها الناس ، مهلاً مهلاً ، غدًا تحشرون إلى الموقف حشرًا حشرًا ، وتأتون من الأطراف فوجًا فوجًا ، وتوقفون بين يدى الله فردًا فردًا، وتسألون عما فعلتم حرفًا حرفًا ، وتقاد الأولياء إلى الرحمن وفدًا وفدًا ، ويرد العاصون إلى عذاب الله وردًا وردًا ، ويدخلون جهنم حزبًا حزبًا ، وكل هذا ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر : ٢١، ٢٢]، ويجاء بجهنم يومئذ ويلاً ويلاً .

إخوانى ، الويل لكم من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم الراجفة، يوم الآزفة ، يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة ، فذلك يوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وهو يوم المناقشة ، ويوم المحاسبة، ويوم الموازنة، ويوم المساءلة ، ويوم الزلزلة ، ويوم الصيحة، ويوم الحاقة ، ويوم القارعة، ويوم النشور، ويوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويوم التغابن ، ويوم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ويوم لا يغنى مولى عن مولى شيئًا ، ويوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئًا ، ويوم لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا ، ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان : ٧] أى : منتشرًا فاشيًا ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل : ١١١] ، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج : ٢] .

وقال مقاتل بن سليمان : تقف الخلق يوم القيامة مائة سنة فى العرق ملجمون ، ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ، ومائة سنة يموج بعضهم فى بعض عند ربهم يختصمون ، ويقال : إن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ، وإنه ليمضى على المؤمن المخلص كما يمضى عليه ساعة واحدة ، فعليك أيها العاقل بأن تصبر على شدائد الدنيا فى طاعة الله تعالى ، ليسهل عليك الشدائد يوم القيامة ، والله الموفق للصواب .

٥ - باب صفة النار وأهلها

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا محمد بن عقيل الكندى حدثنا العباس الدورى حدثنا يحيى بن أبى بكر قال : أنبأنا شريك عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله

عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة أخرى حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء كالليل المظلم**» (١) .

وروى عن يزيد بن مرثد : أنه كان لا تنقطع دموع عينيه ، ولا يزال باكيًا ، فسئل عن ذلك فقال : لو أن الله تعالى أوعدنى ، بأنى لو أذنبت ذنبًا لحبسنى فى الحمام أبدًا ، لكان حقًا على أن لا تنقطع دموعى ، فكيف وقد أوعدنى أن يحبسنى فى نار ، قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة ؟

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن جعفر قال : أنبأنا إبراهيم ابن يوسف قال : أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد رضى الله تعالى عنهم قال : إن لجهنم جبابًا فيها حيات كأمثال أعناق البخت ، وعقارب كأمثال البغال الدهم ، فيهرب أهل النار إلى تلك الحيات فيأخذن بشفاههن ، فيكشطن ما بين الشعر إلى الظفر ، فما ينجيهم منها إلا الهرب إلى النار (٢) .

وروى عن عبد الله بن جزء عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن فى النار حيات مثل أعناق الإبل ، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفًا ، وإن فى النار لعقارب كأمثال البغال ، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفًا**» (٣) .

وروى عن الأعمش عن يزيد بن وهب عن ابن مسعود رضى الله عنهم أنه قال : إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من تلك النار ، ولولا أنها ضربت فى البحر مرتين لما انتفعتم منها بشيء (٤) .

وقال مجاهد : إن ناركم هذه تتعوذ من نار جهنم .

وقال النبى ﷺ : «**إن أهون أهل النار عذابًا لرجل فى رجليه نعلان من نار يغلى منهما دماغه ، كأنه مرجل ، مسامعه جمر ، وأضراسه جمر ، وأشفاره لهب النيران ، وتخرج أحشاء بطنه من قدميه ، وإنه ليرى أنه أشد أهل النار عذابًا ، وإنه من أهون أهل النار عذابًا**» (٥) ، قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : أنبأنا محمد بن جعفر قال : أنبأنا إبراهيم ابن يوسف قال : أنبأنا أبو حفص عن سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الأزدى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم قال : إن أهل النار يدعون مالكًا ، فلا يرد عليهم أربعين عامًا ، ثم يرد عليهم : ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧] يعنى : دائمون أبدًا ، ثم يدعون ربهم : ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين ، ثم يرد عليهم ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] . قال : فوالله ما

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٩١)، انظر ضعيف الترمذي .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (٣٤١٤٢) .
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٩١)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٠)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه جماعة قد وثقوا .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١١١) .
(٥) أخرجه بنحوه البخاري، حديث (٦٥٦١)، ومسلم، حديث (٢١٣)، من حديث النعمان بن بشير .

ينطق القوم بعدها بكلمة واحدة ، ما كان بعد ذلك إلا الزفير والشهيق فى النار ، تشبه أصواتهم أصوات الحمر ، أوله زفير وآخره شهيق(١) .

وقال قتادة : يا قوم ، هل لكم من هذا بد ، أم هل لكم على هذا صبر ؟ يا قوم ، طاعة الله أهون عليكم فأطيعوه ، ويقال : إن أهل النار يجزعون ألف سنة فلا ينفعهم ، ثم يقولون : كنا فى الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج ، فيصبرون ألف سنة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، فيقولون : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم : ٢١] فيسألون الله تعالى الغيث ألف سنة ، لما بهم من العطش وشدة العذاب ، لكى يزول عنهم بعض الحرارة والعطش ، فإذا تضرعوا ألف سنة يقول الله تعالى لجبريل : أى شيء يطلبون؟ فيقول جبريل : يا رب، أنت أعلم بهم، إنهم يسألون الغيث ، فتظهر لهم سحابة حمراء ، فيظنون أنهم يمطرون ، فترسل عليهم العقارب كأمثال البغال ، فتلدغ الواحد منهم فلا يذهب عنه الوجع ألف سنة ، ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث ، فتظهر لهم سحابة سوداء ، فيقولون : هذه سحابة المطر ، فترسل عليهم الحيات كأعناق الإبل ، كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل : ٨٨] يعنى : بما كانوا يكفرون ويعصون الله تعالى ، فمن أراد أن ينجو من عذاب الله تعالى ، وينال ثوابه ، فعليه أن يصبر على شدائد الدنيا فى طاعة الله تعالى ، ويجتنب المعاصى وشهوات الدنيا ، فإن : «الجنة قد حفت بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات» ، كما جاء فى الخبر(٢) ، وأنشد :

وفى الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا	إذا استوقدت نيرانه فى عذاره
أرى امرأ يرجو العيش غبطة	إذا اصفر عود الزرع بعد اخضراره
تجنب لخدن السوء واحذر وصاله	وإن لن تطق عنه محيصا فداره
وجاور قرين الصدق واحذر مراده	تنل منه صفو الود ما لم تماره
وجاور إذا جاورت حرًا أو امرأ	كريمًا كريم الجد تعلو بجاره
فمن يصنع المعروف مع غير أهله	يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة	ولكنها محفوفة بالمكاره

وبإسناده قال : أنبأنا محمد بن الفضل قال : أنا محمد بن جعفر قال : أنا إبراهيم بن يوسف قال : أنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : **«دعا الله عز وجل جبريل ، فأرسله إلى الجنة فقال : انظر إليها ، وما أعددت لأهلها فيها ، فرجع وقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع إليها وانظر إليها ، فرجع وقال :**

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٣٤٩٢).

(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٨٢٣)، والترمذي، حديث (٢٥٥٩).

وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، ثم أرسله إلى النار ، فقال : انظر إليها ، وما أعددت لأهلها فيها ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فحفت بالشهوات، فقال : عد فانظر إليها، فرجع وقال: وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[١] .

وعن النبى ﷺ أنه قال : «اذكروا من النار ما شئتم ، فلا تذكرون منها شيئًا إلا وهى أشد منه»[٢] .

وقال : حدثنا أبى قال : أنا العباس بن الفضل المروزى قال : أنا موسى بن نصر عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران أنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر : ٤٣] وضع سلمان يده على رأسه ، وخرج هاربًا ثلاثة أيام ، لا يقدر عليه حتى جيء به[٣] .

وروى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فى ساعة ما كان يأتيه فيها متغير اللون فقال له النبى ﷺ : «**ما لى أراك متغير اللون ؟**» فقال : يا محمد ، جئتك فى الساعة التى أمر الله بمنافخ النار أن تنفخ فيها، ولا ينبغى لمن يعلم أن جهنم حق، وأن النار حق ، وأن عذاب القبر حق ، وأن عذاب الله أكبر ، أن تقر عينه حتى يأمنها ، فقال النبى ﷺ : «**يا جبريل ، صِف لى جهنم ؟**» قال : نعم ، إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فاحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة فابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودت ، فهى سوداء مظلمة لا ينطفئ لهبها ولا جمرها ، والذى بعثك بالحق ، لو أن مثل خرم إبرة فتح منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم من حرها ، والذى بعثك بالحق ، لو أن ثوبًا من أثواب أهل النار علق بين السماء والأرض لمات جميع أهل الأرض من نتنها وحرها عن آخرهم؛ لما يجدون من حرها ، والذى بعثك بالحق نبيًا ، لو أن ذراعًا من السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وضع على جبل لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة ، والذى بعثك بالحق نبيًا ، لو أن رجلاً بالمغرب يعذب لاحترق الذى بالمشرق من شدة عذابها ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها حديد ، وشرابها الحميم والصديد ، وثيابها مقطعات النيران لها سبعة لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء ، فقال ﷺ : «**أهى كأبوابنا هذه ؟**» قال : لا ، ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من بعض ، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة ، كل باب منها أشد حرًا من الذى يليه سبعين ضعفًا ، يساق أعداء الله إليها ، فإذا انتهوا إلى بابها ، استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل ، فتسلك السلسلة فى فمه وتخرج من دبره ، وتغل يده اليسرى إلى عنقه ، وتدخل يده اليمين فى فؤاده ، وتنزع من بين كتفيه ، وتشد بالسلاسل ، ويقرن كل آدمى مع شيطان فى سلسلة ، ويسحب على وجهه، وتضربه الملائكة بمقامع من حديد : ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج : ٢٢] فقال النبي ﷺ : «**من سكان هذه الأبواب ؟**» فقال : أما الباب

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٦٠)، والنسائي، حديث (٣٧٦٣)، انظر صحيح الترمذي.
(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٦).
(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/ ٣١).

الأسفل : ففيه المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، واسمها الهاوية . والباب الثاني : فيه المشركون ، واسمه الجحيم . والباب الثالث : فيه الصابئون ، واسمه سقر . والباب الرابع : فيه إبليس ومن تبعه ، والمجوس ، واسمه لظى . والباب الخامس : فيه اليهود، واسمه الحطمة . والباب السادس : فيه النصاري، واسمه السعير ، ثم أمسك جبريل حياء من رسول الله ﷺفقال له عليه الصلاة والسلام: «**ألا تخبرني من سكان الباب السابع ؟**» فقال : فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا ، فخر النبي ﷺمغشيًا عليه ، فوضع جبريل رأسه على حجره حتى أفاق، فلما أفاق قال : «**يا جبريل ، عظمت مصيبتي ، واشتد حزني ، أو يدخل أحد من أمتي النار ؟**» قال : نعم ، أهل الكبائر من أمتك ، ثم بكى رسول الله ﷺوبكى جبريل ، ودخل رسول الله ﷺ منزله واحتجب عن الناس ، فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة يصلي ويدخل ولا يكلم أحدًا ، ويأخذ في الصلاة ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى، فلما كان اليوم الثالث أقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى وقف بالباب ، وقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ، هل إلى رسول الله ﷺمن سبيل ؟ فلم يجبه أحد فتنحى باكيًا، فأقبل عمر رضى الله عنه فوقف بالباب وقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله ﷺمن سبيل ؟ فلم يجبه أحد فتنحى وهو يبكي، فأقبل سلمان الفارسي حتى وقف بالباب وقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ، هل إلى مولاى رسول الله ﷺمن سبيل ؟ فلم يجبه أحد فأقبل يبكي مرة ويقع مرة ويقوم أخرى حتى أتى بيت فاطمة ووقف بالباب ثم قال : السلام عليك يا ابنة رسول الله ﷺ- وكان على رضى الله عنه غائبًا - فقال : يا ابنة رسول الله ، إن رسول الله ﷺقد احتجب عن الناس ، فليس يخرج إلا إلى الصلاة، فلا يكلم أحدًا ، ولا يأذن لأحد في الدخول عليه، فاشتملت فاطمة بعباءة قطوانية ، وأقبلت حتى وقفت على باب رسول الله ﷺ، ثم سلمت وقالت : يا رسول الله ، أنا فاطمة ، ورسول الله ساجد يبكي فرفع رأسه وقال : «**ما بال قرة عيني فاطمة حجبت عني ، افتحوا لها الباب**» ، ففتح لها الباب ، فدخلت ، فلما نظرت إلى رسول الله ﷺبكت بكاءً شديدًا ؛ لما رأت من حاله مصفرًا متغيرًا ، قد ذاب لحم وجهه من البكاء والحزن ، فقالت : يا رسول الله ، ما الذى نزل عليك ؟ فقال : «**يا فاطمة ، جاءني جبريل ووصف لي أبواب جهنم ، وأخبرني أن في أعلى بابها أهل الكبائر من أمتي ، فذلك الذى أبكاني وأحزنني**» ، قالت : يا رسول الله ، كيف يدخلونها ؟ قال : «**بل ، تسوقهم الملائكة إلى النار ، ولا تسود وجوههم ، ولا تزرق أعينهم ، ولا يختم على أفواههم ، ولا يقرنون مع الشياطين ، ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال**» ، قالت : قلت : يا رسول الله ، وكيف تقودهم الملائكة ؟ فقال : «**أما الرجال فباللحى ، وأما النساء فبالذوائب والنواصي ، فكم من ذى شيبة من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار وهو ينادى : واشيبتاه واضعفاه ، وكم من شاب قد قبض على لحيته يساق إلى النار وهو ينادى : واشباباه واحسن صورتاه ، وكم من امرأة من أمتي قد قبض على ناصيتها تقاد إلى النار وهى تنادى : وافضيحتاه واهتك ستراه ، حتى ينتهى بهم إلى مالك فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة : من هؤلاء ؟ فما ورد على من الأشقياء أعجب شأنًا من**

هؤلاء ، لم تسود وجوههم ، ولم تزرق أعينهم ، ولم يختم على أفواههم ، ولم يقرنوا مع الشياطين ، ولم توضع السلاسل والأغلال فى أعناقهم ، فتقول الملائكة : هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة ، فيقول لهم مالك : يا معشر الأشقياء ، من أنتم؟» .

وروى فى خبر آخر : «**أنهم لما قادتهم الملائكة ينادون : وامحمداه فلما رأوا مالكًا نسوا اسم محمد** ﷺ من هيبته ، فيقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن ممن أنزلنا علينا القرآن ونحن ممن يصوم رمضان ، فيقول مالك : ما نزل القرآن إلا على أمة محمد ﷺ فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا وقالوا : نحن من أمة محمد ﷺ ، فيقول لهم مالك : أما كان لكم فى القرآن زاجر عن معاصى الله تعالى ؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنم ، ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا : يا مالك ، ائذن لى فنبكى على أنفسنا ، فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لم يبق لهم دموع ، فيبكون الدم ، فيقول مالك : ما أحسن هذا البكاء لو كان فى الدنيا ، فلو كان هذا البكاء فى الدنيا من خشية الله ما مستكم النار اليوم ، فيقول مالك للزبانية : ألقوهم ألقوهم فى النار ، فإذا ألقوا فى النار نادوا بأجمعهم : لا إله إلا الله ، فترجع النار عنهم ، فيقول مالك : يا نار خذيهم ، فتقول : كيف آخذهم وهم يقولون : لا إله إلا الله ، فيقول مالك : للنار خذيهم ، فتقول : كيف آخذهم وهم يقولون : لا إله إلا الله ، فيقول مالك : نعم ، بذلك أمر رب العرش ، فتأخذهم ، فمنهم من تأخذه إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من تأخذه إلى حلقه ، فإذا هوت النار إلى وجهه قال مالك : لا تحرقى وجوههم ، فطالما سجدوا للرحمن فى الدنيا ، ولا تحرقى قلوبهم، فطالما عطشوا فى شهر رمضان ، فيبقون ما شاء الله فيها ، ويقولون : يا أرحم الراحمين، يا حنان ، يا منان ، فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال : يا جبريل ، ما فعل العاصون من أمة محمد ﷺ ، فيقول الله أنت أعلم بهم ، فيقول : انطلق فانظر ما حالهم ، فينطلق جبريل عليه الصلاة والسلام إلى مالك وهو على منبر من نار فى وسط جهنم ، فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه الصلاة السلام قام تعظيمًا له فيقول : يا جبريل، ما أدخلك هذا الموضع ؟ فيقول : ما فعلت بالعصابة العاصية من أمة محمد ؟ فيقول مالك : ما أسوأ حالهم ، وأضيق مكانهم ، قد أحرقت أجسامهم ، وأكلت لحومهم ، وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان ، فيقول جبريل : ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم ، قال : فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم ، فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب ، فيقولون : من هذا العبد الذى لم نر أحدًا قط أحسن منه ؟ فيقول مالك : هذا جبريل الكريم على ربه الذى كان يأتى محمدًا ﷺ بالوحى ، فإذا سمعوا ذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم وقالوا : يا جبريل أقرئ محمدًا ﷺ منا السلام ، وأخبره أن معاصينا فرقت بيننا وبينك ، وأخبره بسوء حالنا ، فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدى الله تعالى ، فيقول الله تعالى : كيف رأيت أمة محمد ؟ فيقول: يا رب ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم ، فيقول : هل سألوك شيئًا؟ فيقول : يا ربّ نعم ، سألونى أن أقرئ نبيهم منهم السلام ، وأخبره بسوء حالهم ، فيقول الله تعالى : انطلق

وأخبره ، ، فينطلق جبريل إلى النبى ﷺ، وهو فى خيمة من درة بيضاء ، لها أربعة آلاف باب ، لكل باب مصراعان من ذهب ، فيقول : يا محمد ، قد جئتك من عند العصابة العصاة الذين يعذبون من أمتك فى النار ، وهم يقرءونك السلام ويقولون : ما أسوأ حالنا ، وأضيق مكاننا ، فيأتى النبى ﷺ إلى تحت العرش ، فيخر ساجدًا ، ويثنى على الله تعالى ثناء لم يثن عليه أحد مثله ، فيقول الله تعالى : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فيقول : يا رب ، الأشقياء من أمتى ، قد أنفذت فيهم حكمك ، وانتقمت منهم، فشفعنى فيهم ، فيقول الله تعالى: قد شفعتك فيهم ، فائت النار فأخرج منها من قال لا إله إلا الله ، فينطلق النبى ﷺ، فإذا نظر مالكُ النبيَّ ﷺقام تعظيمًا له فيقول : يا مالك ، ما حال أمتى الأشقياء؟ فيقول : ما أسوأ حالهم ، وأضيق مكانهم ، فيقول محمد ﷺ: افتح الباب ، وارفع الطبق ، فإذا نظر أهل النار إلى محمد ﷺصاحوا بأجمعهم فيقولون: يا محمد ، أحرقت النار جلودنا ، وأحرقت أكبادنا ، فيخرجهم جميعًا وقد صاروا فحمًا قد أكلتهم النار ، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان ، فيغتسلون منه ، فيخرجون منه شبابًا جردًا مردًا مكحلين ، وكأن وجوههم مثل القمر ، مكتوب على جباههم : الجهنميون عتقاء الرحمن من النار ، فيدخلون الجنة ، فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين ، وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر : ٢]» [1].

وروى عن رسول الله ﷺقال : **«يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيقال : يا أهل الجنة، هل تعرفون الموت ؟ فينظرون إليه ويعرفونه ، ويقال : يا أهل النار ، هل تعرفون الموت؟ فينظرونه فيعرفونه ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود بلا موت ، ويا أهل النار ، خلود بلا موت ، وذلك قوله تعالى :** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم : ٣٩] الآية» [2] . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لا يغبطن فاجر بنعمة ، فإن وراءه طالبًا حثيثًا ، وهى جهنم ، كلما خبت زدناهم سعيرًا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٦ - باب صفة الجنة وأهلها

قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا محمد بن يحيى بن الفضل عن حمزة بن الزياد الكوفى عن زياد الطائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قلنا : يا رسول الله ، مم خلقت الجنة؟ قال: «من الماء» . قلنا : أخبرنا عن بناء الجنة ؟ قال : «لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها – أى : طينها – المسك الأذفر ، وترابها

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٢٥٨٣)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه وهو من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٧٣٠)، ومسلم حديث (٢٨٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري .

الزعفران ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، ومن يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه» ، ثم قال النبيﷺ : **«ثلاث لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حين يفطر ، ودعوة المظلوم ، فإنها ترفع فوق الغمام ، فينظر الرب جل جلاله فيقول : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»**[1] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال : «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة : ٣٠] **وفى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرءوا إن شئتم :** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة : ١٧] الآية ، **ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم :** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ . [آل عمران : ١٨٥]»[2] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن فى الجنة حوراء يقال لها لعبة ، خلقت من أربعة أشياء : من المسك والعنبر والكافور والزعفران ، وعجن طينها بماء الحيوان ، فقال لها العزيز : كونى فكانت ، وجميع الحور عشاق لها ، ولو بزقت فى البحر بزقة لعذب ماء البحر ، مكتوب على نحرها : من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى .

وقال مجاهد : أرض الجنة من فضة ، وترابها مسك ، وأصول شجرها فضة ، وأغصانها لؤلؤ وزبرجد والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائمًا لم يؤذه ، ومن أكل جالسًا لم يؤذه ، ومن أكل مضجعًا لم يؤذه ثم قرأ : ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان : ١٤] يعنى : قربت ثمرتها حتى ينالها القائم والقاعد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والذى أنزل الكتاب على محمدﷺ ، إن أهل الجنة ليزدادون جمالاً وحسنًا كما يزدادون فى الدنيا هرمًا .

(قال) : حدثنا إبراهيم بن أحمد قال : حدثنا الحسن بن نصر قال : حدثنا أسد بن موسى قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول اللهﷺ قال : **«إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ، ويبيض وجوهنا وأدخلنا الجنة ؟ وأخرجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فوالذى نفسى بيده ، ما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم من النظر إليه»**[3] .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (١٨١).
(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ١٢٦، ١٢٧).
(٣) لم أقف عليه.

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء ، فقال النبى ﷺ : «**يا جبريل ، ما هذه المرآة البيضاء ؟**» قال : هذه الجمعة ، وهذه النكتة السوداء الساعة التى تقوم فى الجمعة ، قد فضلت أنت بها وقومك على من كان قبلك ، فالناس لكم فيها تبع – يعنى : اليهود والنصارى – وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يسأل الله تعالى من خير إلا استجاب الله له ، ولا يستعيذه من شر إلا أعاذه منه . قال : وهى عندنا يوم المزيد ، قال رسول الله ﷺ: «**وما يوم المزيد؟**» قال : إن ربك اتخذ واديًا فى الفردوس فيه كثيب من مسك ، فإذا كان يوم الجمعة حفت بمنابر من نور عليها النبيون ، وحفت بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الصديقون والشهداء والصالحون ، وينزل أهل الغرف فيجلسون من ورائهم على ذلك الكثيب ، فيجتمعون إلى ربهم فيحمدونه ويثنون عليه ، فيقول الله تعالى لهم: سلونى ؟ فيقولون : نسألك الرضا ، فيقول : قد رضيت عنكم رضاء أَحَلَّكم دارى وأنالكم كرامتى ، فيتجلى لهم حتى يرونه ، فليس يوم أحب إليهم من يوم الجمعة ؛ لما يزيدهم من الكرامة (١).

وروى فى خبر آخر : إن الله تعالى يقول لملائكته : «**أطعموا أوليائى ، فيؤتى بألوان الأطعمة فيجدون لكل لقمة لذة غير ما يجدون للأخرى ، فإذا فرغوا من الطعام يقول الله تعالى لهم : اسقوا عبادى ، فيؤتى بأشربة فيجدون لكل نفس لذة بخلاف الأخرى ، فإذا فرغوا يقول الله تعالى لهم : أنا ربكم ، قد صدقتكم وعدى ، فاسألونى أعطكم ؟ قالوا : ربنا نسألك رضوانك مرتين أو ثلاثًا ، فيقول : قد رضيت عنكم ولدى المزيد، اليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كله، فيكشف الحجاب، فينظرون إليه ما شاء الله، فيخرون له سجدًا، فكانوا فى السجود ما شاء الله ، ثم يقول لهم : ارفعوا رؤوسكم ؛ ليس هذا موضع عبادة ، فينسون كل نعمة كانوا فيها ، ويكون النظر أحب إليهم من جميع النعم ، ثم يرجعون فتهيج ريح من تحت العرش ، على تل من مسك أبيض ، فينثر ذلك على رؤوسهم ونواصى خيولهم ، فإذا رجعوا إلى أهليهم يرونهن أزواجهن فى الحسن والبهاء أفضل مما تركوهن، فيقول لهم أزواجهن: إنكم قد رجعتم على أحسن ما كنتم**» (٢) .

(**قال الفقيه**)رحمه الله تعالى : معنى يرفع الحجاب : يعنى : الحجاب الذى عليهم، وهو الستر الذى يحجبهم من النظر إليه ، وأما قوله : ينظرون إليه ، فقال بعضهم : ينظرون إلى كرامة لم يروها قبل ذلك .

وقال أكثر أهل العلم : هو على ظاهره ، يرونه بغير كيف ولا تشبيه ، كما يعرفونه فى الدنيا بلا تشبيه .

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (٣٣٩٨٦)، (من كلام الضحاك).

(٢)أخرجه أحمد، حديث (١٨٧٨٣)، والدارمي، حديث (٢٨٢٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤١٦)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وأحمد، ورواه البزار، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح، غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة.

وقال عكرمة : أهل الجنة كأمثال أولاد ثلاث وثلاثين سنة رجالهم ونساؤهم ، والقامة ستون ذراعًا على قامة أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام ، شباب جرد مرد مكحولون ، عليهم سبعون حلة تتلون كل حلة فى كل ساعة سبعين لونًا ، فيرى وجهه فى وجهها ، يعنى : فى وجه زوجته ، وفى صدرها ، وفى ساقها ، وترى هى وجهها فى وجهه ، وصدره ، وساقه ، لا يبزقون ولايتمخطون ، وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد .

وروى فى الخبر : أنه لو أطلعت امرأة من أهل الجنة كفها من السماء لأضاءت ما بين السماء والأرض[(١)] .

قال : حدثنا الحكيم أبو الفضل الحدادى قال : حدثنا محمد بن يحيى المروزى قال : حدثنا محمد بن نافع النيسابورى قال : حدثنا مصعب بن كرام قال : حدثنا داود الطائى عن الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال :

جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فقال : «نعم ، والذى نفسى بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع» .

قال : فإن الذى يأكل ويشرب يكون له حاجة ، والجنة طيبة ليس فيها أذى ؟ قال : **«حاجة أحدهم عرق هو كريح المسك»**[(٢)] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى الأشرس عن معتب ابن سمى فى قول الله تعالى : ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد : ٢٩] . قال : طوبى شجرة فى الجنة ، ليس فى الجنة دار لا يظلها غصن من أغصانها ، فيه ألوان الثمار ، ويقع عليها طير كأمثال البخت ، فإذا اشتهى أحدهم طيرًا دعاه فوقع على خوانه ، وأكل من أحد جانبيه قديدًا ، ومن الآخر شواء ، ثم يعود طيرًا فيذهب .

وروى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **«أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على صورة أشد نجم فى السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك على منازل ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبزقون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ومجامرهم الألوة»** - أى العود - **«ورشحهم المسك ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٣٣٢٧)، ومسلم، حديث (٢٨٣٤)، «مجامرهم»: مباخرهم، «رشحهم»: عرقهم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥٦)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٨، ٣٩٩)، (من حديث أنس بن مالك).

طول أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام ستون ذراعًا» (١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة شبان جرد مرد ، ليس لهم شعر إلا فى الرأس والحاجبين وأهداب العينين ،– يعنى: ليس لهم شعر عانة ولا شعر إبط – طول آدم ستون ذراعًا ، على مولد عيسى ابن مريم ثلاث وثلاثين سنة ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، يضع أحدهم مائدة بين يديه ، فيقبل طائر فيقول : يا ولى الله ، أما إنى قد شربت من عين السلسبيل ، ورعيت من رياض الجنة تحت العرش ، وأكلت من ثمار كذا ، طعم أحد الجانبين مطبوخ ، وطعم الجانب الأخر مشوى ، فيأكل منها ما شاء ، وعلى الولى سبعون حلة ليس فيها حلة إلا على لون آخر ، فى أصابعهم عشرة خواتيم ، مكتوب فى الأول : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد : ٢٤]

وفى الثانى : ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر : ٤٦]

وفى الثالث : ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف : ٧٢] ،

وفى الرابع : رفعت عنكم الأحزان والهموم .

وفى الخامس : ألبسناكم الحلى والحلل .

وفى السادس : زوجناكم الحور العين .

وفى السابع : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف : ٧١]

وفى الثامن : وافقتم النبيين والصديقين .

وفى التاسع : صرتم شبابًا لا تهرمون .

وفى العاشر : سكنتم فى جوار من لا يؤذى الجيران» (٢).

(قال الفقيه)رحمه الله تعالى : من أراد أن ينال هذه الكرامات فعليه أن يداوم على خمسة أشياء : أولها : أن يمنع نفسه من جميع المعاصى قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] الآية ، والثانى : أن يرضى باليسير من الدنيا ؛ لأنه روى فى الخبر : «أن ثمن الجنة ترك الدنيا» ، والثالث : أن يكون حريصًا على الطاعات، فيتعلق بكل طاعة ، فلعل تلك الطاعة تكون سببًا للمغفرة ووجوب الجنة ، قال الله

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٨٤٥٠) من حديث أنس بلفظ : «يا أنس أكثر من الأصدقاء فإنهم شفعاء بعضهم في بعض» ، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣١٤) وعزاه للحاكم بلفظ : «أكثروا من المعارف ؛ فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة» وفيه أصرم بن حوشب ، وهو هالك ، منكر الحديث . قال يحيى : كذاب خبيث .

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٧٢)، والنسائي، حديث (٥٥٢١)، وابن ماجه، حديث (٤٣٤٠)، وانظر «صحيح جامع الترمذي».

تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وفى آية أخرى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤]، وإنما ينالون ما ينالون بالاجتهاد فى الطاعات، والرابع: أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم؛ فإن واحدًا منهم إذا غفر له يشفع لأصحابه وإخوانه، كما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**أكثروا الإخوان؛ فإن لكل أخ شفاعة يوم القيامة**» [١]، والخامس: أن يكثر الدعاء، ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة، وأن يجعل خاتمته إلى خير.

وقال بعض الحكماء:

الركون إلى الدنيا مع ما يعاين من الثواب جهل، وإن ترك الجهد فى الأعمال بعد ما عرف ثوابه عجز، وإن فى الجنة راحة ما يجدها إلا من لم يكن له فى الدنيا راحة، وفيها غنى لا يجده إلا من ترك فضول الدنيا، واقتصر على اليسير من الدنيا، وذكر عن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلًا وملحًا من غير خبز، فقال له رجل: قد اقتصرت على هذا؟ فقال: إنى إنما جعلت الدنيا للجنة، وأنت جعلت الدنيا للمزبلة -يعنى: تأكل الطيبات فتصير إلى المزبلة-، وإنى لآكل لإقامة الطاعة لعلى أصير إلى الجنة. وذكر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أنه أراد أن يدخل الحمام فمنعه صاحب الحمام، وقال لا تدخل إلا بالأجرة، فبكى إبراهيم وقال: اللهم لا يؤذن لى أن أدخل بيت الشياطين مجانًا، فكيف لى بدخول بيت النبيين والصديقين مجانًا؟!.

وذكر أن فى بعض ما أنزل الله تعالى على بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: يا ابن آدم، تشترى النار بثمن غال، ولا تشترى الجنة بثمن رخيص! وتفسير ذلك: أن فاسقًا لو أراد أن يتخذ ضيافة للفساق، فربما ينفق فيها المائة أو المائتين ويخف عليه ذلك، فهو يشترى النار بثمن غال، ولو أنه اتخذ ضيافة لأجل الله تعالى بدرهم أو درهمين، فيدعو إليها بعض المحتاجين، لثقل عليه ذلك، فيكون ذلك ثمن الجنة.

وروى عن أبى حازم أنه قال: لو كانت الجنة لا يدخل فيها أحد إلا بترك جميع ما يحب من الدنيا، لكان يسيرًا فى جانبها، ولو كانت النار لا ينجو منها أحد إلا بتحمل جميع ما يكره، لكان يسيرًا فى جانبها، فكيف وقد تدخل الجنة بترك جزء من ألف جزء مما تحب، وقد تنجو من النار بتحمل جزء من ألف مما تكره؟. قال يحيى بن معاذ الرازي: ترك الدنيا شديد، وترك الجنة أشد منه، وإن مهر الجنة ترك الدنيا.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**من يسأل الله تعالى الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة، اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار**» [٢]، فنسأل الله تعالى أن يجيرنا من النار، وأن يدخلنا الجنة، ولو لم يكن فى الجنة سوى لقاء

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم موقوفا على ابن مسعود إلى قوله: (يختطفون بها الناس)؛ كما في (البدور السافرة ص ٢٥٨). وأخرج مسلم بقيته من حديث ابن مسعود مرفوعًا، حديث (١٨٧).

الإخوان واجتماعهم ، لكان هنيئًا طيبًا ، فكيف وفيها من فنون الكرامات ؟

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن فى الجنة أسواقًا لا شراء فيها ولا بيع ، يجتمعون فيها حلقًا حلقًا ، يتذاكرون كيف كانت الدنيا، وكيف كانت عبادة الرب ، وكيف كان فقراء أهل الدنيا وأغنياؤها ، وكيف كان الموت، وكيف صرنا بعد طول البلى إلى الجنة**»[١] .

قال : أخبرنا الثقة بإسناده عن أسباط عن السدى عن أبى مرة عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : يرد الناس جميعًا الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يمرون على الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ،ومنهم من يمر مثل الطير ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم رجل يمر على موضع إبهامى قدميه، ثم يتكفأ به الصراط ، والصراط دحض مزلة ، حده كحد السيف ، عليه حسك كحسك القتاد ، على حافتيه ملائكة معهم كلاليب من نار ، يختطفون بها الناس ، فمن بين مار ناج ، ومن بين مخدوش ناج ، ومن بين مكدوش فى النار ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم، فيمر رجل - وهو آخر أهل الجنة دخولاً - فإذا جاز الصراط رفع به باب من الجنة ، فلا يرى له فى الجنة مقعدًا ، فإذا نظر إليها قال: رب أنزلنى هاهنا ، فيقول له : فلعلك إن أنزلتك هاهنا تسألنى غيره ؟ فيقول : لا وعزتك فينزله ، ثم يرفع له فى الجنة منازل ، فيتحاقر إليه ما أعطى مما يرى ، فيقول: رب أنزلنى هناك ، فيقول : فلعلك إن أنزلتك ههنا أن تسألنى غيره ؟ فيقول: لا وعزتك فينزله ، ثم يرفع له فى الجنة حتى الرابعة ، فإذا كانت الرابعة رفع له ، فيتحاقر إليه كل شيء أعطى فيسكت فلا يسأل شيئًا، فيقول له: ألا تسأل؟ فيقول: سألت حتى استحييت ، فيقول الله تعالى : لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، فهذا هو أوضع أهل الجنة منزلاً» .

قال عبد الله بن مسعود : كان النبى ﷺ لا يتحدث بذلك إلا ضحك حتى بدت نواجذه .

وروى فى الخبر : أن نساء أهل الدنيا ، من جعل منهن فى الجنة ، يفضلن على الحور العين بأعمالهن فى الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٣٥ - ٣٨].

٧ - باب ما يرجى من رحمة الله تعالى

قال : أخبرنا الخليل بن أحمد قال : أنبأنا ابن معاذ قال : حدثنا الحسين المروزى قال : حدثنا حجاج بن أبى منيع عن جده عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا ، وأنزل إلى الأرض جزءًا واحدًا ، فيه يتراحم الخلق، حتى أن الفرس لترفع حافرها عن ولدها ، خشية أن تصيبه**»[٢] .

(١) لم أقف عليه .

(٢) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٠٠٠)، ومسلم، حديث (٢٧٥٢).

قال رحمه الله : حدثنا الخليل حدثنا الديبلي حدثنا عبد الحميد حدثنا الأسود عن عوف الأعرابي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى مائة رحمة ، أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم، وإن الله قابض تلك الرحمة يوم القيامة ، فيضمها إلى التسعة والتسعين ، فيكملها مائة رحمة لأوليائه وأهل طاعاته**»(١) .

(قال الفقيه) رضى الله عنه : قد بين النبي ﷺ للمؤمنين من الرحمة ليحمدوا الله على ما أكرمهم به من رحمته ، ويشكروه ويعملوا عملاً صالحًا ؛ لأن من يرجو رحمته فإنه يعمل ويجتهد لكى ينال من رحمته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] وقال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف : ١١٠] الآية ، وقال الله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] . يعنى : لكل شيء نصيب من رحمتي . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما نزلت هذه الآية : ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ . تطاول إبليس عليه اللعنة وقال : أنا شيء من الأشياء يكون لى نصيب من رحمته ، وتطاولت اليهود والنصاري ، فلما نزل قوله تعالي: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ . يعنى : سأجعل رحمتى للذين يتقون الشرك ويؤتون الزكاة ، يعنى : يعطون الزكاة ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ . يعنى : يصدقون بآيات الله فيئس إبليس من رحمته ، وقالت اليهود والنصاري : نحن نتقى الشرك ونؤتى الزكاة ونؤمن بآياته ، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف : ١٥٧] . يعنى : الذين يصدقون بمحمد ﷺ ، فيئس اليهود والنصارى ، وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة .

فالواجب على كل مؤمن أن يحمد الله تعالى على ما أكرمه به من الإيمان ، وجعل اسمه من جملة المؤمنين ، ويسأل ربه أن يتجاوز عن ذنوبه ، كما روى عن يحيى بن معاذ الرازى رحمة الله تعالى عليه أنه كان يقول : إلهى ، قد أنزلت إلينا رحمة واحدة، وأكرمتنا بتلك الرحمة وهى الإسلام ، فإذا أنزلت علينا مائة رحمة ، فكيف لا نرجوا مغفرتك؟، وذكر عنه أنه قال: إلهى ، إن كان ثوابك للمطيعين ، ورحمتك للمذنبين ، فإنى - وإن كنت لست مطيعًا - لأرجو ثوابك ، فأنا من المذنبين فأرجو رحمتك . وذكر عنه أنه قال: إلهي، خلقت الجنة وجعلتها وليمة لأوليائك، وآيست الكفار منها، وخلقت ملائكتك غير محتاجين إليها، وأنت مستغن عنها، فإن لم تعطنا الجنة فلمن تكون الجنة؟ .

(قال الفقيه) : حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا أبو بكر السراج حدثنا عبد الله بن الحكم حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن فراس بن يحيى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لقد دخل رجل الجنة ما عمل خيرًا قط ، قال لأهله حين حضره الموت : إذا**

(١) أخرجه أحمد، حديث (١٠٢٩٢)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٨٥)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

أنا مت فأحرقونى بالنار ، ثم اسحقونى ، ثم ذروا نصفى فى البحر ونصفى فى البر،فلما مات فعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البر والبحر فجمعاه ، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : مخافتك يا رب ، فغفر الله له بذلك »(١) .

(قال الفقيه) أبو جعفر : حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارى حدثنا محمد بن شاذان حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عاصم ابن عبد الله عن عطاء عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نضحك فقال : «**أتضحكون والنار من ورائكم ، والله لأراكم تضحكون**» ، ثم أدبر فكأن على رؤوسنا الرخم(٢) ، ثم رجع إلينا القهقرى وقال : «**جاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقال : إن الله تعالى يقول : لِمَ تقنط عبادى من رحمتى ؟** ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠]»(٣) .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم الأفريقى عن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب عبده أن يغفره ، كان رجل فيمن كان قبلكم قتل تسعة وتسعين نفسًا ، ثم أتى راهبًا فقال: إنى قتلت تسعة وتسعين نفسًا ، فهل تجد لى من توبة ؟ فقال : لا ، لقد أسرفت ، فقام إليه فقتله ، ثم أتى راهبًا آخر ، فقال : إنى قتلت مائة نفس ، فهل تجد لى من توبة ؟ فقال : لقد أسرفت ، وما أدرى ، ولكن ههنا قريتان ، إحداهما يقال لها : بصرى ، والأخرى يقال لها : كفرة ، فأما أهل بصرى فهم يعملون بأعمال أهل الجنة ، لا يلبث فيها غيرهم ، وأما أهل كفرة فهم قوم يعملون بأعمال أهل النار ، لا يلبث فيها غيرهم ، فإن أنت أتيت بصرى فعملت بأعمالهم فلا تشكن فى توبتك ، فانطلق الرجل يريدها ، فلما كان بين القريتين أدركه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة ، فسألت الملائكة ربها عنه ، فقيل لهم : قيسوا ما بين القريتين ، فإلى أيتهما كان أقرب فهو من أهلها ، فقاسوا بين القريتين ، فوجدوه أقرب إلى بصرى بقدر أنملة ، فكتب من أهلها**»(٤) .

(قال الفقيه) : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن خزيمة حدثنا محمد ابن الأزهرى عن يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن أبى خالد عن عمر عن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: ثلاثة أقسمت عليهن ، والرابعة لو أقسمت عليها لصدقت : لا يتولى الله أحدًا فى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٣٤٧٨)، ومسلم، حديث (٢٧٥٧).
(٢) الرخم: طائر أبيض اللون وفيه بقع سوداء.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٨٩٢).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٣٤٧٠)، ومسلم، حديث (٢٧٦٦) (من حديث أبي سعيد الخدري).

الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ، ولا يجعل ذا السهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، ولا يحب أحد قومًا إلا كان معهم يوم القيامة ، والرابعة : لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر الله عليه فى الآخرة .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن خزيمة بإسناده عن معاوية بن قرة قال : قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : أربع آيات فى سورة النساء خير للمسلمين من الدنيا جميعًا ، قوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]

وقوله عز وجل : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء : ٦٤] وقوله عز وجل : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء : ٣١] يعنى : الجنة ، وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء : ١١٠] .

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، من كذب بها لم ينلها**»[1] .

قال جابر بن عبد الله : من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ، يعنى : لا يحتاج إلى الشفاعة .

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، من كذب بها لم ينلها**»[2] .

وعن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : «**خرج من عندى خليلى جبريل صلوات الله وسلامه عليه آنفًا ، فقال : يا محمد ، والذى بعثك بالحق نبيًا ، إن لله عبدًا من عباده عَبَدَ الله تعالى خمسمائة سنة ، على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا فى ثلاثين ذراعًا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، أجرى الله له عينًا عذبة بعرض الأصبع بماء عذب يستنقع من أسفل الجبل ، وشجرة رمان كل يوم يخرج له منها رمانة، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ، ثم قام لصلاته فسأل ربه أن يقبضه ساجدًا ، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلا ، حتى يبعثه وهو ساجد ، ففعل الله ذلك له . قال جبريل عليه الصلاة والسلام : فنحن نمر عليه إذا هبطنا وعرجنا وهو على حاله فى السجود: قال جبريل عليه الصلاة والسلام : فنجد فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى، فيقول الرب تبارك وتعالى: أدخلوا عبدى**

(١) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٣٦)، وابن ماجه حديث (٤٣١٠) وانظر صحيح سنن ابن ماجه .
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٤٧٣٩)، والترمذي، حديث (٢٤٣٥)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» .

الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملي ، فيقول الله تعالى للملائكة : حاسبوا عبدى بنعمتي عليه وبعمله ، فيوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد ، فيقول : أدخلوا عبدى النار ، فيجر إلى النار فينادى : يا رب ، برحمتك أدخلنى الجنة ، فيقول : ردوه ، فيوقف بين يديه فيقول : عبدى ، من خلقك ولم تك شيئًا ؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول : أكان ذلك بعملك أو برحمتى ؟ فيقول: بل برحمتك ، فيقول : من قواك على عبادتى خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول : من أنزلك فى جبلى فى وسط اللجة، وأخرج الماء العذب من المالح؟ وأخرج لك رمانة فى كل ليلة ، وإنما تخرج فى السنة مرة ؟ وسألتنى أن أقبض روحك ساجدًا ففعلت ذلك بك ، من فعل ذلك ؟ فيقول : أنت يا رب ، قال : فكل ذلك برحمتى ، وبرحمتى أدخلك الجنة . قال جبريل عليه الصّلاة والسلام : إنما الأشياء برحمة الله»(١) .

وروى عن الحسن عن النبى ﷺ أنه قال : «ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب امرئ مسلم عند الموت ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وصرف عنه ما يخاف»(٢) .

وروى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «لن ينجو أحدكم بعمله» . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، فقاربوا وسددوا واغدوا وروحوا وشيئًا من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» . (٣)

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (٤).

وقال ابن مسعود : لن تزال الرحمة بالناس يوم القيامة ، حتى إن إبليس يرفع رأسه مما يرى من سعة رحمة الله وشفاعة الشافعين .

وعن النبى ﷺ أنه قال : «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة : يا أمة محمد ، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها، وادخلوا الجنة برحمتي»(٥)

وكان فضيل بن عياض رحمة الله عليه يقول : الخوف ما دام الرجل صحيحًا أفضل ، فإذا مرض وعجز عن العمل فالرجاء أفضل ، يعنى : إن الرجل إذا كان صحيحًا كان الخوف أفضل ، حتى يجتهد فى الطاعات ، ويجتنب المعاصى ، فإذا مرض وعجز عن العمل كان الرجاء له أفضل .

(قال الفقيه) رضى الله عنه : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن أبى رواد عن أبيه قال :

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٧٦٣٧)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، وسليمان غير معتمد.
(٢)أخرجه الحكيم الترمذي عن الحسن مرسلا ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وابن حبان عن أبي سلمة عن أبي هريرة .
(٣) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٦٣)، ومسلم، حديث (٢٨١٦).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٩)، ومسلم، حديث (١٧٣٤).
(٥) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٨٨٧١) (من حديث أنس) وقال الحافظ العراقي: رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيرى من حديث أنس، وفيه الحسن بن داود البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة .

أوحى الله تعالى إلى داود النبى ﷺ : أن يا داود ، بشر المذنبين وأنذر الصديقين ، فقال : كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين ؟ قال : بشر المذنبين بأنى لا يتعاظمنى ذنب أن أغفره ، وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم ؛ فإنى لا أضع عدلى وحسابى على أحد إلا أهلكه [١] .

وروى ابن أبى رواد عن أبيه عن بعض أهل الكتاب قال : « الله تعالى يقول : إنى أنا الله مالك الملك ، قلوب الملوك بيدى ، فأيما قوم رضيت عنهم جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة ، وأيما قوم سخطت عليهم جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بلعن الملوك ، وتوبوا إلى أرفقهم عليكم»[٢] .

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد**» [٣].

وقال أبو يعلى الحسين بن محمد النيسابورى : حدثنا بديل بن محمد الإسفراينى ، حدثنا الحسين بن عمر الكوفى حدثنا هارون بن محمد عن أحمد بن سهل قال : رأيت يحيى ابن أكثم فى المنام فقلت له : يا يحيى ، ما فعل بك ربك؟ قال : دعانى فقال لى : يا شيخ السوء ، فعلت ما فعلت . فقلت : يا رب ، ما بهذا حدثت عنك . قال : وبما حدثت ؟ قال : قلت : حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبىﷺ عن جبريل عليه الصلاة والسلام أنك قلت : «**ما من مسلم يشيب فى الإسلام إلا وأنا أريد أن أعذبه ، إلا وأنا أستحى أن أعذبه**» ، وأنا شيخ كبير . قال : صدق عبد الرزاق، وصدق معمر ، وصدق الزهرى ، وصدق عروة ، وصدقت عائشة ، وصدق النبىﷺ ، وصدق جبريل عليه والسلام ، وصدقت أنا ، يا يحيى ، إنى لا أعذب من شاب فى الإسلام ، ثم أمرت بذات اليمين إلى الجنة[٤] .

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه : أنه دخل على النبىﷺ فوجده يبكى ، فقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : «**جاءنى جبريل عليه والسلام ، وقال: إن الله يستحى أن يعذب أحدًا قد شاب فى الإسلام ، فكيف لا يستحى من شاب فى الإسلام أن يعصى الله تعالى**»[٥]

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : فالواجب على الشيخ أن يعرف هذه الكرامة ، ويشكر الله ، ويستحى من الله عز وجل ، ويستحى من الكرام الكاتبين ، ويمتنع من المعاصى ، ويكون مقبلاً على

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٥).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» عن أبي الدرداء (٥/ ٢٤٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن راشد وهو متروك.
(٣) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٧٥٥)، والترمذي حديث (٣٥٤٢).
(٤) أخرجه العجلوني في «كشف الخفاء» حديث (٧٤٢).
(٥) نفس الحديث السابق.

طاعة الله تعالى ، فإن الزرع إذا دنا حصاده لا ينتظر به ، وكذلك الشاب يجب عليه أن يتقى الله ، ويجتنب المعاصى ، ويقبل على الطاعات ؛ فإنه لا يدرى متى يأتى أجله ، فإن الشاب إذا كان مقبلاً على طاعة الله تعالى أظله الله يوم القيامة تحت عرشه ، كما جاء فى الخبر .

قال : حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد ابن برزويه حدثنا عيسى بن خشنام حدثنا سويد عن مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله تعالى يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل كان قلبه معلقًا بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله عز وجل خاليًا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال إلى نفسها ، فقال : إنى أخاف الله عز وجل»**(١) ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٨ - باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا على بن عاصم تلميذ أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى حكيم قال : قال عمر ابن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، ولكن إذا أظهرت المعاصى فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعا العقوبة .

وذُكر أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام « إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يا رب ، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم »(٢) .

روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : **«مُرُوا بالمعروف وإن لم تعملوا به ، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه»**(٣) .

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله تعالى مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله تعالى مفاتيح الشر على يديه»** (٤)، يعنى : الذى يأمر بالمعروف وينهى عن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٦٠)، ومسلم، حديث (١٠٣١).
(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (٩٤٢٨).
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (٧٥٧٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٧٧) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طريق عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب، عن أبيه، وهما ضعيفان.
أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٣٧)، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه».

المنكر فهو مفتاح للخير ومغلاق للشر ، وهو من المؤمنين كما قال الله تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة : ٧١] فأما الذى يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف فهو من علامات المنافقين كما قال الله تعالى : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة : ٦٧] . قال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : أفضل الأعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وشنآن الفاسق - يعنى : بغضه - فمن أمر بالمعروف فقد شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق .

وروى سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلاً أتى النبى ﷺ وهو يومئذ بمكة فقال : أنت الذى تزعم أنك رسول الله ؟ قال : «**نعم**» قال : فأى الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال : «**الإيمان بالله**» قال : ثم ماذا ؟ قال : «**صلة الرحم**» ، قال : ثم ماذا؟ قال : «**الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» . قال : فأى الأعمال أبغض إلى الله سبحانه وتعالى ؟ قال : «**الشرك بالله**» قال : ثم ماذا قال : «**قطيعة الرحم**» ، قال : ثم ماذا ؟ قال : «**ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» [(١)].

قال سفيان الثورى رحمه الله : إذا رأيت القارئ محببا فى جيرانه ، محمودًا عند إخوانه ، فاعلم أنه مداهن .

قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن خزيمة قال : حدثنا محمد بن الأزهر بإسناده عن عبد الله بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من من قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصى ويقدرون أن يغيروه فلا يغيرونه إلا عمهم الله بعذاب قبل أن يموتوا**» [(٢)] .

(**قال الفقيه**) رحمه الله تعالى : قد اشترط النبى ﷺ القدرة ، يعنى : إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح فالواجب عليهم أن يمنعوا أهل المعاصى من المعصية إذا أظهروا المعاصى ؛ لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بذلك قال : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران : ١١٠] ويقال : معناه كنتم مكتوبين فى اللوح المحفوظ خير أمة أخرجت للناس ، يعنى : أخرجكم الله تعالى لأجل الناس ، تأمرون بالمعروف ، يعنى : لكى تأمروا بالطاعة ، وتنهوا عن المنكر ، يعنى : تمنعون أهل المعاصى من المعصية ، فالمعروف ما كان موافقًا للكتاب والعقل ، والمنكر ما كان مخالفًا للكتاب والعقل ، وقال فى آية أخرى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران : ١٠٤] وهذه اللام لام الأمر يعنى : لتكن منكم جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد ذم الله تعالى أقواما

---

(١) ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٨/ ١٥١) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير نافع بن خالد الطاحى ، وهو ثقة .

(٢) حسن : أخرجه أبو داود ، حديث (٤٣٣٩) ، وابن ماجه حديث (٤٠٠٩) ، وانظر «**صحيح سنن أبي داود**» .

بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يعنى: لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وقال فى آية أخرى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ يعنى: هلا ينهاهم علماؤهم وفقهاؤهم وقراؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ يعنى: قول الفحش وأكل الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]. وينبغى للآمر بالمعروف أن يأمر فى السر إن استطاع ذلك ليكون أبلغ منه فى الموعظة والنصيحة.

قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه: من وعظ أخاه فى العلانية فقد شانه، ومن وعظ أخاه فى السر فقد زانه. فإن لم تنفعه الموعظة فى السر يأمره فى العلانية، ويستعين بأهل الصلاح وأهل الخير ليزجروه عن المعصية، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك غلب عليهم أهل المعصية، فيأتيهم العذاب فيهلكهم جميعًا.

قال: حدثنا الخليل بن أحمد الدبيلى حدثنا عبد الله حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبى قال: سمعت النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المداهن فى حقوق الله تعالى والواقع فيها والقائم عليها كمثل ثلاثة رجال كانوا فى سفينة، فاقتسموا منازلهم وصار لأحدهم أعلاها ولأحدهم أوسطها ولأحدهم أسفلها، فبينما هم كذلك إذ أخذ أحدهم القدوم فقالوا له: ما تريد؟ قال: أخرق فى مكانى خرقًا فيكون الماء أقرب إلىّ، ويكون فيها مخلاتى ومهراق دمائى، فقال بعضهم: اتركوه أبعده الله يخرق فى حقه ما شاء، وقال بعضهم: لا تدعوه يخرقها فيهلكنا ويهلك نفسه، فإن هم أخذوا على يديه نجا ونجوا، وإن هم لم يأخذوا على يديه هلكوا وهلك**»[1].

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم سلطانًا ظالمًا، لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم، وتدعوا خياركم فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فلا ينصرون، ويستغفرون فلا يغفر لهم**»[2].

وروى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**والذى نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشك أن يبعث الله عليكم عقابًا من عنده، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»[3].

وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا هابت أمتى أن يقولوا للظالم: أنت ظالم فتودع منهم**»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٢٤٩٣)، والترمذي، حديث (٢١٧٣)، «المدهن»: الذي يرائي ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار، حديث (٣٣٠٧)، (من حديث أبي هريرة) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في غيرها.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢١٦٩). وانظر «صحيح جامع الترمذي».

(٤) ضعيف: أخرجه أحمد، حديث (٦٤٨٥)، والحاكم في مستدركه، حديث (٧٠٣٦)، والطبراني في الأوسط حديث (٧٨٢٥) (من حديث عبد الله بن عمرو) وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٥٠١).

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا رأى أحدكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [١] يعنى: أضعف فعل أهل الإيمان، قال بعضهم: التغيير باليد للأمراء، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامة، وقال بعضهم: كل من قدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: ينبغى للذى يأمر بالمعروف أن يقصد به وجه الله تعالى وإعزاز الدين ولا يكون لحمية نفسه، فإنه إن قصد به وجه الله وإعزاز الدين نصره الله تعالى ووفقه لذلك، وإن كان أمره لحمية نفسه خذله الله تعالى، فإنه بلغنا عن عكرمة رضى الله تعالى عنه: أن رجلاً مر بشجرة تعبد من دون الله تعالى فغضب وقال: هذه الشجرة تعبد من دون الله، ثم إنه أخذ فأسه وركب حماره، ثم توجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقيه إبليس عليه اللعنة فى الطريق على صورة إنسان، فقال له: إلى أين؟ فقال: رأيت شجرة تعبد من دون الله عز وجل، فأعطيت الله عهدًا أن أركب حمارى وآخذ فأسى وأتوجه نحوها فأقطعها، فقال له إبليس: ما لك ولها؟ دعها ومن يعبدها أبعدهم الله تعالى، فتخاصما وتضاربا ثلاث مرات، فلما عجز إبليس لعنه الله تعالى ولم يرجع لقوله، قال له إبليس لعنه الله: ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم، فترفع كل يوم طرف فراشك فتأخذها، فقال: أو تفعل ذلك؟ قال: نعم، ضمنت لك ذلك كل يوم، فرجع إلى منزله فوجد ذلك يومين أو ثلاثا أو ما شاء الله، فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئًا ثم يوما آخر، فلما رأى أنه لا يجد الدراهم أخذ الفأس وركب الحمار، فلقيه إبليس على صورة إنسان فقال له: أين تريد؟ قال: شجرة تعبد من دون الله تعالى أريد أن أقطعها، فقال له إبليس: لا تطيق ذلك، أما أول مرة فكان خروجك غضبًا لله تعالى، فلو اجتمع أهل السموات والأرض ما ردوك، وأما الآن فإنما خروجك لنفسك حيث لم تجد الدراهم، فلئن تقدمت لندقن عنقك، فرجع إلى بيته وترك الشجرة. قال الفقيه أبو الليث رضى الله تعالى عنه: فالذى يأمر المعروف يحتاج إلى خمسة أشياء: أولها: العلم لأن الجاهل لا يحسن الأمر بالمعروف. والثانى: أن يقصد به وجه الله تعالى وإعزاز الدين. والثالث: الشفقة على من يأمر باللين والتودد، ولا يكون فظًا غليظًا؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤]. والرابع: أن يكون صبورًا حليمًا؛ لأن الله تعالى قال فى قصة لقمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧]. والخامس: أن يكون عاملاً بما يأمر به؛ لكيلا يعير به؛ ولئلا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٤].

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**رأيت ليلة أسرى بى إلى السماء رجالاً تقرض شفاههم بالمقاريض، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين كانوا يأمرون**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٤٩)، والترمذي حديث (٢١٧٢)، وابن ماجه (١٢٧٥).

الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»[١] . يعني: يتلون كتاب الله وهم لا يعملون بما فيه. وقال قتادة: ذكر لنا أن في التوراة مكتوبا: يا ابن آدم، تذكرني وتنساني، وتدعو إليَّ وتفر مني، فباطل ما تذهبون.

وروى **أبو معاوية الفزاري** بإسناده عن النبيﷺ أنه قال: «**أنتم على بينة من ربكم**» - يعني: على بيان من ربكم - «**قد بين الله تعالى لكم طريقكم، ما تظهر فيكم السكرتان: سكرة العيش وسكرة الجهل، فأنتم اليوم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، وستحولون عن ذلك إذا فشا فيكم حب الدنيا، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، وتجاهدون في غير سبيل الله، والقائمون يومئذ بالكتاب سرًا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»**[٢] .

وروى **الحسن** رحمه الله تعالى عن النبيﷺ أنه قال: «**من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا فقد استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام**»[٣] يعني: أن إبراهيم هاجر من أرض حران إلى الشام، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] إلى طاعة ربي وإلى رضا ربي.

وقد هاجر النبيﷺ من مكة إلى المدينة، فمن كان في أرض فيها المعاصي فخرج منها ابتغاء مرضاة الله تعالى، فقد اقتدى بإبراهيم ومحمد المصطفى صلوات الله وسلامه عليهما، فيكون رفيقهما في الجنة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] يعني: إلى طاعة الله ورسوله ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] يعني: وجب ثوابه على الله تعالى.

وقال النبي ﷺ: «**أيما مسلم خرج من بيته مهاجرًا إلى الله تعالى ورسوله، ووضع رجله في غرز راحلته ولو خطوة واحدة، ثم نزل به الموت أعطاه الله تعالى مثل أجور المهاجرين، وأيما مسلم يخرج من بيته قاصدًا في سبيل الله، فرفصته دابته قبل القتال أو لدغته هامة أو مات كيفما مات فهو شهيد، وأيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه، أوجب الله تعالى له الجنة**»[٤] .

(**قال الفقيه**) رحمه الله تعالى: ومن لم يهاجر من أرضه وهو يقدر على أداء فرائض الله تعالى،

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (١٢٤٤٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٦)، والطبراني في الأوسط حديث (٢٨٣٢)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٧٦) وقال: رواها كلا أبو يعلى والبزار ببعضها والطبراني في الأوسط وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٤٩) (من حديث أنس ومعاذ)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٣٠).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٤٧).

(٤) أخرجه أحمد، حديث (١٥٩٧٩)، (من حديث عبد الله بن عتيك).

فلا بأس أن يقيم هناك ، ويكون كارها لمعاصيهم فهو معذور . وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : بحسب امرئ منكم أنه إذا رأى منكرًا لا يستطيع له تغييرًا ، أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره . وروى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه قال: إذا رأى أحد منكم منكرًا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات: الله إن هذا منكر فلا تؤاخذنى به ، فإذا قال ذلك فله ثواب من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

وروى عن عمر بن جابر اللخمىعن أبى أمية قال : سألت أبا ثعلبة الخشنى عن هذه الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة : ١٠٥] فقال : لقد سألت عنها خبيرًا ، فقال : لقد سألت عنها رسول الله ﷺفقال : «**يا أبا ثعلبة ، ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فإذا رأيت دنيا مؤثرة ، وشحًا مطاعًا ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك نفسك ، فإن من بعدكم أيام الصبر ، وللمتمسك يومئذ بمثل الذى أنتم عليه كأجر خمسين عاملًا**» فقالوا: يا رسول الله ، كأجر خمسين عاملًا منهم أو منا ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا ، بل كأجر خمسين عاملًا منكم**» (١).

وعن قيس بن أبى حازم قال :سمعت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول : إنكم تقرءون هذه الآية وتضعوها فى غير موضعها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة : ١٠٥] . وإنى سمعت رسول الله ﷺيقول : «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ولا يغيرونها ، إلا أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب منه**» (٢).

وعن ابن مسعودرضى الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: ليس ذا زمان ذلك ، ولكن إذا كثرت أهواؤهم ، وألفوا الجدال ، فعلى كل امرئ نفسه ، جاء تأويلها (٣) .

٩ - باب التوبة

(**قال الفقيه**)أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو القاسم أحمد بن حنبل حدثنا نصير بن يحيى حدثنا أبو مطيع عن حماد ابن سلمة عن حميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: قال آدم صلوات الله وسلامه عليه : يا رب ، إنك سلطت عليّ إبليس ولا أستطيع أن أمتنع منه إلا بك ، قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت عليه من يحفظه من مكر إبليس عليه اللعنة ومن قرناء السوء ، قال : يا رب زدنى ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها ، والسيئة بواحدة وأمحوها . قال : يا رب زدنى ؟ قال : التوبة مقبولة ما دامت الروح فى الجسد . قال : يا

(١) ضعيف:أخرجه أبو داود، حديث (٤٣٤١)، والترمذي حديث (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وانظر «**ضعيف سنن أبي داود**».

(٢) صحيح:أخرجه أبو داود، حديث (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥). وانظر «**صحيح سنن أبي داود**».

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠).

رب زدني؟ قال : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣][١] .

(قال): وحدثني الثقة بإسناده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن وحشيًا قاتل حمزة عم النبيﷺ كتب إلى رسول اللهﷺ من مكة : إني أريد أن أسلم ، ولكن يمنعني عن الإسلام آية من القرآن نزلت عليك ، وهي قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٥] . وإني قد فعلت هذه الأشياء الثلاثة فهل لي من توبة ؟ فنزلت هذه الآية ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠] فكتب بذلك إلى وحشي ، فكتب إليه : إن في الآية شرطًا ، وهو العمل الصالح ، ولا أدري هل أقدر على العمل الصالح أم لا ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء : ٤٨] . فكتب بذلك إلى وحشي، فكتب إليه : إن في الآية شرطا أيضًا ، فلا أدري أيشاء أن يغفر لي أم لا ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] ، فكتب إلى وحشي ، فلم يجد فيها شرطًا ، فقدم المدينة وأسلم[٢] .

(قال) : أنبأنا الخليل بن أحمد أنبأنا ابن معاذ أنبأنا الحسين المروزي حدثنا عبد الله ابن سفيان قال : كتب محمد بن عبد الرحمن السلمي إليّ قال : حدثنا أبي قال : جلست إلى نفر من أصحاب النبيﷺ بالمدينة فقال رجل منهم : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «**من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه**» .

قال : قلت : أنت سمعت رسول اللهﷺ يقول؟ قال : نعم ، فقال رجل آخر : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «**من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه**» .

وقال آخر : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «**من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه**»[٣] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن يوسف . حدثنا سعيد بن سالم القداح عن بشر بن جبلة عن عبد العزيز بن إسماعيل عن محمد ابن مطرف قال : قال الله تعالى : «**ويح ابن آدم يذنب الذنب فيستغفرني فأغفر له ، ثم يعود فيستغفرني فأغفر له ، ويحه لا هو يترك ذنبه ولا ييأس من رحمتي ، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له**»[٤] .

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٥): وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه أحمد ، حديث (٢٢٥٥٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٧)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الرحمن وهو ثقة .

(٤) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٤٤٩٥)، (من حديث أنس) .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن رجل عن مغيث بن سمى قال : كان رجل ممن كان قبلكم يعمل بالمعاصى ، فبينما هو يسير ذات يوم إذ تفكر فيما سلف قال : اللهم غفرانك ، ثلاث مرات ، فأدركه الموت على تلك الحالة فغفر الله له [١]

وروى محمد بن عجلان عن مكحول قال : بلغنى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما عرج به إلى ملكوت السموات أبصر عبدًا يزنى فدعا عليه فأهلكه الله تعالى ، ثم رأى عبدًا يسرق فدعا عليه فأهلكه الله تعالى ، فقال الله تعالى : يا إبراهيم ، دع عنك عبادى ، فإن عبدى بين ثلاث خصال : بين أن يتوب فأتوب عليه ، وبين أن أستخرج له ذرية تعبدنى ، وبين أن يغلب عليه الشقاء فمن ورائه جهنم »[٢].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : فى هذا الخبر دليل على أن العبد إذا تاب قبل الله توبته ، فلا ينبغى للعبد أن ييأس من رحمة الله تعالى ، فإن الله تعالى قال : ﴿إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧]

يعنى : من رحمة الله تعالى ، وقال فى آية أخرى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى : ٢٥] . فينبغى للعاقل أن يتوب إلى الله فى كل وقت ، ولا يكون مصرًا على الذنب ، فإن الراجع عن ذنبه لا يكون مصرًا ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة .

كما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**ما أصر من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة**» [٣].

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**والله إنى لأتوب إلى الله تعالى فى اليوم مائة مرة**» [٤].

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا نفعنى الله به ما شاء الله ، وإذا حدثنى غيره حلفته فإن حلف صدقته . وحدثنى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له**» ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء : ١١٠] » . وفى رواية تلا هذه الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨٦)، وهناد في الزهد، حديث (٩٤٢).
(٢) مكحول: وثقه غير واحد . وقال ابن سعد : ضعفه جماعة . وقال الذهبي : هو صاحب تدليس (ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٧).
(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (١٥١٤)، والترمذي، حديث (٣٥٥٩)، وانظر «ضعيف سنن أبي داود» .
(٤) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٧٠٢)، وأبو داود، حديث (١٥١٥).

﴿١٣٥﴾ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦][١] .

وروى الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - عن النبىﷺ أنه قال : «**لما أهبط الله عز وجل إبليس عليه اللعنة قال : بعزتك وعظمتك إنى لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده ، فقال الرب تعالى : وعزتى وعظمتى لا أحجب التوبة عن عبدى حتى يغرغر بها**»[٢] .

وروى القاسم عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه أن النبىﷺ قال : «**صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتب له صاحب اليمين عشرة ، وإذا عمل سيئة فأراد أن يكتبها صاحب الشمال ، قال صاحب اليمين : أمسك ، فيمسك ست ساعات من النهار - أو سبع ساعات - فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيئًا ، وإن لم يستغفر يكتب عليه سيئة واحدة**»[٣] .

(**قال الفقيه**) رضى الله تعالى عنه : وهذا موافق لما روى عن رسول اللهﷺ أنه قال : «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٤] .

وروى فى رواية أخرى : «**أن العبد إذا أذنب لم يكتب عليه حتى يذنب ذنبا آخر ثم إذا أذنب ذنبا آخر فلم يكتب عليه حتى يذنب ذنبًا آخر ، فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب وعمل حسنة واحدة، كتب له خمس حسنات وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات،فيصيح عند ذلك إبليس عليه اللعنة ويقول:كيف أستطيع على ابن آدم وإنى وإن اجتهدت عليه يبطل بحسنة واحدة جميع جهدى ؟**»[٥] .

وروى صفوان بن عسال المرادى رضى الله تعالى عنه عن النبىﷺ أنه قال : «**إن من قبل المغرب باب خلقه الله تعالى للتوبة ، عرضه مسيرة سبعين سنة**» - أو أربعين سنة- «**لا يزال مفتوحًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٦] .

وعن سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل : ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] قال هو الرجل يذنب ذنبًا ثم يتوب، ثم يذنب ذنبًا ثم يتوب . وقيل للحسن البصري: إلى متى هذا؟ قال: لا أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين[٧] .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (١٥٢١)، والترمذي، حديث (٣٠٠٦)، وابن ماجه (١٣٩٥). وانظر «صحيح سنن أبي داود».
(٢) أخرجه أحمد، حديث (١٠٨٥١)، والحاكم في مستدركه حديث (٧٦٧٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (٧٠٤٩).
(٤) حسن: أخرجه ابن ماجه، حديث (٤٢٥٠). وانظر «صحيح سنن ابن ماجه».
(٥) لم أقف عليه.
(٦) جزء من حديث حسن أخرجه الترمذي، حديث (٣٥٣٥). وانظر «صحيح جامع الترمذي».
(٧) ذكره الطبري في تفسيره (١٥/ ٧٠).

وقال بعض الحكماء:

حرفة العارف ستة أشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر فى آيات الله اعتبر، وإذا هم بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر.

(قال الفقيه) رحمه الله: حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو الحسن الفراء حدثنا أبو بكر الجرجانى عن محمد بن إسحاق عمن حدثه عن معمر عن الزهرى قال: دخل عمر ابن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر؟**» فقال: يا رسول الله، بالباب شاب قد أحرق فؤادى وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عمر أدخله عليّ؟**» قال: فدخل وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك يا شاب؟**» قال: يا رسول الله، أبكتنى ذنوب كثيرة، وخفت من جبار غضبان عليّ، فقال رسول الله ﷺ «**أشركت بالله شيئًا يا شاب؟**» قال: لا، قال: «**أقتلت نفسًا بغير حق؟**» قال: لا، قال: «**فإن الله يغفر ذنبك، ولو كان مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي**». قال: يا رسول الله، ذنبى أعظم من السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسى، فقال له رسول الله ﷺ: «**ذنبك أعظم أم الكرسى؟**» قال: ذنبى أعظم. قال: «**ذنبك أعظم أم العرش؟**» قال: ذنبى أعظم. قال: «**ذنبك أعظم أم إلهك؟**» يعنى: عفو الله. قال: بل الله أعظم وأجل. قال: «**فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الله العظيم**» يعنى: العظيم التجاوز. قال: «**أخبرنى عن ذنبك**» قال: فإنى أستحى منك يا رسول الله. قال: «**أخبرنى عن ذنبك؟**» قال: يا رسول الله، إنى كنت رجلًا نباشًا أنبش القبور منذ سبع سنين، حتى ماتت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها فأخرجتها من كفنها، فمضيت غير بعيد إذ غلب الشيطان على نفسي، فرجعت فجامعتها، فمضيت غير بعيد إذ قامت الجارية وقالت: ويلك يا شاب، أما تستحى من ديان يوم الدين، يضع كرسيه للقضاء، ويأخذ للمظلوم من الظالم، تركتنى عريانة فى عسكر الموتي، وأوقفتنى جنبًا بين يدى الله عز وجل. فوثب رسول الله ﷺ **وهو يدفع فى قفاه وهو يقول**: «**يا فاسق، ما أحوجك إلى النار اخرج عنى**»، فخرج الشاب تائبًا إلى الله تعالى أربعين ليلة، فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه إلى السماء فقال: يا إله محمد وآدم وحواء، إن كنت غفرت لى فأعلم محمدًا ﷺ وأصحابه، وإلا فأرسل نارًا من السماء فأحرقنى بها ونجنى من عذاب الآخرة. قال: فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليك يا محمد، ربك يقرئك السلام، فقال: «**هو السلام، ومنه السلام، وإليه يرجع السلام**». قال: يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق؟ قال: «**بل هو الذى خلقنى وخلقهم**» قال: يقول: أنت ترزقهم؟ قال: «**بل الله يرزقهم وإياى**». قال: يقول: أنت تتوب عليهم؟ قال: «**بل الله يتوب على وعليهم**». قال: يقول الله تعالى: تب على عبدى؛ فإنى تبت عليه، فدعا النبى ﷺ الشاب، وبشره بأن الله تعالى تاب عليه[1].

---

(1) لم أقف عليه.

(قال الفقيه) رضى الله عنه : ينبغى للعاقل أن يعتبر بهذا الخبر ، ويعلم بأن الزنا مع الحى أعظم ذنبًا من الزنا مع الميت ، وينبغى أن يتوب توبة حقيقية ، لأن الشاب لما علم الله تعالى أن توبته حقيقية تجاوز عنه ، وينبغى أن تكون التوبة على قدر الذنب . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم : ٨] قال : التوبة النصوح الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإضمار أن لا يعود إليه أبدًا .

وعن النبى ﷺ أنه قال : «**المستغفر باللسان المصر على الذنوب كالمستهزئ بربه**»(١) .

وذكر عن رابعة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول : إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . يعنى : إذا استغفر باللسان ونيته أن يعود إلى الذنب فإن توبته توبة الكذابين ، وهذا لا يكون توبة ، وإنما التوبة أن يستغفر باللسان وينوى أن لا يعود إلى الذنب ، فإذا فعل ذلك غفر الله له ذنبه وإن كان عظيمًا ؛ لأن الله تبارك وتعالى ذو التجاوز رحيم بعباده . وذكر أن فى بنى إسرائيل كان ملك ، فوصف له رجل من العباد فدعاه وراوده على صحبته ولزوم بابه ، فقال له العابد : أيها الملك ، حسنًا ما تقول ، ولكن لو دخلت يومًا فى بيتك فوجدتنى ألعب مع جاريتك ماذا كنت تفعل ؟ فغضب الملك فقال : يا فاجر ، أتجترئ على بمثل هذا ؟ فقال له العابد : إن لى ربًا كريمًا لو رأى منى سبعين ذنبا فى اليوم ما غضب على ، ولا طردنى عن بابه ، ولا حرمنى رزقه ، فكيف أفارق بابه وألزم باب من يغضب على قبل أن أغضبه ؟ فكيف لو رأيتنى فى المعصية؟ ثم خرج .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : الذنب على وجهين : ذنب فيما بينك وبين الله تعالى ، وذنب فيما بينك وبين العباد . أما الذنب الذى بينك وبين الله تعالى ، فتوبته الاستغفار باللسان ، والندم بالقلب ، والإضمار أن لا تعود ، فإن فعل ذلك لا يبرح من مكانه حتى يغفر الله له ، إلا أن يترك شيئًا من الفرائض فلا تنفعه التوبة ما لم يقض ما فاته ثم يندم ويستغفر ، وأما الذنب الذى بينك وبين العباد ، فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحللوك . وروى عن بعض التابعين رضى الله تعالى عنهم أنه قال : إن المذنب يذنب فلا يزال نادمًا مستغفرًا حتى يدخل الجنة ، فيقول الشيطان : يا ليتنى لم أوقعه فيه . وذكر عن أبى بكر الواسطى أنه قال : التأنى فى كل شيء حسن إلا فى ثلاث خصال : عند وقت الصلاة ، وعند دفن الميت ، والتوبة عند المعصية . وقال بعض الحكماء : إنما تعرف توبة الرجل فى أربعة أشياء ؛ أحدها : أن يمسك لسانه من الفضول والغيبة والكذب . والثاني : أن لا يرى لأحد فى قلبه حسدًا ولا عداوة . والثالث : أن يفارق أصحاب السوء . والرابع : أن يكون مستعدًا للموت ، نادمًا مستغفرًا لما سلف من ذنوبه ، مجتهدًا على طاعة ربه .

وقيل لبعض الحكماء : هل للتائب من علامة يعرف أنه قبلت توبته ؟ قال : نعم ، علامته أربعة

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (٧١٧٨)، والديلمي في مسند الفردوس، حديث (٢٤٣٣)، (من حديث ابن عباس).

أشياء ؛ أولها : أن ينقطع عن أصحاب السوء ، ويريهم هيبة من نفسه ، ويخالط الصالحين . والثانى : أن يكون منقطعًا عن كل ذنب ، ومقبلاً على جميع الطاعات . والثالث : أن يذهب فرح الدنيا كلها من قلبه ، ويرى حزن الآخرة كلها دائمًا فى قلبه . والرابع : أن يرى نفسه فارغًا عما ضمن الله تعالى له من الرزق ، مشتغلاً بما أمر به . فإذا وجدت فيه هذه العلامات فهو من الذين قال الله تعالى فى حقهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ١٢٢]

ووجب له على الناس أربعة أشياء : أولها : أن يحبوه فإن الله تعالى قد أحبه . والثانى : أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبته الله على التوبة . والثالث : أن لا يعيروه بما سلف من ذنوبه . والرابع : أن يجالسوه ويذاكروه ويعينوه . ويكرمه الله تعالى بأربع كرامات : أحدها : أن يخرجه الله تعالى من الذنوب كأنه لم يذنب قط . والثانى : أن يحبه الله تعالى . والثالث : أن لا يسلط عليه الشيطان ويحفظه منه . والرابع : أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرج من الدنيا ؛ لأنه عز وجل قال : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠] وروى عن خالد ابن معدان أنه قال : إذا دخل التوابون الجنة قالوا : ألم يعدنا ربنا أن نرد النار قبل أن ندخل الجنة؟ قيل لهم : إنكم مررتهم بها وهى خامدة .

وروى الحسن عن النبىﷺ أنه رجم امرأة زنت ثم صلى عليها ، فقال له بعض الصحابة : يا رسول الله ، رجمتها وصليت عليها ؟ فقال : «**لقد تابت توبة لو فعلت مثل ذلك سبعين مرة تاب الله عليها**»[1] . يعنى : أن توبتها كانت حقيقية ، والتوبة إذا كانت حقيقية تقبل وإن كان الذنب عظيمًا .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من عَيَّرَ مؤمنًا بفاحشة فهو كفاعلها ، وكان حقًا على الله أن يوقعه فيها ، ومن عيَّر مؤمنًا بجريمة لم يخرج من الدنيا حتى يرتكبها ويفتضح بها**»[2] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : إن المؤمن لا يقصد أن يقع فى الذنب ولا يتعمده ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات : ٧] فأخبر أنه قد بغض إلى المؤمنين المعصية ، فلا يتعمدها المؤمن ولكن يقع فيها فى حالة الغفلة ، فلا يجوز أن يعير بها إذا تاب .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إذا تاب العبد تاب الله عليه ، وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوه من مساوئ عمله ، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا ، وأنسى مقامه من الأرض ، وأنسى مقامه من السماء ؛ ليجئ يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه بذلك[3] .

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبىﷺ أنه قال : «**مكتوب حول العرش قبل أن**

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (١٦٩٦).

(٢) موضوع: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٠٥). وانظر «ضعيف جامع الترمذي».

(٣) أخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب»، حديث (٧٥١)، (من حديث أنس).

يخلق الخلق بأربعة آلاف عام : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه : ٨٢] » (١)، والله أعلم .

١٠ - باب آخر من التوبة

(قال الفقيه)أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالي : حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن محمد وهو أبو الحسين الفراء الفقيه بسمرقند حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد ابن إسحاق الجرجانى حدثنا داود بن إبراهيم حدثنا نوح بن أبى مريم عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن رسول الله ﷺذكر باب التوبة فقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله ﷺما باب التوبة ؟ فقال النبى ﷺ : «**باب التوبة خلف المغرب ، له مصراعان من ذهب ، مكللان بالدر والياقوت ، ما بين المصراع والمصراع الآخر مسيرة أربعين عامًا للراكب المسرع ، وذلك الباب مفتوح منذ يوم خلق الله تعالى خلقه إلى صبيحة ليلة طلوع الشمس من مغربها ، ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحًا إلا دخلت تلك التوبة من ذلك الباب**» . قال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما التوبة النصوح ؟ قال : «**أن يندم المذنب على الذى أصاب ، فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود فيها ، ثم تغرب الشمس والقمر فى ذلك الباب ، ثم يرد المصرعان فيلتئم ما بينهما ، ويصير كأن لم يكن بينهما صدع قط ، فعند ذلك لا تقبل من العبد توبة ، ولا تنفعه حسنة يعملها فى الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنًا ، فإنه يجرى له عمله وعليه ما كان يجرى قبل ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾**» [الأنعام : ١٥٨] (٢) .

وعن عبد الله بن مسعودرضى الله تعالى عنه أنه قال : التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود . وعنه أنه قال : باب التوبة مفتوح ، وهى مقبولة من كل أحد إلا من ثلاثة : إبليس رأس الكفرة ، وقابيل بن آدم رأس الخاطئين ، ومن قتل نبيًا من الأنبياء .

وقال : باب التوبة للتائبين مفتوح من قبل المغرب مسيرة أربعين سنة ، لا يغلق عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها (٣) .

(قال الفقيه)رحمه الله تعالى : حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو الحسين الفراء حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق حدثنا عبد الرحمن بن حبيب عن إسماعيل عن يحيى عن أبى لهيعة عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**التوبة معلقة فى الهواء تنادى الليل والنهار لا تفتر: من يقبلنى لا يعذب ؟ فهى الدهر كله على هذا حتى تطلع الشمس من**

---

(١)أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٦٣٧٨)، وذكره المدني في (الإتحافات السنية ص ٢٧٣).
(٢)أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٧٥).
(٣)أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٦٧).

مغربها،فإذا طلعت الشمس من مغربها رفعت»[(١)] .

ففى هذه الأخبار حث على التوبة ، وفيها بيان أن العبد إذا تاب قبلت التوبة منه ، والله تعالى دعا المؤمنين إلى التوبة فقال : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] يعنى لكى تنجو من عذابه وتنالوا من رحمته ، فبين الله تعالى أن التوبة مفتاح كل خير ، وأن فلاح المؤمن فى توبته ، وأمر المؤمن بالتوبة فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ثم بين ما لهم من الكرامة فى التوبة فقال تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يعنى : يتجاوز عنكم ذنوبكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم : ٨] يعنى : يعطيكم فى الآخرة بساتين تجرى من تحت غرفها ومساكنها وأشجارها الأنهار، وأخبرهم أنه غفار لذنوب التوابين فقال عز ذكره : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ يعنى : الكبائر ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾

يعنى : دون الكبائر ، ويقال : أو هنا بمعنى الواو ، ومعناه : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله يعنى : خافوا الله عند المعصية فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عمران : ١٣٥] يعنى : لم يثبتوا على معصيتهم وهو يعلمون أنها معصية .

وروى سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال : «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة»[(٢)] .

وفى خبر آخر قال : «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم والليلة مائة مرة»[(٣)] . فإذا كان النبى ﷺ يستغفر ويتوب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فالذى لم يظهر حاله أنه أغفر له أم لا كيف لا يتوب إلى الله تعالى فى كل وقت ؟ وكيف لا يجعل لسانه أبدًا مشغولاً بالاستغفار ؟

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالي : ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ [القيامة : ٥] يعنى : يقدم ذنوبه ويؤخر توبته ويقول سأتوب حتى يأتيه الموت على شر ما كان عليه فيموت عليه .

وروى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : **«هلك المُسَوِّفون»** [(٤)] والمسوف من يقول سوف أتوب فالواجب على كل إنسان أن يتوب إلى الله تعالى فى كل وقت حتى يأتيه الموت وهو تائب ، لأن الله تعالى قابل التوبة حيث قال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى : ٢٥] يعنى : يتجاوز عن سيئاتهم إذا تابوا ورجعوا ، فالتوبة أن يندم على ذنبه بالقلب ويستغفر باللسان ويضمر أن لا يرجع إليه أبدًا .

---

(١) لم أقف عليه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب»، حديث (٧٥٢) بلفظ : «احذروا التسويف».

قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثًا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر [١].

وروى أيوب عن أبى قلابة قال : إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره ، فقال : وعزتك لا أخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه ، فقال الرب : وعزتى وجلالى لا أحجب التوبة عن عبدى حتى تخرج نفسه [٢]، فانظر إلى رحمة الله ورأفته على عباده أن سماهم مؤمنين بعد ما أذنبوا فقال تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] وأحبهم بعد التوبة فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٣].

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن رجلاً سأله فقال : إنى أصبت ذنبًا ، فقال له على كرم الله وجهه : تب إلى الله تعالى ثم لا تعد . قال : فإنى قد فعلت ثم عدت . قال : تُب إلى الله تعالى ثم لا تعد ، قال : إلى متى ؟ قال : حتى يكون الشيطان هو المحسور [٤].

وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال : الجهالة العمد ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء : ١٧] قال : كل شيء دون الموت فهو قريب .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إذا أذنب الرجل ذنبًا فقال : رب إنى أذنبت ذنبًا**» – أو قال : «**عملت ذنبًا**» – «**فاغفر لى . قال الله تعالى : عبدى عمل ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فقد غفرت لعبدى**»[٥] وهذا كله لكرامة محمد ﷺ . وكان فى الأمم الماضية إذا أذنبوا ذنبًا حرم عليهم الحلال ، وإذا أذنب واحد منهم ذنبًا وجد على بابه أو على جسده إن فلان ابن فلان قد أذنب كذا وتوبته كذا ، فسهل الأمر على هذه الأمة فقال : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء : ١١٠] **فالواجب على كل مسلم أن يتوب إلى الله تعالى حين يصبح وحين يمسى . وقال مجاهد : من لم يتب إذا أمسى وإذا أصبح فهو من الظالمين .** وينبغى للعبد أن يتوب إلى الله تعالى فى كل وقت ، ويجتهد فى حفظ الصلوات الخمس ؛ فإن الله تعالى جعل الصلوات الخمس تطهيرًا لذنوب العباد فيما دون الكبائر .

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (١٨٨٤)، (مرفوعا من حديث ابن مسعود) وأخرجه أبو داود، حديث (١٥١٧)، والترمذي، حديث (٣٥٧٧)، (من حديث بلال بن يسار عن أبيه عن جده).

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٢٧٦٢٧)، والحاكم في مستدركه، حديث (٧٦٧٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، (من حديث أبي سعيد مرفوعا).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه هناد في الزهد، حديث (٩١٠).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٧٥٠٧)، ومسلم، حديث (٢٧٥٨).

وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى لقيت امرأة فى البستان فضممتها إلى وقبلتها وباشرتها، وفعلت بها كل شيء غير أننى لم أجامعها ، فسكت النبى ﷺ ساعة فنزلت هذه الآية : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ يعنى : صل لله تعالى فى طرفى النهار وهى صلاة الفجر والظهر والعصر ، وزلفًا من الليل يعنى : صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعنى : الصلوات الخمس تكفر الذنوب التى بينها يعنى : ما دون الكبائر ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود : ١١٤] يعنى : توبة للتائبين ، فدعاه النبى ﷺ وقرأ عليه فقال عمر رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله أله خاصة أم للناس عامة ؟ فقال النبى ﷺ : «**بل للناس عامة**»[١] .

وروى يونس بن عبيد عن الحسن عن النبى ﷺ أنه قال : «**ليس من عبد إلا وعليه ملكان وصاحب اليمين أمين على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد السيئة قال صاحب الشمال : أأكتبها ؟ قال له : دعه حتى يعمل خمس سيئات ، فإذا عمل خمسًا قال: أأكتبها ؟ قال : دعه حتى يعمل حسنة ، فإذا عمل حسنة قال صاحب اليمين : قد أخبرنا أن الحسنة بعشر أمثالها ، فتعال حتى نمحو خمسًا بخمس ونثبت له خمسًا من الحسنات . قال : فيصيح الشيطان ويقول : متى أدرك ابنَ آدم**»[٢] .

(**قال الفقيه**) رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبى رحمه الله تعالى قال : حدثنا أبو الحسين الفراء عن أبى بكر بإسناده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله ﷺ فإذا أنا بامرأة منتقبة قائمة على الطريق فقالت : يا أبا هريرة إنى قد ارتكبت ذنبًا عظيمًا فهل لى من توبة ؟ فقلت : وما ذنبك ؟ قالت : إنى زنيت وقتلت ولدى من الزني، فقلت لها : هلكت وأهلكت والله ما لك من توبة . قال: فشهقت شهقة وخرت مغشيًا عليها ، ومضيت وقلت فى نفسى : أفتى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ؟ فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن امرأة استفتتنى البارحة فى كذا وكذا ، وإنى أفتيتها بكذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ «**إنا لله وإنا إليه راجعون ، أنت والله يا أبا هريرة هلكت وأهلكت ، أين كنت يا أبا هريرة عن هذه الآية** : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] قال : فخرجت من عند رسول الله ﷺ وأنا أعدو فى سكك المدينة وأقول : من يدلنى على امرأة استفتتنى البارحة فى كذا وكذا ؟ والصبيان يقولون : جُنَّ أبو هريرة ، حتى إذا كان الليل لقيتها فى ذلك الموطن ، فأعلمتها بقول رسول الله ﷺ : أن لها التوبة ، فشهقت شهقة من السرور وقالت : إن لى حديقة وهى صدقة للمساكين كفارة لذنبى ، وذُكِرَ فى قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٤٦٨٧)، ومسلم، حديث (٢٧٦٣).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»، (٢/ ٢٥٥) وهو مرسل.

﴿عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

قال بعضهم : إن العبد إذا تاب من الذنوب صارت الذنوب الماضية كلها حسنات . وروى هكذا عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : ينظر الإنسان يوم القيامة فى كتابه فيرى فى أوله معاصى وفى آخره حسنات ، فإذا رجع إلى أول الكتاب رأى كله حسنات . وروى أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ نحوه[١] ، وهذا معنى قوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ويقال : معناه أنه يحول من العمل السيء إلى العمل الصالح فيوفقه الله تعالى لكى يعمل الحسنات مكان ما يعمل من السيئات ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠] . واعلم يا أخى أنه ليس ذنب أعظم من الكفر وقد قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال : ٣٨] فما ظنك بما دونه .

وروى الحسن عن النبى ﷺ أنه قال : «**لو أخطأ أحدكم حتى ملأ ما بين السماء والأرض ثم تاب تاب الله عليه**»[٢] .

وروى عن يزيد الرقاشى قال : خطبنا أبو هريرة رضى الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال فى خطبته : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**آدم أكرم البشر على الله يعتذر الله إليه يوم القيامة بثلاث معاذير ، يقول الله تعالى : يا آدم لولا أنى لعنت الكذابين ، وأبغض الكذب وأوعدت عليه ، وقد حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لرحمت ذريتك اليوم أجمعين ، ويقول له : يا آدم إنى لا أدخل أحدًا من ذريتك النار ولا أعذبه بالنار ، إلا من علمت بعلمى أنه لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر ما كان فيه ثم لم يرجع ولم يتب ، ويقول له : يا آدم قد جعلتك حكمًا بينى وبين ذريتك ،قم عند الميزان فانظر إلى ما يرفع إليك من أعمالهم ، فمن رجح له خير مثقال ذرة فله الجنة ، حتى تعلم أنى لا أدخل النار إلا كل ظالم**»[٣] .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الدواوين ثلاثة : ديوان لا يغفره الله ، وديوان يغفره الله ، وديوان لا يترك الله منه شيئًا ، فأما الديوان الذى لا يغفره الله فالشرك بالله تعالى ، قال الله تعالى** : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة : ٧٢] **وأما الديوان الذى يغفره الله تعالى فظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه، وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا**»[٤] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (١٩٠)، (من حديث أبي ذر الغفاري).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه ابن ماجه بنحوه، حديث (٤٢٤٨)، (من حديث أبي هريرة). وانظر «صحيح سنن ابن ماجه».

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير، حديث (٨٥٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٤٧)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو كذاب.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٨٧١٧) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: صدقة ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة.

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ **أنه قال : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها»**(١) .

فينبغى للعبد أن يجتهد فى رضا الخصوم ، وإذا كان الذنب بينه وبين الله تعالى فإن الله رحيم يتجاوز عنه إذا استغفر ، وإذا كان الذنب بينه وبين العباد فإنه مطالب به من محله ، ولا ينفعه الاستغفار ولا التوبة ما لم يرض الخصم ، وإن لم يرضه فى الدنيا أخذ من حسناته يوم القيامة كما جاء فى الخبر .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا أبو الحسين الفراء حدثنا أبو بكر حدثنا أحمد بن عبد الله عن صالح بن محمد عن القاسم بن عبد الله عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ **أنه قال : «أتدرون من المفلس من أمتي؟»** قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع ، فقال رسول الله ﷺ : **« المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاته وصيامه ، ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار»**(٢) . فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للتوبة وأن يثبتنا عليها ، فإن الثبات على التوبة أشد من التوبة .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : إياك أن تعمل شيئًا من الخير ثم تدعه ؛ فإنه ما من أحد تاب ثم رجع فأفلح . فينبغى للتائب أن يجعل أجله بين عينيه لكى يثبت على التوبة ، ويتفكر فيما مضى من ذنوبه ويكثر الاستغفار ، ويشكر الله تعالى على ذلك وعلى ما رزقه من التوبة ووفقه لذلك ، ويتفكر فى ثواب يوم القيامة ؛ فإن من تفكر فى ثواب الآخرة رغب فى الحسنات ، ومن تفكر فى العقاب انزجر عن السيئات .

وروى زيد بن وهب عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أخبرنا ما كان فى صحف موسى ؟ قال : **«كان فيها ست كلمات : عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك ؟ وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل بالسيئات ؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب»** . وفى خبر آخر : **«كيف يحزن ؟ وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ وعجبت لمن أيقن بالجنة وهو لا يعمل الحسنات ؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله»**(٣) .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه مر ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة ، فإذا الفساق قد اجتمعوا وهم يشربون الخمر وفيهم مغن يقال له : زاذان ، وكان يضرب ويغنى ، وكان له صوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٢)، والترمذي، حديث (٢٤٢٠).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨١)، والترمذي، حديث (٢٤١٨).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٧).

كتاب الله تعالى ! وجعل الرداء فى رأسه ومضى فسمع زاذان قوله فقال: من كان هذا ؟ قالوا : عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قال : فأى شيء قال؟ قالوا : إنه قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة القرآن ! فدخلت الهيبة فى قلبه ، فقام وضرب العود على الأرض فكسره ، ثم أسرع حتى أدركه ، وجعل المنديل فى عنق نفسه وجعل يبكى بين يدى عبد الله ، فاعتنقه عبد الله وجعل يبكى كل واحد منهما ، ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من قد أحبه الله تعالى ، فتاب من ذنوبه وجعل يلازم عبد الله حتى تعلم القرآن ، وأخذ حظًا من القرآن والعلم حتى صار إمامًا فى العلم . وقد جاء فى كثير من الأخبار عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهما .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى يحكى أن فى بنى إسرائيل كانت امرأة بغيًا ، وكانت مفتنة للناس بجمالها ، وكان باب دارها أبدًا مفتوحًا ، فكل من مر ببابها رآها قاعدة فى دارها على السرير بحذاء الباب ، فكل من نظر إليها افتتن بها ، فإذا أراد الدخول إليها احتاج إلى إحضار عشرة دنانير أو أقل أو أكثر حتى تأذن له بالدخول عليها ، فمر بها ذات يوم عابد من العباد فوقع بصره فى الدار ، وهى قاعدة على السرير ، فافتتن بها فجعل يجاهد نفسه ويدعو الله تعالى ليزيل ذلك من قلبه ، فلم يزل ذلك عنه ، وكان يكابد نفسه المكابدة الشديدة ، حتى باع قماشًا كان له وجمع من الدنانير ما يحتاج إليه ، فجاء إلى بابها وأمرت أن يسلم ذلك إلى وكيل لها ، وواعدته وقتًا لمجيئه ، فجاء إليها فى ذلك الوقت ، وقد تزينت وجلست فى بيتها على سريرها ، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير ، فلما مد يده إليها وانبسط إليها تداركه الله تعالى برحمته ، وبركة عبادته المتقدمة ، فوقع فى قلبه أن الله تعالى يرانى فى هذه الحالة فوق عرشه وأنا فى الحرام وقد أحبط عملى كله ، فوقعت الهيبة فى قلبه ، وارتعدت فرائصه ، وتغير لونه ، فنظرت المرأة إليه فرأته متغير اللون فقالت: أى شيء أصابك؟ قال: إنى أخاف ربى فأذنى لى بالخروج . فقالت له: ويحك إن كثيرًا من الناس يتمنون الذى وجدته، فأى شيء هذا الذى أنت فيه ؟ فقال لها : إنى أخاف الله تعالي، وإن المال الذى دفعته إليك هو حلال لك فأذنى لى بالخروج فقالت له : كأنك لم تعمل هذا العمل قط ؟ قال : لا . فقالت المرأة : من أين أنت وما اسمك ؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا ، فأذنت له بالخروج فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ، ويبكى على نفسه ويحثو التراب على رأسه ، فوقعت الهيبة فى قلب المرأة ببركة ذلك العابد فقالت فى نفسها : إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه وقد دخل عليه من الخوف ما دخل ، وإنى قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة ، وإن ربه الذى يخاف منه هو ربى فخوفى منه ينبغى أن يكون أشد ، فتابت إلى الله تعالى وأغلقت بابها عن الناس ، ولبست ثيابًا خلقة وأقبلت على العبادة ، وكانت فى عبادتها ما شاء الله فقالت فى نفسها : إنى لو انتهيت إلى ذلك الرجل فلعله يتزوجنى ، فأكون عنده فأتعلم من أمر دينى، ويكون عونًا لى على عبادة الله تعالى ، فتجهزت وحملت معها من الأموال والخدم ما شاء الله ، فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه ، فأخبر العابد أنه قدمت امرأة تسأل عنك، فخرج العابد إليها ، فلما رأته المرأة

كشفت عن وجهها ليعرفها ، فلما رآها العابد عرف وجهها وتذكر الأمر الذى كان بينه وبينها ، فصاح صيحة وخرجت روحه ، وبقيت المرأة حزينة وقالت : إنى خرجت لأجله وقد مات ، فهل من أقربائه أحد يحتاج إلى امرأة ؟

فقالوا : إن له أخًا صالحًا ليس له مال ، فقالت : لا بأس وإن لى من المال ما فيه غنية ، فجاء أخوه فتزوج بها ، فولد له منها سبعة من البنين كلهم صاروا أنبياء فى بنى إسرائيل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

١١ - باب حق الوالدين

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالي : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد الشمذى أنبأنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل العابد حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا سليمان التيمى عن سعيد بن مسعود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ما من مؤمن له أبوان فيصبح وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بابين من الجنة ولا يسخط عليه واحد منهما فيرضى الله تعالى حتى يرضى . قيل : وإن كان ظالمًا ؟ قال : وإن كان ظالمًا [١] .

وروى هذا الخبر مرفوعًا فيه زيادة : قال : ولا يصبح وهو مسيء إليهما إلا فتح الله له بابين من النار ، وإن كان واحدًا فواحد [٢] .

قال رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبو القاسم حدثنا فارس حدثنا محمد بن الفضل حدثنا عبيد الله بن موسى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب أوصنى . قال : أوصيك بى . قال : أوصنى قال : أوصيك بأمك . قال : أوصنى . قال : أوصيك بأمك . قال : أوصنى قال : أوصيك بأبيك [٣] .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أريد الجهاد . قال : «**أحي أبواك؟**» قال : نعم . قال : «**ففيهما فجاهد**» [٤] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : فى هذا الخبر دليل على أن بر الوالدين أفضل من الجهاد فى سبيل الله تعالى ؛ لأن النبى ﷺ أمره أن يترك الجهاد ويشتغل ببر الوالدين ، وهكذا نقول إنه لا يجوز للرجل أن يخرج إلى الجهاد فى سبيل الله إذا لم يأذن له أبواه ، ما لم يقع النفير عامًا ، وتكون طاعة الوالدين أفضل من الخروج إلى الغزو .

وروى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : «**أمك**» قال : قلت : ثم من ؟ قال : «**أمك**» . قال : قلت : ثم من ؟ قال : «**أمك**» . قال : قلت : ثم من ؟ قال :

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، حديث (٧)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» حديث (٧٩١٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**»، حديث (٧٩١٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في بر الوالدين (٦٣).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٣٠٠٤)، ومسلم، حديث (٢٥٤٩).

«أباك ثم الأقرب فالأقرب»[١] .

(قال رحمه الله تعالى) : حدثنا أبو القاسم حدثنا فارس بن مردويه قال : حدثنا محمد ابن الفضل قال : حدثنا أصرم بن حوشب قال : حدثنا عيسى بن عبد الله عن زيد بن على عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ **«لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أف لنهى عن ذلك ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار»**[٢] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : لو لم يذكر الله تعالى فى كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما ، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة ، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما ويقضى حقهما ، فكيف وقد ذكر الله تعالى فى جميع كتبه فى التوارة والإنجيل والزبور والفرقان ، وقد أمر فى جميع كتبه ، وأوحى إلى جميع الأنبياء وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما ، وجعل رضاه فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما . ويقال : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا يقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها . أولها : قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة : ٤٣] فمن صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة . والثانى : قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران : ١٣٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . والثالث : قوله تعالي : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان : ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

والدليل على ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ قال : **«إن لعنة الوالدين تبتر»** -أى تقطع- **«أصل ولدهما إذا عقهما فمن أرضى والديه فقد أرضى خالقه ، ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه ، ومن أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله»**[٣]

وسُئل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل ؟ قال : **«الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد فى سبيل الله»**[٤] . وعن فرقد السبخى قال : قرأت فى بعض الكتب : إنه لا ينبغى للولد أن يتكلم إذا شهد والديه إلا بإذنهما ، ولا يمشى بين يديهما ولا عن يمينهما ولا عن شمالهما إلا أن يدعواه فيجيبهما ، ولكن يمشى خلفهما كما يمشى العبد خلف مولاه [٥] .

وذكر أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن أمى خرفت عندي ، وأنا أطعمها بيدى وأسقيها وأوضئها وأحملها على عاتقى فهل جازيتها؟ قال : **«لا ولا واحدة من مائة ، ولكنك قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرًا»**[٦] .

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود ، حديث (٥١٣٩) ، والترمذي ، حديث (١٨٩٧) ، وانظر صحيح سنن أبي داود .

(٢) أخرجه الديلمى في «**مسند الفردوس**» حديث (٥٠٦٣) .

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي بنحوه ، حديث (١٨٩٩) ، وانظر «**صحيح جامع الترمذي**» .

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري ، حديث (٥٩٧٠) ، ومسلم ، حديث (٨٥) .

(٥) ذكره ابن الجوزي في «**بر الوالدين**» (١٤٧) .

(٦) أخرجه الطرطوشي مرفوعا في كتابه «**بر الولدين**» ص ١٠٥ ، والبزار كما في كشف الأستار (١٨٧٢) ، وأخرجه البخاري موقوفا بنحوه في الأدب المفرد ، حديث (١١) .

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوب فى الحكمة ملعون من لعن أباه ، ملعون من لعن أمه ، ملعون من صد عن السبيل أو أضل الأعمى عن الطريق ، ملعون من ذبح بغير اسم الله ،ملعون من غير تخوم الأرض(١) - يعنى: الحد الذى بين أرضه وأرض غيره ، ويقال : يعنى : علامات الحرم ، ومعنى قوله لعن أباه ولعن أمه يعنى: عمل عملاً يلعن به أبواه فيصير كأنه هو الذى لعنهما .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن من أكبر الذنب أن يسب الرجل والديه**» قيل : وكيف يسب والديه ؟ قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**»(٢) .

وروى أبان عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يسمى علقمة ، وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة ، فمرض فاشتد مرضه ، فبعثت امرأته إلى رسول الله ﷺ أن زوجى فى النزع فأردت أن أعلمك بحاله ، فقال رسول الله ﷺ لبلال وعلى وسلمان وعمار : «**اذهبوا إلى علقمة فانظروا ما حاله**». فانطلقوا حتى دخلوا عليه فقالوا له: قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فلما أيقنوا أنه هالك بعثوا بلالاً إلى رسول الله ﷺ ليخبره بحاله ، فقال رسول الله ﷺ «**هل له أبوان**» فقيل له : أما أبوه فقد مات وله أم كبيرة السن ، فقال : «**يا بلال انطلق إلى أم علقمة فأقرئها منى السلام ، وقل لها : إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى حتى يأتيك رسول الله ﷺ** » فأخبرها فقالت: نفسى لنفسه الفداء أنا أحق بإتيانه، فأخذت العصا فمشت حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن سلمت عليه رد عليها السلام ، فجلست بين يدى رسول الله ﷺ فقال : «**اصدقينى فإن كذبتينى جاءنى الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال علقمة ؟**» قالت: يا رسول الله كان يصلى كذا ويصوم كذا،وكان يتصدق بجملة من الدراهم ما يدرى كم وزنها وما عددها . قال: «**فما حالك وحاله**» قالت: يا رسول الله ، إنى عليه ساخطة واجدة . قال لها : «**ولم ذلك؟**» قالت : كان يؤثر امرأته على ، ويطيعها فى الأشياء ويعصينى ، فقال رسول الله ﷺ : «**سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله**» ، ثم قال لبلال : «**انطلق واجمع حطبًا كثيرًا حتى أحرقه بالنار**» . فقالت : يا رسول الله ، ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدى فكيف يحتمل قلبى ؟ فقال لها رسول الله ﷺ : «**يا أم علقمة فعذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه ، فوالذى نفسى بيده لا تنفعه الصلاة ولا الصدقة ما دمت عليه ساخطة**» فرفعت يديها وقالت : يا رسول الله ، أشهد الله فى سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضرنى أنى قد رضيت عن علقمة، فقال رسول الله ﷺ : «**انطلق يا بلال فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول : لا إله إلا الله، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله ﷺ** » ، فانطلق بلال، فلما انتهى

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم بنحوه، حديث (١٩٧٨)، (من حديث علي بن أبي طالب).
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد، حديث (٢٧) وفي لفظ آخر أخرجه البخاري، حديث (٥٩٧٣)، وأبو داود، حديث (٥١٤١)، والترمذي، حديث (١٩٠٢).

إلى الباب سمع علقمة يقول لا إله إلا الله ، فلما دخل قال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وإن رضاها أطلق لسانه ، فمات من يومه ، فأتاه رسول الله ﷺ فأمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ، ثم قام على شفير القبر وقال : «**يا معشر المهاجرين والأنصار ، من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ، ولا يقبل منه صرف ولا عدل**»(١) – يعني الفرائض والنوافل .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ يعنى أمَرَ ربُّك أن لا توحدوا غير الله تعالى ويقال أن لا تعبدوا إلا إياه يعنى لا تطيعوا أحدًا فى المعصية لكن أطيعوا الله فيما يأمركم به وبالوالدين إحسانًا يعنى برًا بهما وعطفًا عليهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ يعنى الهرم ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ يعنى أحد الأبوين أو كلا الأبوين ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ يعنى لا تقذرهما ولا تقل لهما قولاً رديئًا ، ويقال معناه إذا كبر الأبوان واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما فلا تأخذ بأنفك عند ذلك ولا تعبس بوجهك فإنهما قد رفعا ذلك منك فى حالة صغرك ورأيا ذلك منك كثيرًا ، ثم قال : ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ يعنى لا تغلظ لهما بالقول ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يعنى لينًا حسنًا ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ يعنى كن ذليلاً رحيمًا عليهما ﴿وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ يعنى : إذا ماتا فادع لهما بالمغفرة . يعنى : يجب على الولد أن يعرف حق الوالدين فى حياتهما ، ويعرف حقهما بعد موتهما ، فيدعو لهما بالمغفرة على أثر كل صلاة ، ويقال : ﴿وقل ربي ارحمهما﴾ يعنى : يدعو لهما بالمغفرة فى حال حياتهما وبعد موتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] كما قاما على فى حال صغرى حتى كبرت فأجزهما عنى بالمغفرة لهما . وروى عن بعض التابعين رضى الله عنهم أنه قال : من دعا لأبويه فى كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان : ١٤] فشكر الله تعالى أن يصلى فى كل يوم خمس مرات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما فى كل يوم خمس مرات ، ثم قال : ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ يعنى : عالم بما فى قلوبكم من اللين والبر للأبوين ﴿إن يكونوا صالحين﴾ يعنى : إن تكونوا بارين بالوالدين فتستوجبوا على الله بذلك الأجر ، فإنه كان للأوابين غفورًا ، يعنى : إن تركتم حق الوالدين فتوبوا إلى الله تعالى ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ يعنى : الرجاعين عن الذنوب ﴿غَفُورًا﴾ [الإسراء : ٢٥] .

ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق :

أحدها : أنه إذا احتاج إلى الطعام أطعمه .

والثانى : إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه ، وهكذا روى عن رسول الله ﷺ فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان : ١٥] فقال : «المصاحبة بالمعروف أن يطعمهما

(١) ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٨/ ١٤٨)، وقال: رواه الطبراني وأحمد باختصار شديد وفيه أبو الورقاء، وهو متروك .

إذا جاعا ، ويكسوهما إذا عريا » .

والثالث : إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه .

والرابع : إذا دعاه أجابه وحضره .

والخامس : إذا أمره بأمر أطاعه ما لم يأمر بالمعصية والغيبة .

والسادس : أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ .

والسابع : أن لا يدعوه باسمه .

والثامن : أن يمشى خلفه .

والتاسع : أن يرضى له ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

والعاشر : أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه ، قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح : ٢٨] وهكذا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم : ٤٠ ، ٤١] يعنى : يوم القيامة . وروى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه قال : ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش عن الولد ، وهل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما ؟ قيل له : بلى يرضيهما بثلاثة أشياء : أولها : أن يكون الولد صالحًا فى نفسه ، لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه . والثانى : أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما . والثالث : أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما .

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى أن النبى ﷺ قال : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له بالمغفرة**»[1] .

وعن النبى ﷺ أنه قال : «**لا تقطع من كان يصل أباك فتطفئ بذلك نورك فإن ودّك ودّ أبيك**»[2] .

وذكر أن رجلاً من بنى سلمة جاء إلى النبى ﷺ فقال : إن أبويّ قد ماتا فهل بقى من برهما على شيء ؟ قال : «**نعم، الاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما**»[3] . والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (١٦٣١)، والبخاري في «الأدب المفرد»، حديث (٣٨)، وأبو داود، حديث (٢٨٨٠)، والترمذي، حديث (١٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، حديث (٤٢).

(٣) ضعيف: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، حديث (٣٥)، أبو داود، حديث (٥١٤٢)، وابن ماجه، حديث (٣٦٦٤)، وانظر «ضعيف سنن أبي داود».

١٢ - باب حق الولد على الوالد

(قال الفقيه) أبو الليث رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد ابن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا أبو معاوية عن حسن بن عمارة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : **«من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء : أن يحسن اسمه إذا ولد ، ويعلمه الكتاب إذا عقل ، ويزوجه إذا أدرك»** [(١)].

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إليه بابنه فقال : إن ابنى هذا يعقنى ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه للابن : أما تخاف الله فى عقوق والدك ، فإن من حق الوالد كذا ، ومن حق الوالد كذا . فقال الابن : يا أمير المؤمنين ، أما للابن على والده حق ؟ قال : نعم حقه عليه أن يستنجب أمه - يعنى : لا يتزوج امرأة دنيئة لكيلا يكون للابن تعيير بها . قال : - ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب ، فقال الابن : فوالله ما استنجب أمى وما هى إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ، ولا حسن اسمى سمانى جعلاً - ذكر الخفاش - ، ولا علمنى من كتاب الله آية واحدة ، فالتفت عمر رضى الله تعالى عنه إلى الأب وقال : تقول ابنى يعقنى . فقد عققته قبل أن يعقك ، قم عنى .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى يحكى عن أبى حفص اليسكندى - وكان من علماء سمرقند - : أنه أتاه رجل فقال : إن ابنى ضربنى وأوجعنى . قال : سبحان الله! الابن يضرب أباه ؟ قال : نعم ، ضربنى وأوجعنى . فقال : هل علمته الأدب والعلم ؟ قال : لا ، قال : فهل علمته القرآن؟ قال : لا . قال : فأى عمل يعمل؟ قال: الزراعة . قال : هل علمت لأى شيء ضربك ؟ قال : لا . قال : فلعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار ، والثيران بين يديه ، والكلب من خلفه ، وهو لا يحسن القرآن ، فتغنى وتعرضت له فى ذلك الوقت ، فظن أنك بقرة ، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك . وعن ثابت البنانى رحمه الله تعالى أنه قال : روى أن رجلاً كان يضرب أباه فى موضع فقيل له : ما هذا ؟ فقال : الأب : خلوا عنه ؛ فإنى كنت أضرب أبى فى هذا الموضع ، فابتليت بابنى يضربنى فى هذا الموضع ، هذا بذاك ولا لوم عليه . قال بعض الحكماء : من عصى والديه لم ير السرور من ولده ، ومن لم يستشر فى الأمور لم يصل إلى حاجته ، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه .

وروى الشعبى عن النبى ﷺ أنه قال : **«رحم الله والدًا أعان ولده على بره»** [(٢)] يعنى : لا يأمره بأمر يخاف منه أن يعصيه فيه . وروى عن بعض الصالحين : أنه كان لا يأمر ابنه بأمر ، وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر غيره فسئل عن ذلك؟ فقال : إنى أخاف أنى لو أمرت ابنى بذلك يعصينى فى ذلك،

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٢٦٧٠).

(٢) ضعيف أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (٢٥٤١٥)، وانظر « ضعيف الجامع» رقم (١.

فيستوجب النار ، وأنا لا أحرق ابنى بالنار . وروى عن خلف بن أيوب نحو هذا .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالي: تمام المروءة من بر والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه مع أهله وولده وخدمه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحفظ لسانه ، ولزم بيته . يعنى : يكون مقبلاً على عمله ، ولا يجلس مع أهل الفضول .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**أربع من سعادة المرء : أن تكون زوجته صالحة ، وأولاده أبرارًا ، وخلطاؤه صالحين ، وأن يكون رزقه فى بلده**» (١) .

وروى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : سبع يؤجر فيهن من بعده : من بنى مسجدًا فله أجره ما دام أحد يصلى فيه ، ومن أجرى نهرًا فما دام يجرى فيه الماء ويشرب منه الناس كان له أجره ، ومن كتب مصحفًا وأحسنه كان له أجره ما دام يقرأ فيه أحد ، ومن استخرج عينًا ينتفع بمائها كان له أجرها ما بقيت ، ومن غرس غرسًا كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير ، ومن علم علمًا كذلك ، ومن ترك ولدًا يستغفر له ويدعو له من بعده .

يعنى : إذا كان الولد صالحًا وقد علمه الأب القرآن والعلم فيكون أجره لوالده ، من غير أن ينقص من أجر ولده شيء ، فإذا كان الوالد لا يعلمه القرآن ويعلمه طريق الفسق ، يكون وزره على أبيه ، من غير أن ينقص من وزر ولده شيء (٢) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له بخير**» (٣) .

١٣ - باب صلة الرحم

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال : حدثنا فارس بن مردويه قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن عمرو بن عثمان عن موسى بن طلحة عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال : عرض أعرابى بالنبى ﷺ فأخذ بزمام ناقته أو خطامها ثم قال : يا رسول الله ، أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ قال : «**أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم**» (٤) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، والديلمي في «**مسند الفردوس**» عن علي ، وفيه سهل بن عامر البجلي ، قال الذهبي في الضعفاء : كذبه أبو حاتم .

(٢) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٢/ ٣٤٤) مرفوعًا ، وقال : حديث غريب ، وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (١/ ١٦٧) وقال : رواه البزار ، وفيه محمد بن عبيد الله العرزمي ، وهو ضعيف .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري ، حديث (٥٩٨٣) ، ومسلم ، حديث (١٣) .

قال : حدثنا الحاكم أبو الحسن على السردرى قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن الأحوص قال : حدثنا الحسين بن على بن عفان قال : حدثنا هانئ بن سعيد النخعى عن سلمان ابن يزيد عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه قال : كنا جلوسًا عشية عرفة عند رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ : **«لا يجالسنى من أمسى قاطع الرحم ليقم عنا»** . فلم يقم أحد إلا رجل كان من أقصى الحلقة ، فمكث غير بعيد ثم جاء ، فقال له رسول الله ﷺ : **«ما لك لم يقم أحد من الحلقة غيرك ؟»** قال : يا نبى الله ، سمعت الذى قلت فأتيت خالة لى كانت تصارمنى – أى تقاطعنى – ، فقالت : ما جاء بك . ما هذا من دأبك ؟ فأخبرتها بالذى قلت ، فاستغفرت لى واستغفرت لها . فقال النبى ﷺ : **«أحسنت ، اجلس ألا إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»**(١) .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : فى الخبر دليل على أن قطع الرحم ذنب عظيم ؛ لأنه يمنع الرحمة عنه ، وعمن كان جليسه ، فالواجب على المسلم أن يتوب من قطع الرحم ويستغفر الله تعالى ويصل رحمه ؛ لأن النبى ﷺ بين فى هذا الخبر الأول أن صلة الرحم تقرب العبد من رحمته وتباعده من النار .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما من حسنة أعجل ثوابًا من صلة الرحم ، وما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»(٢) .

قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال : حدثنا فارس بن مردويه قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا الحجاج ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إن لى أرحامًا أصل ويقطعونى ، وأعفو ويظلمونى ، وأحسن ويسيئونى أفأكافئهم ؟ قال : **«لا ؛ إذن تشتركون جميعًا ، ولكن خذ بالفضل وصلهم ، فإنه لن يزال معك ظهير من الله ما كنت على ذلك»**(٣) .

ويقال : ثلاثة من أخلاق أهل الجنة لا توجد إلا فى الكريم : الإحسان إلى المسيء ، والعفو عمن ظلمه ، والبذل لمن حرمه .

قال : حدثنا أبو القاسم قال : حدثنا فارس قال : حدثنا محمد قال : حدثنا أصرم بن حوشب عن أبى سنان عن الضحاك بن مزاحم فى تفسير هذه الآية : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد : ٣٩] :

---

(١) ضعيف: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب»، حديث (٢٢٩٠)، وذكره المنذري في ترغيبه (٣/ ٢٧٢) وعزاه للأصبهاني . وانظر «ضعيف الترغيب والترهيب» رقم (١٥٠٣) .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٤٩٠٢)، والترمذي، حديث (٢٥١١)، وابن ماجه، حديث (٤٢١١) . وانظر «صحيح سنن أبي داود» .

(٣) أخرجه أحمد، حديث (٦٦٦١)، وذكره الهيثمي في «المجمع»، (٨/ ١٥٤)، وقال: رواه أحمد وفيه حجاج بن أرطأة وهو مدلس وبقية رجاله ثقات .

قال : إن الرجل ليصل رحمه وقد بقى من عمره ثلاثة أيام، فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثون سنة ، فيحطه الله إلى ثلاثة أيام[(١)] .

وروى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[(٢)] .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

من اتقى ربه ووصل رحمه ، أُنسئ له فى عمره - يعنى : يزاد فى عمره -، وثرى له ماله - يعنى : كثر ، وأحبه أهله[(٣)]

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : قد اختلفوا فى زيادة العمر ، فقال بعضهم : الخبر على ظاهره أن من وصل رحمه يزاد فى عمره . وقال بعضهم : لا يزاد فى الأجل الذى أجل له ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٤] ولكن معنى زيادة العمر أن يكتب ثوابه بعد موته ، وإذا كتب له ثوابه بعد موته فكأنه يزيد فى عمره .

وروى سعيد عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن النبى ﷺ قال : **«اتقوا الله وصلوا الرحم ؛ فإنه أبقى لكم فى الدنيا، وخير لكم فى الآخرة»**[(٤)] . وكان يقال : إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك ، ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته . وفى بعض الصحف مما أنزل الله تعالى : يا ابن آدم ، صل رحمك بمالك ، فإن بخلت بمالك أو قل مالك فامش إليه برجلك .

وقال النبى ﷺ : «صلوا أرحامكم ولو بالسلام»[(٥)] . وقال ميمون بن مهران : ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء : من عاهدته ثق له بعهدك مسلمًا كان أو كافرًا ؛ فإنما العهد لله ، ومن كانت بينك وبينه قرابة فصله مسلمًا كان أو كافرًا ، ومن ائتمنك على أمانة فأدها له مسلمًا كان أو كافرًا . وقال كعب الأحبار : والذى فلق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام وبنى إسرائيل إنه مكتوب فى التوراة : اتق ربك ، وبر والديك ، وصل رحمك ، أمدّ فى عمرك ، وأيسرك فى يسرك ، وأصرف عنك عسرك . وقد أمر الله تعالى بصلة الرحم فى مواضع من كتابه فقال : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء : ١] يعنى : اخشوا الله الذى تساءلون به الحاجات : والأرحام يعنى : اتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها . وقال فى آية أخرى : ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء : ٢٦] يعنى : أعطه حقه من الصلة والبر ، وقال فى آية أخرى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يعنى :

(١) قال الألباني في «**ضعيف الجامع**» رقم (١٧٧٨)، (من حديث ابن عمرو) : ضعيف جدًا .
(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه، حديث (٩٠)، وأحمد، حديث (٢١٩٠٧)، وانظر «**صحيح سنن ابن ماجه**».
(٣) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، حديث (٥٨)، والبيهقي في الشعب، حديث (٧٩٧٠).
(٤) ضعيف: أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٢٧)، انظر ضعيف الجامع، حديث (١٢٢).
(٥) حسن: أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٧٩٧٢)، انظر صحيح الجامع، حديث (٢٨٣٨).

بالتوحيد ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ويأمر بالإحسان ، يعنى : إلى الناس والعفو عنهم ، وإيتاء ذى القربى ، يعنى : يأمر بصلة الرحم ، فأمر بثلاثة أشياء ، ثم نهى عن ثلاثة أشياء ، فقال عز وجل : ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ الفحشاء المعاصى ، والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة ، والبغى الاستطالة على الناس ﴿يَعِظُكُمْ﴾ يعنى : يأمركم بهذه الأشياء الثلاثة ، وينهاكم عن هذه الثلاثة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] يعنى : لكى تتعظوا .

وروى عن عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ صديقًا لى ، وما أسلمت إلا حياء من رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يدعونى إلى الله ، فأسلمت ولم يكن يستقر الإسلام فى قلبى ، فجلست عنده يومًا يحدثنى إذ أعرض عنى ، فكأنه يحدث أحدًا بجنبه ، ثم أقبل على فقال : «نزل على جبريل عليه الصلاة والسلام فقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل : ٩٠] » الآية فسررت بذلك واستقر الإسلام فى قلبى فقمت من عنده وأتيت عمه أبا طالب ، فقلت له : كنت عند ابن أخيك فأنزلت عليه هذه الآية .

فقال أبو طالب : تابعوا محمدًا تفلحوا وترشدوا ، والله إن ابن أخى يأمر بمكارم الأخلاق ، لئن كان صادقًا أو كاذبًا لا يدعوكم إلا إلى الخير ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فطمع فى إسلامه فأتى إليه ، ودعاه إلى الإسلام ، فأبى أن يسلم ، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص : ٥٦](١) .

فقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآية صلة الرحم ، وقال فى آية أخرى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد : ٢٢ ، ٢٣] يعنى : الذين يقطعون الرحم .

ويقال : إن الله تعالى لما خلق الرحم قال : أنا الرحمن وأنت الرحم ، أقطع من قطعك ، وأصل من وصلك(٢) .

وذكر أن الرحم معلق بالعرش ينادى الليل والنهار : يا رب ، صِلْ من وصلنى فيك ، واقطع من قطعنى فيك(٣) . قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : إذا أظهر الناس العلم ، وضيعوا العمل ، وتحابوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا بالأرحام ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه ، حدثنى أبى قال : حدثنا محمد بن حمزة أبو الحسين الفراء

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد بنحوه، حديث (٢٩٢٢).
(٢) [illegible] أخرجه أبو داود، حديث (١٦٩٤)، والترمذي، حديث (١٩٠٧)، انظر صحيح أبي داود.
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٥٩٨٩)، ومسلم، حديث (٢٥٥٥).

الفقيه قال : حدثنا أبو بكر الطوسى قال : حدثنا حامد ابن يحيى البلخى قال : حدثنا يحيى بن سليم قال : كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان ، وكان رجلاً صالحًا ، وكان الناس يودعونه ودائعهم ، فجاء رجل فأودعه عشرة آلاف دينار ، وخرج الرجل فى حاجته ، فقدم الرجل مكة وقد مات الخراسانى ، وسأل أهله وولده عن ماله فلم يكن لهم به علم ، فقال الرجل لفقهاء مكة - وكانوا يومئذ مجتمعين متوافرين - : أودعت فلانًا عشرة آلاف دينار ، وقد مات ، وسألت ولده وأهله فلم يكن لهم بها علم ، فما تأمروننى ؟ فقالوا : نحن نرجو أن يكون الخراسانى من أهل الجنة ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فائت زمزم ، فاطلع فيها وناد : يا فلان ابن فلان ، أنا صاحب الوديعة . ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد ، فأتاهم وأخبرهم ، فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، نحن نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، فأت اليمن فإن فيها واديًا يقال له : برهوت ، وبه بئر ، فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه فناد : يا فلان ابن فلان ، أنا صاحب الوديعة . ففعل ذلك فأجابه فى أول صوت فقال : ويحك ! ما أنزلك ههنا وقد كنت صاحب خير ؟ قال : كان لى أهل بيت بخراسان ، فقطعتهم حتى مت ، فآخذنى الله بذلك ، فأنزلنى هذا المنزل ، فأما مالك فهو على حاله ، وإنى لم أئتمن ولدى على مالك فدفنته فى بيت كذا ، فقل لولدى يدخلك فى دارى ، ثم سر إلى البيت فاحفر فإنك ستجد مالك ، فرجع فوجد ماله على حاله .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرجل عند قرابته ولم يكن غائبًا عنهم ، فالواجب عليه أن يصلهم بالهدية وبالزيارة ، فإن لم يقدر على الصلة بالمال فليصلهم بالزيارة ، والإعانة فى أعمالهم إن احتاجوا ، وإن كان غائبًا يصلهم بالكتاب إليهم ، فإن قدر على المسير إليهم كان المسير أفضل . واعلم بأن فى صلة الرحم عشر خصال محمودة : أولها : أن فيها رضا الله تعالى ؛ لأنه أمر بصلة الرحم . والثاني : إدخال السرور عليهم . وقد روى فى الخبر : «**إن أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن**»[1] .

والثالث : أن فيها فرح الملائكة ؛ لأنهم يفرحون بصلة الرحم . والرابع : أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه . والخامس : أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة . والسادس : زيادة فى العمر . والسابع : بركة فى الرزق . والثامن : سرور الأموات ؛ لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة . والتاسع : زيادة فى المودة ؛ لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه ، ويعينونه على ذلك ، فيكون له زيادة فى المودة . والعاشر : زيادة الأجر بعد موته ؛ لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه . قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : ثلاثة نفر فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة : واصل الرحم يمد له فى عمره ، ويوسع له فى قبره ورزقه ، وامرأة مات زوجها وترك يتامى ، فتقوم هى على الأيتام حتى يغنيهم الله أو

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٧٦٧٩)، انظر صحيح الجامع (٥٨٩٧) .

يموتوا ، والرجل اتخذ طعامًا فدعا إليه اليتامى والمساكين .

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من الخطوة إلى صلاة الفريضة ، وخطوة إلى ذى الرحم المحرم»**[١] .

ويقال : خمسة أشياء من داوم عليها زيد فى حسناته مثل الجبال الراسيات ، ويوسع الله عليه رزقه : أولها : من داوم على الصدقة قلت أو كثرت ، ومن وصل رحمه قل أو كثر ، ومن داوم على الجهاد فى سبيل الله ، ومن داوم على الوضوء ولم يسرف فى صب الماء ، ومن أطاع والديه وداوم على طاعتهما . والله سبحانه وتعالى أعلم .

١٤ - باب حق الجار

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا الفقيه أبو جعفر قال : حدثنا على بن محمد الوراق قال حدثنا أنعم عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : **«سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ، ويقول لهم : ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول يعنى اللواطة، والناكح يده ، وناكح البهيمة ، وناكح المرأة فى دبرها ، وجامع المرأة وابنتها ، والزانى بحليلة جاره ، والسابع المؤذى جاره حتى يلعنه الناس إلا أن يتوب**[٢] بشروطها» .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الشاباذى قال : حدثنا فارس بن مردويه قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن عبيد قال : حدثنا إبراهيم قال : حدثنا أبو معاوية عن بشر بن سلمان عن عبيد عن أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد البجلى عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : **«والذى نفسى بيده لا يُسلم عبد حتى يَسلم الناس من قلبه ولسانه ويده، ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه»** . قلنا : يا رسول الله ، وما بوائقه؟ قال : **«غشه وظلمه»**[٣] .

قال : حدثنا محمد بن داود بن ظهير قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا محمد بن القاسم عن موسى عن عبيد اليزيدى عن زيد بن عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب أن النبى ﷺ قال : **«حرمة الجار على الجار كحرمة أمه»**[٤] .

قال : حدثنا محمد بن داود قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا أبو معاوية عن بشر بن سلمان عن مجاهد قال : قال عبد الله بن عمرو ابن العاص لغلامه :

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، حديث (٢٤٥)، موقوفًا على عمرو بن دينار .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٥٤٧٠) .

(٣) أخرجه أحمد، حديث (٣٦٧٢)، والحاكم، حديث (٧٣٠١)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٨) وقال: رواه أحمد ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، حديث (٣٢٣) .

اذبح الشاة وأطعم جارنا اليهودى . ثم تحدث ساعة فقال : يا غلام ، إذا ذبحت الشاة فأطعم جارنا اليهودى . فقال الغلام : قد آذيتنا بجارك هذا اليهودى . فقال عبد الله بن عمرو : ويحك ! إن النبى ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه [(١)] .

قال : حدثنا القاسم بن محمد بن روزبة قال : حدثنا عيسى بن خشنام الثورى قال : حدثنا سويد عن مالك عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الكعبى أن النبى ﷺ قال : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة»** [(٢)] .

قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بإسناده عن الحسن البصرى قال : قيل : يا رسول الله ، ما حق الجار على الجار ؟ قال : **«إن استقرضك أقرضته ، وإن دعاك أجبته، وإن مرض عدته ، وإن استعان بك أعنته، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن أصابه خير هنيته ، وإن مات شهدته ، وإن غاب حفظته : يعنى منزله وعياله ،ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تهدى إليه»** . وروى فى خبر آخر زيادة على هذه التسعة : **«والعاشر أن لا تطيل بناءك عليه إلا بطيبة من نفسه»** [(٣)] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **« لا يزال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** [(٤)] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب»** [(٥)] . قال الله تعالى : ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ يعنى : وحدوا الله واعبدوه ولا تتخذوا له شريكًا ، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ يعنى : أحسنوا إلى الوالدين إحسانًا ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ يعنى : أحسنوا إلى ذوى القربى بالصلة والهدية ، وإلى اليتامى والمساكين بالصدقة وبالقول الجميل ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعنى : الضيف النازل وهو مار بالطريق ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى : أحسنوا إلى الجار الذى بينك وبينه قرابة ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء : ٣٦] يعنى : الجار الذى هو أجنبى لا قرابة بينك وبينه .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«الجيران ثلاثة : فمنهم من له ثلاثة حقوق ، ومنهم من له حقان ، ومنهم من له حق واحد ، فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فجارك القريب المسلم ، وأما الجار الذى له**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٥١٥٢)، والترمذي، حديث (١٩٤٣)، انظر صحيح أبي داود.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٠١٩)، ومسلم، حديث (٤٨).
(٣) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص (٤٠).
(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٩)، انظر صحيح ابن ماجه، حديث (٣٦٧٤).
(٥) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٠٥)، وابن ماجه، حديث (٤٢١٧)، انظر صحيح الترمذي.

حقان فجارك المسلم ، وأما الذى له حق واحد فجارك الذمى»[١] .

يعنى : إذا كان الجار قريبه وهو مسلم فله حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم فله حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذى له حق واحد فجارك الذمى فله حق الجوار ، فينبغى أن يعرف حق الجار وإن كان ذميًا .

قال أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه : أوصانى خليلى محمد ﷺ بثلاث قال : «**اسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف ، فإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمرقتك، وصل الصلاة لوقتها**»[٢] . ويقال : من مات وله جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له .

وروى عن رسول الله ﷺ أن رجلاً جاء إليه يشكو جاره فقال رسول الله ﷺ «**كف أذاك عنه ، واصبر على أذاه ، وكفى بالموت فراقًا**»[٣] .

وقال الحسن البصرى : ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار . وقال عمرو بن العاص : ليس الواصل الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، وإنما ذلك المنصف ، وإنما الواصل الذى يصل من قطعه ويعطف على من جافه ، وليس الحليم الذى يحلم عن قومه ما حلموا عنه ، فإذا جهلوا عليه جاهلهم ، وإنما ذلك المنصف ، إنما الحليم الذى يحلم إذا حلموا، فإذا جهلوا عليه حلم عنهم .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للمسلم أن يصبر على أذى الجار ولا يؤذى جاره ، ويكون بحال يكون جاره آمنًا منه ، وأمانه لجاره يكون بثلاثة أشياء : باليد وباللسان وبالعورة . فأما أمانه بلسانه : فهو أن لا يتكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت، أو لو بلغ إلى جاره لاستحيى منه ، وأما أمانه بيده: فهو أن جاره لو كان بالسوق وتذكر أن كيسه نسيه فى منزله، فإنه لا يخاف عليه ويقول: منزله ومنزلى سواء . وأما أمانه بالعورة: فهو أنه لو كان فى السفر فبلغه أن جاره دخل منزله لسكن قلبه ، وفرح .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : ثلاثة أخلاق كانت فى الجاهلية مستحبة ، والمسلمون أولى بها : أولها : لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا فى بره . والثانى : لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع . والثالث : إذا لحق بجارهم دين أو أصابه شدة أو جهد اجتهدوا حتى يقضوا دينه ، وأخرجوه من تلك الشدة .

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن الجار يتعلق بجاره يوم**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٧)، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٤)، وقال: رواه البزار وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وهو ضعيف.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (١٨٣٣)، وابن ماجه، حديث (٣٣٦٢)، انظر صحيح الترمذي.

(٣) **ضعيف**: أخرجه ابن النجار عن أبي عبد الرحمن الحبلي مرسلاً، فيض القدير (٥/ ٨).

القيامة فيقول : يارب ، وسعت على أخى هذا وقترت على ، أمسى جائعًا ويمسى هذا شبعانًا ، فسله لم أغلق بابه دونى وحرمنى ما قد وسعت عليه» [١] .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال : عشرة أشياء من الجفاء : أولها : رجل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه والمؤمنين . والثانى : رجل يقرأ القرآن ولا يقرأ فى كل يوم مائة آية . والثالث : رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين . والرابع : رجل يمر على المقابر ولم يسلم عليهم ولم يدع لهم . والخامس : رجل دخل مدينة فى يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة . والسادس : رجل أو امرأة نزل فى محلتهما عالم ولم يذهب إليه أحد ليتعلم منه شيئًا من العلم . والسابع : رجلان ترافقًا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه . والثامن : رجل دعاه رجل إلى ضيافة فلم يذهب إلى الضيافة . والتاسع : شاب يضيع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب . والعاشر : رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه شيئًا من طعامه .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء :

أولهـا : أن يواسيه بما عنده .

والثانى : أن لا يطمع فيما عنده .

والثالث : أن يمنع أذاه عنه .

والرابع : أن يصبر على أذاه .

١٥ - باب الزجر عن شرب الخمر

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالي : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد ابن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف : أنبأنا إسماعيل بن علية عن الليث عن عبد الله قال : قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : يجاء بشارب الخمر يوم القيامة ، مسود وجهه ، مزرقة عيناه ، مدلعًا لسانه على صدره ، يسيل لعابه ، يستقذره كل من يراه ، من نتن رائحته ، لا تسلموا على شربة الخمر ، ولا تعودوهم إذا مرضوا ، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا . وقال مسروق : شارب الخمر كعابد الوثن ، وشارب الخمر كعابد اللاة والعزى - يعنى : إن استحل شربها - . وقال كعب الأحبار : لأن أشرب قدحًا من نار أحب إلى من أن أشرب قدحًا من خمر .

قال : حدثنا الحاكم أبو الفضل الحدادى حدثنا عبد الله بن محمود المروزى حدثنا إبراهيم ابن عبد الله حدثنا عبد الله بن المبارك عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر فى الدنيا،**

---

[١] أخرجه الديلمي، حديث (٩٩٠).

فمات وهو يدمنها ولم يتب، لم يشربها فى الآخرة»[١] .

(قال الفقيه) قد أخبر النبى ﷺ **أن كل مسكر حرام**. يعنى : ما كان مطبوخًا أو غير مطبوخ .

هذا كما روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله أنه قال : **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»**. [٢]

وفى رواية **«ما أسكر منه الفرق فالجرعة منه حرام»**[٣] . والفرق : ستة عشر رطلًا فى اللغة .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : شارب الخمر المطبوخ أعظم ذنبًا وإثمًا من شارب الخمر ؛ لأن شارب الخمر يكون عاصيًا فاسقًا ، ومن شرب المطبوخ يُخاف أن يصير كافرًا؛ لأن شارب الخمر مقر بأنه يشرب الخمر وهو حرام ، وشارب المطبوخ يشرب المسكر ويراه حلالاً ، وأجمع المسلمون أن شرب المسكر حرام قليله وكثيره ، فإذا استحل ما هو حرام بالإجماع صار كافرًا .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن الزهرى عن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه قام خطيبًا فقال : يا أيها الناس ، اتقوا الخمر ؛ فإنها أم الخبائث ، وإن رجلًا ممن كان قبلكم من العباد كان يختلف إلى المسجد ، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل ، فأغلقت الباب وعندها باطية من خمر ، وعندها صبى ، فقالت له : لا تفارقنى حتى تشرب كأسًا من هذا الخمر ، أو تواقعنى ، أو تقتل هذا الصبى ، وإلا صحت – يعنى : صرخت – وقلت : دخل عليَّ فى بيتى فمن الذى يصدقك ؟ فضعف الرجل عند ذلك وقال : أما الفاحشة فلا آتيها، وأما النفس فلا أقتلها، فشرب كأسًا من الخمر فقال : زيدينى . فزادته ، فوالله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبى .

قال عثمان رضى الله تعالى عنه : فاجتنبوها فإنها أم الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر فى قلب رجل إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر [٤] .

يعنى : أن شارب الخمر إذا سكر يجرى على لسانه كلمة الكفر ، ويتعود لسانه بذلك ، ويخاف عند موته أن يجرى على لسانه كلمة الكفر ، فيخرج من الدنيا على الكفر ، فيبقى فى النار أبدًا؛ لأن أكثر ما ينزع الإيمان من العبد إنما ينزع عند موته ، وذلك بسبب ذنوبه التى فعلها فى حياته ، فيبقى فى حسرة وندامة .

وقال الضحاك : من مات وهو مدمن خمر ، بعث يوم القيامة وهو سكران .

وروى سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبى ﷺ قال : **«أربعة لا يجدون ريح الجنة ، وإن ريحها**

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٥٥٧٥)، ومسلم، حديث (٢٠٠٣).
(٢) حسن صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٣٦٨١)، والترمذي، حديث (١٨٦٦)، انظر صحيح أبي داود.
(٣) أخرجه أبو داود، حديث (٣٦٨٧)، والترمذي، حديث (١٨٦٦)، وصححه الألباني في صحيحي أبو داود.
(٤) أخرجه النسائي (٨/ ٣١٥)، والبيهقي في السنن (٨/ ٢٨٧).

ليوجد من مسيرة خمسمائة عام : البخيل ، والمنان، ومدمن الخمر ، والعاق لوالديه»[١] .

وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : لعن فى الخمر عشرة : العاصر لها ، والمعصورة له ، وشاربها ، وساقيها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وتاجرها ومتجرها ، وبائعها ، ومشتريها ، وشائلها : يعنى غارسها[٢] .

وروى فى بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يخرج يوم القيامة شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة ، والكوز معلق فى عنقه، والقدح بيده ، ويملأ ما بين جلده ولحمه حيات وعقارب ، ويلبس نعلًا من نار فيغلى دماغ رأسه ، ويجد قبره حفرة من حفر النار ، ويكون فى النار قرين فرعون وهامان**»[٣] .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حية وعقربًا ، ومن قضى حاجته فقد أعان على هدم الإسلام ، ومن أقرضه قرضًا فقد أعان على قتل مؤمن ، ومن جالسه حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى لا حجة له ، ومن شرب الخمر فلا تزوجوه ، فإن مرض فلا تعودوه ، وإن شهد فلا تقبلوا شهادته ، فوالذى بعثنى بالحق نبيًا إنه ما يشرب الخمر إلا ملعون فى التوارة والإنجيل والزبور والفرقان ، ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله على أنبيائه ، ولا يستحل الخمر إلا كافر ، ومن استحل الخمر فأنا منه برئ فى الدنيا والآخرة**»[٤] .

وعن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه هل حرمت الخمر فى التوراة ؟ قال : نعم هذه الآية ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة : ٩٠] مكتوب فى التوراة ، إنا أنزلنا الحق ليذهب بالباطل ، ويبطل به اللعب ، والدف ، والمزامير ، والخمر ، ويل لشاربها ، أقسم الله تعالى بعزته وجلاله لمن انتهكها فى الدنيا إلا عطشته يوم القيامة ، ولمن تركها بعد ما حرمتها إلا سقيته إياها من حظيرة القدس . قيل : وما حظيرة القدس ؟ قال : الله هو القدس ، وحظيرته الجنة .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : إياك وشرب الخمر ؛ فإن فيه عشر خصال مذمومة : أولها : أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون ، ويصير ضحكة للصبيان ، ومذمة عند العقلاء ، كما ذكر عن ابن أبى الدنيا أنه قال : رأيت سكران فى بعض سكك بغداد يبول ، وهو يتمسح ببوله وهو يقول : اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين . وذكر أن سكران قاء فى بعض الطرق ، وجاء كلب يمسح فمه ولحيته وهو يقول للكلب : يا سيدى يا سيدى لا تفسد المنديل . الثانى : أنها متلفة للمال ، مذهبة للعقل ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله ، أرنا

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٨) بنحوه من حديث أبي هريرة ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه الربيع بن بدر وهو متروك .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ، حديث (١٣٥٥)، من حديث أنس بن مالك .

(٣) ذكره بنحوه عبد الرحيم بن أحمد في دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار ص (٧١) .

(٤) لم أقف عليه .

رأيك فى الخمر فإنها متلفة للمال ، مذهبة للعقل . والثالث : أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء ، كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ وهو القمار . والرابع : أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى : ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] يعنى : انتهوا عنها، فلما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : قد انتهينا يا رب . والخامس : أن شربها يحمله على الزنا ؛ لأنه إذا شرب الخمر يطلق امرأته وهو لا يشعر . والسادس : أنها مفتاح كل شر؛ لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصى . والسابع : أنه يؤذى حفظته بإدخالهم فى مجلس الفسق وبوجود الرائحة المنتنة منه ، فلا ينبغى أن يؤذى من لا يؤذيه . والثامن : أنه أوجب على نفسه ثمانين جلدة ، فإن لم يضرب فى الدنيا؛ فإنه يضرب فى الآخرة بسياط من النار على رؤوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء. والتاسع : أنه رد باب السماء على نفسه؛ لأنه لا ترفع له حسناته ولا دعاؤه أربعين يومًا . والعاشر : أنه مخاطر بنفسه ؛ لأنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته .

فهذه العقوبات فى الدنيا قبل أن ينتهى إلى عقوبات الآخرة ، فأما عقوبات الآخرة فإنها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وفوت الثواب ،فلا ينبغى للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة . وروى عن مقاتل بن سليمان رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى :﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم : ٨٥، ٨٦] أي: عطاشًا . قال : يحشر أهل الجنة فإذا انتهوا إلى باب الجنة إذا هم بشجرة ، ينبع من تحتها عينان ، فيشربون من إحدى العينين، فلا يبقى فى بطونهم قذر إلا خرج من الجوف، ثم يأتون العين الأخرى فيغتسلون فيها، فلا يبقى فى أجسادهم شيء مما يكون على الجسد من وسخ وغيره إلا ذهب ، فذلك قوله تعالى : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣] ثم يؤتون بنجائب من الإبل ، من ياقوت أحمر ، رجلاها من ذهب ، مكللة بالدر والياقوت ، أزمتها من اللؤلؤ ، فيكسى كل رجل منهم حلتين ، لو أن الحلة منهما أشرقت لأهل الدنيا لأضاءت لهم ، ومع كل واحد منهم حفظة من الملائكة ، يدلونه على مساكنه فى الجنة ، فإذا دخل الجنة رفع له قصر من فضة ، شرفه من الذهب ، فإذا انتهى إليه استقبله وصائف كثيرة كاللؤلؤ المنثور، معهم الحلي، والحلل ، وآنية الفضة ، وأكواب الذهب ، والملائكة يسلمون عليه، فيرد عليهم ، ثم يدخل فإذا رأى ما أعد الله له من المنازل والكرامة تهيأ للنزول ، فتقول له حفظته : ما تريد ؟ فيقول : أريد النزول إلى كرامة الله . فيقولون له : سر فإن لك ما هو أفضل من هذا . فإذا سار رفع له قصر من ذهب، شرفه من اللؤلؤ ، فإذا دنا منه استقبلته الوصائف كاللؤلؤ المنثور ، معهن آنية من فضة ، وأكواب من ذهب ، فيسلمن عليه ، فيرد عليهن السلام ، فيريد النزول فيها ، فتقول له حفظته : سر فإن لك ما هو أفضل من هذا . فإذا سار رفع له قصر من ياقوتة حمراء ، يرى باطنه من ظاهره من صفائه ، فإذا دنا استقبلته الوصائف كما استقبلته من القصرين الأولين يسلمن عليه ، فيرد عليهن السلام ، فإذا دخل استقبلته حوراء من الحور

العين ، عليها سبعون حلة لا تشبه الحلة الحلة الأخرى ، ليس عليها مفصل إلا وعليه حلة يوجد ريحها من مسيرة مائة عام ، فإذا نظر إلى وجهها أبصر وجهه فيه من صفاء وجهها ، فإذا نظر إلى صدرها أبصر كبدها من رقة ثيابها ، ويبصر مخ ساقها من رقة عظمها وجلدها ، وهى فى بيت فرسخ فى فرسخ ، وسمكه - أى : طوله - مثل ذلك ، عليه أربعة آلاف مصراع من ذهب ، فى بساط من ذهب ، مكلل باللؤلؤ ، وقد نسق البيت ، وفيه سرير عليه من الفرش بمنزلة سبعين غرفة من غرف الدنيا ، فإذا جلس واشتهى الثمرة سارت إليه الثمرة حتى يأكل منها، أو يذهب به سريره حتى يأكل منها ، وهذا كله ثواب المتقين الذين يتقون شرب الخمر والفواحش .

قال : ويساق أهل النار إلى النار ، فإذا دنوا منها فتحت أبوابها ، فاستقبلتهم الملائكة بمقامع الحديد ، فإذا دخلوا النار لم يبق منهم عضو إلا لزمه عذاب ، إما حية تنهشه ، أو نار تسفعه ، أو ملك يضربه ، فإذا ضربه الملك هوى فى النار مقدار أربعين عامًا لا يبلغ قرارها ، ثم يرفعه الله ويضربه الملك فيهوى فى النار ، فإذا بدا برأسه ضربه الأخرى ، وهو قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ٥٦] قال وبلغنا أنهم يبدلون كل يوم سبعين مرة ، فإذا عطش نادى بالشراب ، فيؤتى بالحميم ، فإذا دنا من وجهه سقط لحم وجهه ثم يدخل فى فيه فيسقط أضراسه ولثاته ، ثم يدخل بطنه فيقطع أمعاءه وينضج جلده لقوله عز جل : ﴿يصهر بها ما في بطونهم والجلود﴾ يعنى : يذاب ما فى بطونهم والجلود ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج : ٢٠ ، ٢١] فيعذبون ما شاء الله أن يعذبهم ثم يدعو خزنة جهنم ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٩] فلا يجيبونهم ، ثم يدعون مالكًا أربعين عامًا فلا يجيبهم ، فيقولون : قد دعونا الخزنة ، ودعونا مالكًا فلم يجب ، هلموا فلنجزع . فيجزعون فلا يغنى عنهم ، ثم يقولون : هلموا فلنصبر . فيصبرون فلا يغنى عنهم ، فيقولون : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم : ٢١] فهذا العذاب للكفار ، لكن المسلم إذا شرب الخمر ، وجرى على لسانه كلمة الكفر ، يخاف أن يزول عنه الإيمان عند موته ، فيصير من جملة الكافرين . فينبغى للمسلم أن يمتنع من شرب الخمر ، وينقطع عمن يشربها ، فإنه إذا خالط شارب الخمر ، يخاف عليه أن يصيبه من غباره ، وينبغى أن يتفكر فى هول يوم القيامة ، فإن من تفكر فى هول يوم القيامة ، فلا يميل قلبه إلى شرب الخمر ، ولا إلى صحبة شارب الخمر . وروى عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه قال : بلغنا أن العبد إذا شرب شربة من الخمر اسود قلبه ، فإذا شرب الثانية تبرأت منه الحفظة ، فإذا شرب الثالثة تبرأ منه ملك الموت ، فإذا شرب الرابعة تبرأ منه النبى ﷺ فإذا شرب الخامسة تبرأ منه أصحاب النبى ﷺ وفى السادسة تبرأ منه جبريل عليه السلام ، وفى السابعة تبرأ منه إسرافيل عليه السلام ، وفى الثامنة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام ، وفى التاسعة تبرأت منه السموات ، وفى العاشرة تبرأت منه الأرض ، وفى الحادية عشرة تبرأت منه حيتان البحر ، وفى الثانية عشرة تبرأ منه الشمس والقمر ، وفى الثالثة عشرة تبرأت منه كواكب السماء ، وفى الرابعة

عشرة تبرأت منه الخلائق ، وفى الخامسة عشرة أغلق عليه أبواب الجنان ، وفى السادسة عشرة فتحت عليه أبواب النيران ، وفى السابعة عشرة تبرأت منه حملة العرش ، وفى الثامنة عشرة تبرأ منه الكرسى ، وفى التاسعة عشرة تبرأ منه العرش ، ، فإذا شرب العشرين تبرأ منه الجبار تبارك وتعالى .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا منصور بن جعفر - وهو أبو نصر الدبوسى بسمرقند - حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا على بن عاصم عن عبيد الله بن عثمان عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من شرب الخمر فجعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاته سبعًا ، فإن هى أذهبت عقله لم تقبل صلاته أربعين يومًا ، وإن مات مات كافرًا ، وإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال**» . يعنى : من صديد أهل النار [١] .

وفى خبر آخر أنه إذا شرب الخمر مرة لم تقبل صلاته ولا صومه ولا سائر عمله أربعين يومًا . وإذا شرب الثانية لا يقبل الله صلاته ولا صومه ولا سائر عمله ثمانين يومًا ، وإذا شرب الثالثة فإلى مائة وعشرين يومًا ، فإذا شرب الرابعة فاقتلوه فإنه كافر ، وحق على الله أن يسقيه من طينة الخبال . قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : «صديد أهل النار» [٢] .

وروى فى خبر آخر أنه قال : «**إن الذنوب والخطايا جعلت كلها فى بيت واحد وجعل مفتاحه شرب الخمر**» [٣] . يعنى : إذا شرب الخمر فتح على نفسه أبواب الخطايا كلها . وروى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه قال : من زوج كريمته من شارب الخمر فكأنما ساقها إلى الزنا . ومعناه : أن شارب الخمر إذا سكر كثر كلامه فى الطلاق فقد حرمت عليه امرأته وهو لا يشعر . ويقال : إن شارب الخمر شبيه بعبدة الأوثان ، لأن الله تعالى سمى الخمر رجسًا وأمر بالاجتناب عنها ، وهو قوله عز وجل : ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة : ٩٠] كما قال : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج : ٣٠] .

وروى طلحة بن مطرف عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن من شربها نهارًا أشرك بالله تعالى حتى يمسى وإن شربها ليلاً أشرك بالله تعالى حتى يصبح . وروى عنه أنه قال : إذا مات شاربها فادفنوه واحبسونى ، ثم انبشوا قبره فإن لم تجدوه مصروفًا عن القبلة فاقتلونى .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**بعثنى الله تعالى هدى**

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢٧٦٤٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٦٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد حسن حديثه وبقية رجال أحمد ثقات .

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (١٨٦٢) من حديث عبد الله بن عمر .

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه بنحوه، حديث (٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء . انظر صحيح ابن ماجه .

ورحمة للعالمين ، وبعثنى لأمحو المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان ، وحلف ربى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى الخمر فى الدنيا إلا حرمتها عليه يوم القيامة ، ولا يتركها عبد من عبيدى إلا سقيته من حظيرة القدس»(١) .

قال أوس بن سمعان : والذى بعثك بالحق ، إنى لأجدها فى التوراة محرمة خمسًا وعشرين مرة ، ويل لشارب الخمر وحق على الله أن لا يشربها عبد من عبيده فى الدنيا إلا سقاه الله من طينة الخبال .

وروى مالك عن محمد بن المنكدر أنه قال : يقول الله تعالى - يعنى : يوم القيامة - : **«أين الذين ينزهون أنفسهم وأسماعهم فى الدنيا عن الله ومزامير الشيطان ؟ اجعلوهم فى رياض المسك . ثم يقول للملائكة : أسمعوهم صوت حمدى وثنائى ، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**(٢) .

وروى عن أبى وائل عن شقيق بن سلمة أنه دُعى إلى وليمة فرأى فيها لعابين فرجع . ثم سمعت ابن مسعود يقول : إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل(٣) .

وروى عطاء بن السائب عن عبد الرحمن السلمى قال : شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ معاوية بن أبى سفيان وقالوا : هى لنا حلال ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة : ٩٣] الآية ، فكتب فيهم إلى عمر رضى الله تعالى عنه بذلك . وكتب عمر أن ابعثهم إلى قبل أن يفسدوا من قبلك .

فلما قدموا على عمر رضى الله تعالى عنه جمع لهم أصحاب رسول الله ﷺ فشاورهم فى ذلك فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنهم افتروا على الله ، وشرعوا فى دينه ما لم يأذن به الله ، فاضرب أعناقهم ، وعلى رضى الله تعالى عنه ساكت فى القوم .

قال : قال لعلى : ما ترى ؟ قال : أرى أن تستتيبهم ، فإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم ، وإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة .

فاستتابهم فتابوا فضربهم ثمانين جلدة(٤) .

وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إنه قال : لما نزلت آية تحريم الخمر قالوا : فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فنزل قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة : ٩٣] الآية : يعنى : لا إثم على الذين شربوا قبل التحريم(٥) . والله أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥١) .
(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (٤٩٢٧)، انظر ضعيف أبي داود .
(٤) انظر الدر المنثور (٣/ ١٧٤) .
(٥) أخرجه الحاكم، حديث (٧٢٢٥)، والبيهقي في الشعب، حديث (٥٦١٧) .

١٦ -باب الزجر عن الكذب

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١) .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر .

قال عبد الله رضى الله تعالى عنه : وأنزل الله تعالى تصديق ذلك فى كتابه قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥] إلى قوله ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧](٢) .

قال : حدثنا أبو القاسم بن محمد بن مردويه وحدثنا عيسى بن خشنام الثورى حدثنا سويد عن مالك : أنه بلغه أنه قيل للقمان الحكيم : ما بلغ بك ما نرى ؟ قال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني (٣) .

قال : حدثنا أبو القاسم عيسى حدثنا سويد عن مالك عن صفوان بن سليم أنه قال : قيل : يا رسول الله ، أيكون المؤمن جبانًا ؟ قال : «**نعم**» . فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : «**نعم**». قيل له : أيكون المؤمن كذابًا ؟ قال : «**لا**» (٤) .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمر عن المطلب بن حنطب عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم**» (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٩٤)، ومسلم، حديث (٢٦٠٧) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة حديث (٢٥٦١١)، وذكره الهيثمي في المجمع (١/١٠٨)، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه مالك، حديث (١٧٩٣) .

(٤) أخرجه مالك، حديث (١٧٩٥)، والبيهقي، حديث (٤٨١٢) .

(٥) حسن: أخرجه أحمد، حديث (٢٢٨٠٩)، والحاكم، حديث (٨٠٦٦)، وانظر صحيح الجامع، حديث (١٠١٨) .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : قد جمع النبى ﷺ جميع الخيرات فى هذه الأشياء وهى ستة : أولها قال : **«اصدقوا إذا حدثتم»** فقد دخل فيه كلمة التوحيد وغيرها . يعنى : إذا شهد أن لا إله إلا الله يكون قوله صادقًا من نفسه، ويكون صادقًا فى حديثه مع الناس وقوله : **«وأوفوا إذا وعدتم»** . يعنى : الوعد الذى بينه وبين الله تعالى ، والوعد الذى بينه وبين الناس ، فأما الوعد الذى بينه وبين الله تعالى فإنه يثبت على إيمانه إلى الموت ، وأما الذى بينه وبين الناس فهو أن يفى بجميع ما وعدهم . وقوله : **«وأدّوا إذا ائتمنتم»** . فالأمانة على وجهين : أحدهما : بينه وبين الله تعالى . والآخر : بينه وبين الناس . فأما الذى بينه وبين الله تعالى فهى الفرائض التى افترضها الله على عباده ، وهى أمانة الله عنده ، فوجب عليه أن يؤديها فى وقتها . وأما الأمانة بينه وبين الناس فهو أن يأتمنه رجل على ماله أو على قول أو على غير ذلك ، فيجب عليه أن يفى بأمانته . وقوله : «واحفظوا فروجكم» . فالحفظ على وجهين : أحدهما : أن يحفظ فرجه عن الحرام والشبهة . والثاني : أن يحفظ فرجه حتى لا يقع بصر أحد عليه ؛ لأن النبى ﷺ قال : **«لعن الله الناظر والمنظور إليه»**[1] .

فالواجب على المسلم أن يتعاهد نفسه فى وقت الاستنجاء ؛ لكيلا ينظر إليه من لا يحل له النظر إليه من الرجال والنساء . وقوله : **«وغضوا أبصاركم»** . يعنى : غضو أبصاركم عن عورات الناس، وعن النظر إلى محاسن المرأة التى لا يحل لكم النظر إليها ، وعن النظر إلى الدنيا بعين الرغبة كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه : ١٣١]

وقوله : «وكفوا أيديكم» . أى : عن الحرام من الأموال وغير ذلك .

وروى عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن الرجل كان يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقًا ، وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات[2] .

يعنى : الرجل إذا كان يكذب كان ذلك دليلًا على نفاقه . فالواجب على المسلم أن يمنع نفسه من علامات المنافقين ؛ فإن الرجل إذا تعود الكذب يكتب عند الله منافقًا ، ويكون عليه وزره ووزر من اقتدى به .

قال : حدثنا أبو منصور بن عبد الله الفرائضى بسمرقند بإسناده عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة أقبل علينا بوجهه فقال لأصحابه : **«هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟»** فيقص عليه ما شاء الله أن يقص رؤياه عليه ، وإنه قال لنا ذات غداة : **«هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ؟»** فقلنا : لا قال : **«لكنى أنا رأيت الليلة، إنه أتانى اثنان وإنهما أخذا بيدى فقالا لي: انطلق. فانطلقت معهما**

(١) أخرجه الديلمي، حديث (٥٤٤١)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٢٥) من حديث ابن عمر .

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٢٣٣٢٦)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩٧)، وقال : رواه أحمد وفيه أبو الرقاد الجهني ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

فأخرجانى إلى أرض مستوية فأتينا على رجل مضطجع وآخر قائم عليه بصخرة ، فإذا هو يهوى بالصخرة على رأسه فيثلغ بها رأسه فيتدهده الحجر، فيتبعه ويأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان فيعود عليه بمثل ذلك ، فقلت : سبحان الله ما هذا؟ فقالا : لى : انطلق . فانطلقت معهما حتى أتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم عليه بكلّوب من حديد ، فإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشق شدقه حتى يبلغ إلى قفاه ومنخره ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فلا يفرغ منه حتى يصح الجانب الأول كما كان ، فيعود إليه فيفعل به مثل ذلك . قال: قلت : سبحان الله ما هذا ؟ قالا لى : انطلق . فانطلقت حتى انتهينا على بناء رأسه مثل التنور وأسفله واسع . قال : فاطلعت فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أوقد ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها فلما جاءهم ذلك اللهب صوتوا» - يعنى : صاحوا - «فقلت : سبحان الله ما هؤلاء ؟ قالا لى : انطلق . فانطلقنا حتى أتينا على نهر معترض فيه ماء أحمر مثل الدم ، فإذا فيه رجل يسبح ، وإذا على شاطئ النهر رجل قد جمع حجارة كثيرة ، قال : فيأتيه السابح فيفغر»- أى : يفتح - «له فاه فيلقمه حجرًا. قال : قلت : سبحان الله ما هذا ؟ قالا لى : انطلق . فأتينا على رجل فإذا هو حوله نار عظيمة يهشها ويسعى حولها، فقلت: سبحان الله ما هذا؟ فقالا لى : انطلق . فانطلقنا فأتينا على روضة فيها من كل نور الربيع ، فإذا بين ظهرانى الروضة رجل طويل ، وإذا حول ذلك الرجل ولدان كثيرة من أكثر ما رأيتم قط ، فقلت : سبحان الله ما هذا ؟ قالا لي: انطلق . فانطلقنا حتى انتهينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة أعظم ولا أحسن منها ، فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن من ذهب ولبن من فضة ، فاستفتحنا باب المدينة ففتح لنا فدخلنا فيها ، فأخرجانى منها فأدخلانى دارًا هى أحسن منها وأفضل ، فبينما أصعد بصرى فإذا قصر أبيض كأنه ربابة بيضاء . قالا : ذلك منزلك . قلت : ألا أدخله ؟ قالا : أما الآن فلا وأنت داخله ، ثم قلت : إنى رأيت هذه الليلة عجبًا فما الذى رأيته ؟ قالا: أما الأول الذى رأيته يثلغ رأسه بالحجر فإنه رجل يأخذ القرآن ثم يرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الذى يشق شدقه إلى قفاه فإنه رجل يخرج من بيته فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق . وأما الذى رأيته مثل التنور فإنهم الزناة والزوانى . وأما الذى يسبح فى البحر فهو آكل الربا . وأما الذى يسعى حول النار فإنه مالك خازن النار» - أى : جهنم - . «وأما الرجل الطويل الذى رأيته فى الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام . وأما الولدان الذين حوله فكل مولود ولد على الفطرة . وأما الدار التى دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين . وأما الدار الأخرى فدار الشهداء. وأنا جبريل وهذا ميكائيل» . فقال رجل : وأولاد المشركين؟ قال : «وأولاد المشركين أيضًا يكونون عند إبراهيم عليه الصلاة والسلام»[١] .

وقد جاء فى أطفال المشركين أخبار مختلفة . قال بعضهم : يكونون خدمًا لأهل الجنة ، وبعضهم : من أهل النار ، والله تعالى أعلم .

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٧٠٤٧).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبو جعفر حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو حذيفة بالبصرة حدثنا سفيان حدثنا عبد الرحمن بن عباس قال: حدثنى ناس من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: أصدق الحديث كلام الله، وأشرف الحديث ذكر الله، وشر العمى عمى القلب، وما قل وكفى خير مما أكثر وألهي، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوي، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب [١] .

قال: حدثنا محمد ابن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان بن أبى حصين يبلغ به إلى النبى ﷺ قال: **«الكذب لا يصلح إلا فى ثلاث: فى الحرب؛ لأن الحرب خدعة، والرجل يصلح به بين اثنين، والرجل يصلح به بينه وبين امرأته»** [٢] .

وروى عن بعض التابعين أنه قال: اعلم أن الصدق زين الأولياء، وأن الكذب علامة الأشقياء كما بين الله تعالى فى كتابه قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله كونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] وقد ذم الكاذبين ولعنهم فقال عز من قائل: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الذاريات: ١٠] يعنى: لُعن الكذابون. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

١٧ - باب الغيبة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: **«أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله رسوله أعلم. قال: **«إذا ذكرت أخاك بما يكره فقد اغتبته»**. قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»** [٣] . يعنى: قلت فيه بهتانًا.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: ذكر عن بعض المتقدمين أنه قال: لو قلت إن فلانًا ثوبه قصير أو ثوبه طويل يكون غيبة، فكيف إذا ذكرت عن نفسه.

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا يحيى بن سليم عن سلمان القاضى عن محمد بن الفضيل العابد عن ابن أبى نجيح قال: بلغنا أن امرأة قصيرة دخلت على النبى ﷺ فلما خرجت قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: ما أقصرها! فقال النبى ﷺ:

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٨).
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (١٩٣٩)، انظر صحيح الترمذي.
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٩)، والترمذي، حديث (١٩٣٤).

«اغتبتها» . قالت عائشة : ما قلت إلا ما فيها . قال : «ذكرتِ أقبح ما فيها» [١] .

قال : حدثنا محمد بن الفضيل حدثنا محمد بن جعفر عن إبراهيم حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء عن أبى محمد الجمانى عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : **«ليلة أُسرى بى إلى السماء مررت بقوم يقطع اللحم من جنوبهم، ثم يلقمونه ، ثم يقال لهم: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم.فقلت: يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك الهمازون اللمازون»** [٢] . يعنى : المغتابين .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى يحكى قال : كان النبى ﷺ فى المنزل وأصحابه فى المسجد من أهل الصفة ، وزيد بن ثابت يحدثهم بما سمع من النبى ﷺ من الأحاديث ، فأتى النبى ﷺ بلحم ، فقالوا لزيد بن ثابت : ادخل على النبى ﷺ وقل : إنا لم نأكل اللحم منذ كذا وكذا لكى يبعث إلينا بشيء من ذلك اللحم . فلما قام زيد بن ثابت من عندهم قالوا فيما بينهم : إن زيدًا قد لقى النبى ﷺ مثل ما لقينا فكيف يجلس ويحدثنا ؟ فلما دخل زيد على النبى ﷺ وأدّى الرسالة قال النبى ﷺ : **«قل لهم : قد أكلتم اللحم الآن»** . فرجع إليهم وأخبرهم به ، قالوا : والله ما أكلنا اللحم منذ كذا . فرجع إليه وأخبره فقال : **«إنهم قد أكلوا الآن»** . فرجع إليهم وأخبرهم ، فقاموا فدخلوا على النبى ﷺ فقال لهم : **«الآن قد أكلتم لحم أخيكم ، وأثر اللحم فى أسنانكم ، فابزقوا حتى تروا حمرة اللحم»** . فبزقوا الدم فتابوا ورجعوا عن ذلك واعتذروا إليه وقالوا : ما أردنا بذلك الكلام إلا خيرا [٣] .

وروى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ : **«إن ناسًا من المنافقين قد اغتابوا أناسًا من المسلمين ، فلذلك هاجت هذه الريح المنتنة»** [٤] .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحكمة فى أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين فى يومنا هذا ؟ قال : لأن الغيبة قد كثرت فى يومنا فامتلأت الأنوف منها فلم تتبين الرائحة وهى النتن ، ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام ويشربون الشراب ولا تتبين لهم الرائحة ؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها ، كذلك أمر الغيبة فى يومنا هذا .

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢٥٠٩٣)، وهناد في الزهد، حديث (١١٩٠).
(٢) أخرجه بنحوه أبو داود، حديث (٤٨٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٧١) .
(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١)، والبخاري في الأدب المفرد، حديث (٧٣٤)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ٩١)، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

وروى أسباط عن السدى قال : كان سلمان الفارسى فى سفر مع أناس وفيهم عمر رضى الله تعالى عنه ، فنزلوا منزلاً فضربوا خيامهم وصنعوا طعامهم ونام سلمان ، فقال بعض القوم : ما يريد هذا العبد إلا أن يجيء إلى خيام مضروبة وطعام مصنوع ؟ ثم قالوا بعد ذلك لسلمان : انطلق إلى النبى ﷺ فالتمس لنا إدامًا نأتدم به . فأتى النبى ﷺ فأخبره ، فقال النبى ﷺ : «**أخبرهم أنهم قد ائتدموا**» فأخبرهم بذلك فقالوا : ما طعمنا بعد ، وما كذب النبى ﷺ عليكم فأتوه ؟ فقال لهم النبى ﷺ : «**قد ائتدمتم من صاحبكم حين قلتم ما قلتم وهو نائم**» . ثم قرأ عليهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (١) يعنى : معصية .

قال سفيان : الظن ظنان : ظن فيه إثم وظن ليس فيه إثم ، فأما الظن الذى فيه إثم فالذى يتكلم به ، وأما الظن الذى ليس فيه إثم فما يضمره ولا يتكلم به : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ يقول : ولا تطلبوا عيبَ أخيكم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات : ١٢] يعنى : كما تكرهون أكل لحم أخيكم ميتًا فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء غائبًا .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هذه الآية ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ قال : نزلت فى رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك أن النبى ﷺ ضم مع كل رجلين غنيين فى السفر رجلاً من أصحابه قليل الشيء ؛ ليصيب معهما من طعامهما ، ويتقدمهما فى المنازل ، ويهيئ لهما المنزل وما يصلح لهما ، وقد كان ضم سلمان إلى رجلين ، فنزل منزلاً من المنازل ذات يوم ولم يهيئ لهما شيئًا ، فقالا له : اذهب إلى النبى ﷺ فسل لنا فضل إدام ، فانطلق فقال أحدهم لصاحبه حين غاب عنهما : إنه لو انتهى إلى بئر كذا لقل الماء . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وبلغه الرسالة قال النبى ﷺ : «**قل لهما : قد أكلتما الإدام**» . فأتاهما فأخبرهما فأتياه فقالا : ما أكلنا من إدام ؟ فقال : «**إنى لأرى حمرة اللحم فى أفواهكما**» . فقالا : لم يكن عندنا شيء ، وما أكلنا لحمًا اليوم ، فقال لهما : «**إنكما اغتبتما أخاكما**» . ثم قال لهما : «**أتحبان أن تأكلا لحمًا ميتًا ؟**» فقالا : لا ، فقال لهما : «**فكما كرهتما أن تأكلا لحمًا ميتًا فلا تغتابا ؛ فإنه من اغتاب أخاه فقد أكل لحمه**» . فنزلت ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ (٢) .

وروى عن الحسن البصرى أن رجلاً قال : إن فلانًا قد اغتابك . فبعث إليه طبقًا من الرطب وقال : بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى ؛ فإنى لا أقدر أن أكافئك بها على التمام . وذكر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه أضاف أناسًا ، فلما قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجلاً . قال إبراهيم : إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم ، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز . وذكر عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه أنه

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٧٠) .
(٢) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ٢٢٨) .

قال: إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها ،فيقول : يا رب من أين لى هذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر . وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه قال : يا مكذب بخلت بدنياك على أصدقائك ، وسخوت بآخرتك على أعدائك ، فلا أنت فيما بخلت به معذور، ولا أنت فيما سخوت به محمود .

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال : الغيبة فاكهة القراء ، وضيافة الفساق ، ومراتع النساء ، وإدام كلاب الناس ، ومزابل الأتقياء .

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**أربع يفطرن الصائم وينقضن الوضوء ويهدمن العمل : الغيبة ، والكذب ، والنميمة ، والنظر إلى محاسن المرأة التى لا يحل له النظر إليها ، وهن يسقين أصول الشر كما يسقى الماء أصول الشجر ، وشرب الخمر يعلو الخطايا**»(١) .

قال كعب الأحبار : قرأت فى كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن من مات تائبًا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصرًا عليها كان أول من يدخل النار . وذكر عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحابه : أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم قد كشفت الريح عن بعض عورته كنتم تسترون عليه ؟ قالوا: نعم ، قال : بل كنتم تكشفون البقية . قالوا : سبحان الله كيف نكشف البقية ؟ قال : أليس يذكر عندكم الرجل فتذكرونه بأسوأ ما فيه ، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته .

وروى خالد الربعى قال : كنت فى المسجد الجامع فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك فكفوا وأخذوا فى غيره ثم عادوا إليه ، فدخلت معهم فى شيء من أمره فرأيت تلك الليلة فى المنام كأنى أتانى رجل أسود طويل ، ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير ، فقال لى : كُل . فقلت: آكل لحم الخنزير ، والله لا آكله ، فانتهرنى انتهارًا شديدًا ،وقال : قد أكلت ما هو شر منه . فجعل يدسه فى فمى حتى استيقظت من منامى ، فوالله لقد مكثت ثلاثين يومًا ، أو أربعين يومًا ما أكلت طعامًا إلا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه فى فمى(٢) .

قال سفيان بن الحصين : كنت جالسًا عند إياس بن معاوية فمرّ رجل فنلت منه فقال : اسكت ، ثم قال لى سفيان : هل غزوت الروم ؟ قلت : لا . قال: هل غزوت الترك ؟ قلت : لا قال: سلم منك الروم وسلم منك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم . قال فما عدت إلى ذلك بعد . وروى عن حاتم الزاهد رحمه الله تعالى قال : ثلاثة إذا كن فى مجلس فالرحمة عنهم مصروفة : ذكر الدنيا والضحك والوقيعة فى الناس . وعن يحيى بن معاذ الرازى قال : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين : أحدها : أنك إن لم تنفعه فلا تضره . والثانى : إن لم تسره فلا

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩)، وأوره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٠٦)، وقال: موضوع.
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٩).

تغمه . والثالث : إن لم تمدحه فلا تذمه . وذكر عن مجاهد أنه قال : إن لابن آدم جلساء من الملائكة ، فإذا ذكر أحدهم أخاه بخير قالت الملائكة له : ولك مثله ، وإذا ذكر أحدهم أخاه بسوء قالت الملائكة : يا ابن آدم كشفت المستور عليه عورته ، ارجع إلى نفسك واحمد الله الذى ستر عليك عورتك . وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعى إلى طعام فلما جلس قالوا : إن فلانًا لم يجئ . فقال رجل منهم : إن فلانًا رجل ثقيل . فقال إبراهيم : إنما فعل هذا بى بطنى حين شهدت طعامًا اغتبت فيه مسلمًا . فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام . قال بعض الحكماء : إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث : إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر ، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فأمسك عنهم ضرك ، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس .

وذكر عن وهب المكى أنه قال : لأن أدع الغيبة أحب إلى من أن تكون لى الدنيا وما فيها منذ خلقت إلى أن تفنى فأجعلها فى سبيل الله تعالى، ولأن أغض بصرى عما حرم الله تعالى أحب إلى من أن تكون لى الدنيا وما فيها فأجعلها فى سبيل الله تعالى، ثم تلا قوله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] وتلا قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور : ٣٠] الآية.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : قد تكلم الناس فى توبة المغتاب هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه ؟ قال بعضهم : يجوز .

وقال بعضهم : لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه .

وهو عندنا على وجهين : إن كان ذلك القول قد بلغ إلى الذى اغتابه فتوبته أن يستحل منه ، وإن لم يبلغ فليستغفر الله تعالى ويضمر أن لا يعود إلى مثله . وروى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال : إنى اغتبتك فاجعلنى فى حل ؟ فقال : وكيف أحل ما حرم الله ؟ فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى مع استحلاله منه ، فإن لم تبلغ إلى صاحبه تلك الغيبة فتوبته أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه، ولا يخبر صاحبه ، فهو أحسن لكيلا يشتغل قلبه به ، ولو أنه قال بهتانًا لم يكن ذلك فيه فإنه يحتاج إلى التوبة فى ثلاثة مواضع : أحدها : أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول : إنى قد ذكرت عندكم فلانًا بكذا وكذا فاعلموا أنى كاذب فى ذلك . والثانى : أن يذهب إلى الذى قال عليه البهتان ويطلب منه أن يجعله فى حل . والثالث : أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه فليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان ، فإن سائر الذنوب يحتاج إلى توبة واحدة، والبهتان يحتاج إلى التوبة فى ثلاثة مواضع ، وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر فقال تعالي : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج : ٣٠] .

ويقال : لا تكون الغيبة إلا فى قوم معلومين حتى لو ذكر أهل مصر من الأمصار فقال : هم بخلاء أو قوم سوء لا يكون غيبة؛ لأن فيهم البر والفاجر ، وعلم أنه لم يرد به الجميع والكف عن ذلك أفضل .

وذكر عن بعض الزهاد أنه اشترى قطنًا لامرأته فقالت المرأة إن باعة القطن قوم سوء قد خانوك فى هذا القطن . فطلق الرجل امرأته ، فسئل عن ذلك فقال : إنى رجل غيور ، فأخاف أن يكون القطانون كلهم خصماءها يوم القيامة ، فيقال : إن امرأة فلان تعلق بها القطانون . فلأجل ذلك طلقتها . وقال : ثلاثة لا تكون غيبتهم غيبة : سلطان جائر ، وفاسق معلن ، وصاحب بدعة ، يعنى : إذا ذكر فعلهم ومذهبهم ولو ذكر شيئًا من أبدانهم بعيب فيهم لكان ذلك غيبة ، ولكن إذا ذكر فعلهم ومذهبهم فلا بأس؛ لكى يحذرهم الناس .

قال الفقيه رضى الله تعالى عنه : الغيبة على أربعة أوجه : فى وجه هى كفر ، وفى وجه هى نفاق ، وفى وجه هى معصية ، والرابع مباح وهو مأجور . فأما الوجه الذى هو كفر : فهو أن يغتاب المسلم فيقال له : لا تغتب . فيقول : ليس هذا غيبة وأنا صادق فى ذلك . فقد استحل ما حرم الله تعالى ومن استحل ما حرم الله تعالى صار كافرًا نعوذ بالله .

وأما الوجه الذى هو نفاق : فهو أن يغتاب إنسانًا فلا يسميه عند من يعرف أنه يريد منه فلانًا فهو يغتابه، ويرى من نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق .

وأما الذى هو معصية : فهو أن يغتاب إنسانًا ويسميه ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة . والرابع : أن يغتاب فاسقًا معلنًا بفسقه أو صاحب بدعة فهو مأجور؛ لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**اذكروا الفاجر بما فيه لكى يحذره الناس**»[1] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : سمعت أبى يحكى أن الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين عليهم الصلاة والسلام ، بعضهم كانوا يرون فى المنام ، وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئًا ، وكان نبى من الأنبياء ممن يرى فى المنام رأى ذات ليلة فى المنام قيل له : إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثانى اكتمه ، والثالث اقبله ، والرابع لا تؤيسه ،والخامس اهرب منه . فلما أصبح كان أوّل شيء استقبله جبل أسود عظيم فوقف وتحير وقال : أمرنى ربى أن آكله، أآكل هذا ؟ ثم رجع إلى نفسه وقال : إن ربى لا يأمرنى بما لا أطيق ، فلما عزم على أكله ومشى إليه ليأكله ، فكلما دنا منه صغر ذلك الجبل، فلما انتهى إليه وجده لقمة أحلى من العسل ، فأكله وحمد الله تعالى ، ومضى فاستقبله طست من ذهب وقال : أمرت بأن أكتمه . فحفر بئرًا فى الأرض ودفنه فيها ومضى ، والتفت فإذا الطست فوق الأرض ، فرجع مرتين أو ثلاثًا وهو يدفنه فيها ومضي، فالتفت فإذا هو على وجه الأرض، قال : إنى فعلت ما أمرت به ، فذهب فاستقبله طائر خلفه بازى يريد أن يأخذه فقال : يا نبى الله أغثني . فقبله وجعله فى كمه فجاء البازى فقال : يا نبى الله إنى كنت جائعًا

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٠)، في إسناده الجارود بن يزيد، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧٨٠): قال العقيلي: ليس له من حديث بهز أصل، ولا من حديث غيره، ولا يتابع عليه الجارود من طريق يثبت: والجارود متروك.

وإني كنت فى طلب هذا الصيد منذ الغداة حتى أردت أن آخذه فلا تؤيسنى من رزقى ، فقال فى نفسه : إنى قد أمرت أن أقبل الثالث وقد قبلته ،وقد أمرت أن لا أويس الرابع والرابع هذا البازى فكيف أصنع ؟ فلما تحير فى ذلك أخذ السكين ، وقطع من فخذ نفسه قطعة من لحم فرمى بها إلى البازى حتى أخذها ومضي، ثم أرسل الطائر ومضي، فرأى الخامس جيفة منتنة فهرب،فلما أمسى قال : يا رب إنى قد فعلت ما أمرتني، فبين لى ما كان من أمر هذه الأشياء . فرأى فى منامه أنه قيل له : أما الأول الذى أكلته : فهو الغضب ، يكون فى الأول كالجبل ، وهو فى آخره إذا صبر وكظم غيظه أحلى من العسل . والثانى : فهو من عمل حسنة فإن كتمه فإنه يظهر . والثالث : من ائتمنك بأمانة فلا تخنه . وأما الرابع : فإذا سألك إنسان حاجة فاجتهد فى قضائها وإن كنت محتاجًا إليها . والخامس : الغيبة فاهرب من الذين يغتابون الناس ، والله تعالى أعلم .

١٨ - باب النميمة

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا أبو جعفر الديبلى حدثنا أبو عبد الله حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يدخل الجنة قتات**»(١) . يعنى : النمام .

قال : حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا أبو جعفر الديبلى حدثنا أبو عبد الله حدثنا سفيان عن أبى الوداك عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**هل تدرون من شراركم ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**شراركم ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**»(٢) .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مر النبى ﷺ بقبرين جديدين فقال : «**إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، فأما أحدهما فكان لا يتنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**» ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين وغرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ فقال : «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٣) .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قوله : «**ما يعذبان فى كبير**» . يعنى : ليس بكبيرة عندكم ولكنه كبيرة عند الله . الا نرى أنه ذكر فى خبر أبى هريرة أن النمام شر الناس عند الله وقد ذكر فى حديث حذيفة أنه لا يدخل الجنة قتات . يعنى : النمام . فإذا لم يدخل الجنة لم يكن مأواه إلا النار ؛ لأنه ليس هناك إلا الجنة أو النار ، فإذا ثبت أنه لا يدخل الجنة ثبت أن مأواه النار . فالواجب

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٥٦)، ومسلم، حديث (١٠٥).
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٥٨)، ومسلم، حديث (٢٥٢٦).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (١٣٧٨)، ومسلم، حديث (٢٩٢).

على النمّام أن يتوب إلى الله تعالى ؛ فإن النمّام ذليل فى الدنيا ، وهو فى عذاب القبر بعد موته ، وهو فى النار يوم القيامة آيس من رحمة الله تعالي، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه .

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**» [(١)] ، و«**من كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله تعالى يجعل له يوم القيامة لسانين من النار**» [(٢)].

وروى عن قتادة أنه قال : كان يقال : من شر عباد الله كل طعان لعان نمام، وكان يقال : عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من البول، وثلث من النميمة . وروى عن حماد ابن سلمة أنه قال : باع رجل غلامًا فقال للمشترى : ليس فيه عيب إلا أنه نمام . فاستخفه المشترى فاشتراه على ذلك العيب، فمكث الغلام عنده إيامًا ثم قال لزوجة مولاه : إن زوجك لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك ، أفتريدين أن يعطف عليك ؟ قالت : نعم . قال لها : خذى الموسى واحلقى شعرات من باطن لحيته إذا نام . ثم جاء إلى الزوج وقال : إن امرأتك تخادنت - يعنى : اتخذت خليلًا -، وهى قاتلتك، أتريد أن يتبين لك ذلك ؟ قال : نعم . قال : فتناوم لها . فتناوم الرجل ، فجاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات ، فظن الزوج أنها تريد قتله ، فأخذه منها الموسى فقتلها ، فجاء أولياؤها فقتلوه ، فجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين .

وقال يحيى بن أكثم : النمام شر من الساحر ، ويعمل النمام فى ساعة ما لا يعمل الساحر فى شهر . ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان ؛ لأن عمل الشيطان بالخيال والوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة ، وقد قال الله تعالى : ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد : ٤] قال أكثر المفسرين : إن الحطب أراد به النميمة ، وإنما سميت النميمة حطبًا لأنها سبب العداوة والقتال فصار بمنزلة إيقاد النار .

وقال أكثم بن صيفى : الأذلاء أربعة : النمام ، والكذاب، والمديون ، واليتيم .

وروى عتبة بن أبى لبابة عن أبى عبيد الله القرشى قال : اتبع رجل رجلًا سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال : إنى جئتك للذى آتاك الله من العلم ، أخبرنى عن السماء وما أثقل منها ، وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الحجارة وما أقسى منها ، وعن النار وما أحر منها ، وعن الزمهرير وما أبرد منه ، وعن البحر وما أعمق منه ، وعن اليتيم وما أضعف منه .

وفى بعض الروايات : وعن السم وما أذعف منه؟ فقال : أما البهتان على البرئ فأثقل من السموات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أعمق من البحر ، والحرص فى الجسد أحر من النار ، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٤٨٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٧٠)، انظر صحيح أبي داود .

الحجر ، والنميمة إذا استبانت على صاحبها أضعف من كل يتيم ، يعنى النمام يصير ذليلاً إذا ظهر أمره .

وفى رواية أخرى : أذعف من كل سم يعنى : أهلك ، يقال : سم ذعاف إذا كان مهلكًا .

وروى عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لما خلق الله تعالى الجنة قال لها : تكلمى . قالت : سعد من دخلنى . فقال الجبار جل وعلا: وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصرّ على الزنى ، ولا نمام، ولا ديوث**» - وهو « القرطبان» - «**ولا الشرطى ، ولا المخنث ، ولا قاطع الرحم ، ولا الذى يقول: على عهد الله إن لم أفعل كذا أو كذا ثم لم يفِ به**»[1] .

وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال : من نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك . روى عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده رجلا فقال له عمر : إن شئت نظرنا فى أمرك ، إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات : ٦] وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ وإن شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إلى مثل ذلك . وروى عن عبد الله ابن المبارك أنه قال ولد الزنى لا يكتم الحديث ، وذو الحسب فى قومه لا يؤذى جاره - يعنى : الذى لا يكتم حديث الناس ويمشى بالنميمة فهو ولد زنى ، وإنه لو لم يكن ولد الزنى لكتم الحديث - وهذا مستخرج من قول الله تعالى ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١١-١٣] يعنى : الوليد بن المغيرة فإنه كان طعانًا يمشى بالنميمة ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ يعنى : يمنع الخير من الناس ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ يعنى : عاص فاجر ﴿عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ يعنى : من فيه هذا كله فهو دعى ، والدعيّ هو ولد الزنى ، هكذا قال بعض المفسرين .

وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض أصدقائه وذكر عنده بعض إخوانه ، فقال له الحكيم : قد أبطأت فى الزيارة وأتيتنى بثلاث جنايات : بَغَّضْتَ إليَّ أخى ، وشغلت قلبى الفارغ ، واتهمتَ نفسك بالمَيْن[2] .

وروى عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال : أصاب بنى إسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : إلهى ، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات فلم تستجب دعاءهم ، فأوحى الله تعالى بأنى لا أستجيب لك ولمن معك ؛ لأن فيكم رجلاً نمامًا قد أصر على النميمة ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : يا موسى ، أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا ، فتوبوا أجمعكم . فتابوا

(١) أورده العراقي في الإتحاف (٧/ ٥٦٣)، وقال: لم أجده هكذا بتمامه، وفيه من لم يسم.
(٢) يعني الكذب.

بأجمعهم فسقوا . وذكر أن سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين كان جالسًا وعنده الزهرى ، فجاء رجل فقال له سليمان : بلغنى أنك وقعت فى وقلت كذا وكذا ، فقال الرجل : ما فعلت وما قلت شيئًا فيك . فقال له سليمان : إن الذى أخبرنى كان صادقًا . فقال الزهرى رضى الله تعالى عنه : لا يكون النمام صدوقًا . قال سليمان : صدقت اذهب بسلامة . وقال بعض الحكماء : من أخبرك بشتم عن أخ ، فهو الشاتم لا من شتمك . وقال وهب ابن منبه رحمه الله تعالى : من مدحك بما ليس فيك ، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : إذا أتاك إنسان فأخبرك أن فلانًا قد فعل بك كذا وكذا ، وقال فيك كذا وكذا ، فإنه يجب عليك ستة أشياء :

أولها : أن لا تصدقه ؛ لأن النمام مردود الشهادة عند أهل الإسلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات : ٦]

يعنى : إن جاءكم فاسق بخبر فانظروا فى الأمر ، ولا تعجلوا ؛ لكى لا تصيبوا قومًا بجهالة .

والثانى : أن تنهاه عن ذلك ؛ لأن النهى عن المنكر واجب ؛ وقد قال الله تعالى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

والثالث : أن تبغضه فى الله تعالى ؛ فإنه عاص وبغض العاصى واجب ؛ لأن الله تعالى يبغضه .

والرابع : أن لا تظن بأخيك الغائب الظن السوء ؛ فإن إساءة الظن بالمسلم حرام ، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات : ١٢] .

والخامس : أن لا تجسس عن أمره ؛ فإن الله تعالى نهى عن التجسس ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات : ١٢] .

والسادس : ما لا ترضى من هذا النمام فلا تفعله أنت ، وهو أن لا تخبر أحدًا بما أتاك به هذا النمام . وبالله التوفيق .

١٩ - باب الحسد

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن الحسن أن النبى ﷺ قال : «**إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب**» [1].

وبهذا الإسناد قال إبراهيم بن علية عن عباد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن معاوية أن النبى ﷺ قال : «**ثلاثة لا ينجو منهن أحد : الظن والحسد والطيرة**» قيل : يا رسول الله ، وما ينجى منهن ؟ قال :

(١) أورده السيوطي في فيض القدير (٤/ ٤١٣)، «الغل»: الحقد.

«**إذا حسدت فلا تبغِ ، وإذا ظننت فلا تَحَقَّقْ ، وإذا تطيرت فامض**» - أو قال : «**لا ترجع**»[١] .

ومعنى قوله ﷺ : «**إذا حسدت فلا تبغ**» . يعنى : إذا كان الحسد فى قلبك فلا تظهره ولا تذكر عنه بسوء ، فإن الله تعالى لا يؤاخذك بما فى قلبك ما لم تقل باللسان أن تعمل عملاً فى ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام : «**إذا ظننت فلا تحقق**» . يعنى : إذا ظننت بالمسلم ظن السوء فلا تجعل ذلك حقيقة ما لم تَرَ بالمعاينة . وقوله عليه الصلاة والسلام : «**إذا تطيرت فامض**» . يعنى : إذا أردت الخروج إلى موضع فسمعت صوت هامة ، أو صوت عقعق ، أو اختلج شيء من أعضائك ، فامض ولا ترجع .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة .[٢]

وقال : «**الطيرة من أفعال الجاهلية**» . وفى نسخة : «**من أمور الجاهلية**» . كما قال الله تعالى ﴿قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل : ٤٧] وفى آية أخرى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس : ١٨] .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان يقول : « إذا سمعت صوت طير فقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ولاحول ولا قوة إلا بالله ، ثم امض فإنه لا يضرك شيء بإذن الله تعالي»[٣] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[٤] .

وروى عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه أنه قال لابنه : يا بنى ، إياك والحسد ، فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ليس شيء من الشر أضر من الحسد ؛ لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه : أولها : غم لا ينقطع . والثانى : مصيبة لا يؤجر عليها . والثالث : مذمة لا يحمد بها . والرابع : يسخط عليه الرب . والخامس : تغلق عليه أبواب التوفيق . وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ألا إن لنعم الله أعداء**» . قيل : مَن أعداء نعم الله يا رسول الله ؟ قال : «**الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله**»[٥] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ، من حديث (٣٢٢٧) من حديث حارثة بن النعمان، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٧٨)، وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٥٣٦)، انظر صحيح ابن ماجه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (٢٩٨٧٢).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٦٤)، ومسلم، حديث (٢٥٦٣).

(٥) أورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩٥)، وقال: في إسناده إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف ووثقه ابن حبان.

وروى عن مالك بن دينار أنه قال : إنى أجيز شهادة القراء على جميع الخلق ، ولا أجيز شهادة القراء بعضهم على بعض ؛ لأنى وجدتهم حسادًا . يعنى : أن أكثر الحسد فى القراء .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ستة بستة يدخلون النار يوم القيامة قبل الحساب**» [يعنى : ستة أصناف بسبب ستة أشياء يدخلون النار قبل الحساب] قيل : يا رسول الله ، من هم ؟ قال : «**الأمراء من بعدى بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهالة ، وأهل العلم بالحسد**» (١) . يعنى : العلماء الذين يطلبون الدنيا بحسد بعضهم بعضًا .

فينبغى للعالم أن يتعلم العلم ليطلب به الآخرة ، فإذا كان العالم يطلب بعلمه الآخرة فإنه لا يحسد أحدًا ولا يحسده أحد ، وإذا تعلم لطلب الدنيا فإنه يحسد كما قال الله تعالى عن علماء اليهود ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء : ٥٤] يعنى : إن اليهود كانوا يحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فكانوا يقولون : لو كان هو رسول الله ﷺ لشغله ذلك عن كثرة النساء . قال الله سبحانه وتعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعنى : النبوة وكثرة النساء . وقال بعض الحكماء : إياكم والحسد ؛ فإن الحسد أول ذنب عصى الله تعالى به فى السماء ، وأول ذنب عصى الله تعالى به فى الأرض ، وإنما أراد بقوله أول ذنب عصى الله تعالى به فى السماء يعنى : إبليس حين أبى أن يسجد لآدم وقال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف : ١٢] فحسده ، فلعنه الله تعالى بذلك ، وأما الذى عصى الله تعالى به فى الأرض فهو قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل حسدًا ، وهو قوله تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وروى عن الأحنف بن قيس أنه قال : لا راحة لحسود ، ولا وفاء لبخيل ، ولا صديق لملول ، ولا مروءة لكذوب ، ولا رأى لخائن ، ولا سؤدد لسيء الخلق .

وقال بعض الحكماء : ما رأيت ظالمًا أشبه بالمظلوم من الحاسد . وقال محمد بن سيرين : ما حسدت أحدًا قطّ على شيء من الدنيا ، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار .

وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم ، لم تحسد أخاك ؟ فإن الذى أعطاه الله لكرامته عليه ، فلم تحسد من أكرمه الله تعالى ؟ وإن يكن غير ذلك ، فلا ينبغى لك أن تحسد من مصيره إلى النار .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ثلاثة لا تستجاب دعوتهم : آكل الحرام ، ومكثار الغيبة ، ومَنْ كان فى قلبه غل أو حسد للمسلمين .

---

(١) أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ، بنحوه من حديث عثمان بن عفان .

وروى ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله تعالى القرآن وهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله تعالى مالا وهو ينفق منه آناء الليل والنهار»**[١].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: يعنى: أن يجتهد حتى يفعل مثل فعله فى قيام الليل، وفى الصدقة، فهذا الحسد محمود، فأما إذا حسده فى ذلك يريد زواله عنه فهو مذموم، وهكذا فى كل شيء، إذا رأى الإنسان مالاً أو شيئًا يعجبه فيتمنى أن يكون ذلك الشئ له فهو مذموم، وإن تمنى أن يكون له مثله فهو غير مذموم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقال فى آية أخرى ﴿وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] وهكذا ينبغى للمسلم أن لا يتمنى فضل غيره لنفسه، وينبغى أن يسأل الله تعالى أن يعطيه مثل ذلك. فالواجب على كل مسلم أن يمنع نفسه من الحسد؛ لأن الحاسد يضاد حكم الله تعالى، والناصح هو راض بحكم الله تعالي.

وقال النبى ﷺ: **«ألا إن الدين النصيحة»**[٢]. فينبغى للمسلم أن يكون راضيًا ناصحًا لجميع المسلمين ولا يكون حاسدًا.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل النبى ﷺ عن حق المسلم على المسلم فقال: **«حق المسلم على المسلم ستة أشياء»**. قيل: ما هى يا رسول الله؟ قال: **«إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»**[٣].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو همام النسفى حدثنا عيسى بن أحمد العسقلانى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو محمد الثقفى قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه يقول: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين، فكان أول ما علمنى قال: **«يا أنس، أحكم وضوءك لصلاتك تحبك حفظتك، ويزاد فى عمرك، يا أنس، اغتسل من الجنابة وبالغ فيها، فإن تحت كل شعرة جنابة»**. قال: قلت: يا رسول الله، وكيف أبالغ فيها؟ قال: **«رَوِّ أصول شعرك، وأنق بشرتك، تخرج من مغتسلك وقد غفر ذنبك، يا أنس، لا يفوتنك ركعتا الضحى؛ فإنها صلاة الأوابين، وأكثر الصلاة بالليل والنهار؛ فإنك ما دمت فى الصلاة فإن الملائكة يصلون عليك، يا أنس، وإذا قمت للصلاة فانصب نفسك لله تعالى، وإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، وفرج بين أصابعك، وارفع عضديك عن جنبيك، وإذا رفعت رأسك فقم حتى يعود كل عضو إلى مكانه، وإذا سجدت فألزق وجهك بالأرض، ولا تنقر نقر الغراب، ولا تبسط ذراعيك بسط الثعلب، وإذا رفعت رأسك من السجود فلا تقع كما يقعى الكلب، وضع أليتيك بين قدميك، وألزق ظاهر قدميك بالأرض، فإن الله تعالى لا ينظر إلى صلاة**

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٥٢٩)، ومسلم، حديث (٨١٥).
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٥٥).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (٢١٦٢).

لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وإن استطعت أن تكون على الوضوء فى يومك وليلتك فافعل ؛ فإنه إن يأتك الموت وأنت على ذلك لم تفتك الشهادة ، يا أنس ، إذا دخلت بيتك فسلم – يعنى : على أهل بيتك – تكثر بركتك وبركة بيتك ، وإذا خرجت لحاجة فلا يقعن بصرك على أحد من أهل قبلتك إلا سلمت عليه ؛ تدخل حلاوة الإيمان فى قلبك ، وإن أصبت ذنبًا فى مخرجك رجعت وقد غُفر لك ، يا أنس ، لا تبيتن ليلة ولا تصبحن يومًا وفى قلبك غش لأحد من أهل الإسلام ، فإن هذا من سنتى ، ومن أخذ بسنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى فهو معى فى الجنة ، يا أنس ، إذا عملت بهذا وحفظت وصيتى ، فلا يكون شيء أحب إليك من الموت ؛ فإن فيه راحتك». فقد أخبر النبى ﷺ أن إخراج الغش من القلب من سنته ، فالواجب على كل مسلم أن يخرج الغل والحسد من قلبه ؛ فإن ذلك من أفضل الأعمال» [١] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى رحمه الله تعالى يحكى بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : بينما نحن عند النبى ﷺ إذ قال : «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة تنطف** [٢] لحيته من ماء وضوئه معلق نعليه بشماله» . فطلع رجل بهذه الصفة فسلم وجلس مع القوم ، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك على مثل هيئته ، فلما كان اليوم الثالث قال مثل ذلك ، فلما قام رسول الله ﷺ سار معه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وقال : قد وقع بينى وبين أبى كلام ، وأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإذا رأيت أن تؤوينى إليك لأجل يمينى فعلت . قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات عنده ليلة ، فلم يقم منها ساعة ، إلا أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبره ، حتى يقوم مع الفجر ، فإذا توضأ أسبغ الوضوء ، وأتم الصلاة ، ثم أصبح وهو مفطر . قال : فرمقته ثلاث ليال لا يزيد على ذلك ، غير أنى لا أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث وكدت أن أحقر عمله قلت له : إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى ثلاث مجالس : «**يطلع عليكم رجل من أهل الجنة**» . فطلعت أنت ، فأردت أن آوى إليك حتى أنظر ما تعمله فأقتدى بك ، فلم أرك تعمل كثيرًا ، فما الذى بلغ بك ما قال النبى ﷺ قال : ما هو إلا ما رأيت فانصرفت عنه ، فدعانى حين وليت فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى شرًا لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه . قال : فقلت : هذا الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ وهو الذى لا أطيق عليه [٣].

وقال بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه : أولها : قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره . والثانى : سخط لقسمته . يعنى : يقول لربه : لم قسمت هكذا . والثالث : أنه ضن

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٣٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٢٧٢)، وقال: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو ضعيف.

(٢) أي تقطر.

(٣) أخرجه أحمد، حديث (١٢٧٢٠).

بفضله . يعنى : أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى . والرابع : خذل ولى الله تعالى ؛ لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه . والخامس : أعان عدوه . يعنى : إبليس لعنه الله .

ويقال : الحاسد لا ينال فى المجالس إلا مذمة وذلاً ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعًا وغمًا ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً ، ولا ينال فى الموقف إلا فضيحة ونكالاً ، ولا ينال فى النار إلا حرًا واحتراقًا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٠ - باب الكبر

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا الفضل بن دكين عن مسعر بن كدام عن أبى مصعب عن أبيه عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه قال : يأتى المتكبرون يوم القيامة ذرًا فى صور الرجال ، يغشاهم أو يأتيهم الذل من كل مكان ، يسلكون فى نار من النيران ، يسقون من طينة الخبال ، وهى عصارة أهل النار [١] .

(قال رضى الله تعالى عنه) : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا سفيان بن مسعر أنه قال : بلغنى عن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما أنه مر بمساكين وهم يأكلون كسرًا لهم على كساء فقالوا : يا أبا عبد الله ، الغذاء . قال : فنزل وقال : إنه لا يحب المستكبرين فأكل معهم ، ثم قال لهم : قد أجبتكم فأجيبونى . فانطلقوا معه ، فلما أتوا المنزل قال لجاريته : أخرجى ما كنت تدخري. فأخرجت كل شيء ، فأكلوا وأكل معهم ، وحملوا بقية ذلك .

وبهذا الإسناد عن سفيان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم ، أولهم شيخٌ زانٍ ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر**»[٢] . يعنى : الفقير .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا محمد بن موسى الفقيه الرازى أبو عبد الله حدثنا محمد ابن رباح حدثنا يزيد بن هارون ، عن هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير ضعيف ذو عيال . وأما أول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مسلط ، وذو ثروة من المال لا يؤتى الزكاة ، وفقير فخور**»[٣] .

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٩٢)، انظر صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم، حديث (١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد، حديث (٩٤٨٨)، وابن حبان (٩/ ١٨٥).

وقال : «**إن الله تعالى يبغض ثلاثة نفر ، وبغضه لثلاثة منهم أشد ، أولها يبغض الفساق وبغضه للشيخ الفاسق أشد ، والثانى يبغض البخلاء وبغضه للغنى البخيل أشد ، والثالث يبغض المتكبرين وبغضه للفقير المتكبر أشد ، ويحب ثلاثة نفر ، وحبه لثلاثة منهم أشد ، يحب المتقين وحبه للشاب التقى أشد ، والثانى يحب الأسخياء وحبه للفقير السخى أشد ، والثالث يحب المتواضعين وحبه للمتواضع الغنى أشد**»[١] .

وروى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جعدة أن النبى ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**» . قال رجل : يا رسول الله ، إنى ليعجبنى نقاء ثوبى وشراك نعلى وعلاقة سوطى أفهذا من الكبر ؟ فقال النبى ﷺ : «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، ويحب إذا أنعم على عبده نعمة أن يرى أثرها عليه ، ويبغض البؤس والتباؤس، ولكن الكبر أن يسفه الحق ويغمص الخلق**»[٢] .

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من خصف نعله ، ورقع ثوبه ، وعفر وجهه لله فى السجود ، فقد برئ من الكبر**»[٣] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من لبس الصوف ، وانتعل المخصوف ، وركب حماره ، وحلب شاتـه ، وأكل مع عياله ، وجالس المساكين ، فقد محا الله تعالى عنه الكبر**»[٤] .

وذكر أن موسى صلوات الله وسلامه عليه ناجى الله تعالى فقال : يا رب ، من أبغض خلقك إليك ؟ قال : يا موسى من تكبر قلبه ، وغلظ لسانه ، وضعف يقينه ، وبخلت يده . وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصائد الشرف ، وكل ذى نعمة محسود عليها إلا التواضع .

وقال بعض الحكماء . ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة . وذكر أن المهلب بن أبى صفرة كان صاحب جيش الحجاج ، فمر على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو يتبختر فى حلة خز فقال له مطرف : يا عبد الله ، هذه مشية يبغضها الله ورسوله . فقال المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال : بلى أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت تحمل فيما بين ذلك العذرة ، فترك المهلب مشيته تلك .

وقال بعض الحكماء : افتخار العبد المؤمن بربه ، وعزه بدينه ، وافتخار المنافق بحسبه ، وعزه بماله .

وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إذا رأيتم المتواضعين**

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٩٨)، وقال : أخرجه أحمد، وفي إسناده شهر عن رجل لم يسم، «يسفه الحق»، يستخف به، «يغمط الخلق»: يحتقرهم .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول، حديث (٢٠٧) .

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٦١٦٤)، من حديث أبي هريرة .

فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ؛ فإن ذلك لهم صغار ومذلة، ولكم بذلك صدقة» [(١)] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«ما تواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى»** [(٢)] .

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت من المسلمين ، وأن ترضى بالدون من المجلس، وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى [(٣)] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة ، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين ؛ لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات : ٣٥] وقال ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت : ٣٩] وقال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر : ٦٠] وقال ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر : ٧٢] وقال ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل : ٢٣] وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعنى : متواضعين ، ومدحهم بتواضعهم وأمر نبيه ﷺ بالتواضع فقال : ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر : ٨٨] ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء : ٢١٥] ومدح النبى ﷺ بخلقه فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم : ٤] وكان خلقه التواضع ؛ لأنه روى فى الخبر أنه كان يركب الحمار ، ويجيب دعوة المملوك ، فثبت أن التواضع من أحسن الأخلاق ، وكان الصالحون من قبل أخلاقهم التواضع ، فوجب علينا أن نقتدى بهم رضى الله تعالى عنهم . وذكر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه أتاه ذات ليلة ضيف ، فلما صلى العشاء وكان يكتب شيئًا والضيف عنده، كاد السراج أن ينطفئ، فقال الضيف : يا أمير المؤمنين ، أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ قال: ليس من مروءة الرجل أن يستعمل ضيفه . قال: أفأنبه الغلام ؟ قال لا ، هى أول نومة نامها . فقام عمر وأخذ البطة فملأ المصباح، فقال الضيف: قمت بنفسك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ، وخير الناس عند الله من كان متواضعًا .

وروى عن قيس بن أبى حازم أنه قال : لما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه علماؤها وكبراؤها فقيل : اركب هذا البرذون يرك الناس . فقال : إنكم ترون الأمر من ههنا، إنما الأمر من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء، خلوا سبيلى . وروى فى رواية أخري : أن عمر رضى الله تعالى عنه

---

(١) أورده العراقي في إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤١)، وقال: حديث غريب .
(٢) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٨)، والترمذي، حديث (٢٠٢٩) .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٤٩) .

جعل بينه وبين غلامه مناوبة ، فكان يركب الناقة ، ويأخذ الغلام بزمام الناقة ، ويسير مقدار فرسخ ، ثم ينزل ويركب الغلام ، ويأخذ عمر بزمام الناقة ،ويسير مقدار فرسخ ، فلما قربا من الشام كانت نوبة ركوب الغلام ، فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة فاستقبله الماء فى الطريق ، فجعل عمر يخوض فى الماء ، ونعله تحت إبطه اليسرى ، وهو آخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة ابن الجراح وكان أميرًا على الشام وقال : يا أمير المؤمنين ، إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة . فقال عمر رضى الله تعالى عنه : إنما أعزنا الله تعالى بالإسلام ، فلا نبالى من مقالة الناس .

وذكر عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أنه كان أميرًا بالمدينة ، فاشترى رجل من عظمائها شيئًا ، فمر به سلمان فحسبه علجًا فقال : تعال فاحمل هذا ، فحمله سلمان ، فجعل يتلقاه الناس ويقولون : أصلح الله الأمير نحن نحمل عنك . فأبى أن يدفع إليهم ، فقال الرجل فى نفسه : ويحك إنى لم أسخر الأمير . فجعل يعتذر إليه ويقول : لم أعرفك أصلحك الله . فقال : انطلق فذهب به إلى منزله ، ثم قال : لا أسخر أحدًا أبدًا .

وروى عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه أنه كان أميرًا بالكوفة ، فخرج إلى حانوت العلاف فاشترى منه القت ، فربطه البائع وأخذ البائع جانب الحزمة فجعل يمد كل واحد منهما يده ، حتى صار نصف القت فى يد هذا ونصفه فى يد هذا ، ثم جعله على عاتق عمار فذهب به إلى منزله .

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه بعثه عمر بن الخطاب أميرًا على البحرين ، فدخل البحرين وهو راكب على حمار ، وجعل يقول : طرقوا للأمير ، طرقوا للأمير ، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان خلقهم التواضع ، وكانوا أعزاء عند الخلق ، وعند الملائكة ، وعند الله سبحانه وتعالى .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ما نقص مال من صدقة ، وما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله تعالى عزًا»** (١) .

وروى عن رسول الله ﷺ : أنه كان فى بيت عائشة رضى الله تعالى عنها وبين يديه طبق فيه قديد ، وهو جاثٍ على ركبتيه يأكل ، فأتت امرأة بذية ما تبالى لقيت رجلاً أو امرأة ، فنظرت إلى النبى ﷺ فقالت : انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد ويأكل كما يأكل العبد . فقال النبى ﷺ : **«أنا عبد أجلس كما يجلس العبد ، وآكل كما يأكل العبد»** .

وقال لها : **«كلى»** . فقالت : لا ، إلا أن تطعمنى بيدك . فأطعمها ، فقالت : لا حتى تطعمنى من فيك . وكان فى فم رسول الله ﷺ قديدة فيها عصب قد مضغها ، فأخرجها فأعطاها إياها قال :

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٨).

فأخذتها ومضغتها ، فما هى أن وقعت فى بطنها ، فغشيها من الحياء حتى ما كانت تستطيع النظر إلى أحد قال : فما سمع منها بعد يومها ذلك بباطل حتى لحقت بالله تعالى [١] .

وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**أوتيت مفاتيح الأرض فخيرت بين أن أكون عبدًا نبيًا أو نبيًا ملكًا ، فأومأ إلى جبريل أن تواضع وكن عبدًا ، فاخترت أن أكون عبدًا نبيًا فأوتيت ذلك ، وإنى أول من ينشق عنه الأرض ، وأول شافع**» [٢] . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : من تواضع تخشعًا رفعه الله تعالى يوم القيامة ، ومن تطاول تعظمًا وضعه الله تعالى يوم القيامة . وذكر عن قتادة رحمه الله تعالى أنه قال : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول : «**من فارقت روحه جسده**» . وفى رواية : «**من فارق الدنيا وهو برئ من ثلاث دخل الجنة : من الكـــبر ، والخيانة ، والدَّيْن**» [٣] . قال : حدثنى أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن طلحة بن زيد عن أبى عبد الله بن أبى جعفر قال : دخل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه السوق فاشترى قميصين من هذه الكرابيس بستة دراهم ، ثم قال لغلامه : يا أسود ، اختر أيهما شئت ؟ فاختار الغلام خيرهما ، ولبس على كرم الله وجهه الآخر ، ففضل كماه على أطرافه فدعا بالشفرة فقطع كميه ، وخطب بالناس يوم الجمعة ونحن ننظر إلى تلك الهدب على ظهر كفيه . ورأى رجلاً قد أسبل ثوبه فقال : يا فلان ، ارفع ثوبك ؛ فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لقلبك، وأبقى عليك . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**قال تعالى : العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى فى واحد منهما ألقيته فى النار ولا أبالي**» [٤] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : «**العظمة إزارى . والكبرياء ردائى**» . يعنى : أنهما من صفاتى كما فى القرآن العزيز الجبار المتكبر ، فهما صفتان من صفات الله تعالي، فلا ينبغى للعبد الضعيف أن يتكبر .

٢١ - باب الاحتكار

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمة الله تعالى عليه : حدثنا أبو الحسن الحاكم السردري حدثنا بكر بن المثنى حدثنا هانئ بن النضر حدثنا أحمد بن خالد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبد الله العدوى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يحتكر إلا خاطئ**» [٥] .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث (٤٩٢٠)، انظر السلسلة الصحيحة، حديث (٥٤٤) .
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط بنحوه (٧/ ٨٨)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣١٥)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعدان ابن الوليد ولم أعرفه وفيه رجاله رجال الصحيح .
(٣) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (١٥٧٢)، وابن ماجه، حديث (٢٤١٢)، انظر صحيح الترمذي .
(٤) أخرجه أبو داود، حديث (٤٠٩٠)، وابن ماجه، حديث (٤١٧٤) .
(٥) أخرجه مسلم، حديث (١٦٠٥) .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «**من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله تعالى وبرئ الله منه**»(١).

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون**» (٢). وإنما أراد بالجالب الذى يشترى الطعام للبيع ، فيجلبه إلى بلده فيبيعه فهو مرزوق ؛ لأن الناس ينتفعون به فيناله بركة دعاء المسلمين ، والمحتكر الذى يشترى الطعام للمنع ويضر بالناس .

وروى الشعبى أن رجلًا أراد أن يسلم ابنه إلى عمل فاستشار النبى ﷺ فى ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ: «**لا تسلمه إلى حناط يبيع الحنطة ، ولا إلى جزار ، ولا إلى من يبيع الأكفان . أما الحناط فلأن يلقى الله تعالى زانيًا أو شارب خمر خير له من أن يلقى الله تعالى وهو قد حبس الطعام أربعين ليلة ، وأما الجزار فإنه يذبح حتى تذهب الرحمة من قلبه، وأما بائع الأكفان فإنه يتمنى لأمتى الموت ، والمولود من أمتى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها**» (٣).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : الحكرة أن يشترى الطعام فى مصره ، ويحبسه عن البيع وللناس حاجة إليه ، فهذا هو الاحتكار الذى نهى عنه ، وأما إذا دخل له الطعام من ضيعة أو جلب من مصر آخر فإنه لا يكون احتكارًا ، ولكن لو كان للناس إليه حاجة فالأفضل أن يبيعه ، وفى امتناعه عن ذلك يكون مسيئًا لسوء نيته وقلة شفقته للمسلمين ، فينبغى أن يجبر المحتكر على بيع الطعام ، فإن امتنع من ذلك فإنه يعزر ويؤدب ولا يسعر عليه ، ويقال له : بعه كما يبيع الناس .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنا لا أُسَعِّر ، فإن الله تعالى هو المُسَعِّر**» (٤).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الغلاء والرخص جندان من جنود الله تعالى اسم أحدهما الرغبة واسم الآخر الرهبة ، فإذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذف الرهبة فى قلوب الرجال ، فأخرجه من أيديهم فرخص ، وإذا أراد الله تعالى أن يغليه قذف الرغبة فى قلوب الرجال فحبسوه فى أيديهم**» (٥).

وذكر فى الخبر : أن عابدًا من عباد بنى إسرائيل مر على كثيب من الرمل ، فتمنى فى نفسه لو كان دقيقًا فأشبع به بنى إسرائيل به من مجاعة أصابتهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبى فيهم أن قل لفلان : إن

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٤٨٨٠)، وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٠٠)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلي والبزار والطبراني في الأوسط. وفيه بشر الأملوكي ضعفه ابن معين.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢١٥٣)، والدارمي، حديث (٢٥٤٤)، انظر ضعيف ابن ماجه والدارمي، حديث (٢٥٤٤)، انظر ضعيف ابن ماجه.

(٣) أورده ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٣٧٩)، وفيه رجل لم يسم ورجل لا يعرف.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٣٤٥١)، والترمذي، حديث (١٣١٤)، انظر صحيح أبي داود.

(٥) موضوع: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، حديث (٤٣١٢)، من حديث أنس بن مالك. انظر السلسلة الضعيفة، حديث (١٢٤٠).

الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقًا فتصدقت به . يعنى : أنه لما نوى نية حسنة أعطاه الأجر بحسن نيته ، وشفقته على المسلمين ، ورحمته لهم . فينبغى للمسلم أن يكون مشفقًا رحيمًا على المسلمين .

وذُكر أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له : أوصنى ؟ فقال له عبد الله بن عباس : أوصيك بستة أشياء : أولها : يقين القلب بالأشياء التى تكفل الله لك بها والتفكر فى الآخرة . والثانى : بأداء الفرائض لوقتها . والثالث : بلسان رطب فى ذكر الله تعالى . والرابع : لا توافق الشيطان ؛ فإنه حاسد للخلق . والخامس : لا تعمر الدنيا ، فإنها تخرب آخرتك . والسادس : أن تكون ناصحًا للمسلمين دائمًا .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للمسلم أن يكون ناصحًا للمسلمين رحيمًا بهم ؛ فإن ذلك من علامات السعادة .

وقيل : إن علامات السعادة إحدى عشرة خصلة :

أولها : أن يكون زاهدًا فى الدنيا راغبًا فى الآخرة . والثانى : أن يكون همته العبادة وتلاوة القرآن . والثالث : قلة القول فيما لا يحتاج إليه . والرابع : أن يكون محافظًا على الصلوات الخمس . والخامس : أن يكون ورعًا فيما قل أو كثر من الحرام . والسادس : أن تكون صحبته مع الصالحين . والسابع : أن يكون متواضعًا غير متكبر . والثامن : أن يكون سخيًا كريمًا . والتاسع : أن يكون رحيمًا بخلق الله تعالي . والعاشر : أن يكون نافعًا للخلق . والحادى عشر : أن يكون ذاكرًا للموت كثيرًا .

وعلامة الشقاء أيضا إحدى عشرة خصلة :

أولها : أن يكون حريصًا على جمع المال .

والثانى : أن تكون نهمته فى الشهوات واللذات فى الدنيا .

والثالث : أن يكون فحاشًا فى القول مكثارًا .

والرابع : أن يكون متهاونًا فى الصلوات .

والخامس : أن يكون أكله من الحرام والشبهات وصحبته مع الفجار .

والسادس : أن يكون سيء الخلق .

والسابع : أن يكون مختالاً متكبرًا فخورًا .

والثامن : أن يمنع منفعته من الناس .

والتاسع : أن يكون قليل الرحمة للمسلمين .

والعاشر : أن يكون بخيلا .

والحادى عشر : أن يكون ناسيًا للموت . يعنى : أن الرجل إذا كان ذاكرًا للموت فإنه لا يمنع طعامه من البيع ويرحم المسلمين .

وذكر عن بعض الزهاد أنه كان فى بيته وقر من الحنطة فقحط الناس فباع ما عنده من الحنطة ، ثم جعل يشترى لحاجته ، فقيل له : لو أمسكت ما عندك ؟ فقال : أردت أن أشارك الناس فى غمهم . والله الموفق بمنّه وكرمه .

٢٢ - باب الزجر عن الضحك

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال عيسى ابن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا ملح الأرض لا تفسدوا ؛ فإن الأشياء إذا فسدت إنما تداوى بالملح ، وإن الملح إذا فسد لم يداو بشيء ، يا معشر الحواريين ، لا تأخذوا ممن تعلمون أجرًا إلا كما أعطيتمونى ، واعلموا أن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب ، والتصبح من غير سهر[1] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قوله عليه السلام : ملح الأرض : يعنى به العلماء ؛ فإن العلماء هم الذين يصلحون الخلق ويدلونهم على طريق الآخرة ، فإذا ترك العلماء طريق الآخرة فمن الذى يدلهم على الطريق وبمن يقتدى الجهال ، وقوله : لا تأخذوا ممن تعلمون أجرًا إلا كما أعطيتموني : يعنى أن العلماء ورثة الأنبياء ، فكما أن الأنبياء يعلمون الخلق بغير أجر وهو قوله عز وجل : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : ٢٣] وأيضًا قوله تعالى ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ : ٤٧] فكذلك العلماء ينبغى لهم أن يقتدوا بالأنبياء ولا يأخذوا على تعليمهم أجرًا ، وأما قوله : الضحك من غير عجب : يعنى بالضحك القهقهة ، وهو مكروه وهو من عمل السفهاء ، وأما التصبح من غير سهر : يعنى النوم فى أول النهار من غير أن يكون ساهرًا بالليل ، فإن ذلك نوع من الحمق .

وقال النبى ﷺ «النوم فى أول النهار حمق ، وفى أوسطه خلق ، وفى آخره خرق»[2] . يعنى : الجهل .

(قال) : حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا منيع حدثنا ابن زنجويه حدثنا ابن أبى غالب حدثنا هشام حدثنا الكوثر بن حكيم ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : خرج النبى ﷺ ذات يوم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فوقف وسلم عليهم ثم قال : **«أكثروا ذكر هاذم**

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص١١٨) .

(٢) أخرجه الحاكم ، حديث (٧٧٩٧) ، من حديث خوات بن جبير ، والديلمي في الفردوس (٦٩٠٨) من حديث علي .

اللذات» ، قلنا وما هاذم اللذات؟ قال-: «**الموت**» (١) .

ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال : «**أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» (٢)

ثم خرج أيضًا فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فسلم عليهم ثم قال : «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء يوم القيامة**» . فقيل : ومن الغرباء يوم القيامة ؟ قال : «**الذين إذا فسد الناس صلحوا**» (٣) .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسحاق بن منصور قال : لما فارق الخضرُ موسى عليهما السلام قال له : عظنى ؟ قال : يا موسى ، إياك واللجاجة ، ولا تكن ماشيًا بغير حاجة ، ولا تضحك من غير عجب ، ولا تعجب على الخاطئ بخطيئته . وفى بعض الروايات : ولا تعير الخاطئين بخطاياهم ، وابكِ على خطيئتك يا ابن عمران .

وروى جعفر بن عون عن مسعر عن عون بن عبد الله قال : كان النبى ﷺ لا يضحك إلا تبسمًا ، ولا يلتفت إلا جميعًا . (٤) يعنى : يلتفت بجميع وجهه . ففى هذا الخبر دليل على أن التبسم مباح ، وإنما النهى عن الضحك بالقهقهة ، فينبغى للعاقل أن لا يضحك بالقهقهة ؛ فإن من ضحك قهقهة فى الدنيا قليلا بكى فى الآخرة كثيرًا ، فكيف بمن ضحك فى الدنيا كثيرًا كيف يكون حاله يوم القيامة ؟

وقد قال الله تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة : ٨٢] قال الربيع بن خثيم : فليضحكوا قليلًا فى الدنيا وليبكوا كثيرًا فى الآخرة .

وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ فى الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ فى الآخرة - فى نار جهنم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ .

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : يا عجبًا من ضاحك ومن ورائه النار ، ومن مسرور ومن ورائه الموت . وقيل : مر الحسن البصرى بشاب وهو يضحك فقال له : يا بنى ، هل جزت على الصراط ؟ قال : لا . فقال : هل تبين لك إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال : ففيم هذا الضحك ؟ قال : فما رؤى هذا الفتى ضاحكًا بعدها قط . يعنى أن قول الحسن وقع فى قلبه فتاب عن الضحك ، وهكذا كان العلماء فى ذلك الزمان ، إنهم كانوا إذا تكلموا بالموعظة وقع كلامهم موقعًا ؛ لأنهم كانوا يعملون بالعلم فينفع علمهم غيرهم ، فأما علماء زماننا فإنهم لا يعملون بعلمهم فلا ينفع علمهم غيرهم .

---

(١) حسن صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٠٧)، وابن ماجه، حديث (٤٢٥٨)، انظر صحيح الترمذي.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٦٢١)، ومسلم، حديث (٤٢٦).
(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٤٥).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبه، حديث (٢٦٦٧٥).

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : من أذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى . ويقال : أكثر الناس ضحكًا فى الدنيا أكثرهم بكاء فى الآخرة ، وأكثرهم بكاء فى الدنيا أكثرهم ضحكًا فى الجنة [١] .

قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى : أربع خصال لم يبقين للمؤمن ضحكًا ولا فرحًا : همّ المعاد • يعنى : هم الآخرة - ، وشغل المعاش ، وغم الذنوب ، وإلمام المصائب - يعنى : ينبغى للمؤمن أن يكون مشغولاً بهذه الأشياء الأربعة ، لتمنعه عن الضحك ؛ فإن الضحك ليس من خصال المؤمن ، وقد عير الله تعالى أقوامًا بالضحك فقال : ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩-٦١] ومدح أقوامًا بالبكاء فقال تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

ويقال : غم الأحياء خمسة أشياء ، فينبغى لكل إنسان أن يكون غمه فى هذه الخمسة : أولها : غم الذنوب الماضية ؛ لأنه قد أذنب ذنوبًا ولم يتبين له العفو ، فينبغى أن يكون مغمومًا به مشغولاً بها . والثانى : أنه قد عمل الحسنات ولم يتبين له القبول . والثالث : قد علم حياته فيما مضى كيف مضى ولا يدرى كيف يكون الباقى . والرابع : قد علم أن لله تعالى دارين ولا يدرى إلى أية داريه يصير . والخامس : لا يدرى أن الله تعالى راضٍ عنه أم ساخطٌ عليه . فمن كان غمه فى هذه الأشياء الخمسة فى حياته فإنه يمنعه عن الضحك ، ومن لم يكن غمه فى هذه الأشياء الخمسة فى حياته فإنه يستقبله بعد الموت خمسة من الغموم :

أولها : حسرة ما خلف من التركة التى جمعها من الحلال وتركها لورثته الأعداء . والثانى : ندامة تسويف الأعمال الصالحة فيرى فى كتابه عملاً قليلاً فيستأذن فى الرجوع ليعمل صالحًا فلا يؤذن له . والثالث : ندامة الذنوب فيرى فى كتابه ذنوبًا كثيرة فيستأذن فى الرجوع ليتوب فلا يؤذن له . والرابع : يرى لنفسه خصومًا كثيرة ولا يتهيأ له أن يرضيهم إلا بأعماله . والخامس : وجد الله تعالى عليه غضبانًا ولا يمكنه أن يرضيه .

وروى أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا ، ولو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى ربكم وتبكون ، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم**»[٢] .

ولوددت أن الله خلقنى يوم خلقنى شجرة تعضد» .

وروى يونس عن الحسن البصرى أنه قال : المؤمن بالله تعالى يمسى حزينًا ويصبح حزينًا . وكان

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (٥٨١٠) .
(٢) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣١٢)، وابن ماجه، حديث (٤١٩٠)، انظر صحيح الترمذي .

الحسن البصرى قلما رأيته إلا كرجل أصيب بمصيبة محدثة . وروى فى رواية أخرى : أنه ما رؤى الحسن إلا كأنه رجع من دفن أمه .

وروى عن الأوزاعى فى قول الله عز وجل : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف : ٤٩] قال : الصغيرة التبسم ، والكبيرة القهقهة ، يعنى : أن القهقهة من الكبائر . وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ، ولو تعلمون ما أعلم لسجد أحدكم حتى ينقطع صلبه ، ولصرخ حتى ينقطع صوته ، ابكوا إلى الله تعالى فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا . يعنى : تشبهوا بالباكين .

وروى سفيان عن محمد بن عجلان عن حبيب فى حديث يذكره قال : كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين : عين بكت من خشية الله تعالى ، وعين غضت عن محارم الله تعالى ، وعين سهرت فى سبيل الله تعالى [١] . وقد روى هذا الخبر مرفوعًا عن رسول الله ﷺ.

وروى عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال : ضحكت مرة وأنا من النادمين على ذلك ، وذلك أنى ناظرت عمرو بن عبيد القدرى إمام المعتزلة ، فلما أحسست بالظفر ضحكت فقال لي : تتكلم فى العلم وتضحك فلا أكلمك أبدًا . وأنا من النادمين على ذلك ؛ إذ لو لم يكن ضحكى لرددته إلى قولى فكان فى ذلك صلاح العالم .

وروى عن محمد بن عبد الله العابد أنه قال : من ترك فضول النظر وفق للخشوع ، ومن ترك الكبر وفق للتواضع ، ومن ترك فضول الكلام وفق للحكمة ، ومن ترك فضول الطعام وفق لحلاوة العبادة ، ومن ترك المزاح وفق للبهاء ، ومن ترك الضحك وفق للهيبة ، ومن ترك الرغبة وفق للمحبة - يعنى : إذا لم يرغب فى أموال الناس أحبوه - ، ومن ترك التجسس وفق لإصلاح عيوبه ، ومن ترك التوهم فى صفات الله تعالى وفق للنجاة من الشك والنفاق .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال فى قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف : ٨٢] قال : **«كان تحته لوح من ذهب مكتوب فيه خمسة أسطر : أولها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، وفى الخامس : لا إله إلا الله محمد رسول الله»** [٢] .

وقال ثابت البُنانى رحمه الله تعالى : كان يقال : ضحك المؤمن من غفلته - يعنى : غفلته عن أمر الآخرة - ، ولولا غفلته لما ضحك . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالي : اطلب فرحًا لا حزن فيه بحزن لا فرح فيه . يعنى : إذا أردت أن تنال فرح الجنة فكن فى الدنيا حزينًا ولا تكن

---

(١) ضعيف:أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣)، انظر ضعيف الجامع (٤٢٤٣) .
(٢)أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٢١٢)، والديلمي في الفردوس (٧٢١٤) من حديث أنس بن مالك .

ضاحكًا مسرورًا ؛ لكى تنال فرح الجنة وهو فرح لا حزن فيه ويقال : ثلاثة أشياء تقسى القلب : الضحك من غير عجب ، والأكل بغير جوع ، والكلام من غير حاجة .

وروى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «ويل لمن يكذب ليضحك به الناس ، ويل له ويل له ويل له – ثلاث مرات» [١] وقال إبراهيم النخعى : إن الرجل ليتكلم بكلمة ليضحك بها من حوله فيسخط الله بها فيصيبه السخط فيعم من حوله ، وإن الرجل ليتكلم بكلمة يرضى الله بها فتصيبه الرحمة فتعم من حوله .

وروى واثلة بن الأسقع عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «يا أبا هريرة ، كن ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا ، وأقل الضحك ، فإن كثرة الضحك تُميت القلب» [٢] .

وروى مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس أنه قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه كانت النار أولى به [٣] .

(**قال الفقيه**) رضى الله تعالى عنه : وإياك وضحك القهقهة ؛ فإن فيه ثمانية من الآفات :

أولها : أن يذمك العلماء والعقلاء . والثانى : أن يجترئ عليك السفهاء والجهال . والثالث : أنك لو كنت جاهلًا ازداد جهلك ، وإن كنت عالمًا نقص علمك ؛ لأنه روى فى الخبر : «إن العالم إذا ضحك ضحكة مَجَّ من العلم مجة » . يعنى : رمى من العلم بعضه . والرابع : أن فيه نسيان الذنوب الماضية . والخامس : فيه جراءة على الذنوب فى المستقبل ؛ لأنك إذا ضحكت يقسو قلبك . والسادس : أن فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة . والسابع : أن عليك وزر من ضحك بضحكك .

والثامن : أنه يجزى بالضحك القليل بكاء كثيرًا فى الآخرة قال تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة : ٨٢] .

وروى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال فى قول الله عز وجل : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ معناه : أن الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا ، وإذا صاروا إلى الله بكوا بكاء لا ينقطع ، فذلك الكثير وهو قوله تعالى : ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ .

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود، حديث (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، انظر صحيح أبي داود .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ، حديث (٢٢٥٩)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٠٢)، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه دويد بن مجاشع، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

٢٣ - باب كظم الغيظ

(قال الفقيه)رضى الله تعالى عنه : حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا أبو جعفر الدبيلى حدثنا أبو عبد الله بن عمر حدثنا سفيان عن على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب جمرة من النار ، فمن وجد ذلك منكم فإن كان قائمًا فليجلس ، وإن كان جالسًا فليضطجع وان كان مضطجعًا فليتمرغ فى التراب**» (١).

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا المسيب عن محمد بن مسلم عمن أخبره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺقال : «**إياكم والغضب ؛ فإنه يوقد فى فؤاد ابن آدم النار ، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ؟ فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضطجع وليلصق بالأرض**» . وقال : «**إن منكم من يكون سريع الغضب سريع الفيء فأحدهما بالآخرة**» . يعنى : يكون أحدهما بالآخر قصاصًا «**ومنكم من يكون بطيء الغضب بطيء الفيء ويكون أحدهما بالآخر ، وخيركم من كان بطيء الغضب سريع الفيء ، وشركم من كان سريع الغضب بطيء الفيء**» (٢).

وروى أبو أمامة الباهلىرضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺأنه قال : «**من كظم غيظًا وهو يقدر على أن يمضيه فلم يمضه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا**» (٣).

ويقال : مكتوب فى الإنجيل : يا ابن آدم ، اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ، وارض بنصرتى لك فإن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك .

وروى عن عمر بن عبد العزيزأنه قال لرجل أغضبه : لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك . أراد بذلك قول الله تعالي : ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ ، وذكر أنه رأى سكران فأراد أن يأخذه فيعزره فشتمه السكران ، فلما شتمه رجع عمر ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لما شتمك تركته ؟ قال : لأنه أغضبنى فلو عزرته لكان ذلك لغضب نفسى ، ولا أحب أن أضرب مسلمًا لحمية نفسى .

وروى عن ميمون بن مهرانأن جارية له جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه ، فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية : يا مولاى ، استعمل قول الله تعالى : ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ فقال قد فعلت . فقالت : اعمل بما بعده ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ قال : قد عفوت . فقالت : اعمل بما بعده ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤] فقال ميمون : أحسنت إليك ، فأنت حرة لوجه الله تعالى .

---

(١) ضعيف:أخرجه الترمذي، حديث (٢١٩١)، انظر ضعيف الترمذي.

(٢)أخرجه الطبراني في «الأوسط»، حديث (٣٨١٧).

(٣)أخرجه الروياني في مسنده، حديث (١٢١٦).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الإيمان : حلم يرد به جهل الجاهل ، وورع يحرزه عن المحارم ، وخُلق يدارى به الناس**»(١) .

وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان له فرس وكان معجبًا به ، فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم فقال لغلامه : من صنع به هذا ؟ فقال: أنا . قال : لم ؟ قال : أردت أن أغمك . قال : لا جرم لأغمن من أمرك به - يعنى : الشيطان - ، اذهب فأنت حر والفرس لك .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للمسلم أن يكون حليمًا صبورًا ؛ فإن ذلك من خصال المتقين وقد مدح الله تعالى الحليم فى كتابه فقال تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ يعنى : من صبر على الظلم ، وتجاوز عن ظالمه وعفا عنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣] يعنى : من حقائق الأمور التى يثاب فاعلها على ذلك وينال أجرًا عظيمًا . وقال فى آية آخري : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت : ٣٤] يعنى : لا تستوى الكلمة الحسنة والكلمة السيئة .

يعنى : لا ينبغى للمسلم أن يكافئ كلمة حسنة بكلمة قبيحة ثم قال : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ يعنى : ادفع الكلمة القبيحة بالكلمة التى هى أحسن ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ يعنى : إنك إذا فعلت ذلك صار عدوك صديقًا لك مثل القريب .

وقد مدح الله تعالى خليله إبراهيم - عليه السلام - بالحلم فقال : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود : ٧٥] فالحليم المتجاوز والأواه الذى يذكر ذنوبه ويتأوه ، والمنيب الذى أقبل على طاعة الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر والحلم ، وأخبره أن الأنبياء الذين كانوا قبله كانوا على ذلك فقال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] يعنى : اصبر على تكذيب الكفار وأذاهم كما صبر الأنبياء الذين أمروا بالقتال مع الكفار ، وأولو العزم هم ذوو الحزم ، وهم الذين يثبتون على الأمر ويصبرون عليه .

وقال الحسن فى قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان : ٦٣] يعنى : قالوا حلمًا ، وإن جهل عليهم حلموا .

وروى عن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه قال : كان عابد فى بنى إسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع ، فخرج العابد ذات يوم لحاجة وخرج الشيطان معه ؛ لكى يجد منه فرصة ، فأتاه من قبل الشهوة والغضب فلم يستطع منه على شيء ، فأتاه من قبل الخوف وجعل يدلى عليه صخرة من الجبل ، فإذا بلغته ذكر الله تعالى فنأت عنه ، ثم جعل يتمثل بالأسد والسباع ، فذكر الله تعالى فلم يبال به ، ثم جعل يتمثل له بالحية وهو يصلى ، فجعل يلتوى على قدميه وجسده حتى بلغ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (١٤٧٢)، وابن أبي الدنيا في «الحلم»، حديث (٥٣) عن خالد بن معدان مرفوعا، والطبراني من حديث علي وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٤)، وقال: فيه جماعة لم أعرفهم.

رأسه ، وكان إذا أراد السجود التوى فى موضع رأسه من السجود - يعنى : وجهه - ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فجعل ينحيه بيده حتى استمكن من الأرض ليسجد ، فلما فرغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطان فقال : أنا فعلت بك كذا وكذا فلم أستطع منك على شيء ، وقد بدا لى أن أصادقك ولا أريد ضلالتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا اليوم الذى خوفتنى بحمد الله ما خفت منك ، ولا لى حاجة اليوم فى مصادقتك . فقال : ألا تسألنى عن أهلك ما أصابهم بعدك؟ فقال له العابد : أنا مت قبلهم . فقال : ألا تسألنى عما أضل به بنى آدم؟ قال : بلى فأخبرنى بالذى تصل به إلى إضلال بنى آدم ؟ قال : بثلاثة أشياء : الشح ، والغضب ، والسكر ، فإن الإنسان إذا كان شحيحًا قللنا ماله فى عينه ، فيمنعه من حقوقه ، ويرغب فى أموال الناس ، وإذا كان الرجل غضوبًا أدرناه بيننا كما يدير الصبيان الكرة بينهم ، ولو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه ، فإنما يبنى ويهدم فى كلمة واحدة ، وإذا سكر قدناه إلى كل سوء ، كما تقاد الغنم بأذنها حيث نشاء [١].

فقد أخبره الشيطان أن الذى يغضب يكون فى يد الشيطان كالكرة فى أيدى الصبيان ، فينبغى للذى يغضب أن يصبر لكى لا يصير أسير الشيطان ولا يحبط عمله . وذكر أن إبليس جاء إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه فقال له : أنت الذى اصطفاك الله تعالى برسالته وكلمك تكليمًا ، وإنما أنا خلق من خلق الله تعالى ، أردت أن أتوب إلى ربك فاسأله ليتوب على . ففرح بذلك موسى عليه السلام فدعا بماء فتوضأ وصلى ما شاء الله تعالى ، ثم قال : يا رب ، إن إبليس خلق من خلقك يسألك التوبة فتُب عليه . فقيل له : يا موسى ، إنه لا يتوب ، فقال : يا رب ، إنه يسألك التوبة . فأوحى الله تعالى : إنى استجبت لك يا موسى ، فمره أن يسجد لقبر آدم فأتوب عليه . فرجع موسى مسرورًا فأخبره بذلك ، فغضب من ذلك واستكبر ثم قال : أنا لم أسجد له حيًا أأسجد له ميتًا ؟ ثم قال : يا موسى ، إن لك حقًا عليّ بما تشفعت لى إلى ربك فأوصيك بثلاثة أشياء : اذكرنى عند ثلاث خصال : اذكرنى حين تغضب ؛ فإنى فى قلبك وجسدك أجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى العدو فى الزحف ؛ فإنى آتى ابن آدم حين يلقى العدو فأذكره زوجته وأهله وماله وولده حتى يولى دبره ، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم منك ؛ فإنى رسولها إليك ورسولك إليها [٢].

وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال : يا بنى ، ثلاث لا تعرف إلا فى ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا يعرف الشجاع إلا عند الحرب ، ولا يعرف الأخ إلا عند الحاجة .

وذكر أن رجلاً من التابعين مدحه رجل فى وجهه ، فقال له : يا عبد الله ، لم تمدحني؟ أجربتنى عند الغضب فوجدتنى حليمًا ؟ قال: لا . قال : أجربتنى فى السفر فوجدتنى حسن الخلق ؟ قال : لا . قال : أجربتنى عند الأمانة فوجدتنى أمينًا ؟ قال : لا . فقال ويحك ما لأحد أن يمدح أحدًا ما لم يجربه فى هذه الأشياء الثلاثة .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، حديث (٣٨).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، حديث (٤٧).

وقال : ثلاثة من أخلاق أهل الجنة ولا توجد إلا فى الكريم : العفو عمن ظلمك ، والبذل لمن حرمك ، والإحسان إلى من أساء إليك قال الله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩].

وروى فى الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ لجبريل : **«ما تفسير هذه الآية ؟»** فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام : انظر حتى أسأل العالم العلام ، فذهب جبريل ثم أتاه فقال : يا محمد ، إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك[١] .

وروى عن عبد الله بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سب رجل أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ورسول الله ﷺ جالس ، فسكت النبى ﷺ وسكت أبو بكر ، فلما سكت الرجل تكلم أبو بكر ، فقام النبى ﷺ وأدركه أبو بكر فقال : يا رسول الله سبنى وسكت فلما تكلمت قمت ؟ فقال النبى ﷺ **«إن الملك كان يرد عليه عنك حين سكت ، فلما تكلمت ذهب الملك وقعد الشيطان ، فكرهت أن أقعد فى مقعد يحضره الشيطان»** . ثم قال رسول الله ﷺ : **«ثلاث كلهن حق على الله : ما من عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها ابتغاء مرضاة الله تعالى إلا زاده الله بها عزًا ، وما من عبد فتح على نفسه باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله تعالى بها قلة ، وما من عبد أعطى عطية يبتغى بها وجه الله تعالى إلا زاده الله تعالى بها كثرة»**[٢] .

قال : حدثنا أبى بإسناده عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«لكل شيء شرف، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم ،ولا تستروا الجدران بالثياب ، ومن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر فى النار ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله تعالى أوثق منه بما فى يده»** . ثم قال : **«ألا أنبئكم بشراركم ؟»** قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **«من أكل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده»** . ثم قال : **«ألا أنبئكم بشر من هذا؟»** قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **«من يبغض الناس ويبغضونه»** . ثم قال : **«ألا أنبئكم بشر من هذا ؟»** قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **«من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبًا»** . ثم قال : **«ألا أنبئكم بشر من هذا ؟»** قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **«من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»** . ثم قال رسول الله ﷺ : **«إن عيسى عليه السلام قام فى بنى إسرائيل فقال : يا بنى إسرائيل ، لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، وقد قال مرة فتظلموها ، ولا تكافئوا ظالمًا بظلم فيبطل فضلكم**

---

(١) أخرجه الطبراني في «تفسيره» (٩/ ١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٩٣٤١)، والطبراني في «الأوسط»، حديث (٧٢٣٩) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح.

عند ربكم ، يا بنى إسرائيل ، الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر ظهر غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله ورسوله» (١) .

وقال بعض الحكماء : الزهد فى الدنيا أربعة : الأولى : الثقة بالله تعالى فيما وعد من أمر الدنيا وأمر الآخرة . والثانية : أن يكون مدح الخلق وذمهم عنده واحدًا . والثالثة : الإخلاص فى عمله . والرابعة : أن يتجاوز عمن ظلمه ، ولا يغضب على ما ملكت يمينه ، ويكون حليمًا صبورًا .

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن رجلاً قال له : علمنى كلمات ينفعنى الله تعالى بهن ؟ قال أبو الدرداء : أوصيك بكلمات من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلى : لا تأكل إلا طيبًا ، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم ، وعد نفسك من الموتى ، وهب عرضك لله تعالى ، فمن شتمك أو آذاك فقل : وهبت عرضى لله تعالى . وإذا أسأت فاستغفر الله تعالى .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما كسرت رباعيته فى يوم أحد فشق ذلك على أصحابه مشقة شديدة فقالوا : يا رسول الله ، لو دعوت الله تعالى على هؤلاء الذين صنعوا بك ما ترى ؟ فقال النبى ﷺ : «**إنى لم أبعث لعانًا ، ولكنى بعثت داعيًا ورحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**»(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : «**من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه أقال الله تعالى غضبه عنه يوم القيامة**»(٣) .

وروى عن مجاهد رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ مر بقوم يربعون حجرًا - يعنى : يرفعون حجرًا وينظرون أيهم أقوى - فقال رسول الله ﷺ : «**ما هذا؟**» قالوا : حجر الأشداء . فقال : «**ألا أخبركم بما هو أشد منه ؟**» قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : «**الذى يكون بينه وبين أخيه شحناء فيغلب شيطانه وشيطان صاحبه فيأتيه حتى يكلمه**» وفى رواية أخرى : أنه مرّ بقوم يرفعون الحجر فقال : «**أتعرفون الشدة برفع الحجارة ، ألا أنبئكم بأشد منكم ؟**» قالوا : بلى يا رسول الله . قال : «**الذى يمتلئ غضبًا ثم يصبر**»(٤) .

وذكر عن يحيى بن معاذ أنه قال : من دعا على ظالمه فقد أحزن محمدًا ﷺ فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسر اللعين إبليس فى الكفرة والشياطين ، ومن عفا عن ظالم فقد أحزن اللعين فى الكفرة والشياطين ، وسر محمدًا ﷺ فى الأنبياء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٧٧٠٦). وانظر ضعيف الجامع رقم (٨٧٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٥٩٩)

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٧٤٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان، حديث (٢١).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (٨٢٧٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٦٨) عن أنس وقال: رواهما البزار بإسناد واحد وفيه شعيب بن بيان وعمران القطان ووثقهما ابن حبان وضعفهما غيره وبقية رجالهما رجال الصحيح.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ينادى مناد يوم القيامة : أين الذين كانت أجورهم على الله عز وجل ؟ فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنة»**[(١)] .

وسئل الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى : ما الإنسانية ؟ قال : التواضع فى الدولة ، والعفو عند المقدرة ، والعطاء بغير مِنة .

وروى عن عطية عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ على صخرة استناخ»**[(٢)] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : عليكم بالصبر عند الغضب ، وإياكم والعجلة عند الغضب ؛ فإن فى العجلة ثلاثة أشياء وفى الصبر ثلاثة أشياء ، فأما الثلاثة التى فى العجلة : فأحدها : الندامة فى نفسه . والثانى : الملامة عند الناس . والثالث : العقوبة عند الله تعالى .

وفى الصبر ثلاثة أشياء : السرور فى نفسه ، والمحمدة عند الناس ، والثواب من الله تعالى . فإن الحلم يكون مرًّا فى أوله وحلوًا فى آخره كما قال القائل :

الحلم أوّله مر مذاقته لكن آخره أحلى من العسل

والله أعلم .

٢٤ - باب حفظ اللسان

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد حدثنا محمد بن سلمة حدثنا عبد الأعلى حدثنا يعقوب بن عبد الله القمى عن عمر عن الليث عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، أوصنى ؟ قال : **«عليك بتقوى الله ؛ فإنها جماع كل خير ، وعليك بالجهاد ؛ فإنه رهبانية المسلمين»** - أو قال : **«المسلم»** - **«وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ؛ فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء ، واخزن لسانك إلا من خير ؛ فإنك بذلك تغلب الشيطان»**[(٣)] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قوله عليه الصلاة والسلام : **«عليك بتقوى الله تعالى»** . فتقوى الله أن يجتنب عما نهاه الله عنه ، ويعمل بما أمره الله تعالى به ، فإذا فعل ذلك فقد جمع جميع الخير . وقوله عليه الصلاة والسلام : **«واخزن لسانك»** : يعنى : احفظ لسانك إلا من خير . يعنى :

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤١٥)، وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال»، حديث (٧٠١٥)، وعزاه لأبي الشيخ في الثواب عن ابن عباس.

(٢) حسن: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢)، وأحمد في الزهد، حديث (٢٢٩٣)، وابن المبارك في الزهد، حديث (٣٨٧)، عن مكحول مرسلاً. وانظر «صحيح الجامع»، حديث (٦٦٦٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير»، حديث (٩٤٩)، وأبو يعلي في مسنده، حديث (١٠٠٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٠١)، وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وقد وثقه بقية رجاله.

قل خيرًا حتى تغنم ، أو اسكت حتى تسلم ؛ فإن السلامة فى السكوت ، واعلم أن الإنسان لا يغلب الشيطان إلا بالسكوت ، فينبغى للمسلم أن يكون حافظا للسانه حتى يكون فى حرز من الشيطان ، ويستر الله عليه عورته .

قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان حدثنا الحسين بن على الطوسى حدثنا محمد بن حسان حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم عن هشام عن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**من لطم عبده كان كفارته عتقه ، ومن ملك لسانه ستر الله عليه عورته ، ومن كظم غيظه وقاه الله تعالى عذابه ، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله معذرته**»[١] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، وليكرم ضيفه ، وليقل خيرًا أو ليسكت**»[٢] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم حدثنا يعلى قال : دخلنا على محمد بن سوقة الزاهد فقال : ألا أحدثكم حديثًا لعله ينفعكم فإنه قد نفعنى ؟ قال : قال لنا عطاء بن أبى رباح : يا ابن أخى ، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون كل كلام فضولاً ، ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأه أحد ، أو أمرًا بالمعروف ، أو نهيًا عن المنكر ، أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها ، ثم قال : أتنكرون قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار : ١٠ ، ١١] و ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق : ١٧ ، ١٨] أو ما يستحيى أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التى أملاها صدر نهاره ، وأكثر ما فيها ليس عن أمر دينه ولا دنياه .

قال : حدثنا أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «**أربع لا تصير إلا فى مؤمن : الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وذكر الله تعالى ، وقلة الشر**»[٣] .

وذكر عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ . روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» . وذكر عن لقمان الحكيم أنه قيل له : ما بلغ بك ما نرى ؟ قال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وتركى ما لا يعنيني[٤] .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (١٦٥٧)، وأبو داود، حديث (٥١٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٠١٨)، ومسلم، حديث (٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٧٨٦٤) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: قال ابن حبان في العوام: يدوى الموضوعات. وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٥)، وقال: رواه الطبراني، وفيه العوام بن جويدية وهو ضعيف.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣١٧)، وابن ماجه، حديث (٣٩٧٦)، وانظر «صحيح الترمذي».

وروى عن أبى بكر بن عياش أنه قال : أربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة كأنها رمية رميت من قوس واحدة ، قال كسرى : لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قلت . وقال ملك الصين : ما لم أتكلم بالكلمة فأنا أملكها ، فإن تكلمت بها ملكتنى .

وقال قيصر ملك الروم : أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت . وقال ملك الهند : العجب ممن يتكلم بكلمة إن هى رُفعت ضرته وإن لم تُرفع لم تنفعه .

وروى عن الربيع بن خيثم أنه كان إذا أصبح وضع قرطاسًا وقلمًا ، ولا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : هكذا كان عمل الزهاد ، إنهم كانوا يتكلمون لحفظ اللسان ويحاسبون أنفسهم فى الدنيا ، وهكذا ينبغى للمسلم أن يحاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب فى الآخرة ؛ لأن حساب الدنيا أيسر من حساب الآخرة ، وحفظ اللسان فى الدنيا أيسر من ندامة الآخرة . وروى عن إبراهيم التيمى أنه قال : حدثنى من صحب الربيع بن خيثم عشرين سنة فما سمع منه كلمة يعاب بها ، وقال موسى بن سعيد لما أصيب الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما – يعنى : قتل – فقال رجل من أصحاب الربيع : إن تكلم الربيع فاليوم يتكلم . فجاء حتى فتح الباب وأخبره بأن الحسين قد قُتل فنظر إلى السماء فقال : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . ولم يزد على ذلك شيئًا .

قال حكيم من الحكماء:

ست خصال يعرف بهن الجاهل : أحدها : الغضب فى غير شيء . يعنى : يغضب على ابن آدم وعلى الحيوان وعلى كل شيء يستقبله منه مكروه ، فهذا من علامة الجهل . والثانى : الكلام فى غير نفع ، فينبغى للعاقل أن لا يتكلم بكلام لا فائدة له فيه وهو علامة الجهل ، وينبغى له أن يتكلم بكل كلام فيه منفعة فى أمر دنياه وآخرته . والثالث : العطية فى غير موضع . يعنى : يدفع ماله إلى من لا يكون له فى ذلك أجر وهو علامة الجهل . والرابع : إفشاء السر عند كل أحد . والخامس : الثقة بكل إنسان . والسادس : أن لا يعرف صديقه من عدوه . يعنى : أن الرجل ينبغى له أن يعرف صديقه فيطيعه ويعرف عدوه فيحذره ، وأول الأعداء هو الشيطان فينبغى أن لا يطيعه فيما يأمره .
وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال : كل كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة ، وكل نظر ليس بعبرة فهو لهو ، فطوبى لمن كان كلامه ذكرًا لله تعالى ، وسكوته تفكرًا ، ونظره عبرة .

وذكر عن الأوزاعى أنه قال : المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل ، والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**خمس لا تكون فى المنافق : الفقه فى الدين ، والورع باللسان ،**

والتبسم في الوجه ، والنور في القلب ، والمودة في المسلمين»[١]

قال يحيى بن أكثم : ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله ، ولا فسد منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله ، وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بنى ، من يصحب صاحب السوء لم يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «**طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته**»[٢] .

قال : حدثنا أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : كانوا يقولون إن لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه أمسك ، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه ، لا يرجع إلى قلبه ، ما أتى على لسانه تكلم به .

قال : حدثنى أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن أبى ذر الغفارى أنه قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان فى صحف إبراهيم ؟ قال : «**كان فيها أمثال وعبر : ينبغى للعاقل ما لم يكن مغلوبًا فى عقله أن يكون حافظًا للسانه ، عارفًا بزمانه ، مقبلًا على شأنه ، فإنه من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه**»[٣] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده عن أبى إسحاق الهمدانى عن الحارث عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ينبغى للعاقل أن لا يكون شاخصًا إلا فى ثلاث : مرمة لمعاشه ، أو خلوة لمعاده ، أو لذة فى غير محرم**»[٤] وقال : «ينبغى للعاقل أن يكون له فى النهار أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتى فيها أهل العلم الذين يبصرونه بأمر دينه ودنياه وينصحونه ، وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل» وقال : «**ينبغى للعاقل أن ينظر فى شأنه : ويعرف أهل زمانه ويحفظ فرجه ولسانه**» .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : وذكر أن هذه الكلمات مكتوبة فى حكمة آل داود عليه السلام . وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن لقمان الحكيم دخل على داود النبى ﷺ وكان داود يسرد الدرع ، فجعل يتعجب مما يرى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته ، فأمسك نفسه ولم يسأله ، فلما فرغ قام داود عليه السلام فلبس الدرع ثم قال : نعم الدرع للحرب ونعم عامله[٥] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٦٨٤) من حديث أبي هريرة، بلفظ: «**خصلتان لا تجتمعان في منافق**. . .» وانظر «**صحيح الترمذي**» .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٢٣٤٠)، والصغير، حديث (٢١٢)، وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٢٩٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٣١٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت، حديث (٣١) .

(٤) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٨٨٨٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية، حديث (١١٨٠) .

(٥) أخرجه ابن المبارك حديث (٣١٣) من كلام وهب بن منبه .

فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله . قال القائل :

النطق زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارًا
ما إن ندمت على سكوتى مرة ولقد ندمت على الكلام مرارًا

وفى موضع : أنه كان يختلف إليه سنة ويريد أن يسأله فلما فرغ منه لبسه ، وقال : ما أحسن هذا الدرع للحرب ! فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله .

قال بعضهم :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرِّجل

ولآخر :

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

ولحميد بن عباس :

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك شأنه بقفل وثيق حيث كنت فأقفل
فرب كلام قد جرى من ممازح فساق إليه سهم حتف معجل
وللصمت خير من كلام ممازح فكن صامتًا تسلم وإن قلت فاعدل
ولا تك فى جنب الأخلاء مفرطًا وإن كنت أبغضت البغيض فأجمل
فإنك لا تدرى متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

(قال بعض الحكماء) : فى الصمت سبعة آلاف خير ، وقد اجتمع ذلك كله فى سبع كلمات ، فى كل كلمة منها ألف : أولها : أن الصمت عبادة من غير عناء . والثانى : زينة من غير حلى . والثالث : هيبة من غير سلطان . والرابع : حصن من غير حائط . والخامس : الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد . والسادس : راحة الكرام الكاتبين . والسابع : ستر لعيوبه . ويقال : الصمت زين للعالم وستر للجاهل .

(قال بعض الحكماء) : إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء : فجزء منها قلبه ، والثانى لسانه، والثالث الجوارح ، وقد أكرم الله تعالى كل جزء بكرامة ، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده ، وأكرم اللسان بشهادة أن لا إله إلا الله وتلاوة كتابه ، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات ، ووكل على كل جزء رقيبًا وحفيظًا ، فتولى حفظ القلب بنفسه فلا يعلم ما فى ضمير العبد إلا الله ، ووكل على لسانه الحفظة قال الله تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق : ١٨] وسلط على الجوارح الأمر والنهى ، ثم إنه يريد من كل جزء وفاء ، فوفاء القلب أن يثبت على الإيمان ، وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر ، ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ، ولا يتكلم بما لا يعنيه ،ووفاء

الجوارح أن لا يعصى الله تعالى ، ولا يؤذى أحدًا من المسلمين ، فمن وقع من القلب فهو منافق ، ومن وقع من اللسان فهو كافر ، ومن وقع من الجوارح فهو عاص .

وعن الحسن قال : نظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى شاب فقال : يا شاب ، إن وُقيتَ شرَّ ثلاث فقد وقيت شر الشباب : إن وقيت شر لقلقك - يعنى : لسانك - وذبذبك - يعنى : فرجك - وقبقبك - يعنى : بطنك - .

وذكر أن لقمان الحكيم كان عبدًا حبشيًا ، فأول ما ظهر من حكمته أنه قال له مولاه : يا غلام ، اذبح لنا هذه الشاة وائتنى بأطيب مضغتين منها . فجاء بالقلب واللسان ، ثم قال مرة أخرى : اذبح لنا هذه الشاة وائت بأخبث مضغتين منها . فأتاه باللسان والقلب . فسأله عن ذلك فقال : ليس فى الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لما بعث معاذًا إلى اليمن فقال : يا نبى الله أوصني؟ فأشار إلى لسانه - يعنى : عليك بحفظ اللسان- فكأنه تهاون به ، فقال : يا نبى الله أوصنى ؟ قال : «**ثكلتك أمك ، وهل يكب الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم**»[١] .

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر ماله كثر إثمه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال : لأن أرمى رجلاً بسهم أحب إلىّ من أن أرميه بلسانى ؛ لأن رمى اللسان لا يخطئ ، ورمى السهم قد يخطئ .

وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : إذا أصبح ابن آدم سألت الأعضاء كلها اللسان وقلن : يا لسان ننشدك الله أن تستقيم ؛ فإنه إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا[٢] .

وروى عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه أنه قام عند الكعبة فقال : ألا من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا جندب بن جنادة الغفارى «أبو ذر»، هلموا إلى أخ ناصح شفيق عليكم . فاجتمع الناس حوله فقال : يا أيها الناس ، من أراد منكم سفرًا من أسفار الدنيا لا يفعل ذلك إلا بزاد ، فكيف من يريد سفر الآخرة بلا زاد ؟ قالوا : وما زادنا يا أبا ذر ؟ قال : صلاة ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور ، وصوم فى يوم حر شديد ليوم النشور ، وصدقة على المساكين اليوم ينقر فيه فى الناقور لعلكم تنجون من عذاب يوم عسير ، وحج لعظائم الأمور ، واجعلوا الدنيا مجلسين : مجلسًا فى طلب الدنيا ، ومجلسًا فى طلب الآخرة ، والثالث يضر ولا ينفع ، واجعلوا الكلام

---

(١) صحيح: جزء من حديث أخرجه الترمذي، حديث (٢٦١٦)، وابن ماجه حديث (٣٩٧٣). وانظر (صحيح الترمذي) .

(٢) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٠٧).

كلمتين : كلمة نافعة فى أمر دنياكم ،وكلمة باقية فى أمر آخرتكم ، والثالثة تضر ولا تنفع ، واجعلوا المال درهمين : درهمًا أنفقه على عيالك ، ودرهمًا قدمه لنفسك ، والثالث يضر ولا ينفع ، ثم قال : أوّه قتلنى هم يوم لا أدركه . قيل : وما ذاك؟ قال : إن أملى قد جاوز أجلى فقعدت عن عملى .

وذكر عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال : لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله فتقسو قلوبكم، والقلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون [١].

(قال بعض الصحابة) : إذا رأيت قساوة فى قلبك ، ووهنًا فى بدنك ، وحرمانًا فى رزقك ، فاعلم أنك قد تكلمت بما لا يعنيك . والله الموفق .

٢٥ - باب الحرص وطول الأمل

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا محمد بن الفضيل الضبى عن حصين عن سالم بن أبى الجعد أن أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : ما لى أرى علماءكم يذهبون، وأرى جهالكم لا يتعلمون ؟ تعلموا قبل أن يرفع العلم بذهاب العلماء ، ما لى أراكم تحرصون على ما تكفل الله لكم به ، وتضيعون ما وكلتم إليه ؟ لأنا أعلم بشراركم من البيطار فى الخيل ، هم الذين لا يؤدون الزكاة إلا غرمًا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا ، ولا يسمعون القرآن إلا هجرًا - يعنى: الترك والإعراض عنه - ، ولا يعتقون محرريهم [٢].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : الحرص على وجهين : حرص مذموم ، وحرص غير مذموم ، وتركه أفضل ، فأما الحرص الذى هو مذموم فهو أن يشغله عن أداء أوامر الله تعالى ، أو يريد جمع المال للتكاثر والتفاخر ، وأما الذى هو غير مذموم فهو أن لا يترك شيئًا من أوامر الله تعالى لأجل جمع المال ولا يريد به التفاخر ، فهذا غير مذموم؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ كان بعضهم يجمع المال ، ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ وبينّ أن تركه أفضل .

وقد بينّ أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه فى هذا الخبر أن الحرص مذموم إذا ضيع أوامر الله تعالى ؛ لأنه قال : وتحرصون على ما تكفل الله لكم به- يعنى: أرزاقكم -، فتحرصون على طلبها وتضيعون ما وكلتم إليه- يعنى : أمر الطاعة- . قوله : ولا يعتقون محرريهم . يعنى : بحرصهم يستعملون الأحرار كما يستعملون العبيد .

قال : حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان حدثنا الحسين بن على الطوسى حدثنا على ابن أبى حرب الموصلى حدثنا محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبى خالد عن أخيه عن مصعب بن سعد أنَّ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٨٦)، وابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٣١٨٧٩) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حليه الأولياء» (١/ ٢٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١١٩٦) .

حفصة بنت عمر قالت لأبيها : إن الله قد أكثر لك من الخير ، ووسع لك من الرزق ، فلو أكلت طعامًا أطيب من طعامك ، ولبست ثوبًا ألين من ثوبك؟ قال : سأحاكمك إلى نفسك . ولم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وكانت رقية بنت علي معه حتى أبكاهما ، ثم قال : إنه كان لي صاحبان سلكا طريقًا ، فإن سلكت طريقًا غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما ، وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي[1] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا محمد بن الفضل عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها : يا أماه ، ما أكثر ما كان يقول رسول الله ﷺ إذا دخل البيت ؟ قالت : أكثر ما سمعته يقول إذا دخل البيت : «**لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى إليهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإنما جعل الله تعالى هذا المال ليقام به الصلاة ويؤتى به الزكاة**»[2] .

وروى عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يهرم من ابن آدم كل شيء إلا اثنين : الحرص والأمل**»[3] .

وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال : أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : طول الأمل واتباع الهوى . وإن طول الأمل ينسى الآخرة ، واتباع الهوى يصد عن الحق[4] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**أنا زعيم لثلاثة بثلاثة : للمكب على الدنيا ، والحريص عليها ، والشحيح بها : بفقر لا غنى بعده ، وشغل لا فراغ منه ، وهمّ لا فرج معه**» .

وروى عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه أشرف على أهل حمص فقال : ألا تستحيون ؟ تبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدًا ، وجمعوا كثيرًا ، وأملوا بعيدًا ، فأصبحت مساكنهم قبورًا ، وآمالهم غرورًا ، وجمعهم بورًا[5] .

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : إذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك ، واخصف نعلك ، وأقصر مأملك ، وكل دون الشبع .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١/ ٤٨)، وأحمد في الزهد، حديث (٦٥٨)، وابن المبارك في الزهد، حديث (٥٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٣٦)، ومسلم، حديث (١٠٤٩)، من حديث ابن عباس، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»، حديث (١٠٢٨٠)، من حديث عائشة .

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٢١)، ومسلم، حديث (١٠٤٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٣٤٤٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٠٦١٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١/ ٢١٣).

وروى عن أبى عثمان النهدى أنه قال : رأيت على عمر قميصًا فيه اثنتا عشرة رقعة وهو على المنبر يخطب . وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه دخل السوق وعليه ثياب غليظة غير مغسولة فقيل : يا أمير المؤمنين ، لو لبست ألين من هذا ؟ قال : هذا أخشع للقلب ، وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن للمؤمن أن يقتدى به .

وروى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال : إنى لأعرف بالناس من البيطار بالدواب ، أما خيارهم فالزاهدون فى الدنيا ، وأما شرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه .

وقال بعض الحكماء : أمهات الخطايا ثلاثة أشياء : الحسد ، والحرص ،والكبر ، فأما الكبر فكان أصله من إبليس حين تكبر وأبى أن يسجد فلعن ، وأما الحرص فكان أصله من آدم عليه السلام حيث قيل له : الجنة كلها مباح لك إلا هذه الشجرة ، فحمله الحرص على أكلها حتى سقط منها ، والحسد أصله من قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل فصار كافرًا ومآواه النار أبدًا .

وذكر فى الخبر أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى ابنه شيثًا عليه الصلاة والسلام بخمسة أشياء ، وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده : أولها : قال له : قل لأولادك : لا تطمئنوا بالدنيا ؛ فإنى اطمأننت بالجنة الباقية فلم يرض الله منى وأخرجنى منها . والثاني: قل لهم: لا تعملوا بهوى نسائكم ؛ فإنى عملت بهوى امرأتى وأكلت من الشجرة فلحقتنى الندامة . والثالث : قل لهم : كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته ؛ فإنى لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبنى ما أصابنى . والرابع : إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه ؛ فإنى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم أرجع فلحقنى الندم . والخامس : استشيروا فى الأمور ؛ فإنى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ما أصابنى .

وروى عن شقيق البلخى رحمه الله تعالى أنه قال : أخرجت من أربعة آلاف حديث أربعمائة حديث ، وأخرجت من أربعمائة حديث أربعين حديثًا ، وأخرجت من الأربعين حديثًا أربعة أحاديث :

أولها : «لا تعقد قلبك مع المرأة ؛ فإنها اليوم لك وغدًا لغيرك ، فإن أطعتها أدخلتك النار» . والثانى : « لا تعقد قلبك مع المال ؛ فإن المال عَرِيَّة ، اليوم لك وغدًا لغيرك فلا تتعب نفسك بما لغيرك فإن المهنأ لغيرك والوزر عليك ، وإنك إذا عقدت قلبك بالمال منعته من حق الله تعالى ودخل فيك خشية الفقر وأطعت الشيطان» . والثالث : «اترك ما حاك فى صدرك فإن قلب المؤمن بمنزلة الشاهد يضطرب عند الشبهة ويهرب من الحرام ويسكن عند الحلال » . والرابع : « لا تعمل شيئًا حتى تحكم الإجابة» . وروى مجاهد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدّ نفسك من أهل القبور**»[1] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٤١٦) .

وقال مجاهد : قال لى عبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك قبل موتك ، ومن صحتك قبل سقمك ، فإنك لا تدرى ما اسمك غدًا .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : من قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع كرامات : إحداها : أن يقويه على طاعته ؛ لأن العبد إذا علم أنه يموت عن قريب لا يهتم بما يستقبله من المكروه ، ويجتهد فى الطاعات فيكثر عمله . والثانية : تقل همومه ؛ لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب لا يهتم بما يستقبله من المكروه . والثالثة : يجعله راضيًا بالقليل؛ لأنه إذا علم أنه يموت عن قريب فإنه لا يطلب الكثرة وإنما يكون همه هم آخرته . والرابعة : أن ينور قلبه ؛ لأنه يقال : نور القلب من أربعة أشياء : أولها : بطن جائع . والثانى : صاحب صالح . والثالث : حفظ الذنب القديم . والرابع : قصر الأمل . فإن من طال أمله عاقبه الله تعالى بأربعة أشياء: أولها : أن يتكاسل عن الطاعات . والثانى : أن تكثر همومه فى الدنيا . والثالث : أن يصير حريصًا على جمع المال . والرابع : أن يقسو قلبه؛ لأنه يقال : قسوة القلب من أربعة أشياء : أولها : بطن ممتلئ . والثانى : صحبة صاحب السوء . والثالث : نسيان الذنوب الماضية . والرابع : طول الأمل . فينبغى للمسلم أن يقصر أمله فإنه لا يدرى فى أى نفس يموت، وفى أى قدم يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان : ٣٤] .

قال بعض المفسرين : بأى قدم يموت . وفى آية أخرى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر : ٣٠] وقال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل : ٦١] فينبغى للمسلم أن يكثر ذكر الموت فإنه لا غنية للمؤمن عن ست خصال : أولها : علم يدله على الآخرة . والثانى : رفيق يعينه على طاعة الله تعالى ويمنعه عن معصيته . والثالث : معرفة عدوه والحذر منه . والرابع : عبرة يعتبر بها فى آيات الله تعالى وفى اختلاف الليل والنهار . والخامس : إنصاف الخلق كيلا يكون له يوم القيامة خصم . والسادس : الاستعداد للموت قبل نزوله لكيلا يكون مفتضحًا يوم القيامة .

قال: وحدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الحسن البصرى أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «**أيريد كلكم أن يدخل الجنة ؟**» قالوا: نعم جعلنا الله تعالى فداءك يا رسول الله . قال: «**قصروا الأمل، واستحيوا من الله حق الحياء**» . قالوا : يا رسول الله ، كلنا نستحى من الله تعالى . قال : « ليس ذلك بالحياء ، ولكن الحياء من الله تعالى : أن تذكروا المقابر والبلى ، وتحفظوا الجوف وما وعى ، والرأس وما حوى [(١)] ، ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا ، فهنالك يستحى العبد من الله تعالى حق الحياء » . وبها يصيب ولاية الله تعالى .

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤٥٨)، وأحمد، حديث (٣٦٦٢) (من حديث ابن مسعود) . وانظر «صحيح الترمذي» .

وروى حميد الطويل عن مورق العجلى قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝﴾ [التكاثر : ١ ، ٢] فقال : **«يقول ابن آدم: مالى مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت»** (١) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالي : مكتوب فى التوراة خمسة أحرف : الغنية فى القناعة ، والسلامة فى العزلة ، والحرية فى رفض الشهوات ، والمحبة فى ترك الرغبة ، والتمتع فى أيام طويلة بالصبر فى أيام قليلة .

وروى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : **«يا عائشة، إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقى ثوبًا حتى ترقعيه»** (٢) .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ، ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده»** (٣) .

قال : وحدثنى الفقيه بإسناده عن الحسن بن على قال : قال رسول الله ﷺ : **«الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن ، والزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن »** (٤) . و«ما الفقر أخاف عليكم ولكننى أخاف عليكم الغنى ، أن تبسط لكم الدنيا كما بسطت لمن كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» (٥) .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : **«صلاح أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين ، وهلاك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل»** (٦) .

٢٦ - باب فضائل الفقراء

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندي : حدثنا أبو بكر الجرجانى حدثنا أحمد بن عبد الله عن سالم بن أبى سالم عن خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال : يا رسول الله ، إنى رسول الفقراء إليك . فقال : **«مرحبًا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله»** . قال : يا رسول الله ، يقول الفقراء : إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ، هم يحجون ولا نقدر عليه ، ويتصدقون ولا نقدر عليه ، وإذا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٩٥٨) .
(٢) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذي، حديث (١٧٨٠)، وانظر «ضعيف الترمذي» .
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١٤٧٥) .
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١٠٥٣٦) .
(٥) حديث «وما الفقرَ . . .» أخرجه البخاري، حديث (٦٤٢٥)، ومسلم، حديث (٢٩٦١) .
(٦) حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٧٦٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٠٨٤٥)، وانظر «صحيح الجامع»، حديث (٣٨٤٥) .

مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرًا. فقال رسول الله ﷺ : **«بلغ عنى الفقراء أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء ، أما الخصلة الأولى أن فى الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ، لا يدخلها إلا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها حيث شاءوا ، ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأربعين عامًا بسبب الملك الذى أعطاه الله . والخصلة الثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصًا ويقول الغنى مثل ذلك مخلصًا لم يلحق الغنى الفقير وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها»** . فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا : رضينا يا رب رضينا يا رب[1] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنى يحيى ابن سليمان عن عمران بن مسلم قال : بلغنى أن أبا ذر قال : أوصانى خليلى ﷺ بسبع لم أتركهن ولا أتركهن : أوصانى بحب المساكين والدنو منهم ، وأن أنظر إلى من هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى وإن أدبرت وقطعت ، وأن أستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة ، وأن لا أسأل الناس شيئًا ، وأن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأن أقول الحق وإن كان مُرًا[2] ، وكان أبو ذر رضى الله تعالى عنه إذا سقط من يده سوطه يكره أن يقول لأحد ناولنيه .

وبهذا الإسناد قال : حدثنا إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة قال : تقول الملائكة : يا رب ، عبدك الكافر بسطت له فى الدنيا وتزوى عنه البلاء ؟! فيقول للملائكة : اكشفوا عن عقابه . فإذا رأوه قالوا : يا رب ، لا ينفعه ما أصاب من الدنيا . وتقول : يا رب ، عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا وتعرضه للبلاء ؟! فيقول : اكشفوا عن ثوابه . فإذا رأوه قالوا : يا رب ، ما يضره ما أصابه من الدنيا .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى ذر الغفارى أن النبى ﷺ قال : **«المكثرون هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»** - أربع مرات - **«وقليل ما هم»**[3] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قول النبى ﷺ : **«المكثرون هم الأقلون»** يعنى : إذا كان

(١) ذكره الديلمي في مسند الفردوس، حديث (٨٩١٤). وفي إسناده خارجه بن مصعب: متروك كذاب (ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥). وزيد بن أسلم: ثقة عالم، وكان يرسل (التقريب ١/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٢٠٩٠٦)، والطبراني في «الصغير» حديث (٧٥٨)، وفي «الكبير»، حديث (١٦٤٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦٥) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه وزاده «وألا أسأل الناس شيئا» ورجاله رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر وهو ثقة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٤٣)، ومسلم، حديث (٩٤).

الغنى من أهل الجنة فهو أقل درجة من الفقير ، وإن كان من أهل النار فهو فى الدرك الأسفل من النار، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا . يعنى : يتصدق عن يمينه ويساره ومن خلفه ومن بين يديه . «**وقليل ما هم**» . يعنى : قلما يوجد مثل هذا فى الأغنياء ؛ لأن الشيطان يزين لهم أموالهم فى الدنيا .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن الشيطان يقول : لن ينجو الغنى من إحدى ثلاث : إما أن أزينه فى عينه فيمنعه من حقه ، وإما أن أسهل عليه سبيله فينفقه فى غير حقه ، وإما أن أحببه فى قلبه فيكسبه بغير حقه**» [(١)].

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : بعث النبى ﷺ وأنا تاجر فأردت أن تجتمع لى التجارة مع العبادة فلم تجتمعا ، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة ، فوالذى نفسى بيده ما أحب أن لى حانوتًا على باب المسجد لا تخطئنى فيه صلاة فأربح كل يوم أربعين دينارًا فأتصدق بها فى سبيل الله . قيل : يا أبا الدرداء لم تكره ذلك ؟ قال : لسوء الحساب [(٢)] .

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ، ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده**» [(٣)].

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**الفقر مشقة فى الدنيا ، مسرة فى الآخرة ، والغنى مسرة فى الدنيا ، مشقة فى الآخرة**» [(٤)].

وروى أن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن لكل أحد حرفة وحرفتى اثنتان : الفقر والجهاد ، فمن أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضني**» [(٥)].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للمسلم أن يحب الفقر ويحب الفقراء وإن كان غنيًا ؛ لأن فى حب الفقراء حب الرسول ﷺ ، وقد أمر الله تعالى رسوله بحب الفقراء والدنو منهم وهو قوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية : يعنى : احبس نفسك مع الفقراء الذين حبسوا أنفسهم للعبادة .

وكان سبب نزول هذه الآية أن عيينة بن حصن الفزارى وكان رئيس قومه فدخل على رسول الله ﷺ وعنده سلمان الفارسى وصهيب بن سنان الرومى وبلال بن حمامة الحبشى وغيرهم من ضعفاء الصحابة رضى الله عنهم ، وعليهم ثياب خلقة قد عرقوا فيها ، فقال عيينة : إن لنا شرفًا فإذا دخلنا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٥٤٧).

(٢) انظر «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد، حديث (٢٢٣٩٢)، والطبراني في «الكبير» حديث (٣٤٣٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٩) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات وعندهم جميعا بفظ: «حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة».

(٥) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٥٠٢١).

عليك فأخرج هؤلاء ؛ فإنهم يؤذوننا بريحهم ، واجعل لنا مجلسًا فنهاه الله تعالى عن إخراجهم فقال : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ يعنى : يصلون الصلوات الخمس ويطلبون رضاه ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعنى : لا تتجاوزهم ولا تحقرهم طلب زينة الحياة الدنيا . قال : ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾

يعنى : لا تطع من أعرضنا قلبه عن ذكرنا ، عن القرآن ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يعنى : اتبع هوى نفسه فى بغض الفقراء ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ يعنى : أمره كان ضائعًا باطلاً فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ مجالسة الفقراء والقرب منهم . وهذا الأمر لجميع الفقراء المسلمين إلى يوم القيامة . فينبغى للمسلم أن يحب الفقراء ويبرهم ويتخذ عندهم الأيادى ؛ فإنهم قواد الله يوم القيامة وترجى شفاعتهم .

وروى الحسن رحمه الله تعالى عن النبى ﷺ قال : «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا ، فيقول جل سلطانه وعظم شأنه : وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف وانظر من أطعمك فى أو كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك . والناس يومئذ قد ألجمهم العرق ، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده فيدخله الجنة**»[١] .

وروى الحسن رحمه الله تعالى عن النبى ﷺ أنه قال : «**أكثروا معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة**» . قالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : «**إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبًا ، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة**»[٢] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : اعلم أن للفقير خمس كرامات : إحداها : أن ثواب عمله أكثر من ثواب عمل الغنى فى الصلاة والصدقة وغير ذلك . والثانية : أنه إذا اشتهى شيئًا ولم يجده يكتب له الأجر . والثالثة : أنهم سابقون إلى الجنة . والرابعة : أن حسابهم فى الآخرة أقل . والخامسة : أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتمنون فى الآخرة أن لو كانوا فقراء ، ولا يتمنى الفقير أن لو كان غنيًا ، وفى كل هذا قد جاءت الآثار .

وروى زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**درهم من الصدقة أفضل من مائة ألف**» . قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : «**أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف وتصدق بها ، وأخرج رجل درهمًا من درهمين لم يملك غيرهما طيبة من نفسه ، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف**»[٣] .

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (٤/ ٣٣٢) بنحوه، وابن ابن الدنيا في قضاء الحوائج حديث (١٩).

(٢) موضوع: ذكره الديلمي في مسند الفردوس، حديث (٢٦١) عن الحسن بن علي، وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٩٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحة، حديث (٣٣٤٧)، والحاكم في مستدركه، حديث (١٥١٩) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (من حديث أبي هريرة).

وروى عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبى ﷺ أنه سأله بعض أصحابه إذا رأينا أشياء نشتهيها لا نقدر عليها فهل لنا فيها أجر؟ قال : «نعم تؤجرون إن لم تؤجروا فيها»(١).

وقال الضحاك : من دخل السوق فرأى شيئًا يشتهيه فصبر فاحتسب كان خيرًا له من مائة ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : والدليل على فضل الفقراء قول الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور : ٥٦] يعنى : أقيموا الصلاة إلي، وأدوا الزكاة إلى الفقراء ، فقرن حق الفقراء بحق نفسه ، ويقال : الفقير طبيب الغنى وقصاره ورسوله وحارسه وشفيعه ،وإنما قيل طبيبه ؛ لأن الغنى إذا مرض يتصدق على الفقراء فيبرأ من مرضه ، وإنما قيل قصاره ؛ لأن الغنى إذا تصدق عليه يدعو له الفقير فيطهر الغنى من ذنوبه ويطهر ماله ،وإنما قيل هو رسوله ؛ لأن الغنى إذا تصدق عن والديه أو عن أحد من أقربائه فيصل ذلك إلى الموتى فصار الفقير رسوله إلى الموتى ، وإنما قيل هو حارسه ؛ لأن الغنى إذا تصدق فدعا له الفقير تحصن مال الغنى بدعاء الفقير .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**ألا أخبركم عن ملوك الجنة**» . فقالوا : نعم . قال : «**هم الضعفاء المظلومون الذين لا يزوجون المتنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد ، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره ولو أقسم على الله لأبَرَّه**»(٢) .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر .

وعن أبى الدرداء : ما أنصفنا إخواننا الأغنياء ؛ لأنهم يأكلون ونحن نأكل ، ويشربون ونحن نشرب ، ويلبسون ونحن نلبس ، ولهم فضول أموالهم ينظرون إليها ونحن ننظر إليها معهم ، وهم يحاسبون ونحن براء منها .

وعن شقيق الزاهد أنه قال : اختار الفقراءُ ثلاثة أشياء ، والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب .

وروى عن حاتم الزاهد أنه قال : من ادّعى أربعًا من غير أربع فهو مكذب : من ادعى حب مولاه من غير ورع عن محارمه ، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فى طاعة الله تعالى ، ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير اتباع سنته ، ومن ادعى حب الدرجات من غير صحبة الفقراء والمساكين .

وقال بعض الحكماء : أربع من كن فيه فهو محروم من الخير كله : المتطاول على من تحته ،

(١) من مراسيل الحسن .

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦) عده روايات لهذا الحديث وعزاها لأحمد والطبراني .

والعاق لوالديه ، ومن يحقر الغريب ، ومن يعير المساكين لمسكنتهم .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**ما أوحى الله تعالى إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن** ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر : ٩٨-٩٩]»[١] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : يا أيها الناس ، لا تحملكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**اللهم توفنى إليك فقيرًا ولا تتوفنى غنيًا ، واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة ، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**»[٢] .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه أتى بغنائم من غنائم القادسية فجعل يتصفحها وينظر إليها ويبكى ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : هذا يوم السرور والفرح وأنت تبكى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أجل ، ولكن ما أوتى هذا قوم إلا أوقع بينهم العداوة والبغضاء .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «**لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال**»[٣] .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ **أنه قال** : «**إن أحب الخلق إلى الله الفقراء**[٤] ؛ لأنه كان أحب الخلق إلى الله الأنبياء فابتلاهم بالفقر» .

قال : حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو الحسين الفراء بإسناده عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران : إنه يموت رجل من أحب عبادى إلىّ وأحب أهل الأرض ، فأته وكفنه وغسله وقم على قبره . فطلبه فى العمران فلم يجده ، ثم طلبه فى الخراب فلم يقدر عليه ، ثم رأى قومًا من الطيانين فقال : هل رأيتم مريضًا ههنا بالأمس أو ميتًا اليوم ؟ فقال بعضهم : رأيت مريضًا فى الخربة فلعلك تريده ؟ قال : نعم . فذهب فإذا هو بمريض طريح وتحت رأسه لبنة ، فلما أن عالج نفسه سقط رأسه عن اللبنة . قال : فقام موسى فبكى ، فقال : يارب قلت : إن هذا من أحب إلىّ . فلم أر عنده من كان يمرضه فأوحى الله تعالى إليه : أن يا موسى إنى إذا أحببت عبدى زويت عنه الدنيا كلها .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١/ ١٣١)، مرسلاً عن أبي مسلم الخولاني.

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» حديث (٥٤٩٩)، والحاكم في مستدركه، حديث (٧٩١١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٣٦) (من حديث كعب بن عياض) وانظر «**صحيح الترمذي**».

(٤) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه بنحوه، حديث (٤١٢١)، من حديث عمران بن حصين أن رسول الله قال: «**إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال**» . وانظر «**ضعيف ابن ماجه**».

وروى عباد بن كثير عن الحسن أنه قال : أخذ إبليس أول دينار ضرب فوضعه على عينيه وقال : من أحبك فهو عبدى . وروى عبد المنعم عن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : وصل إبليس - لعنه الله - إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام على صورة شيخ فقال له سليمان : أخبرنى بما أنت صانع بأمة روح الله تعالى - يعنى : عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام- فقال: لأدعونهم يتخذون إلهين من دون الله تعالي . قال : فما أنت صانع بأمة محمدﷺ ؟ قال : لأدعونهم إلى الدينار والدرهم حتى يكون ذلك أشهى عندهم من لا إله إلا الله . قال سليمان : أعوذ بالله منك . فنظر فإذا هو قد ذهب .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : الواجب على الفقير أن يعرف منة الله تعالى ، ويعلم أنه قد صرف عنه الدنيا لكرامته عليه ، وأكرمه بما أكرم به الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام ، ويحمد الله تعالى ولا يجزع فى ذلك ، ويصبر على ما يصيبه من ضيق العيش ، ويعلم أن وعد الله له فى الآخرة خير له مما صرف عنه فى الدنيا ، ولو لم يكن للفقر فضيلة سوى أنه كان حرفة رسول اللهﷺ واقتداء به لكان عظيمًا .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنى الثقة بإسناده عن طاوس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : بينما رسول اللهﷺ جالس وقد نزل ملك وجبريل عليه الصلاة والسلام معه قال جبريل : هذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط ، استأذن ربه فى زيارتك . فلم يمكث إلا قليلاً حتى جاء الملك فقال: السلام عليك يا رسول الله . فقال: **«وعليك السلام»** قال الملك : فإن الله تعالى يخيرك أن يعطيك خزائن كل شيء ، ومفاتيح كل شيء لم يعطه أحدًا قبلك ولا يعطيه أحدًا بعدك ، من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيئًا ، أو يجمعها لك يوم القيامة ؟ فقال النبىﷺ : **«بل يجمعها إليّ يوم القيامة»**(١) . وعن صفوان بن سليم عن عبد الوهاب بن بجيد أن النبىﷺ قال : **«عرض عليّ بطحاء مكة ذهبًا وفضة ، قلت : يا رب ، أشبع يومًا وأجوع يومًا ، فأحمدك إذا شبعت ، وأضرع إليك إذا جعت»**(٢) . وبالله التوفيق .

٢٧ - باب رفض الدنيا

قال : حدثنا الفقيه أبو الليث رضى الله تعالى عنه حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا محمد ابن عقيل حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ حدثنا الحجاج حدثنا شعبة عن عمرو بن سلمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه عن النبىﷺ أنه قال : **«من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت نيته فى الدنيا ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»**(٣) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٤٧)، (من حديث أبي أمامه)، وانظر «ضعيف الترمذي» .

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٤١٠٥)، وانظر «صحيح ابن ماجه» .

وبه قال : حدثنا أبو جعفر حدثنا محمد بن عقيل حدثنا محمد بن على حدثنا أبو غسان النهدى حدثنا عمر بن زياد الهلالى عن الأسود بن قيس قال : سمعت جندبًا قال : دخل عمر رضى الله تعالى عنه على النبى ﷺ وهو على حصير ، وقد أثر بجنبه الشريف ، فبكى عمر رضى الله تعالى عنه ، فقال النبى ﷺ : «**ما يبكيك يا عمر ؟**» قال : ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا ، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم وقد أثر بجنبك الشريط فقال النبى ﷺ : «**أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ، ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة**»[١] .

وبه قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يعلى بن إسماعيل عن ذر عن زبيد قال : قال على رضى الله تعالى عنه : إنما أخشى عليكم اثنتين :

طول الأمل واتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسى الآخرة ، واتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وإن غدًا حساب ولا عمل . يعنى : أكثروا من العمل فى هذا اليوم ؛ فإنكم لا تقدرون غدًا على العمل [٢] .

وبه قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا الثقة بإسناده عن الحسن البصرى قال : طلبت خطبة النبى ﷺ التى كان يخطب بها كل جمعة أربع سنين فلم أقدر عليها ، حتى بلغنى أنها عند رجل من الأنصار ، فأتيته فإذا هو جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ، فقلت له : أنت سمعت خطبة النبى ﷺ التى كان يخطب بها كل جمعة ؟ قال : نعم ، سمعته يقول ﷺ : «**أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن العبد المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ، ومن حياته لموته ، ومن شبابه لكبره ، ومن دنياه لآخرته ، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم**»[٣] .

وذكر عن سهل بن عبد الله التسترى أنه كان ينفق ماله فى طاعة الله تعالى ، فجاءت أمه وإخوته إلى عبد الله بن المبارك يشكونه وقالوا : إن هذا لا يمسك شيئًا ونخشى عليه الفقر . فأراد عبد الله أن يعينهم عليه ، فقال له سهل : يا أبا عبد الرحمن ، أرأيت لو أن رجلاً من أهل المدينة اشترى ضيعة برستاق وهو يريد أن يتحول من المدينة إليها ، أيخلف بالمدينة شيئًا وهو يسكن الرستاق ؟ .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٤٩٧٣)، ومسلم، حديث (١٤٧٩).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (١٠٥٨١).

قال عبد الله : خصمكم . يعنى : أنه إذا أراد أن يتحول إلى الرستاق لا يترك فى المدينة شيئًا ، فالذى يريد أن يتحول من الدنيا إلى الآخرة كيف يترك فى الدنيا شيئًا .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : من كان عاقلاً فإنه يرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالجمع ويشتغل بعمل الآخرة ؛ لأن الآخرة هى دار القرار ودار النعيم ، والدنيا دار فناء وهى غدارة مفتنة .

وروى جويبر عن الضحاك قال : لما أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقدا رائحة الجنة غشى عليهما أربعين صباحًا من نتن الدنيا .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يا عجبًا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور**»[١] .

وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : شهدت مجلسًا من مجالس رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر واللون عليه ثوب أبيض ، فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال النبى ﷺ : «**وعليك السلام ورحمة الله**» . فقال : يا رسول الله ، ما الدنيا؟ قال : «حلم المنام وأهلها مجازون ومعاقبون» . قال : يا رسول الله ، وما الآخرة ؟ قال : «**الأبد ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير**» فقال : يا رسول الله ، وما الجنة ؟ قال : «**بذل الدنيا لتاركها بنعيمها أبدًا**» . قال : فما جهنم ؟ قال : «**بذل الدنيا لطالبها لا يفارقها أهلها أبدًا**» . قال : فمن خير هذه الأمة ؟ قال : «**الذى يعمل فيها بطاعة الله تعالى**» . قال : فكيف يكون الرجل فيها ؟ قال : «**مشمرًا كطالب القافلة**» . قال : فكم القرار بها ؟ قال : «كقدر المتخلف عن القافلة » . قال : فكم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال : «**كغمضة عين**» . قال : فذهب الرجل فلم ير ، فقال رسول الله ﷺ : «**هذا جبريل أتاكم ليزهدكم فى الدنيا ويرغبكم فى الآخرة**»[٢] .

وذكر أن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه قيل له : بأى شيء اتخذك الله خليلاً ؟ قال : بثلاثة أشياء : أولها : ما خيرت بين أمرين إلا اخترت الذى لله على غيره . والثانى : ما اهتممت فيما تكفل الله لى فى أمر رزقى . والثالث : ما تغديت ولا تعشيت إلا مع الضيف .

قال بعض الحكماء : حياة القلب فى أربعة أشياء : العلم والرضا والقناعة والزهد، فالعلم يرضيه ، وبالرضا يبلغ هذه الدرجة ، فإذا بلغ درجة الرضا وصل إلى القناعة ، وتوصله القناعة إلى الزهد وهو التهاون بالدنيا .

قال : والزهد ثلاثة أشياء . أولها : معرفة الدنيا ثم الترك لها . والثانى : خدمة المولى ثم الأدب فيها . والثالث : الشوق إلى الآخرة ثم الطلب لها .

---

(١) أخرجه القضاعي في مسنده، حديث (٣٤٧) .

(٢) قال العراقي في المغني : لم أجد له أصلا .

وعن يحيى بن معاذ الرازى قال : الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال : الركون إلى الدنيا ، وهمُّ غدٍ ، وحسدُ أخٍ ، وحبُّ شرفٍ .

وذكر أيضًا عن يحيى قدّس الله تعالى روحه قال : العاقل المصيب من عمل ثلاثًا ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرًا قبل أن يدخل فيه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا - يعنى : لم يترك الجهد فى طلب الجنة والهرب من النار - : وهى : عَرَف الله تعالى فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يا على ، أربع خصال من الشقاء : جمود العين وقساوة القلب ، وحب الدنيا ، وبعد الأمل**»[1] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[2] .

وروى عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن عثمان قال : بينما رسول الله ﷺ أدلج ليلة من الليالى وصلى صلاة الصبح فى دمنة الحى - يعنى : فى مزبلة القبيلة - فرأى سخلة تتنفس فى سلاها - يعنى : تتحرك الدودة فى جلدها - فنظر إليها رسول الله ﷺ فأمسك ناقته حتى قام القوم فقال : «**أترون أهل هذه الدمنة أغنياء عن سخلتهم هذه وقد هانت عليهم ؟**» فقالوا : بلى يا رسول الله . قال : «**والذى نفس محمد بيده للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها**»[3] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه، والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه**» [4] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قوله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن**» . أن المؤمن وإن كان فى النعمة والسعة فهو بجنب ما أنعم الله تعالى عليه فى الجنة كأنه فى السجن ؛ لأن المؤمن إذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة ، فإذا نظر إلى ما أعدّ الله تعالى له من الكرامة عرف أنه كان فى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٦/ ١٧٥)، وقال: تفرد برفعة متصلا ممن صالح: حجاج، والديلمي في «مسند الفردوس» حديث (١٥٠٠) حديث أنس، وذكره الذهبي في الميزان (٤/ ٢٩١)، وقال: هذا حديث منكر .

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٢٠)، وابن ماجه، حديث (٤١١٠) (من حديث سهل بن سعد) . وانظر «صحيح الترمذي» .

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٢١)، وابن ماجه، حديث (٤١١١)(من حديث المستورد بن شداد) . وانظر (صحيح الترمذي) .

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٩٥٦)، والترمذي، حديث (٢٣٢٤) مختصرًا .

السجن ، وإن الكافر إذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار ، فإذا نظر إلى ما أعد الله له من العقوبة عرف أنه كان فى الجنة ، فمن كان عاقلاً لا يكون مسرورًا فى السجن ولا يطلب الراحة فينبغى للعاقل أن ينظر إلى الدنيا ويتفكر فيما ضرب للدنيا من الأمثال ؛ لأن الله تعالى ضرب للدنيا مثلاً ، والنبى ﷺ ضرب لها مثلاً ، والحكماء ضربوا لها أمثالاً ، والأشياء تصير واضحة بالأمثال قال الله تعالى عز من قائل ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعنى : مثل الدنيا فى فنائها وزوالها ﴿كَمَآءٍ﴾ يعنى : كمطر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى : أنزل الله تعالى من السماء ماء ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى : اختلط الماء بنبات الأرض . يعنى : أن الماء يدخل فى الأرض فينبت النبات ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من الحبوب ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يعنى : مما يأكل الأنعام من الكلأ والحشيش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعنى : زينتها وحسنها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ يعنى : تزينت الأرض بنباتها وحسنت بألوان من النبات ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ يعنى : حسب أهل الزرع والنبات ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ يعنى : على غلاتها وأنها ستتم لهم ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ يعنى : عذاب الله ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ يعنى : بالليل أو بالنهار ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ يعنى : مستأصلاً ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ يعنى : صارت كأن لم تكن فكذلك الدنيا وما فيها لا تبقى كما لا يبقى هذا الزرع ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعنى : الأمثال ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس : ٢٤] فى أمر الدنيا والآخرة أن الدنيا تفنى وأن الآخرة تبقى .

وروى عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قدم عليه من أرض الشام ، فسأله عن أرضهم ، فأخبره عن سعة أرضهم وكثرة النعيم فيها . فقال له رسول الله ﷺ : «**كيف تفعلون ؟**» قال : إنا نتخذ ألوانًا من الطعام ونأكلها . قال : «**ثم تصير إلى ماذا ؟**» قال : إلى ما تعلم يا رسول الله . يعنى : تصير بولاً وغائطًا . فقال النبى ﷺ : «**فكذلك مثل الدنيا**»(١).

وعن يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى أنه قال : الدنيا مزرعة رب العالمين ، والناس فيها زرعه ، والموت منجله ، وملك الموت حاصده ، والمقبر مِدْرَاسُه ، والقيامة بيدره ، والجنة والنار بيت أهوائه : ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ .

وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بنى إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها كثير من الناس ، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى (٢) .

قال بعضهم :

إن لله عبادًا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيه سفنًا

---

(١) حسن: أخرجه ابن المبارك في الزهد بنحوه، حديث (٥٤٦)، وانظر «صحيح الجامع» رقم (١٧٧٨).
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٥٣٧).

قال بعضهم : ففى هذه الأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها ، والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها والتوكل ظلها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والموت ساحلها ، والقيامة أرض المتجر التى تخرج إليها ، والله مالكها .

وروى عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال : بلغنا أنه يجاء بالدنيا يوم القيامة تتبختر فى زينتها وبهجتها فتقول : يا رب ، اجعلنى لأحسن عبادك دارًا . فيقول الله عز وجل : لا أرضاك دارًا لهم ، أنت لا شيء ، كونى هباء منثورًا ، فتصير هباءً منثورًا [(١)] . وذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء ، بادية أنيابها ، مشوه خلقها ، لا يراها أحد إلا كرهها ، فتشرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها ، فيقال : هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها [(٢)] . وروى فى خبر آخر : أنه يؤمر بها فتلقى فى النار فتقول : يا رب ، أين أتباعى وأصحابى ؟ فيلحقون بها .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : لا يكون لها عذاب ؛ لأنه لا ذنب لها ، ولكنها تلقى فى النار لكى يراها أهلها فيرون هوانها ، كما أن الأوثان جعلت فى النار وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ولا يكون للأوثان عقوبة ولكن لزيادة العقوبة والحسرة لأهلها ، وكذلك الدنيا جعلت فى النار لزيادة العقوبة والحسرة لأهلها ؛ لتكون لهم زيادة الحسرة ، فينبغى للمؤمن أن يعمل للآخرة ولا يشتغل بالدنيا إلا مقدار ما لا بد له منها من غير أن يتعلق قلبه بها .

وروى عن عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : عجبًا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها بغير عمل [(٣)] .

وروى أبو عبيدة الأسدى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أشرب قلبه حب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناؤه ، وأمل لا يبلغ منتهاه ، وحرص لا يدرك عناه ، والدنيا طالبة ومطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه بغتة**» [(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ، حديث (١٢٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» حديث (١٠٦٧١) .

(٣) أخرجه الدارمي ، حديث (٣٦٨) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ، حديث (١٠٣٢٨) ، ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٩) ، وقال : رواه الطبراني عن شيخه جيرون بن عيسى المغربي عن يحيى بن سليمان الحفرى عن فضيل بن عياش ، ولم أعرف جيرون ، وأما يحيى فقد ذكر الذهبي في الميزان في آخر ترجمته يحيى بن سليمان الجعفي فقال فأما سميه يحيى بن سليمان الجفري يفي علمت به بأسا ثم ذكر بعده يحيى بن سليمان القرشي . قال أبو نعيم : فيه مقال ، وذكره ابن الجوزي فإن كانا أثنين فالحفري ثقة والحديث صحيح على شرط الخطبة والله أعلم ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

وروى إبراهيم بن يوسف عن كنانة قال : بلغنى عن أبى حازم أنه قال : وجدت الدنيا شيئين : شيئًا منها هو لى لا يفوتنى وشيئًا منها لغيرى فلا أدركه ، لأنه منع الذى لى من غيرى كما منع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمرى ، ووجدت ما أعطيت من الدنيا شيئين : شيئًا منها يأتى أجله قبل أجلى فأغلب عليه ، وشيئًا منها يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأتركه لغيرى ، ففى أى هذين أعصى ربى[1] .

وروى الأعمش عن سفيان بإسناده عن أشياخه قال : دخل سعد بن أبى وقاص على سلمان رضى الله تعالى عنه يعوده وهو مريض فبكى سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ توفى رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ . فقال سلمان : أما إنى لا أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا فقال : «**ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب**» . وحولى هذه الأساود . قال : وإنما كان حوله إجانة وجفنة ومطهرة ، فقال سعد : يا أبا عبد الله : اعهد إلينا عهدًا فنأخذه بعدك . فقال : يا سعد ، اذكر الله تعالى عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند برك إذا أقسمت[2] .

وروى جويبر عن الضحاك عن رسولُ الله ﷺ أنه قيل له : يا رسول الله ، من أزهد الناس ؟ قال : «**من لم ينس المقابر والبلى ، وترك فضول زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد أيامه ، وعد نفسه من الموتى**»[3] .

(قال الحكيم حاتم اللفاف) : أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها : طلبنا الغنى فى المال فإذا هو فى القناعة ، وطلبنا الراحة فى الكثرة فإذا هى فى القلة ، وطلبنا الكرامة فى الخلق فإذا هى فى التقوى ، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس فإذا هى فى الستر والإسلام . يعنى : فيما يستر الله من العيوب والذنوب .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أصبح والدنيا أكبر همه يلزم الله تعالى قلبه ثلاث خصال : همّ لا ينقطع عنه أبدًا ، وشغل لا يتفرغ منه أبدًا ، وفقر لا يبلغ منتهاه أبدًا**»[4] .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : ما أحد أصبح اليوم فى الناس إلا وهو ضيف وماله عارية ، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : جعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٣٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» حديث (١٢٩٩) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، حديث (٧٨٩١) وصححه ، ووفقه الذهبي ، والبيهقي في «شعب الإيمان» ، حديث (١٠٣٩٥) .

(٣) أخرجه البيهقي عن الضحاك مرسلا ، ورمز السيوطي لضعفه (فيض القدير ١/ ٤٨٢-٤٨٣) .

(٤) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٥٨١٨) ، (من حديث ابن عمر) .

الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت واحد ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا

وروى ثابت عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**قال الله تعالى : يفرح عبدى المؤمن إذا بسطت له شيئًا من الدنيا وذلك أبعد له منى ، ويحزن إذا أقترت عليه الدنيا وذلك أقرب له منى**» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦][1] أى : لا يعلمون أن ذلك فتنة لهم .

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله ﷺ يومًا وهو آخذ بيد أبى ذر فقال : «**يا أبا ذر ، إن بين يديك عقبة كئودًا لا يصعدها إلا المخفون**» قال : يا رسول الله ، أنا من المخفين أو من المثقلين ؟ قال : «**أعندك طعام يومك ؟**» قال : نعم . قال : «**وطعام غد ؟**» قال : نعم . قال : «**وطعام بعد غد ؟**» . قال: لا . قال : «**فلو كان عندك ثلاثة أيام كنت من المثقلين**»[2] . والله تعالى أعلم .

٢٨ - باب الصبر على البلاء والشدة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا محمد بن عقيل حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا المقبرى حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا غلام**» - أو يا غليم - «**ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟**» قلت : بلى يا رسول الله . قال: «**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ،وإذا استعنت فاستعن بالله ،قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقدره الله لك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، اعمل لله بالشكر واليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرًا كثير ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا**»[3] .

قال : حدثنا أبو جعفر رحمه الله تعالى حدثنا أبو النضرمحمد بن محمد بن نصر ، حدثنا أبو شهاب معمر بن محمد حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا بشر بن الزيات عن الأعمش وحطاب وعنيسة ونحو من خمسين شيخًا كلهم يسندون هذا الحديث إلى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال :

أيها الناس ، احفظوا عنى خمسًا ،احفظوا عنى اثنتين واثنتين وواحدة ، ألا لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ، ولا يرجو إلا ربه ،ولا يستحى منكم أحد إذا لم يعلم أن يتعلم ، ولا يستحى أحد منكم إن سُئل وهو لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور ، ثم قال رضى الله تعالى

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٤) موقوفا على يزيد بن ميسره، وعزاه لابن أبي حاتم .
(٢) ذكره الديلمي في مسند الفردوس، حديث (٨٣٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١٠٤٠٧) .
(٣) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥١٦)، وانظر صحيح الترمذي .

عنه : ألا أدلكم على الفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال : من لم يؤيس الناس من روح الله ، ومن لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ، ومن لم يؤمن الناس من مكر الله ، ومن لم يزين للناس معاصى الله ولا ينزل العارفين الموحدين الجنة ، ولا ينزل العاصين المذنبين النار ، حتى يكون الرب هو الذى يقضى بينهم ولا يأمنن خير هذه الأمة من عذاب الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٩] ولا ييأس شر هذه الأمة من روح الله ، والله عز وجل يقول ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا الحكم بن يعقوب عن عيسى بن المسيب عن يزيد الرقاشى قال : إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، والبر يظل عليه ، والصبر يحاج عنه يقول : دونكم صاحبكم فإن حججتم وإلا فأنا من ورائه . يعنى : إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب ، وإلا أنا أكفيكم ذلك وأدفع عنه العذاب . ففى هذه الأخبار دليل على أن الصبر أفضل الأعمال ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] .

وروى عن أبى رواد عن محمد بن مسلمة يرفعه إلى النبى ﷺ أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ذهب مالى وسقم جسمى . فقال النبى ﷺ : «**لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ، إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبره**»(١) .

وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : أيما رجل حبسه السلطان ظلمًا فمات فى حبسه فهو شهيد ، فإن ضربه فمات فهو شهيد .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك**»(٢) .

وروى فى الخبر : أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء : ١٢٣]

قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله ، كيف الفرح بعد هذه الآية ؟

فقال رسول الله ﷺ : «**غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض؟ أليس يصيبك الأذى ؟ أليس تنصب ؟ أليس تحزن؟ فهذا مما تجزون به**»(٣) يعنى : أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك .

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، (من حديث أبي سعيد) وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٦٣٠٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث (٦٠٩٥)، وابن حبان في صحيحة، حديث (٢٩٠٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد، حديث (٦٩)، وابن حبان في صحيحة، حديث (٢٩١٠)، والحاكم في مستدركه، حديث (٤٤٥٠)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (٩٨٠٥).

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية خرج علينا رسول الله ﷺ وقال : «**قد أنزلت على آية هى خير لأمتى من الدنيا وما فيها**» ، ثم قرأ هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء : ١٢٣] ثم قال : «**إن العبد إذا أذنب ذنبًا فتصيبه شدة أو بلاء فى الدنيا ، فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا**»[١].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : اعلم أن العبد لا يدرك منزلة الأخيار ، إلا بالصبر على الشدة والأذى ، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر فقال : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وروى عن خباب بن الأرت رضى الله تعالى عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة فى ظل الكعبة فشكونا إليه ، فقلنا : يا رسول الله ، ألا تدعو الله ؟ ألا تستنصر الله لنا ؟ فجلس محمرًا لونه ثم قال : «**إن من كان قبلكم كان ليؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض حفرة ، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ، ما يصرفه ذلك عن دينه**»[٢] .

وروى عن حميد عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : «**يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض فيغمس فى النار غمسة فيخرج أسود محترقًا ، فيقال له : هل مر بك نعيم قط إذ كنت فيها ؟ فيقول : لا لم أزل فى هذا البلاء منذ خلقتنى ، ويؤتى بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس فى الجنة غمسة– يعنى : يدخل فيها ساعة– فيخرج كأنه القمر ليلة البدر، فيقال له : هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا لم أزل فى هذا النعيم منذ خلقتني**»[٣] .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «**أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء**»[٤] .

فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ، ويعلم أن ما دفع الله عنه من البلاء أكثر مما أصابه ويحمد الله تعالى على ذلك ، وينبغى للعبد أن يقتدى بنبيه ﷺ وينظر إلى صبره على أذى المشركين .

وروى عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل لعنه الله : أيكم

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢٦٢٦)، وابن ماجه، حديث (٢٦٠٤)، وانظر ضعيف الترمذي.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٣٦١٢)، وأبو داود، حديث (٢٦٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٨٠٧) بنحوه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حليه الأولياء (٥/ ٦٩) وفي صفة الجنة (١/ ١١٥) والحاكم في مستدركه، حديث (١٨٥١) وصححه ووافقه الذهبي، وقال محقق «صفة الجنة» وليس كما قالا فالمسعودي لم يخرج له مسلم مطلقا، ولا البخاري موصولا ولا ملعقا على الراجح.

يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتف محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبى ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وأنا قائم أنظر ، قلت : لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ . قال : والنبى ﷺ ساجد ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وجاءت وهى جويرية فطرحته ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته رفع صوته فدعا عليهم فقال : «**اللهم عليك**» بقريش - ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ودعاءه ، ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، فقال : «**اللهم عليك بأبى جهل وعقبة وعتبة وشيبة والوليد ابن المغيرة وأمية بن خلف**»[١] .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : والذى بعث محمدًا بالحق لقد رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر .

وروى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : شكا نبى من الأنبياء إلى ربه فقال : يا رب ، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك ، تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك ، تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا ؟ فأوحى الله تعالى إليه : إن العباد لى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى ، فيكون المؤمن عليه من الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء ، فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقانى فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له الحسنات ، فأبسط له فى الرزق فأزوى عنه البلاء ، حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته[٢] .

قال : حدثنا أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد الفلانى بسمرقند بإسناده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا أراد الله بعبد خيرًا أو أراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبًا ، وثجه عليه ثجًا ، وإذا دعاه قالت الملائكة : يا رب ، صوت معروف ، فإذا دعاه الثانية فقال : يا رب . قال الله تعالى : لبيك عبدى وسعديك . لا تسألنى شيئًا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو شر وادخرت عندى لك ما هو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان ، أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ، ولا ينشر لهم الديوان، ويصب عليهم الأجر صبًا كما يصب عليهم البلاء فيود أهل العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض ؛ لما يرون مما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، فذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر : ١٠]»[٣] .

ذكر فى الخبر أن مؤمنًا وكافرًا فى الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك ، فأخذ الكافر يذكر آلهته ، فما رفع شبكته حتى أخذ سمكًا كثيرًا ، وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجيء شيء ، ثم أصاب سمكة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٥٢٠)، ومسلم، حديث (١٧٩٤).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٣٤١٠٨).
(٣) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٩٧٢).

عند الغروب ، واضطربت فوقعت فى الماء ، فرجع المؤمن وليس معه شيء ، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته ، فأسف مَلَكُ المؤمن الموكل به ، فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكنَ المؤمن فى الجنة فقال : والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا ، وأراه مسكن الكافر فى النار فقال : والله ما يغنى عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا .

ويقال : إن الله تعالى يحتج يوم القيامة بأربعة أبنياء على أربعة أجناس : يحتج على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام فإذا قال الغنى : الغنى شغلنى عن عبادتك . يحتج عليه بسليمان ويقول له : لم تكن أغنى من سليمان ، فلم يمنعه غناه عن عبادتى . ويحتج على العبيد بيوسف عليه الصلاة والسلام فيقول العبد : كنت عبدًا والرق منعنى عن عبادتك . فيقول له : إن يوسف عليه السلام لم يمنعه رقه عن عبادتى . وعلى الفقراء بعيسى عليه الصلاة والسلام فيقول الفقير : إن حاجتى منعتنى عن عبادتك . فيقول : أنت كنت أحوج أم عيسى ؟ وعيسى لم يمنعه فقره عن عبادتى . وعلى المرضى بأيوب عليه الصلاة والسلام فيقول المريض : منعنى المرض عن عبادتك . فيقول : مرضك كان أشد أم مرض أيوب - عليه السلام - فلم يمنعه مرضه عن عبادتى فلا يكون لأحد عند الله عذر يوم القيامة ، وكان الصالحون رحمهم الله تعالى يفرحون بالمرض والشدة ، لأجل أن فيه كفارة للذنوب .

وذكر عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : الناس يكرهون الفقر وأنا أحبه ، ويكرهون الموت وأنا أحبه ، ويكرهون السقم وأنا أحب السقم تكفيرًا لخطاياى ، وأحب الفقر تواضعًا لربى ، وأحب الموت اشتياقًا إلى ربى [١] .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة : الرضا بالقضاء والصبر على البلاء ، والدعاء عند الرخاء**»[٢] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ وهو مستلق ، فقال : من أى شيء تشتكى ؟ قال : «**الخمص**» . يعنى : الجوع . فبكى الرجل ثم ذهب يعمل فاستقى لرجل دلاء كل دلو بتمرة ، ثم جاء إلى النبى ﷺ بشيء من تمر ، فقال : «**ما أراك فعلت هذا إلا وأنت تحبني**» . قال : إى والله إنى لأحبك .

قال : «إن كنت صادقًا فأعد للبلاء جلبابًا ، فوالله للبلاء أسرع إلى من يحبنى من السيل من أعلى الجبل إلى الحضيض» [٣] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١/ ٢١٧) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في الثواب عن عمران بن حصين، والديلمي عن أبي هلال التيمي مرفوعا، (فيض القدير ٣/ ٣١٤) .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان مختصرا، حديث (١٤٧٥)، والخطيب في تاريخه (٣/ ١٥٥) .

وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الرجل يعطيه الله تعالى ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج**»[١] ، ثم قرأ قول الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعنى : لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ يعنى : بما أعطوا من الخير ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ يعنى : فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام : ٤٤] يعنى : آيسين من كل خير .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه سئل : أى الناس أشد بلاء ؟ قال: «**الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**»[٢] . ويقال : ثلاث من كنوز البر : كتمان الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة .

وذكر عن وهب بن منبه أنه قال كتبت من كتاب رجل من الحواريين : إذا سلك بك سبيل البلاء فقر عينًا ؛ فإنه يسلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك ؛ فقد خولف بك عن سبيلهم . وذكر أن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام نحو هذا .

وذكر عن فتح الموصلى رحمه الله تعالى أنه أصابته خصاصة فى أهله فقال: إلهى ، ليتنى علمت بأى عمل أكرمتني بهذا حتى أزداد من ذلك . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**من قل ماله ، وكثر عياله ، وحسنت صلاته ، ولم يغتب المسلمين ، جاء معي يوم القيامة هكذا**»، وجمع بين أصبعيه[٣] .
روى عن مجاهد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : والذى لا إله إلا هو إنى كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإنى كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ، ما سألته عنها إلا ليستتبعنى – يعنى : لكى يذهب بى إلى منزله، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى عمر فسألته عن آية ، ما سألته عنها إلا ليستتبعنى ، فمر ولم يفعل، ثم مر النبى ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى ثم قال : «**يا أبا هريرة**» . قلت : لبيك يا رسول الله . قال: «**الحق بى**» ومضى ، فاتبعته واستأذنت فأذن لى ، فدخلت فوجدت لبنا فى قدح ، فقال: «**من أين هذا**» . قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة . قال : «**يا أبا هريرة**» . قلت : لبيك . قال: «**الحق بأهل الصفة وادعهم إلى**» . فساءنى ذلك فقلت . وما هذا اللبن فى أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، ولكن لم يكن بدّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانتهيت فدعوتهم فأقبلوا حتى استأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم ، فقال : «**يا أبا هريرة ، خذ وأعطهم**» . فأخذت القدح فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، حتى انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح ووضعه على يديه

(١) أخرجه أحمد، حديث (١٦٨٦٠)، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠) وقال: رواه أحمد والطبراني.
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي معلقا، وانظر «صحيح الجامع» رقم (٩٩٤).
(٣) أخرجه أبو يعلي في مسنده، حديث (٩٩٠)، والديلمي في مسند الفردوس، حديث (٥٦٦٢).

فقال : «**يا أبا هريرة**» . قلت : لبيك يا رسول الله ﷺ قال : «**بقيت أنا وأنت**» . قلت : صدقت يا رسول الله . قال : «**اقعد واشرب**» . فقعدت وشربت ، قال : «**اشرب**» . فشربت فما زال يقول اشرب فأشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق نبيًا ما أجد مسلكًا ، فأعطيته القدح فحمد الله وشرب النبى ﷺ الفضل .[(١)]

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : كان أصحاب رسول الله ﷺ فى شدة من أذى الكفار ومن الجوع فصبروا على ذلك حتى فرج الله عنهم ، وكل من صبر فرج الله عنه ؛ فإن الفرج مع الصبر ، وإن مع العسر يسرا . وكان الصالحون رحمهم الله يفرحون بالشدة ؛ لما يرجون من ثوابها .

وروى عن عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن أبيه عن جده عن مسلم بن يسار قال : قدمت إلى البحرين ، فأضافتنى امرأة لها بنون ورقيق ومال ويسار فكنت أراها محزونة ، فلما خرجت من عندها قلت لها : ألك حاجة ؟ قالت : نعم ، إن أنت قدمت بلدتنا هذه أن تنزل على . فغبت عنها كذا وكذا سنة ثم أتيتها فلم أر ببابها إنسيًا ، فاستأذنت عليها فإذا هى ضاحكة مسرورة ، قلت لها : ما شأنك ؟ قالت : إنك لما غبت عنا لم نرسل فى البحر شيئًا إلا غرق ، ولا فى البر شيئًا إلا عطب ، وذهب الرقيق ، ومات البنون . فقلت لها : يرحمك الله ، رأيتك محزونة فى ذلك اليوم ومسرورة فى هذا اليوم ؟ فقالت : نعم إنى لما كنت فيه من سيئة الدنيا خشيت أن يكون الله قد عجل حسناتى فى الدنيا ، فلما ذهب مالى وولدى ورقيقى رجوت أن يكون الله قد ادخر لى عنده خيرًا ففرحت .

وروى الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن رجلاً من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت وهى تمشى فصدمه حائط فأثر فى وجهه ، فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ : «**إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل عقوبته فى الدنيا**»[(٢)] .

وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : ألا أخبركم بأرجى آية فى كتاب الله تعالى ؟ قالوا : بلى فقرأ عليهم : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] فالمصائب فى الدنيا بكسب الأوزار فإذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا ، وإذا عفا عنه فى الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه يوم القيامة[(٣)] .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ما يصيب المؤمن مصيبة حتى شوكة فما فوقها إلا حط الله عنه بها خطيئة**»[(٤)] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٥٢).
(٢) أخرجه أحمد، حديث (١٦٣٦٤).
(٣) أخرجه أحمد، حديث (٦٥٠)، وأبو يعلى في مسنده، حديث (٤٥٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٣، ١٠٤)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال: «فالله أكرم من أن يثنى» بدل «عليهم» وفيه أزهر بن راشد وهو ضعيف.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٥٦٤٠)، ومسلم، حديث (٢٥٧٢).

٢٩ - باب الصبر على المصيبة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الرحمن القارئ حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضى بالكوفة حدثنا محمد بن عاصم صاحب الحكايات حدثنا سليمان بن عمرو عن مجاهد بن الحسن عن عبد الرحمن بن غانم عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : مات ابن لى فكتب إلى رسول الله ﷺ: «**من محمد رسول الله إلى معاذ ابن جبل ، السلام عليك ، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن نفوسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا وأموالهم من مواهب الله الهنيئة ، وعواريه المستودعة ، نتمتع بها إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم ، ثم افترض الله علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك هذا من مواهب الله الهنيئة ، وعواريه المستودعة ، متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كبير إن صبرت واحتسبت ، فلا تجمعن عليك يا معاذ أن يحبط جزعك أجرك ، فتندم على ما فاتك ، فلو قدمت على ثواب مصيبتك عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتًا ، ولا يدفع حزنًا ، فليذهب عنك أسفك بما هو نازل بك ، فكأنك قد نزل بك ، والسلام**»(١).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : معنى قوله : «**فليذهب عنك أسفك بما هو نازل بك**» . يعنى تفكر فى الموت الذى هو نازل بك حتى يذهب حزنك «**فكأن قد**» يعنى : كأنه قد جاء الموت ؛ لأن الرجل إذا تفكر فى موت نفسه وعلم أنه يموت عن قريب فلا يجزع له؛ لأن الجزع لا يرد ميتًا ويبطل ثواب المصيبة ؛ لأن الذى يجزع على المصيبة إنما يشكو ربه ويرد قضاءه .

قال : أخبرنى أبو حميد عبد الوهاب العسقلانى بسمرقند حدثنا محمد بن على حدثنا الخزاعى حدثنا إبراهيم بن سليمان المصرى عن على بن حميد عن وهب بن أرشد عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على ربه ، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله تعالى ، ومن تواضع لغنى لينال ما فى يده أحبط الله ثلثى عمله ،ومن أعطى القرآن فدخل النار أبعده الله من رحمته**» (٢).

يعنى : من أعطاه الله القرآن ولم يعمل بما فيه وتهاون حتى دخل النار أبعده الله من رحمته ؛ لأنه هو الذى فعل بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن .

وقال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه :وجدت فى التوراة أربعة أسطر متواليات : أحدها : من

---

(١)أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٤٣)، وقال : ابن الجوزي في (الموضوعات ٣/ ٢٤٢)، وهذا حديث موضوع .

(٢)أخرجه الطبراني في (الصغير)، حديث (٧٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٠٠٤٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٨)، وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه وهب بن راشد البصري صاحب ثابت وهو متروك .

قرأ كتاب الله تعالى فظن أنه لم يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله تعالي . والثاني : من شكا مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه . والثالث : من حزن على ما فاته فقد سخط على قضاء ربه . والرابع : من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه . يعنى نقص من يقينه [١] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«من مات له ثلاثة أولاد لم يلج النار إلا تحلة القسم»** [٢] .

يعنى : أن الله تبارك وتعالى قال : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] الآية .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ما من مسلم يصاب بمصيبة وإن قدم عهدها فأحدث لها استرجاعًا إلا أحدث الله له مثله»** [٣]– يعنى : مثل أجره . والله أعلم – **«وأعطاه مثل ذلك الأجر الذى أعطاه يوم أصيب به»** .

وذكر عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان إذا ولد له ولد أخذه يوم السابع ، فسئل عن ذلك فقال : إنى أحب أن يقع له فى قلبى شيء من المحبة فإن مات كان أعظم لأجرى .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رجلًا كان يجيء بصبى له معه إلى رسول الله ﷺ، ثم إن الغلام توفى فاحتبس والده ، فلما فقده رسول الله ﷺ سأل عنه فقالوا : يا رسول الله ، مات صبيه الذى رأيته . قال : **«فهلا آذنتمونى به»** – يعنى : أخبرتمونى – **«قوموا إلى أخينا نعزيه»** . فلما دخل عليه النبى ﷺ إذا الرجل حزين وبه كآبة فقال : يا رسول الله ، إنى كنت أرجوه لكبر سنى وضعفى . فقال رسول الله ﷺ : **«أما يسرك أن تأتى يوم القيامة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : يا رب ، أبواى . فيقال له ادخل الجنة ثلاث مرات ، فلا يزال يشفع حتى يشفعه الله تعالى ويدخلكم الجنة جميعًا»** . فذهب الحزن عن الرجل [٤]، ففى هذا الخبر دليل على أن التعزية سنة إذا أصاب الرجل مصيبة ينبغى لإخوانه أن يعزوه .

(قال الفقيه) : حدثنى أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى قال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال : أى رب ما لعائد المريض من الأجر ؟ قال : أخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه . قال : أى رب فما لمشيع الموتى من الأجر ؟ قال : أبعث عند موته ملائكة يشيعونه إلى قبره برايات ثم إلى المحشر . قال : أى رب ما لمعزى المبتلى من الأجر ؟ قال : أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى . يعنى : ظل العرش .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١٠٠٤٣) .
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (١٢٥١)، ومسلم، حديث (٢٦٣٢) .
(٣) **ضعيف جدًا**: أخرجه ابن ماجه، حديث (١٦٠٠)، وأحمد، حديث (١٧٣٦)، وانظر (ضعيف ابن ماجه) .
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (٩٧٦١) بنحوه .

وروى أبان بن صالح عن عمير عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«ما تجرّع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غضب ردّها بحلم، وجرعة مصيبة يصبر الرجل عليها ، ولا قطرت قطرتان أحب إلى الله من قطرة دم فى سبيل الله وقطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد لا يراه إلا الله تعالى ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة المفروضة وخطوة إلى صلة الرحم»**(١) .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : توفى ابن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فوجد عليه وجدًا شديدًا ، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه بزى الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرًا ولم أستحصده فمر به هذا فأفسده . فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : أخذت الجادة فأتيت على زرع فرميت يمينًا وشمالاً فإذا الطريق عليه . فقال سليمان : ولم بذرت على الطريق ؟ أما علمت أن لا بد للناس من الطريق ؟ فقال له الملك : ولم تحزن على ولدك ؟ أما علمت أن الموت سبيل الآخرة .

وذكر فى الخبر أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه تاب إلى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك .

وذكر عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه نعى إليه ابنة له وهو فى السفر فاسترجع ثم قال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر قد ساقه الله إليَّ . ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال : قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به قال : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة : ١٥٣](٢) .

وعن النبى ﷺ أنه قال : **«ليسترجع أحدكم فى شسع نعله إذا انقطع فإنها من المصائب»**(٣) .

وقال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان حدثنا أحمد بن الحرث حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن ربيعة عن أبى عبد الرحمن عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : **«من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ **اللهم اؤجرنى فى مصيبتى واعقبنى خيرًا منها فعل الله ذلك به»** . فقالت أم سلمة رضى الله تعالى عنها : لما توفى أبو سلمة قلته ثم قلت : ومن لى مثل أبى سلمة ؟ فأعقبها الله تعالى برسوله ﷺ فتزوجها(٤) . وروى صالح بن محمد بإسناده عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : **«الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، والصبر عند الصدمة الأولى يعظم الأجر ، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة ، ومن استرجع بعد المصيبة جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها»** . (٥)

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (٨٣٢٥) موقوفا على الحسن .
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١/ ٣٧٢)، وقال: رواه ابن أبي الدنيا في العزلة .
(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث (٣٥٢)، وفي إسناده: يحيى بن عبيد الله بن موهب التيمى، قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال ابن عيينة: ضعيف، انظر (ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٥).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٩١٩)، وأبو داود، حديث (٣١١٩)، والترمذي، حديث (٩٧٧).
(٥) فقرات هذا الحديث موزعة في عدة أحاديث: حديث الضرب على الفخذ ذكره الديلمي حديث (٣٧١٧)، وحديث الصبر عند الصدمة الأولى: صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٧١٥٤)، ومسلم، حديث (٩٢٦)، وحديث (عظم الأجر): حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وانظر «صحيح الترمذي» رقم (٢٣٩٦).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للعاقل أن يتفكر فى ثواب المصيبة إذا استقبله يوم القيامة يودّ أن يكون جميع أقاربه وجميع أولاده ماتوا قبله لينال الأجر وثواب المصيبة ، وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابًا عظيمًا إذا صبر واحتسب ، وهو قول الله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ يعنى : لنختبرنكم ، والاختبار من الله تعالى إظهار ما يعلم به الغيب ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ يعنى : مخافة قتال العدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ يعنى : المجاعة ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ يعنى : ذهاب أموالهم ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ يعنى : الأوجاع والأمراض من القتل أو الموت ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ يعنى : لا تخرج الثمرات كما كانت تخرج ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على الرزيات والمصائب ، ثم نعتهم فقال : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يعنى : نحن عبيد الله وفى ملكه وفى قبضته إن عشنا فعليه أرزاقنا وإن متنا فإليه مآبنا ومردنا ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعنى : بعد الموت ، فالواجب علينا أن نرضى بحكمه فإن لم نرض بحكمه فلا يرضى عنا إذا رجعنا إليه ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعنى : أهل هذه الصفة ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ والصلوات جمع الصلاة . والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أوجه : توفيق الطاعة ، والعصمة من الذنوب ، والمغفرة ، فهذا تفسير الصلاة الواحدة .

وأما الصلوات فلا يعرف منتهاها إلا الله تعالى ، ثم قال : ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعنى : ورحمة من الله تعالى : ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ٥٥ - ١٥٧] إلى الاسترجاع . يعنى : وفقهم الله لذلك .

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة ، ولو أعطى لأحد لأعطى يعقوب ، ألا ترى أنه قال : ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف : ٨٤] .

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٥٧] فهذه العلاوة [1] .

وروى أنه لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بكى رسول الله ﷺ وذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن : يا رسول الله ؛ تبكى أو لم تنه عن البكاء ؟ قال : «**لا ، ولكن نهيت عن النوح والغناء ، وعن صوتين أحمقين فاجرين ، وعن خمش الوجوه ، وشق الجيوب ، ورنة الشيطان ، وعن صوت الغناء فإنه لعب ولهو ، ومزامير الشيطان ، ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب الرحماء ، ومن لا يرحم لا يُرحم**» . ثم قال : «**القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب تعالى وتقدس**» [2] .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : إن الله تعالى رفع عنكم الخطأ والنسيان وما أكرهتم عليه وما لا تطيقون ، وأحل لكم فى حال الضرورة أشياء مما حرم عليكم ، وأعطاكم خمسًا :

---

(١) أخرجه الحاكم، حديث (٣٠٦٨)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٥٨٧).
(٢) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (١٠٠٥)، وانظر صحيح الترمذي.

الأول: أعطاكم الدنيا فضلاً وسألكموها قرضًا ، فما أعطيتموه منها طيبة بها أنفسكم جعل لكم التضعيف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما لا يحصيه غيره .

والثاني: أخذ منكم كرهًا فاحتسبتم وصبرتم ثم جعل لكم به الصلاة والرحمة لقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة : ١٥٧]

والثالث : ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ .

والرابع: لو أساء مسيئكم حتى تبلغ ذنوبه الكفر ثم تاب فإنه يتوب عليه ويحبه حيث قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة : ٢٢٢] .

والخامس : لو أعطى جبريل وميكائيل ما أعطاكم لكان قد أجزل لهما فقال : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر : ٦٠] .

وروى عن يحيى بن جابر الطائى أن رسول الله ﷺ قال : «**ما قدم رجل شيئًا بين يديه أحب إليه ، ولا هو فيه أعظم أجرًا من ولد ، قدمه بين يديه ابن اثنتى عشرة سنة**»[١] .

ويقال : «**الصبر عند الصدمة الأولى**»[٢] وإذا مضى عليه وقت يصبر إن شاء أو أبى ، فالعاقل من صبر بأول مرة .

وروى عن ابن المبارك رحمه الله تعالى أنه مات له ابن فمر به مجوسى يعزيه فقال له : ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ابن المبارك : اكتبوا هذا منه .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**من عزّى مصابًا كان له مثل أجره**»[٣] .

وروى عنه ﷺ أنه قال : «**الصبر ثلاثة : صبر على الطاعة ، وصبر على المصيبة ، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تحوم الارض إلى منتهى العرش مرتين**»[٤] .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : أول شيء كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ : إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، ومحمد رسولى ، من استسلم لقضائى ، وصبر على بلائى ، وشكر لى نعمائى ، كتبته صديقًا ، وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم يستسلم لقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر لنعمائى ، فليتخذ إلهًا سوائى .

قال ابن المبارك : المصيبة واحدة فإذا جزع صاحبها صارت اثنتين - يعنى : صارت المصيبة اثنتين - :

---

(١) يحيى بن جابر الطائي : أرسل كثيرا (تقريب التهذيب ٢/ ٣٤٤) .
(٢) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٧١٥٤)، ومسلم، حديث (٩٢٦) .
(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (١٠٧٣)، وابن ماجه، حديث (١٦٠٢)، وانظر (ضعيف الترمذي) .
(٤) ضعيف: ذكره الديلمي في (مسند الفردوس)، حديث (٣٨٤٦)، وعزاه لابن أبي الدنيا في فضل الصبر وأبي الشيخ في الثواب. وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٣٥٣٢) .

إحداهما : المصيبة .

والثانية : ذهاب أجر المصيبة ، وهو أعظم من المصيبة .

وروى فى الخبر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى ؛ فإنها من أعظم المصائب**»[(١)] . وروى عنه أيضًا كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ، ومن راقب الموت ترك اللذات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب**»[(٢)] .

وذكر أن فى بعض الكتب مكتوبًا ستة أسطر : فى السطر الأول : من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على الله . وفى الثانى : من شكا مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه . وفى الثالث : من لا يبالى من أى باب أتاه رزقه لا يبالى الله من أى أبواب النار أدخله الله . وفى الرابع : من أتى خطيئة وهو يضحك دخل النار وهى يبكى . وفى الخامس : من كان أكبر همه الشهوات نزع الله خوف الآخرة من قلبه . وفى السادس : من تواضع لغنى لأجل دنياه أصبح والفقر بين عينيه

٣٠ - باب فضل الوضوء

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الرحمن القارى حدثنا أبو العباس الفضل بن الحكم النيسابورى حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله الدمشقى حدثنا أبو أمامة الباهلى قال : قلت لعمرو بن عنبسة لأى شيء تدعى رابع الإسلام ؟ قال : إنى كنت أرى الناس على الضلالة ولا أرى الأوثان شيئًا ثم سمعت رجلًا يخبر أخبارًا بمكة ، فركبت راحلتى حتى قدمت مكة فإذا رسول الله ﷺ مستخف ، وإذا قومه عليه جرءاء ، فتلطفت له فدخلت عليه فقلت : من أنت ؟ فقال : «**أنا نبى**» . فقلت : وما النبى ؟ قال : «**رسول الله**» . فقلت : آلله أرسلك ؟ قال : «**نعم**» فقلت : بأى شيء أرسلك ؟ قال : «**بأن نوحد الله ولا نشرك به شيئًا ، وكسر الأوثان ، وصلة الرحم**» . فقلت له : ومن معك على هذا الأمر ؟ قال : «**حر وعبد**» . وإذا معه أبو بكر وبلال ؟ قلت : فإنى أتبعك ؟ قال : «**إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا ، ولكن ارجع إلى أهلك ، فإذا سمعت بأنى قد ظهرت فالحق بى**» . فرجعت إلى أهلى وقد أسلمت .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، حديث (٦٧٠٠)، والطبراني في الكبير، حديث (٦٧١٨)، وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٢)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو برده عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره (من حديث سابط أو عبد الرحمن الجمحي). والدارمي، حديث (٨٥) (من حديث مكحول).

(٢) ضعيف: أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان)، حديث (١٠٦١٨). وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٥٤١٩).

قال عمرو بن عنبسة : ولقد رأيتنى فى ذلك اليوم وأنا رابع الإسلام يعنى : لم يكن فى ذلك الوقت من المسلمين إلا أربعة ، فخرج رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة ، فركبت راحلتى حتى قدمت على المدينة فدخلت عليه فقلت : يا رسول الله ، أتعرفنى ؟ قال : «**نعم ، ألست الذى أتيتنى بمكة ؟**» قلت : يا رسول الله ، علمنى مما علمك الله تعالى ؟ قال : «**إذا صليت الصبح فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرنى الشيطان . وحينئذ يسجد لها الكفار ، فإذا ارتفعت قدر رمح أو رمحين فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقبل الرمح للظل ، ثم أقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم ، فإذا فاء الفيء فأت الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ، فإذا صليت العصر فأقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى الشيطان وحينئذ يسجد لها الكفار**» . **قال : قلت : يا نبى الله ، أخبرنى عن الوضوء ؟ قال : «ما منكم من رجل يقرب وضوءه ثم يتمضمض ثم ويستنشق ويستنثر إلا خرجت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء حين يستنثر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا وجهه مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله تعالى ويثنى عليه بالذى هو له أهل ثم يركع ركعتين إلا انصرف من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[١] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**ألا أدلكم على ما يمحو الله تعالى به الخطايا وترفع به الدرجات ؟**» قالوا : بلى يا رسول الله . قال : «**إسباغ الوضوء فى السبرات** ،[٢] والصبر على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط . يعنى : الحصن من العدو ، ويقال : يعنى : فضل الرباط الذى يرابط فى سبيل الله تعالى .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنى أبى رحمه الله بإسناده عن عبد الله بن سلام قال : وجدت فى بعض ما أنزل الله عز وجل أن من توضأ من كل حدث ، ولم يكن دخالاً على النساء فى البيوت ، ولم يكسب مالاً بغير حق ، رزق من الدنيا بغير حساب . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**من بات طاهرًا فى شعار طاهر بات ومعه ملك فى شعاره ، فلا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا**»[٣] .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٨٣٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٥١)، والترمذي، حديث (٥١).
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (١٢٤٤).

وعن حُمران بن أبان قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ الماء على يديه ثلاثًا فغسلهما ، ثم تمضمض واستنشق ثلاثًا ، ثم غسل وجهه ثلاثًا ، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفقين ثلاثًا ، ثم اليسرى ثلاثا ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل قدميه ثلاثًا ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم قال : «**من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»(١) .

وروى ثوبان عن رسول الله ﷺ **أنه قال** : «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(٢) .

قال : معنى قوله ﷺ : «**لن تحصوا**» . يعنى : لن تقدروا على ذلك إلا بالجهد . ويقال : لن تقدروا أن تعدوا ثواب من استقام على الإيمان والطاعة . ومعنى قوله : «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» . يعنى : الدوام على الوضوء من أخلاق المؤمنين . فينبغى للمؤمن أن يكون النهار كله على الوضوء وينام بالليل على الوضوء ، فإنه إذا فعل ذلك يحبه الله ويحبه الحفظة ، ويكون فى أمان الله عز وجل .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : سمعت أبى رحمه الله يحكى بإسناده يقول : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجه رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مصر لكسوة الكعبة ،فنزل الرجل بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حبر من الأحبار ولم يكن حبر أعلم منه ،فأحب رسول الله عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه ، فأتاه يستفتح باب داره فلم يفتح له طويلًا ، ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فأعجبه علمه ، فشكا إليه حبسه على بابه فقال له الحبر : إنا كنا رأيناك حين عدلت إلينا فرأيناك على هيبة السلطان فتخوفناك ، وإنما حبسناك على الباب ؛ لأن الله تبارك وتعالى قال لموسى : يا موسى إذا تخوفت سلطانًا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء ؛ فإن من توضأ كان فى أمانى مما يتخوف ، فأغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار ، وصلينا فأمناك لذلك ثم فتحنا لك الباب .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للذى يتوضأ أن يكون وضوؤه مع التعظيم، ويعلم أنه يريد زيارة ربه عز وجل ، فينبغى أن يتوب من جميع ذنوبه ؛ لأن الله تبارك وتعالى جعل الغسل بالماء علامة لغسله من الذنوب ، فينبغى أن يبدأ بذكر اسم الله تعالى ، وإذا تمضمض واستنشق يغسل فاه من الغيبة والكذب كما غسله بالماء ، وإذا غسل وجهه يغسله من النظر إلى الحرام ،وكذلك فى سائر الأعضاء ، فإذا فرغ من وضوئه يدعو الله تعالى ويسبحه .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (١٦٤)، ومسلم، حديث (٢٢٦) .
(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٧٧)، وانظر صحيح ابن ماجه .

وقد روى فى الخبر : **«إن العبد المؤمن إذا فرغ من وضوئه ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك يختم بخاتم خير ، ثم يوضع تحت العرش ، فلم يكسر حتى يدفع إليه يوم القيامة»**(١) .

وروى عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : **«إذا فرغ أحدكم من وضوئه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ،فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»**(٢) .

قال : حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا إبراهيم بن نصر حدثنا حمد بن مسعدة المروزى عن عبد الله بن عبد المجيد عن عمران القطان عن قتادة عن خليد العصرى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : رسول الله ﷺ : **«خمس من جاء بهن يوم القيامة مع الإيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس فى مواقيتهن ووضوئهن وركوعهن وسجودهن ، ومن أدى الزكاة من ماله طيبة بها نفسه»** - ثم قال -: **«وأيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، ومن صام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا ، وأدى الأمانة»** قالوا : يا أبا الدرداء ، وما الأمانة ؟ قال : الغسل من الجنابة ، فإن الله تعالى لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيره(٣)

وروى عثمان بن عفان – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ أنه قال : «من أتم الضوء كما أمر الله ، والصلاة كما أمر الله ، كانت كفارة لما بينهما»(٤)

قال : حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو الحسين محمد بن جم الفقيه بسمرقند حدثنا محمد بن إسماعيل المكى حدثنا أبو أسامة ، حدثنا أبو الزمان عن أبى الفضائل التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الفجر : **«حدثنى بأزكى عمل عملته فى الإسلام ، فإنى سمعت الليلة خشف نعليك فى الجنة»** فقال : ما عملت عملاً فى الإسلام بأرجى عندى من أنى لم أتطهر طهورًا فى ساعة من ليل أو نهار إلا صليت لربى أدنى ما قدر لي . وفى آخر : ما أحدثت إلا أوجدت الطهارة ، وما تطهرت إلا صليت ركعتين والله أعلم (٥) .

* * *

(١) أخرجه الحاكم بنحوه، حديث (٢٠٢٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨١، ٨٢، ٨٣) (من حديث ابن سعيد) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا النسائي قال : بعد تخريجه في اليوم والليلة : هذا خطأ والصواب موقوفا . ثم رواه من رواية الثوري وعنه عن شعبه موقوفا .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٣٤).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود، حديث (٤٢٩)، وانظر صحيح أبي داود.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٣١).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (١١٤٩)، ومسلم، حديث (٢٤٥٨).

٣١ - باب الصلوات الخمس

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى ، حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن أن النبيﷺ قال : «**مثل الخمس صلوات كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء؟**»[(١)] يعني : أن الصلوات الخمس تطهره من الذنوب ، ولا يبقين عليه شيئًا من الذنوب فيما دون الكبائر ، وهذا إذا صلى صلاة على التعظيم ويتم ركوعها وسجودها ، فإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها فهي مردودة عليه .

قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد ابن الفضل حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك عن همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله عن يحيى بن خلاد عن أبيه عن عمه رفاعة بن رافع عن خالد قال : بينما نحن جلوس حول رسول اللهﷺ إذ دخل رجل فاستقبل القبلة فصلى ، فلما قضى صلاته جاء فسلم على النبيﷺ وعلى القوم ، فقال له رسول الله ﷺ : «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» فرجع الرجل وصلى ، فلما رجع قال : «**ارجع وصل فإنك لم تصل**». أمره بذلك مرتين أو ثلاثًا ، فقال الرجل : ما آلوت ، فلا أدرى ما عبت عليّ من صلاتي؟ فقال النبيﷺ : «**إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى ، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ويغسل رجليه إلى الكعبين ، ثم يكبر الله ويحمده ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه ، ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله ويسترخي ثم يرفع رأسه ويقول : سمع الله لمن حمده ، فيستوى قائمًا حتى يقيم صلبه ، ويأخذ كل عضو مأخذه ، ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله ويسترخي ، ثم يكبر فيستوى قاعدًا على مقعدته ، ويقيم صلبه**» - فوصف صلاته هكذا أربع ركعات حتى فرغ ، ثم قال -: «**لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك**».[(٢)] فقد أمر النبيﷺ بإتمام الركوع والسجود ، وأخبر أن الصلاة لا تقبل إلا هكذا ، فينبغي للعبد أن يجتهد في إتمام الركوع والسجود ، لتكون صلاته كفارة لما يفعل قبلها من الزلل والخطايا دون الكبائر .

(قال الفقيه) رضي الله عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا فارس بن مردويه حدثنا أبو عبد الرحمن المقبري عن حيوة بن شريح عن أبي عقيل عن الحارث مولى عثمان رضي الله تعالى عنه قال : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه فجاء المؤذن فدعا عثمان رضي الله تعالى عنه بماء فتوضأ ثم قال : رأيت رسول اللهﷺ توضأ نحو وضوئي هذا وسمعته يقول : «**من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر الله له ما كان بينها وبين صلاة الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينهما وبين صلاة الظهر ، ثم صلى صلاة المغرب غفر له ما بينهما وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر الله له ما بينهما وبين المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إذا قام وتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٥٢٨)، ومسلم، حديث (٦٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٧٥٧)، ومسلم، حديث (٣٩٧) (من حديث أبي هريرة).

الآخرة ، **وهن الحسنات يذهبن السيئات»** قالوا : هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات؟ قال : **«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»** [١].

قال : وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات المفروضات حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، فلعمرى لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد أتى علينا زمان وما يتخلف عنهن إلا منافق معلوم نفاقه ، ولقد رأينا الرجل يتهادى بين اثنين حتى يقام فى الصف ، وما من رجل يتطهر فيحسن طهوره ثم يعمد إلى مسجد من المساجد فيصلى فيه إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ويرفع له بها درجة ، ويحط عنه بها خطيئة ، حتى إنا كنا لنقارب بين الخطا ، وإن صلاة الرجل فى الجماعة تزيد على صلاة الرجل وحده خمسًا وعشرين درجة [٢]. وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنه قال : أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حول المسجد لنا خالية فبلغ النبى ﷺ فأتانا فى ديارنا فقال : **«يا بنى سلمة ، بلغنى أنكم تريدون النقلة إلى المسجد»** قلنا : يا رسول الله ، بعد عنا المسجد والبقاع حوله خالية فقال : « يا بنى سلمة ، دياركم فإنها تكتب آثاركم» قال : فما وددنا أن تكون بحضرة المسجد لما قال النبى ﷺ الذى قاله [٣] . وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«من صلى فى الجماعة أربعين يومًا لم تفته ركعة كتب الله له براءتين ، بـراءة مـن النار وبراءة مـن النفـاق»** [٤].

قال : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال : **«من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى ، ثم يصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور فتفتح لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تبارك وتعالى ، فتشفع لصاحبها ، فإذا ضيع ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتنى ثم يصعد بها ولها ظلمة حتى ينتهى بها إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»** [٥] .

وعن الحسن أن النبى ﷺ قال : **«ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟»** قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : **«الذى يسرق من صلاته»** . قالوا : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : **«لا يتم ركوعها ولا**

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٥١٥)، والبزار، حديث (٤٠٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٧)، وقال: في الصحيح بعضه رواه أحمد وأبو يعلي والبزار ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله مولى عثمان وهو ثقة .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٦٥٤) .

(٣) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٦٦٥) .

(٤) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٤١)، وانظر «صحيح الترمذي» حديث (٣١٤٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٢٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه وفيه الأحوص بن حكيم وثقة ابن المدني والعجلي وضعفه جماعة وبقية رجاله موثقون .

(٥) أخرجه البزار في مسنده ، حديث (٢٦٩١)، وحديث (٥٨٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٢/ ١٢٢) .

سجودها» (١) .

وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال : إن الصلاة مكيال فمن وفى مكياله وفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المطففين (٢) .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء الآخرة والفجر ، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا»**(٣) .

وعن بريدة الأسلمى عن النبى ﷺ أنه قال : **«بشر المشائين فى ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**(٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : **«لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أخرج بفتيان معهم حزم من الحطب فأحرق على قوم ديارهم يسمعون النداء ثم لا يأتون الصلاة»**(٥) .

وروى عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ **أنه قال : «خمس صلوات افترض الله تعالى على عباده فمن جاء بهن تامات ولم ينقصهن استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن تركهن استخفافًا بحقهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء رحمه وإن شاء عذبه»**(٦) .

وروى عن عطاء رحمه الله تعالى فى قول الله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور : ٣٧] . قال : شهود الصلاة المكتوبة وفى قوله تعالى : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة : ١٦] . قال : صلاة العتمة .

(قال الفقيه) : رضى الله تعالى عنه : حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا أحمد بن منصور حدثنا هوذة بن خليفة عن عوف بن أبى جميلة عن أبى المنهال عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد جنهم وإنسهم ، والأمم جثيًا صفوفًا فينادى مناد : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الحمادون لله على كل حال ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادى ثانية : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

---

(١) أخرجه أحمد ، حديث (٢٢١٣٦)، والدرامي ، حديث (١٣٢٨)، وابن خزيمه في صحيحة ، حديث (٦٦٣)، والطبراني في الأوسط ، حديث (٨١٧٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٢٠)، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح ، (من حديث أبو قتادة) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، حديث (١١٩١)، وعبد الرزاق حديث (٣٧٥٠) .

(٣) صحيح: أخرجه البخاري ، حديث (٦١٥)، ومسلم ، حديث (٦٥١) .

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود ، حديث (٥٦١)، والترمذي ، حديث (٢٢٣)، وانظر صحيح أبي داود .

(٥) صحيح: أخرجه البخاري ، حديث (٦٤٤)، ومسلم ، حديث (٦٥١) .

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود ، حديث (١٤٢٠)، والنسائي ، حديث (٤٦١)، وابن ماجه ، حديث (١٤٠١)، وانظر صحيح أبي داود .

فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادى ثالثة : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ . فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، فإذا أخذ هؤلاء الثلاثة منازلهم يخرج عنق من النار ، فأشرف على الخلائق ، له عينان بصيرتان ولسان فصيح فيقول : إنى وُكلت بثلاثة : إنى وكلت بكل جبار عنيد ، فيلقطهم من الصفوف كلقط الطير حب السمسم فيخنس بهم فى جهنم ، ثم يخرج الثانية فيقول : إنى وكلت بمن آذى الله ورسوله . فيلقطهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم، ثم يخرج الثالثة [١].

قال أبو المنهال : حسبْت أنه قال : إنى وكلت بأصحاب التصاوير . فيلقطهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم ، فإذا أخذ من هؤلاء الثلاثة ومن هؤلاء الثلاثة نشرت الصحف ، ووضع الميزان ، ودعى الخلائق للحساب ، وذكر أن إبليس لعنه الله كان يرى فى الزمن الأول فقال له رجل : يا أبا مرة ، كيف أصنع حتى أكون مثلك ؟ قال : ويحك لم يطلب منى أحد مثل هذا ، فكيف تطلب أنت؟ فقال الرجل : إنى أحب ذلك . فقال له إبليس : أما إن أردت أن تكون مثلى فتهاون بالصلاة ، ولا تبال من الحلف صادقًا أو كاذبًا . فقال له الرجل : لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة ، ولا أحلف يمينًا أبدًا . فقال له إبليس : ما تعلم أحد منى بالاحتيال غيرك ، وأنا عاهدت أن لا أنصح آدميًا قط .

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : أكرم عباد الله على الله الذين يراعون الشمس والقمر . قالوا : يا أبا الدرداء من هم؟ ، المؤذنون؟ قال : كل من يراعى وقت الصلاة من المسلمين [٢] .

قال : حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن أحمد الخطيب النيسابورى حدثنا أبو عمرو أحمد بن خالد الحرانى عن يعقوب بن يوسف عن محمد بن معن عن يوسف بن محمد ابن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى ، وحب الملائكة وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة فى الرزق ، وراحة للأبدان ، وسلاح على الأعداء ، وكراهية للشيطان ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب مع منكر ونكير ، ومؤنس فى قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة صارت الصلاة ظلًا فوقه ، وتاجًا على رأسه ، ولباسًا على بدنه ، ونورًا يسعى بين يديه ، وسترًا بينه وبين النار ، وحجة للمؤمنين بين يدى الرب تبارك وتعالى ، وثقلًا فى الموازين ، وجوازًا على الصراط ، ومفتاحًا للجنة ، لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء ، وإن أفضل**

---

(١)أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (٣٥٣)، وفي إسناده : هوذة بن خليفة : قال ابن معين : ضعيف، وقال النسائي : ليس به بأس (ميزان الاعتدال ٤/ ٣١١) .

(٢)أخرجه ابن المبارك في الزهد، حديث (١٣٠٣)، وابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (١٦٤) .

الأعمال كلها الصلاة لوقتها»(١) .

وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن رسول اللهﷺ قال : **«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن كان قد أتمها هون عليه الحساب ، وإن كان قد انتقص منها شيئًا قال الله تعالى لملائكته : هل لعبدى من تطوع فأتموا الفريضة من التطوع ، وإن تم جرى جميع الأعمال على حساب ذلك»**(٢) .

ويقال : من داوم على الصلوات الخمس فى الجماعة أعطاه الله تعالى خمس خصال : أولها : يرفع عنه ضيق العيش ، ويرفع عنه عذاب القبر ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون بالصلوات الخمس فى الجماعة عاقبه الله تعالى باثنتى عشرة خصلة : ثلاثة فى الدنيا ، وثلاثة عند الموت ، وثلاثة فى القبر ، وثلاثة يوم القيامة ، أما الثلاثة التى فى الدنيا : فإنه ترفع البركة من كسبه ورزقه ، ولا يقبل منه سائر عمله ، وينزع سيما الخير من وجهه ، ويكون بغيضًا فى قلوب الناس .

وأما التى عند الموت : فتقبض روحه عطشان جائعًا ، ويشتد نزعه .

وأما التى فى القبر : فمسألة منكر ونكير ، وظلمة القبر ، وضيقه .

وأما التى فى القيامة : فشدة حسابه ، وغضب الرب عليه ، وعقوبة الله تعالى له فى النار .

وقد روى عن أبي الدرداء نحو هذا ، وعن أبى ذر عن النبىﷺ نحو هذا .

وروى عن مجاهد أن رجلًا جاء إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال : يا ابن عباس ، ما تقول فى رجل يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يشهد جمعة ، ولا يصلى فى الجماعة ، فمات على ذلك ، فأين هو ؟ فقال : هو فى النار ، فاختلف إليه شهرًا يسأله عن ذلك وهو يقول : هو فى النار(٣) .

قال : حدثنى أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ليأتين على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، ومساجدهم يومئذ عامرة وهى من الهدى خراب ، علماؤهم يومئذ شر علماء تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود(٤) .

قال وهب بن منبه : إن الحوائج لم تطلب من الله إلا بمثل الصلاة ، وكانت الكروب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة قلما نزل بأحد منهم كربة إلا كان مفزعه إلى الصلاة . وقال الله عز وجل

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٨٦٤)، والترمذي، حديث (٤١٣)، والنسائي، حديث (٤٦٥)، وابن ماجه، حديث (١٤٢٦) (من حديث أبي هريرة) وانظر صحيح أبي داود.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢١٨). وانظر ضعيف الترمذي.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (١٩٠٩)، وابن عدي في الكامل، حديث (١٠٤٥).

فى قصة يونس عليه الصلاة والسلام : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات : ١٤٣، ١٤٤] قال ابن عباس : كان من المصلين .

قال الحسن البصرى رحمة الله تعالى عليه : إن التضرع فى الرخاء استعاذة من نزول البلاء ، ويجد صاحبه متكأ إذا نزل به .

قال النبى ﷺ: «**ما أعطى عبد عطاء خيرًا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما**» (١) .

قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة ؛ لأن فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى .

ويقال : إن الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة ، وتعبدهم بالصلاة فلا يفترون ساعة ، فجعل لكل أهل سماء نوعًا من العبادة ، فأهل سماء قيام على أرجلهم إلى نفخة الصور ، وأهل سماء ركع ، وأهل سماء سجد ، وأهل سماء مرخية الأجنحة من هيبته ، وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، فجمع الله ذلك كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة كل سماء ، وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها ، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة : ٣] وقال : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] [البقرة : ٤٣] وقال : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود : ١١٤] وقال : ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء : ١٦٢] فلم نجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل إلا مع ذكر إقامتها ، فلما بلغ ذكر المنافقين قال : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون : ٤، ٥] فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة ، وذلك ليعلم أن المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل ، فأهل الغفلة يعملون الأعمال على الترويح ، ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**إن منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها**» (٢) يعنى : أنه لا يكتب له من صلاته إلا ما عقل منها لا ما سها عنها . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «**من صلى ركعتين مقبلًا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (٣) . وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله ، فإذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كان بمنزلة من قد وقف إلى باب ملك معتذرًا من خطيئته وزلته، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك ، فجعل الواقف يلتفت يمينًا وشمالاً فإن الملك لا يقضى حاجته ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٧٦٣٢)، والطبراني في الكبير، حديث (٧٦٥٦) والديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٦٣٧٤) (من حديث أبي أمامة).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود، حديث (٧٩٦). وانظر صحيح أبي داود.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٣٤)، وأبو داود، حديث (٩٠٦).

وإنما يقبل الملك عليه على قدر عنايته ، فكذلك الصلاة إذا قام العبد فيها وسها فيها لا تقبل منه .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل ملك اتخذ عرسًا ، فاتخذ وليمة وهيأ فيها ألوانًا من الأطعمة والأشربة ، لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ، فكذلك الصلاة دعاهم الرب إليها ، وهيأ لهم فيها أفعالاً مختلفة وأذكارًا ، فتعبدهم بها ليلذهم بكل لون من العبودية ، فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة . وقد قيل : إن فى الصلاة اثنتى عشر ألف خصلة، ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفًا فى اثنتى عشرة خصلة ، فمن أراد أن يصلى فلا بد أن يتعاهد هذه الاثنتى عشرة خصلة لتتم صلاته ، فستة قبل الدخول فى الصلاة ، وستة بعدها :

أولها : العلم ، لأن النبى ﷺ قال : «**عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل**» [(١)] .

والثانى : الوضوء ؛ لقوله ﷺ «**لا صلاة إلا بطهور**»[(٢)] . والثالث : اللباس ، لقوله تعالى : ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف : ١] يعنى : البسوا ثيابكم عند كل صلاة . والرابع : حفظ الوقت؛ لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء : ١٠٣] يعنى : فرضًا مؤقتًا . والخامس : استقبال القبلة ؛ لقوله عز وجل : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعنى : نحوه .

والسادس : النية ؛ لقوله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٣)] .

والسابع : التكبير ؛ لقوله ﷺ : «**تحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»[(٤)] . والثامن : القيام ، لقوله عز وجل : ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] يعنى صلوا لله قائمين . والتاسع : القراءة؛ لقوله تعالى : ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾[المزمل : ٢٠] والعاشر : الركوع ؛ لقوله عز وجل : ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٣] والحادى عشر : السجود ؛ لقوله عز وجل ﴿وَاسْجُدُواْ﴾ [الحج : ٧٧] .

والثانى عشر : القعدة ؛ لقوله ﷺ : «**إذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته**»[(٥)] .

فإذا وُجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص ؛ لتتم هذه الأشياء لأن الله تعالى يقول : ﴿فَادْعُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر : ١٤]فأما العلم فعلى ثلاثة أوجه : أولها : أن يعرف

---

(١) قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦٩): ضعيف.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٢٤).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) حسن صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٦١)، والترمذي، حديث (٣)، وابن ماجه، حديث (٢٧٥)، وانظر صحيح أبو داود.
(٥) ضعيف: أخرجه أبو داود بنحوه، حديث (٦١٧)، والترمذي، حديث (٤٠٨)، وانظر «ضعيف أبو داود».

الفريضة من السنة ؛ لأن الصلاة لا تجوز إلا به . والثانى : أن يعرف ما فى الوضوء والصلاة من الفريضة والسنة ؛ فإن ذلك من تمام الصلاة . والثالث : أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ فى محاربته بالجهاد .

وأما الوضوء :فتمامه فى ثلاثة أشياء : أولها : أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش . والثانى : أن تطهر البدن من الذنوب . والثالث : أن تغسل الأعضاء غسلاً سابغًا بغير إسراف فى الماء .

أما اللباس :فتمامه بثلاثة أشياء : أولها : أن يكون أصله من الحلال . والثانى : أن يكون طاهرًا من النجاسات . والثالث : أن يكون موافقًا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء .

وأما حفظ الوقت ففى ثلاثة أشياء أولها :أن يكون بصرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت . والثانى : أن يكون سمعك إلى الأذان . والثالث : أن يكون قلبك متفكرًا متعاهدًا للوقت .

وأما استقبال القبلة فتمامه فى ثلاثة أشياء :أولها : أن تستقبل القبلة بوجهك . والثانى : أن تقبل على الله بقلبك . والثالث : أن تكون خاشعًا ذليلاً .

وأما النية فتمامها فى ثلاثة أشياء أولها :أن تعلم أى صلاة تصلى . والثانى : أن تعلم أنك تقوم بين يدى الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة . والثالث : أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا .

وأما التكبير فتمامه فى ثلاثة أشياء :أولها : أن تكبر تكبيرًا صحيحًا حزمًا . والثانى : أن ترفع يديك حذاء أذنيك . والثالث : أن يكون قلبك حاضرًا فتكبر مع التعظيم .

وأما تمام القيام ففى ثلاثة أشياء :أولها : أن تجعل بصرك فى موضع سجودك . والثاني: أن تجعل قلبك إلى الله . والثالث : أن لا تلتفت يمينًا ولا شمالاً .

وأما تمام القراءة ففى ثلاثة أشياء : أولها : أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن . والثانى : أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها . والثالث : أن تعمل بما تقرأ .

وأما تمام الركوع ففى ثلاثة أشياء:أولها : أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه . والثانى : أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك . والثالث : أن تطمئن راكعًا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار .

وأما تمام السجود ففى ثلاثة أشياء :أولها : أن تضع يديك بحذاء أذنيك . والثانى : أن لا تبسط ذراعيك . والثالث : أن تطمئن فيها وتسبح مع التعظيم .

وأما تمام الجلوس ففى ثلاثة أشياء :أولها : أن تقعد على رجلك اليسرى ،وتنصب اليمنى

نصبًا . والثانى : أن تشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين . والثالث : أن تسلم على التمام .

وأما تمام السلام : فأن تكون مع النية الصادقة من قلبك أن سلامك على من كان على يمينك من الحفظة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا يتجاوز بصرك عن منكبيك .

وأما تمام الإخلاص ففى ثلاثة أشياء : أولها : أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس . والثانى : أن ترى التوفيق من الله تعالي . والثالث : أن تحفظها حتى تذهب بها مع نفسك يوم القيامة ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ولم يقل : من عمل الحسنة .

وينبغى للمصلى أن يعلم ماذا يفعل ويعرف قدره ليحمد الله تعالى على ما وفقه ، فإن الصلاة قد جمعت فيها أنواع الخير من الأفعال والأذكار ، فإذا قام العبد إلى الصلاة ، وقال : «الله أكبر» ومعناه الله أعظم وأجل ، يقول الله تعالى : قد علم عبدى أنى أكبر من كل شيء وقد أقبل عليّ ، فإذا كبر ورفع يديه إلى أذنيه ، ومعنى رفع اليدين هو التبرئة من كل معبود سوى الله تعالى . ثم يقول : «سبحانك اللهم وبحمدك» وتعلم فى قلبك معنى هذا القول «سبحانك اللهم» يعنى : تنزيهًا لله عن كل سوء ونقص «وبحمدك» يعنى : أن لك الحمد «وتبارك اسمك» يعنى : جعلت البركة فى اسمك أي : فيما ذكر عليه اسمك ، ثم تقول : «وتعالى جدك» يعنى : ارتفع قدرك وعظمتك «ولا إله غيرك» يعنى : لا خالق ولا رازق ولا معبود غيرك لم يكن فيما مضى ولا يكون فيما بقى ، ثم تقول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يعنى : أسألك أن تعيذنى وتمنعنى من فتنة الشيطان الملعون الرجيم «بسم الله الرحمن الرحيم» فمعنى قوله : بسم الله ، يعنى : الأول فلا شيء قبله ولا شيء بعده . الرحمن : العاطف على جميع خلقه بالرزق . الرحيم : البار بالمؤمنين خاصة يوم القيامة ، ثم تقرأ فاتحة الكتاب إلى آخرها . يعنى : الحمد لله الذى لم يجعلنى من المغضوب عليهم وهم اليهود ، ولا الضالين وهم النصاري ، ولكنه جعلنى على طريق أنبيائه ، وإذا ركعت فتفكر فى نفسك ، فكأنك تقول : يا رب إنى خضعت بين يديك ، وجئت بهذه النفس العاصية إليك ، وانقادت نفسى لعظمتك ، لعلك تعفو عنى وترحمنى ، ثم تقول : «سبحان ربى العظيم» معناه تضرعًا إلى رب عظيم ومولى كريم ثم ترفع رأسك من الركوع وتقول : «سمع الله لمن حمده» معناه غفر الله لمن وحده وأطاعه ، ثم تقول : «ربنا لك الحمد» معناه لك الحمد إذ وفقتنا لهذا ، ثم تسجد ومعنى السجود الميل بالذل والاستسلام والتواضع ، ومعناه يا رب إنك صورت وجهى على أحسن الصور وجعلت فيه البصر والسمع واللسان ، فهذه الأشياء أحب إليّ وأنفع فقد جئت بهذه الأشياء ووضعتها بين يديك لعلك ترحمنى ، ثم تقول : «سبحان ربى الأعلى» معناه تنزه ربى الأعلى الذى لا شيء فوقه وإذا جلست للتشهد وقرأت «التحيات لله» يعنى : الملك لله والحمد والثناء .

وروى عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه قال : كان فى الجاهلية أصنام فكانوا يقولون لأصنامهم : لك الحياة الباقية . فأمر الله أهل الصلاة أن يجعلوا التحيات لله يعنى : البقاء والملك

الدائم لله تعالى ، ثم تقول : «والصلوات» .

يعنى : الصلوات الخمس لله عز وجل لا ينبغى أن تصلى إلا لله «والطيبات» يعنى : شهادة أن لا إله إلا الله هى لله تعالى .

يعنى : الوحدانية لله تعالى ، ثم تقول : «السلام عليك أيها النبى» يعنى : يا محمد عليك السلام كما بلغت رسالة ربك ونصحت لأمتك «ورحمة الله» يعنى رضوان الله لك . «وبركاته»

يعنى : عليك البركة وعلى أهل بيتك . «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

يعنى : مغفرة الله تعالى لنا وعلينا وعلى جميع من مضى من النبيين والصديقين ومن سلك طريقهم إلى يوم القيامة . «أشهد أن لا إله إلا الله» يعنى : لا معبود فى السماء والأرض غيره . «وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» خاتم أنبيائه وصفيه وخيرته من جميع خلقه ، ثم تصلى على النبى ﷺ ثم تدعو لنفسك وللمؤمنين وللمؤمنات ثم تسلم عن يمينك وشمالك ، ومعنى التسليم عن اليمين وعن اليسار يعنى : أنتم معاشر إخوانى من المؤمنين سالمون آمنون من شرى وخيانتى إذا خرجت من المسجد .

وروى عن الحسن البصرى رحمة الله تعالى عليه عن النبى ﷺ أنه قال : «**للمصلى ثلاث كرامات : يتناثر البر على رأسه من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، والملائكة محفوفة من قدميه إلى عنان السماء ، وملك ينادى لو يعلم العبد من يناجى ما انتقل من صلاته**» [1] . فهذه الكرامات كلها للمصلى فينبغى أن يعرف قدر صلاته ، ويحمد الله تعالى على ما منَّ عليه ووفقه لذلك .

وروى سعيد عن قتادة أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا ، ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، ولو صلاها قوم ثمود ما أخذتهم الصيحة .

ثم قال قتادة : عليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن .

وروى خلف بن خليفة عن ليث رفعه إلى النبى ﷺ أنه قال : «أمتى أمة مرحومة ، وإنما يدفع الله عنهم البلاء بإخلاصهم ودعائهم وصلاتهم وضعفائهم» [2] والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث (١٦٠) موقوفا على عباد بن كثير، وعزاه في كنز العمال (٧/ ٢٨٩) لمحمد بن نصر في الصلاة عن الحسن مرسلا، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٧٥٢).

(٢) في إسناد: خلف بن خليفة: صدوق، اختلط في الآخر، وادعي أنه رأي عمرو بن حُريث الصحابة فأنكر عليه ذلك ابن عيينه وأحمد (تقريب التهذيب).

٣٢ - باب فضل الأذان والإقامة

(قال الفقيه) : أبو الليث السمرقندى : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس ابن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا على بن يونس العابد عن أبى عون البصرى عن سلمة ابن ضرار عن رجل من أهل الشام ، قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : أخبرنى بعمل واحد أدخل به الجنة ؟ قال : «**كن مؤذن قومك يجمعوا بك صلاتهم**» قال : يا رسول الله ، إن لم أطق ؟ قال : «**كن إمام قومك يقيموا بك صلاتهم**» قال : فإن لم أطق . قال : «**فعليك بالصف الأول**»[(١)] . وروى وكيع عن عبد الله بن الوليد عن محمد بن نافع عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : نزلت هذه الآية فى المؤذنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت : ٣٣] يعنى : دعا الخلق إلى الصلاة وصلى بين الأذان والإقامة [(٢)] . وروى القاسم عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**يغفر للمؤذن مَدَّ صوته ، وله مثل أجر من صلى معه من غير أن ينقص من أجورهم شيء**» [(٣)] . وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عن خولة بنت الحكم السلمية قالت : قال رسول الله ﷺ «**المريض ضيف الله ما دام فى مرضه ، يرفع له كل يوم عمل سبعين شهيدًا ، فإن عافاه من مرضه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب ، والمؤذن هو حاجب الله تعالى يعطيه بكل أذان ثواب ألف نبى ، والإمام وزير الله يعطيه بكل صلاة ثواب ألف صديق ، والعالم وكيل الله تعالى يعطيه بكل حديث نورًا يوم القيامة ، وكتب الله له بكل حديث عبادة ألف سنة ، والمتعلمون من الرجال والنساء هم خدم الله فما جزاؤهم إلا الجنة**»[(٤)] .

(قال الفقيه) : رضى الله تعالى عنه : قوله «**حاجب الله**» . على وجه المثل ، يعني : يعلم الناس وقت الدخول على ربهم كالحاجب للملك يأذن للناس بالدخول وقت الإذن ، وكذلك قوله «**وزير الله**» يعنى : أن الناس يقتدون به فى صلاته وصلاتهم تتم بصلاته . وعن النبى ﷺ أنه قال : «**من أذَّنَ سبع سنين أعتقه الله من سبع دركات من النار بعد أن يحسن نيته**» .[(٥)] . وعن عطاء بن يسار أن النبى ﷺ قال : «**يغفر للمؤذن مد صوته ويصدقه كل ما سمعه من رطب ويابس**»[(٦)] .

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - قال : إذا كنت فى هذه البوادى فأذنت فارفع

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه حديث (٥٩)، والطبراني في الأوسط حديث (٧٧٣٧)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٢٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن إسماعيل الضبي وهو منكر الحديث .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٢) .

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٢٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ضعيف: أخرجه الترمذي ، حديث (٢٠٦)، وابن ماجه ، حديث (٧٢٧)، وانظر ضعيف الترمذي .

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود ، حديث (٥١٥)، والنسائي ، حديث (٦٤٥)، وابن ماجه ، حديث (٧٢٤) . وانظر «صحيح أبي داود» .

صوتك فإني سمعت النبي ﷺ يقول : **«لا يسمع مدى صوت المؤذن شجر ولا حجر ولا مدر ولا إنس ولا جان إلا شهد له يوم القيامة عند الله تعالى»**[١] .

قال : وحدثني محمد بن الفضل بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : **«يبعث الله يوم القيامة بلالاً على ناقة من نوق الجنة يؤذن على ظهرها ، فإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله نظر الناس بعضهم إلى بعض فقالوا : نشهد على مثل ما تشهد حتى يوافي المحشر ، فإذا وافى المحشر يؤتى بحلل من حلل الجنة فأول من يكسى بلال وصالحوا المؤذنين»**[٢] .

قال قتادة : ذكر لنا أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقول : **«المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة ، فأول من يقضى له يوم القيامة الشهداء والمؤذنون بعد الأنبياء ، فيدعى مؤذن الكعبة ومؤذن بيت المقدس ، ثم يتتابع المؤذنون»** .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لو كنت مؤذنًا لما باليت أن لا أغزو[٣] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : لو كنت مؤذنًا لما باليت أن لا أجاهد[٤] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : لو كنت مؤذنًا لما باليت أن لا أحج ولا أعتمر بعد حجة الإسلام[٥] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : ما أتأسف على شيء ، إلا أني وددت أني كنت سألت النبي ﷺ الأذان للحسن والحسين[٦] .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : **«ما من مدينة يكثر المؤذنون فيها إلا قل بردها»**[٧] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال : **«إذا نادى المؤذنون بالأذان هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء»**[٨] . وهي ثلاثون ميلاً من المدينة .

(قال الفقيه) : رضي الله تعالى عنه : يحتاج المؤذن إلى عشر خصال حتى ينال فضل المؤذنين .

---

(١) صحيح أخرجه البخاري، حديث (٦٠٩).
(٢) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٤٥): هذا حديث موضوع لا أصل له. قال العقيلي: عبد الكريم مجهول بالنقل، وحديثه غير محفوظ. وذكره السيوطي في البدور السافره (ص١١٣) وعزاه الحميد بن نجويه .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبه، حديث (٢٣٤٤).
(٤) ذكره ابن حجر في التهذيب، حديث (١٢٤٦).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره بنحوه (٤/ ١٠١).
(٦) ذكره أحمد بن حنبل في العلل معرفه الرجال، حديث (٥٠٩٥).
(٧) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٦٢٢١) وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٩١) . هذا حديث موضوع عن رسول الله وفي إسناده بشير بن غالب، قال الأزدي: هو متروك الحديث . وفيه عمرو بن جميع، وهو المتهم عندي. قال يحيى: هو كذاب خبيث، وقال النسائي والدارقطني: متروك. وانظر: الفوائد المجموعة (ص١٨).
(٨) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٣٨٧)، (من حديث معاوية).

أولها : أن يعرف ميقات الصلاة ويحفظها . والثانى : أن يحفظ حلقه فلا يؤخر الأذان لأجل حلقه . والثالث : إذا كان غائبًا لا يسخط على من أذن فى مسجده . والرابع : أن يحسن الأذان . والخامس : أن يطلب ثوابه من الله تعالى ولا يمن على الناس . والسادس :أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقول الحق للغنى والفقير . والسابع : أن ينتظر الإمام بقدر ما لا يشق على القوم . والثامن : أن لا يغضب على من أخذ مكانه فى المسجد . والتاسع : أن لا يطول الصلاة بين الأذان والإقامة . والعاشر : أن يتعاهد مسجده فيطهره من القذر ويجنب الصبيان عنه .

ويحتاج الإمام إلى عشر خصال حتى تتم صلاته وصلاة من خلفه . أولها : أن يكون قارئًا لكتاب الله تعالى ولا يكون لحانًا . والثانى : أن تكون تكبيراته جزمًا صحيحًا . والثالث : أن يتم ركوعه وسجوده . والرابع : أن يحفظ نفسه من الحرام والشبهة . والخامس : أن يحفظ ثيابه وبدنه عن الأذى . والسادس : أن لا يطول القراءة إلا برضا القوم . والسابع : أن لا يعجب بنفسه . والثامن : أن لا يدخل فى الصلاة حتى يستغفر الله من جميع ذنوبه لأنه شفيع لمن خلفه . والتاسع : إذا سلم لا يخص نفسه بالدعاء فيخون القوم . والعاشر : إذا نزل فى مسجده غريب يسأله عما يحتاج إليه .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**خمسة أضمن لهم الجنة : المرأة الصالحة المطيعة لزوجها ، والولد المطيع لأبويه ، والمتوفى فى طريق مكة ، وصاحب الخلق الحسن ، ومن أذن فى مسجد من المساجد إيمانًا واحتسابًا**»[(١)] . وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن، اللهم ارشد الأئمة واغفرللمؤذنين**»[(٢)] .

(قال الفقيه) : رضى الله تعالى عنه : سمى المؤذن مؤتمنًا ؛ لأن الناس ائتمنوه فى أمر صلاتهم وصومهم ، فمن حق المسلم على المؤذن أن لا يؤذن لصلاة الفجر حتى يطلع الفجر ، كيلا يشتبه عليهم أمر صلاتهم وسحورهم ، ولا يؤذن لصلاة المغرب حتى تغرب الشمس ، لكيلا يشتبه عليهم أمر فطورهم ، فمن هذا الوجه يكون مؤتمنًا ، والإمام ضامنًا؛ لأنه قد ضمن صلاة القوم فتفسد صلاتهم بصلاته ، وتصح صلاتهم بصلاته . قال : وأخبرنى عبد الوهاب عن محمد بن الفضلانى بسمرقند بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاثة يقومون يوم القيامة على كثبان المسك لا يهولهم الحساب ولا يحزنهم الفزع الأكبر : رجل أمَّ قومًا وهم له راضون ، ورجل أذن الخمس ابتغاء وجه الله ، وعبد أطاع ربه وسيده**»[(٣)] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٥١٧)، والترمذي، حديث (٢٠٧)، وانظر (صحيح أبي داود) .

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (١٩٨٦)، وأحمد حديث (٤٧٨٤) (من حديث ابن عمر) . وانظر ضعيف الترمذي .

وروى **أبو هريرة** رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**لا يحل لمسلم أن ينظر فى بيت مسلم إلا بإذنه ، فإن نظر فقد دمر ، ومن دمر فقد نقض العهد ، ولا يحل لمسلم يصلى وهو حاقن حتى يخفف ، ولا يحل لمسلم أن يؤم قومًا إلا بإذنهم فإن فعل قبلت صلاتهم وردت صلاته ، ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فإن فعل ذلك فقد خانهم**»(١) .

وعن **أبى صالح** عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول لاستهموا عليهما ، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما فى شهود العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا**»(٢) .

وروى **جويبر** عن الضحاك قال : لما رأى عبد الله بن زيد الأذان فى المنام وعلمه بلالاً فأمر النبى ﷺ بلالاً أن يصعد السطح ويؤذن ، فلما افتتح الأذان سمعوا هدة بالمدينة ، فقال النبى ﷺ «**أتدرون ما هذه الهدة ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**إن ربكم أمر أبواب السماء ففتحت إلى العرش لأذان بلال**» .

فقال **أبو بكر رضى الله تعالى عنه** : هذا لبلال خاصة أو للمؤذنين عامة؟ قال : «**بل للمؤذنين عامة ، وإن أرواح المؤذنين مع أرواح الشهداء ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين المؤذنون ؟ فيقومون على كثبان المسك والكافور**» (٣) .

وروى **أنس بن مالك** رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**خمسة ليس لهم صلاة : المرأة الساخطة على زوجها ، والعبد الآبق من سيده حتى يرجع ، والمصارم الذى لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام ، ومدمن الخمر ، وإمام قوم يصلى بهم وهم له كارهون**»(٤) .

(قال الفقيه) : رحمه الله تعالى : كراهية القوم على وجهين : إن كانت كراهتهم لفساد فيه ، أو كان لحانًا بالقراءة وهم يجدون غيره ، أو كان فى الجماعة من هو أعلم منه فهذا الذى يكره، وكره له أن يؤمهم ، وإن كان كراهيتهم لأنه يأمر بالمعروف فيبغضونه ، أو للحسد وليس فى الجماعة من هو أعلم منه ، فكراهيتهم باطلة ، وله أن يؤمهم وإن رغم أنفهم .

وروى **جابر بن عبد الله** رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**المؤذنون المحتسبون يخرجون يوم القيامة من قبورهم وهم يؤذنون ، فالمؤذن المحتسب يشهد له كل شيء يسمع صوته من حجر ، أو شجر ، أو مدر ، أو بشر، أو رطب ، أو يابس ، ويغفر الله له مد صوته ويكتب له من الأجر بعدد**

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أبو داود، حديث (٩١)، والترمذي، حديث (٣٥٧) (من حديث ثوبان بنحوه) . وانظر ضعيف الترمذي .
(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (٦١٥)، ومسلم، حديث (٤٣٧) .
(٣) **في إسناده:** جويبر، متروك الحديث (ميزان الاعتدال) .
(٤) **ضعيف:** أخرجه ابن ماجه، حديث (٩٧١) من حديث ابن عباس بنحوه، وانظر ضعيف ابن ماجه .

من يصلى بأذانه ، ويعطيه الله ما يسأل بين الأذان والإقامة إما أن يعجله فى الدنيا أو يدخره فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه السوء ، وأول من يكسى يوم القيامة من كسوة الجنة إبراهيم ثم محمد عليهما الصلاة والسلام ، وفى رواية : محمد ثم إبراهيم ثم يكسى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم المؤذنون المحتسبون وتتلقاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر ، ثم يشيع كل رجل منهم سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر»[١] .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ثلاثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر : المؤذن ، والشهيد ، والمتوفى يوم الجمعة ، أو فى ليلة الجمعة .

وعن عبد الأعلى التيمى أنه قال : ثلاثة على كثبان المسك حتى يفرغ الناس من الحساب : إمام قوم يلتمس به وجه الله تعالى ، ورجل قرأ القرآن يلتمس به وجه الله تعالي، ومؤذن ينادى بالصلاة يلتمس به وجه الله تعالى .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «من قال مثل ما يقول المؤذن كان له مثل أجره» [٢] .

وروى فى خبر آخر : أن النبى ﷺ كان إذا قال المؤذن : الله أكبر ، يقول معه ، وكذلك فى الشهادتين ، وإذا قال : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قال : «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[٣] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : ينبغى للرجل إذا سمع الأذان أن يستمع ويعظم ويقول مثل ما يقول المؤذن ، فإذا انتهى إلى قوله : حى على الصلاة ، يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وإذا قال : حى على الفلاح يقول : ما شاء الله كان . وينبغى أن يعرف تفسير الأذان ومعناه ، فإن لكل كلمة منه ظهرًا وبطنًا .

فإذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر . تفسيره فى الظاهر : الله أعظم ثم الله أعظم وأجل ، ومعناه الله أعظم وعمله أوجب ، فاشتغلوا بعمله واتركوا أشغال الدنيا .

وإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فتفسيره : أشهد أنه واحد لا شريك له ، ومعناه أن الله قد أمركم بأمر فاتبعوا أمره ؛ فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله ، ولا ينجيكم أحد من عذابه إن لم تؤدوا أمره .

وإذا قال : أشهد أن محمدًا رسول الله . فتفسيره : وأشهد أن محمدًا رسول الله أى : الله أرسله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه ، ومعناه أنه قد أمركم بإقامة الجماعة ، فاتبعوا ما أمركم به .

---

(١) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٨٨) : هذا حديث موضوع فكافأ الله من وضعه فما أوحش هذا الكذب وما أبرد هذه السياقة وفي هذا الحديث : عباد بن كثير ، كان شعبة يقول : احذروا حديثه .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ، حديث (٨٠٢) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال : رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين وهو ضعيف فيهم .

(٣) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٣٨٥)، وأبو داود، حديث (٥٢٧) .

فإذا قال : حى على الصلاة . فتفسيره : أسرعوا إلى أداء الصلاة ، ومعناه : حان وقت الصلاة فأقيموها ، ولا تؤخروها عن وقتها ، وصلوها بالجماعة . وإذا قال : حى على الفلاح . فتفسيره : أسرعوا إلى النجاة والسعادة ، ومعناه : أن الله تعالى جعل الصلاة سببًا لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه . وإذا قال : الله أكبر ، الله أكبر . فتفسيره : أن الله تعالى أعظم وأجل . ومعناه : أن عمله أوجب فلا تؤخروا عمله . وإذا قال : لا إله إلا الله ، فتفسيره : اعلموا أنه واحد لا شريك له . ومعناه : أخلصوا صلاتكم لوجه الله تعالى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

٣٣ - باب الطهارة والنظافة

(قال الفقيه) : أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا أبو جعفر حدثنا أبو بكر بن محمد بن سهل القاضى حدثنا إبراهيم بن خنيس عن أبيه عن إسماعيل بن أبى زيادة عن جويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **«عليكم بالسواك فإن فيه عشر خصال : مطهرة للفم ، ومرضاة للرب ، ومفرحة للملائكة ، ومجلاة للبصر ، ويبيض الأسنان ، ويشد اللثة ، ويذهب بالبخر ، ويهضم الطعام ، ويقطع البلغم ، وتضاعف به الصلوات ، ويطيب النكهة ، وهو طريق القرآن»**[١] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل ، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا وكيع عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية رفعه إلى النبى ﷺ قال : **«الوضوء شطر الإيمان، والسواك شطر الوضوء ، ولولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وركعتان يستاك فيهما العبد أفضل من سبعين ركعة لا يستاك فيها»** [٢].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن حمدان ، حدثنا الحسين بن على الطوسى ، حدثنا محمد بن شوكة ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن أبى إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«خمس من الفطرة : قص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، والسواك»**[٣] .

قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : السواك بعد الطعام أفضل من أن تعتق وصيفتين [٤] .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : **«لا يزال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** [٥]«ولا يزال يوصينى بالمماليك حتى ظننت أنه يجعل لعتقهم وقتًا ، ولا يزال يوصينى بالسواك حتى ظننت أنه

---

(١)ذكره الديلمي في (مسند الفردوس) حديث (٤٣٦٩) من حديث أنس .

(٢) صحيح:أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ، حديث (١٨٠٣) . وانظر (صحيح الجامع) رقم (٧١٥٢) .

(٣) صحيح:أخرجه البخاري ، حديث (٥٨٨٩) ، ومسلم ، حديث (٢٥٧) ، (من حديث أبي هريرة) .

(٤)أخرجه ابن المبارك في الزهد ، حديث (١٢٣٠) .

(٥) صحيح:أخرجه البخاري ، حديث (٦٠١٤) ، ومسلم ، حديث (٢٦٢٤) (من حديث عائشة) .

يدردني – يعني : يذهب اللثة ، - ولا يزال يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه يحرم الطلاق ، ولا يزال يوصيني بصلاة الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون الليل» (١) .

وروى عن الأعمش ، عن مجاهد قال : أبطأ جبريل على النبي ﷺ ثم أتاه فقال : «**ما حبسك يا جبريل** ؟» قال : وكيف نأتيكم وأنتم لا تقلمون أظفاركم ، ولا تأخذون من شواربكم ، ولا تنتقون براجمكم (٢) ، ولا تستاكون ، ثم قال : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم : ٦٤] .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «**حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ، والطيب**» (٣) .

وعن حميد بن عبد الرحمن قال : من قص أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه الداء وأدخل فيه الشفاء . وروى عن رسول الله ﷺ : أنه لما دخل الجنة ليلة أسرى به إلى السماء استقبلته الحور العين فقلن : يا محمد ، قل لأمتك حتى يستاكوا ، فكلما استاكوا ازددنا حسنًا (٤) .

وروى ابن شهاب عن النبي ﷺ أنه قال : «**من قلم أظفاره يوم الجمعة كان له أمانًا من الجذام**» (٥) .

وروى في بعض الأخبار : أن النبي ﷺ وقت في كل أربعين يومًا حلق العانة ، وفي كل جمعة قص الأظفار (٦) .

وعن النبي ﷺ أنه قال : «**طيبوا أفواهكم فإن أفواهكم طرق القرآن**» (٧) .

(قال الفقيه) : رحمه الله تعالى : السواك على ثلاثة أوجه : إما أن يريد به وجه الله تعالى وإقامة السنة ، وإما أن يريد به نفع نفسه ، وإما أن يريد به وجه الناس ، فإن أراد به وجه الله تعالى وإقامة السنة فهو مأجور وكل صلاة تعدل سبعين كما جاء في الخبر ، وإن أراد به منفعة نفسه فلا أجر له وهو محاسب به ، وإن أراد به الرياء فهو محاسب به آثم . وعن طاوس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة : ١٢٤] قال : ابتلاه بطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد .

فأما التي في الرأس : فقص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق والسواك ، وفرق الرأس .

وفي الجسد : تقليم الأظفار ، والختان ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والاستنجاء بالماء .

---

(١) حديث (يوصيني بالمماليك) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ١٩١) .
(٢) أخرجه أحمد بنحوه، حديث (٢١٨٢) .
(٣) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٨٥٨)، ومسلم، حديث (٨٤٦) .
(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، حديث (٥٣١٠) بنحوه .
(٥) ذكره الديلمي في (مسند الفردوس) حديث (٥٦٣٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٧١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن ثابت ويلقب بـ فرجونه وهو ضعيف .
(٦) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨) .
(٧) صحيح: ذكره الديلمي في (مسند الفردوس)، حديث (٣٩٧٠)، وانظر «صحيح الجامع» رقم (٣٩٣٩) .

٣٤ - باب فضل الجمعة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا الحسين بن على الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة ، فأكثروا فيه عليّ من الصلاة ، فإن صلاتكم معروضة عليّ**» . قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد بليت؟ قال : «**تقولون قد بليت ؟ أما تعلمون أن إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**»(١) .

وروى فى خبر آخر أنه قيل : كيف ترد علينا السلام وقد رممت ؟ فقال : «**إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، وما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحى حتى أرد عليه السلام**» .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا عبد الرحمن بن محمد حدثنا أبو القاسم حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا الحسين بن على الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبى الأشعث عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ وذكر الجمعة فقال : «**من غسل واغتسل ، وبكر وابتكر ، ودنا فأنصت ولم يلغ ، كان له بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها**»(٢) .

قال محمد بن الفضل : سألت يزيد بن هارون عن قوله : «**غسل**» قال : غسل مواضع الوضوء . «**واغتسل**» يعنى : جسده . وسألت عن «**بكر وابتكر**» قال : يعنى : بكر على غسله ، وابتكر إلى الجمعة .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضيل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**لم تطلع الشمس ، ولم تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة وما من دابة فى الأرض إلا وهى تفزع ليوم الجمة إلا الثقلين الجن والإنس وعلى كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الناس الأول فالأول ،كرجل قرب بدنة وكرجل قرب شاة ، وكرجل قرب طيرًا ، وكرجل قرب بيضة ، فإذا قعد الإمام طويت الصحف**»(٣) .

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع ودنا فأنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (١٠٤٧)، والنسائي حديث (١٣٤٧)، وابن ماجه حديث (١٠٨٥). وانظر صحيح أبو داود.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٣٤٥)، والترمذي، حديث (٤٩٦)، والنسائي، حديث (١٣٨١)، وابن ماجه، حديث (١٠٨٧)، وانظر صحيح أبو داود.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٣٥١)، وأحمد، حديث (٧٦٣٠) وانظر صحيح أبو داود.

أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له» .[(١)]

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «**إن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخله الله الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يسأل الله تعالى فيها شيئًا إلا أعطاه إياه**» .[(٢)]

قال أبو سلمة : قال عبد الله بن سلام : قد عرفت تلك الساعة ، وهى آخر ساعات النهار ، وهى الساعة التى خلق فيها آدم عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء : ٣٧] وقال سعيد بن المسيب : لأن أشهد الجمعة أحب إلىّ من حجة تطوع .

وعن كعب الأحبار : لأن أشرب قدحًا من نار أحب إلىّ من أشرب قدحًا من خمر ، ولأن أشرب قدحًا من خمر أحب إلىّ من أن أتخلف عن الجمعة ، ولأن أتخلف عن الجمعة أحب إلىّ من أن أتخطى رقاب الناس .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : تلا رسول الله ﷺ على المنبر آية فقال ابن مسعود لأبى بن كعب : متى أنزلت هذه الآية ؟ .

وفى رواية أخرى : أن أبا الدرداء قال لأبى بن كعب : متى أنزلت هذه الآية ؟ فغمزه، فلما انصرف قال له أبى : إنما فات حظك من صلاتك ما لغوت ، فدخل عبد الله على رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال : «**صدق أبىّ**» ثم قال : «**ما من عبد يغتسل يوم الجمعة ويلبس أحسن ما عنده ، ويمس من دهنه ما كان ، ثم يأتى الجمعة فلا يؤذى أحدًا ولا يتخطى رقاب الناس فيصلى ما قضى الله تعالى له ، فإذا خرج الإمام جلس وأنصت إلا غفر الله له ما بين الجمعتين**»[(٣)] .

وروى عبد الرحمن بن يزيد عن أبى لبابة بن عبد المنذر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ومن يوم النحر ، وفيه خمس خصال : فيه خلق الله تعالى آدم ، وفيه أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض، وفيه توفى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه الله إياه ما لم يسأل حرامًا وفيه تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب عند ربه ولا فى سماء ولا فى أرض إلا وهو يشفق من يوم الجمعة**»[(٤)] .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : إذا كان يوم الجمعة خرج الشيطان مع أعوانه يزينون للناس أسواقهم ومعهم الرايات ، وتقعد للناس أسواقهم ومعهم الرايات، وتقعد الملائكة على أبواب المسجد فيكتبون الناس على قدر منازلهم حتى يخرج الإمام ، فمن دنا من الإمام فأنصت

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٨٥٧).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم، حديث (٨٥٢).
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (١١١١)، وأحمد، حديث (٢٠٧٨)، وانظر صحيح ابن ماجه.
(٤) حسن: أخرجه ابن ماجه، حديث (١٠٨٤)، وانظر صحيح ابن ماجه.

واستمع ولم يلغ كان له كفلان من الأجر، أى : حظان ونصيبان من الأجر ، ومن تباعد فاستمع وأنصت ولم يلغ كان له كفل من الأجر ، ومن دنا من الإمام فلغا ولم يستمع كان له كفلان من الوزر ، ومن قال : مه فقد تكلم ومن تكلم فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له ، ثم قال على رضى الله تعالى عنه : هكذا سمعت نبيكم ﷺ [1] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى قال : بلغنا أن صالحًا المرى أقبل ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلى فيه صلاة الفجر . فمر بمقبرة فقال : لو قمت حتى يطلع الفجر ، فدخل المقبرة فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته عيناه ، فرأى فى المنام كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم فقعدوا حلقًا حلقًا يتحدثون ، فإذا شاب عليه ثياب دنسة فقعد فى جانب مغمومًا ، فلم يمكثوا إذ أقبلت عليهم أطباق عليها ألطاف مغطاة بمناديل ، فكلما جاء واحدًا منهم طبق أخذه ودخل قبره ، حتى بقى الفتى فى آخر القوم لم يأته شيء، فقام حزينًا ليدخل فى قبره فقلت له : يا عبد الله ، ما لى أراك حزينًا وما الذى رأيت ؟ قال : يا صالح المرى ، هل رأيت الأطباق ؟ قال : قلت : نعم ، فما هي؟ قال : تلك ألطاف الأحياء لموتاهم كلما تصدقوا عنهم أو دعوا لهم أتاهم ذلك فى ليلة الجمعة ، وإنى رجل من أهل السند أقبلت بوالدتى تريد الحج ، فلما صرت بالبصرة توفيت بها وتزوجت والدتى بعدى ، ولم تذكر لزوجها أنه كان لها ولد ، وقد ألهتها الدنيا فما تذكرنى بشفة ولا لسان ، فحق لى الحزن إذ ليس لى من يذكرنى من بعدى .

قال صالح : وأين منزل أمك ؟ فوصف لى الموضع ، قال : فلما أصبحت وقضيت صلاتى أقبلت فسألت عن منزلها فأرشدت إليه ، فجئت فاستأذنت عليها فقلت : إنى صالح المرى بالباب فأذنت فدخلت وقلت : أحب أن لا يسمع كلامى وكلامك أحد ، فدنوت حتى ما كان بينى وبينها إلا ستر ، فقلت : يرحمك الله هل لك ولد ؟ قالت : لا ، قلت : فهل كان لك ولد؟ فتنفست الصعداء ثم قالت : قد كان لى ولد شاب فمات فقصصت عليها القصة ، قال : فبكت حتى تحدرت دموعها على خديها ، قالت : يا صالح ، ذاك ولدى من منزل كبدى والحشا ،كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء ، وحجرى له حواء ، ثم دفعت لى ألف درهم ، وقالت : تصدق بها على حبيبى وقرة عيني ، ولا أنساه الدعاء والصدقة فيما بقى من عمرى . قال : فانطلقت فتصدقت بالألف، فلما كان فى الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجمعة ، فأتيت المقبرة وصليت ركعتين واستندت إلى قبر ، فخفقت برأسى فإذا أنا بقوم قد خرجوا ، وإذا أنا بالفتى عليه ثياب بيض فرحًا مسرورًا ثم أقبل حتى دنا منى ، ثم قال : يا صالح المرى ، جزاك الله خيرًا عنى وقد وصلت إلينا الهدية ، فقلت له : أنتم تعرفون الجمعة ؟ قال : نعم ، وإن الطيور فى الهواء يعرفونها ويقولون : سلام ليوم صالح ، يعنى : يوم الجمعة .

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (١٠٥١)، وانظر ضعيف أبي داود.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : وحدثنى الثقة بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : جاء جبريل عليه الصلاة والسلام إلى رسول الله ﷺ وفى كفه كالمرآة البيضاء وفى وسطها كالنكتة السوداء ، قال : «**ما هذا يا جبريل؟**» قال : هذا يوم الجمعة يعرضها الله عليك لتكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك ولكم فيها خير ، من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله إياه ، وإن لم يكن له قسم ادخر له ما هو أفضل منه ، وهو عندنا يوم المزيد ، ونحن ندعوه سيد الأيام .

قال : «**ولم ذلك**» ؟ قال : لأن ربك اتخذ فى الجنة واديًا أفيح ، فيه كثيب من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة جاء النبيون وجلسوا على منابر من نور مكللة بالجواهر ، ثم حف وراء تلك المنابر بكراسى من نور فجاء الصديقون والشهداء فجلسوا عليها ، ثم يأتى أهل جنة عدن فيجلسون على ذلك الكثيب الأبيض فيقول لهم الرب تعالى : أنا الذى صدقتم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، وهذا محل كرامتى فسلونى .

فيقولون : ربنا نسألك رضوانك والجنة؟ .

فيقول : رضوانى أحلكم دارى وأنيلكم كرامتى . فيسألونه الرضا فيهديهم الرضا ، ويعطيهم فوق رغبتهم وأمنيتهم ، وذلك قدر منصرف أمامكم من الجمعة ، ويفتح لهم عند ذلك ما لا يخطر على قلب بشر ولم تره عين ، ثم يرجع النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة ، فلذلك سمى يوم المزيد ، وفيه تقوم الساعة [١].

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**الصلوات فى الجماعة، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**» [٢] والله تعالى أعلم .

٣٥ - باب حرمة المساجد

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا على السردري الحاكم حدثنا عبيدة بن محمد السرخسى حدثنا صالح بن كيسان حدثنا ابن أبى فديك عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين**» [٣] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : إذا كان فى وقت مباح ، فأما إذا دخل فى المسجد بعد ما يصلى العصر أو بعد ما صلى الفجر فلا ينبغى أن يصلى ؛ لأنه نهى عن الصلاة فى ذلك الوقت ، ولكنه

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٥٥١٧)، والطبراني في الأوسط، حديث (٢٠٨٤)، وانظر صحيح الجامع رقم (٤٠٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٤٩، ٢٥٠)، وانظر صحيح الجامع رقم (٣٨٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (١٠١٢).

يسبح ويهلل ويصلى على النبى ﷺ فينال فضل الصلاة وأدى عنه حق المسجد .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن ليث بن أبى سليم عن بعض أشياخه قال : بلغ أبا الدرداء أن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه اشترى خادمًا ، فكتب إليه يعاتبه فى ذلك فكان فى كتابه : يا أخى ، تفرغ للعبادة قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا تستطيع فيه العبادة، واغتنم دعوة المؤمن المبتلى ، وارحم اليتيم وامسح برأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك ، فإنى شهدته يومًا - يعنى : النبى ﷺ - وأتاه رجل يشكو إليه قساوة قلبه فقال : «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك** ؟» قال : نعم . قال : «**ارحم اليتيم وامسح برأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجت**»[1] .

يا أخى ، ليكن المسجد بيتك ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**المساجد بيوت المتقين**» . وقد ضمن الله تعالى لمن كانت بيوتهم المساجد بالروح والراحة ، والجواز على الصراط ، والنجاة من النار إلى رضوان الرب تبارك وتعالى .

قال الحكيم بن عمير صاحب رسول الله ﷺ : كونوا فى الدنيا أضيافًا ، واتخذوا المساجد بيوتًا ، وعلموا قلوبكم الرقة ، وأكثروا التفكر والبكاء ، لا تختلفن بكم الأهواء، قال قتادة رضى الله تعالى عنه : ما كان للمؤمن أن يرى إلا فى ثلاثة مواطن : مسجد يعمره ، وبيت يستره ، وحاجة لا بأس بها .

وقال النزال بن سبرة : المنافق فى المسجد كالطير فى القفص .

وعن خلف بن أيوب : أنه كان جالسًا فى المسجد فأتاه غلامه يسأله عن شيء ،فقام فخرج من المسجد ثم أجابه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ما تكلمت فى المسجد بكلام الدنيا منذ كذا سنة ، فكرهت أن أتكلم اليوم .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : إنما يصير للعبد منزلة عند الله تعالى إذا عظم أوامره وعظم بيوته وعباده ، والمساجد بيوت الله فينبغى للمؤمن أن يعظمها ، فإن فى تعظيم المساجد تعظيم الله تعالى .

وروى عن بعض الزهاد أنه قال : ما استندت فى المسجد إلى شيء ، ولا طولت قدمى فيها ، ولا تكلمت بكلام الدنيا ، وإنما قال ذلك ليقتدى به .

وعن الأوزاعى رضى الله تعالى عنه قال: خمس كان عليهن رسول الله ﷺ والتابعون بإحسان : لزوم الجماعة واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله تعالى .

وروى عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما أنه قال : ثلاثة فى جوار الله تعالي: رجل دخل

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في الكبرى، حديث (٦٨٨٧) . انظر صحيح الجامع، حديث (٨٠) .

المسجد لا يدخله إلا لله فهو ضيف الله تعالى حتى يرجع ، ورجل زار أخاه المسلم لا يزوره إلا لله فهو من زوار الله تعالى حتى يرجع ، ورجل خرج حاجًا أو معتمرًا لا يخرج إلا لله تعالى فهو وفد الله تعالى حتى يرجع من عنده إلى أهله .

ويقال : حصون المؤمن ثلاثة : المسجد ، وذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، والمؤمن إذا كان فى واحد من ذلك فهو فى حصن من الشيطان ، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : مهور الحور فى الجنة كنس المساجد وعمارتها .

قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : من أسرج فى المسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك فى المسجد[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : المساجد بيوت الله فى الأرض ، والمصلى فيها زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره[2] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : يقال : حرمة المساجد خمس عشرة خصلة : أولها : أن يسلم وقت الدخول إذا كان القوم جلوسًا ، وإن لم يكن فيها أحد أو كانوا فى الصلاة يقول : السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين . والثانى : أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس ، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : **«لكل شيء تحية وتحية المسجد ركعتان»**[3] والثالث : أن لا يشترى فيه ولا يبيع . والرابع : أن لا يسل فيه السيف . والخامس : أن لا ينشد فيه الضالة . والسادس : أن لا يرفع فيه الصوت فى غير ذكر الله تعالى . والسابع : أن لا يتكلم فيه بشيء من أحاديث الدنيا . والثامن : أن لا يتخطى رقاب الناس . والتاسع : أن لا ينازع فى المكان . والعاشر : أن لا يضيق على أحد فى الصف . والحادى عشر : أن لا يمر بين يدى المصلى . والثانى عشر : أن لا يبزق فيه . والثالث عشر : أن لا يفرقع أصابعه فيه . والرابع عشر : أن ينزهه عن النجاسات والمجانين والصبيان وإقامة الحدود . والخامس عشر : أن يكثر فيه ذكر الله تعالى ولا يغفل عنه .

وروى عن الحسن أن النبى ﷺ قال : **«يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم لأمر دنياهم ، ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم»**[4] .

وروى عن الزهرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«يكون الغرباء فى الدنيا أربعة : قرآن فى جوف ظالم ، ومسجد فى نادى قوم لا يصلون فيه، ومصحف فى بيت لا يقرأ**

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء، حديث (٢٣٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، حديث (٣٤٦١٥) من حديث سلمان، ولم أجده من حديث عمر كما أورده المؤلف رحمه الله.

(٣) أخرجه ابن حبان، حديث (٣٦١)، والحاكم في مستدركه، حديث (٤١٦٦).

(٤) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث (٣١١٨٤) وعزاه للبيهقي من حديث الحسن مرسلاً

فيه ، ورجل صالح مع قوم سوء»[(١)] .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول اللهﷺ أنه قال «**يحشر الله المساجد كأنها بخت بيض ، قوائمها من العنبر ، وأعناقها من الزعفران ، ورؤوسها من المسك الأذفر ، وأسنامها من الزبرجد الأخضر ، وقوادها المؤذنون يقودونها ، والأئمة يسوقونها فيعبرون بها فى عرصات القيامة كالبرق الخاطف ، فيقول أهل القيامة : هؤلاء الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون ، فينادونهم : يا أهل القيامة ، ما هؤلاء الملائكة المقربون ولا الأنبياء ولا المرسلون، بل هم أمة محمد**ﷺ الذين كانوا يحفظون صلاة الجماعة» .

وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : يؤتى بالمساجد يوم القيامة كأمثال السفن ، مكللة بالدر والياقوت ، فتشفع لأهلها .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى ، شر أهل ذلك الزمان علماؤهم ، منهم تخرج الفتن وإليهم تعود[(٢)] .

٣٦ - باب فضل الصدقة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا ابن إدريس عن ليث بن أبى سليم عن ميمون بن مهران عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال : الصلاة عماد الإسلام ، والجهاد سنام العمل ، والصدقة شيء عجيب ، والصدقة شيء عجيب ، والصدقة شيء عجيب ، وسئل عن الصوم ؟ فقال : قربة وليس هناك فضل . قيل : فأى الصدقة أفضل؟ قال : أكثرها وأكبرها ثم قرأ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] قيل : فمن لم يكن عنده [قال] ؟ قال : فعفو مال ، يعنى : يتصدق بفضل مال ، قيل : فمن لم يكن عنده مال ؟ قال : فعفو طعام . قيل : فمن لم يكن عنده ؟ قال : يعين بقوته . قيل : فمن لم يفعل ؟ قال : يتقى النار ولو بشق تمرة . قيل : فمن لم يفعل ؟ قال : يكف نفسه . يعنى : لا يظلم الناس . وذكر فى رواية أخرى أنه روى هذا عن رسول اللهﷺ .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا يزيد بن زريع عن هشام الدستوائى عن قتادة عن خليل بن عبد الله العصرى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبىﷺ قال : «**ما طلعت شمس إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان ، وإنهما يسمعان أهل الأرض إلا**

(١) ضعيف: أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (٤٣٠١)، انظر ضعيف الجامع، حديث (٣٩٢٤).
(٢) أخرجه البزار، حديث (٤٠٧٨)، من قول علي رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٩)، وقال: رواه البزار وفيه العوام بن جويرية وهو ضعيف.

الثقلين : أيها الناس ،هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهي، وملكان يناديان : اللهم عجل لمنفق ماله خلفًا وعجل لممسك ماله تلفًا»[١] .

قال : أخبرنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن موسى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن يسار عن زرعة بن أيوب عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : مر النبى ﷺ برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : أسألك بحرمة هذا البيت أن تغفر لى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : **«يا عبد الله سَلْ بحُرمتك ، فإن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة هذا البيت»** فقال : يا رسول الله ، إن لى ذنبًا عظيمًا . قال : « وما ذنبك ؟ » قال : إن لى مالاً كثيرًا وإن ماشيتى كثيرة وإن خيلى كثيرة ، ولكن الرجل إذا سألنى شيئًا من مالى فكأن شعلة من نار تخرج من وجهى . فقال رسول الله ﷺ : **«تنَحَّ عنى يا فاسق ؛ لا تحرقنى بنارك ، والذى نفسى بيده لو صمت ألف عام وصليت ألف عام ثم مت لئيمًا لأكبك الله فى النار ، أما علمت أن اللؤم من الكفر ، والكفر فى النار ، والسخاوة من الإيمان ، والإيمان فى الجنة»**[٢] . وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال : **«السخاوة شجرة أصلها فى الجنة ، وأغصانها متدلية فى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها مده إلى الجنة ، والبخل شجرة ، أصلها فى النار وأغصانها متدلية فى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها مده إلى النار»**[٣] .

وعن النبى ﷺ أنه قال : **«البخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس، قريب من النار ، والسخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار»**[٤] .

وعن النبى ﷺ أنه قال : **«حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء»**[٥] . وعن عبد الرحمن السلمانى مولى عمر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«إذا سأل سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ، ثم ردوا عليه بوقار ولين ببذل يسير أو برد جميل ، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله»**[٦] .

وروى سعد بن مسعود الكندى قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما من رجل يتصدق فى يوم أو ليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة»**[٧] .

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢١٧٦٩)، وابن حبان، حديث (٣٣٢٩)، وابن حبان، حديث (٣٣٢٩)، وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٢٢)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في إسناده: جويبر، وهو ضعيف جدًا وذكره ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ١٣٦).

(٣) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٢٩٨).

(٤) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذي، حديث (١٩٦١)، انظر ضعيف الجامع، حديث (٣٣٤١).

(٥) ضعيف جدً: أخرجه الطبراني في الأوسط (١٩٦٣)، وفي الكبير، حديث (١٠١٩٦)، انظر ضعيف الجامع، حديث (٢٧٢٤).

(٦) أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (١٢٧٤)، وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٤٣)، قال: وفيه محمد بن سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم.

(٧) لم أقف عليه.

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«ما نقص مال من صدقة قط ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا ، وما تواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى»**[(١)] .

وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : اثنان من الشيطان واثنان من الله تعالى ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ يعنى : يأمركم بالطاعة والصدقة لتنالوا مغفرته وفضله : ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٨] يعنى : واسع الفضل عليم بثواب من يتصدق .

وروى ابن بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال : «ما نقض قوم العهد إلا ابتلاهم الله تعالى بالقتل ولا ظهرت فاحشة فى قوم إلا سلط الله عليهم الموت فجأة ، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر»[(٢)] وروى الضحاك عن النزال بن سبرة قال : مكتوب على باب الجنة ثلاثة أسطر : أولها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والثانى : أمة مذنبة ورب غفور . والثالث: وجدنا ما عملنا ، ربحنا ما قدمنا ، خسرنا ما خلفنا . **ويقال** : من منع خمسًا منع الله منه خمسًا : أولها : من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال . والثانى : من منع الصدقة منع الله منه العافية . والثالث : من منع العشر منع الله منه بركة أرضه . والرابع : من منع الدعاء منع الله منه الإجابة . والخامس : من تهاون بالصلاة منع منه عند الموت قول لا إله إلا الله . وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : درهم ينفقه أحدكم فى صحته وشحه أفضل من مائة يوصى بها عند الموت .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : سمعت أبى رحمه الله تعالى قال : كان فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام رجل يسمى ملعونًا من بخله ، فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو ، فقال : يا ملعون ، أعطنى شيئًا من السلاح أستعين به فى غزوى وتنجو به من النار . فأعرض عنه ولم يعطه شيئًا فرجع الرجل فندم الملعون فناداه فأعطاه سيفه ، فرجع الرجل واستقبله عيسى عليه السلام مع عابد قد عبد الله سبعين سنة ، فقال له عيسى : من أين جئت بهذا السيف ؟ فقال : أعطانيه الملعون . ففرح عيسى بصدقته ، فكان الملعون قاعدًا على بابه ، فلما مر به عيسى عليه السلام ، مع العابد فقال الملعون فى نفسه : أقوم وأنظر إلى وجه عيسى وإلى وجه العابد . فلما قام ونظر إليهما قال العابد : أنا أفر وأعدو من هذا الملعون قبل أن يحرقنى بناره . فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام أن قل لعبدى هذا المذنب : إنى قد غفرت له بصدقته بالسيف وبحبه إياك ، وقل للعابد : إنه رفيقك فى الجنة . فقال العابد : والله ما أريد الجنة معه ولا أريد رفيقًا مثله . فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام أن قل لعبدى : إنك لم ترض بقضائى ، وحقرت عبدي، فإنى قد جعلتك ملعونًا من أهل النار ، وبدلت منازلك فى الجنة مع الذى له فى النار ، وأعطيت منازلك فى الجنة لعبدى ،

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٨)، والترمذي، حديث (٢٠٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم، حديث (٢٥٧٧)، والبيهقي، حديث (٦١٩٠).

ومنازله فى النار لك . وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **«إن ملكًا ينادى من أبواب السماء يقول : من يقرض اليوم يجد غدًا ، وملك آخر ينادى : يا معشر بنى آدم ، لدوا للموت ، وابنوا للخراب»**(١) .

وروى عن النبى ﷺ أنه سئل فقيل : يا رسول الله ، إذا خرجت من الدنيا فظهر الأرض خير لنا أم بطنها ؟ قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال النبى ﷺ : **«إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»**(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن استطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص فافعل بالصدقة .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : **«من أدى الزكاة ، وأقرى الضيف ، وأدى الأمانة ، فقد وقى شح نفسه»** .(٣) يعنى : دفع البخل عن نفسه .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : عليك بالصدقة بما قل أو كثر فإن فى الصدقة عشر خصال محمودة : خمسة فى الدنيا وخمسة فى الآخرة ، فأما الخمسة التى فى الدنيا : فأولها : تطهير المال كما قال النبى ﷺ : **«ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب فشوبوه بالصدقة»**(٤) .

والثانى : أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قال الله عز وجل : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة : ١٠٣] والثالث : أن فيها دفع البلاء والأمراض كما قال النبى ﷺ : **«داووا مرضاكم بالصدقة»**(٥)

والرابع : أن فيها إدخال السرور على المساكين وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين . والخامس : أن فيها بركة فى المال وسعة فى الرزق كما قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ : ٣٩] .

وأما الخمسة التى فى الآخرة : فأولها : أن تكون الصدقة ظلًا لصاحبها من شدة الحر . والثانى : أن فيها خفة الحساب . والثالث : أنها تثقل الميزان . والرابع : جواز على الصراط . والخامس : زيادة الدرجات فى الجنة ، ولو لم يكن فى الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها ، فكيف وفيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان ، لأنه روى فى الخبر : **«إن الرجل**

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٨٠٤٠)، وابن حبان، حديث (٣٣٣٣).

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢٢٦٦)، انظر ضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (٢٤٥٦)، من حديث جابر.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود، (٣٣٢٦)، والترمذي، حديث (١٢٠٨)، وانظر صحيح أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود في المراسيل، حديث (١٠٥)، من حديث الحسن مرسلًا: والبيهقي في الشعب، حديث (٣٥٥٧)، من حديث أبي أمامة.

لا يستطيع أن يتصدق ما لم يفك لحيى سبعين شيطانًا»[1] . وفيها الاقتداء بالصالحين ؛ لأن الصالحين كانت همتهم فى الصدقة .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن محمد بن المنكدر عن أم ذر ، وكانت تدخل على عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : بعث عبد الله ابن الزبير إلى عائشة رضى الله تعالى عنها بمال فى غرارتين فيهما ثمانون ومائة ألف درهم وهى صائمة ، فجعلت تقسم بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست قالت : يا جارية ، هلمى فطورى ، فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها : أما استطعت فيما قسمت هذا اليوم أن تشترى لنا لحمًا بدرهم ؟ قالت : لا تعنفينى لو كنت ذكرتينى لفعلت .

وعن عروة بن الزبير قال : لقد رأيت عائشة رضى الله تعالى عنها تصدقت بسبعين ألف درهم وإنها لترقع جانب درعها .

وذكر أن عبد الملك بن أبجر ورث خمسين ألف درهم فبعث إلى إخوانه صررًا وقال : كنت أسأل لإخوانى الجنة ، فكيف أبخل عليهم بالدنيا .

وذكر فى الخبر : أن امرأة جاءت إلى حسان بن أبى سنان فسألته شيئًا فجعل ينظر إليها فإذا هى امرأة جميلة فقال : يا غلام ، أعطها أربعمائة ، فقيل له : يا عبد الله ، سائلة تسألك درهمًا فأعطيتها أربعمائة درهم ؟ فقال : لما نظرت إلى جمالها خشيت أن تفتتن فتقع فى المعصية فأحببت أن أغنيها ، فعسى أن يرغب فيها أحد فيتزوجها .

وذكر فى الخبر أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ أهدى إليه برأس شاة فقال : أخى فلان أحوج منى فبعث إليه ، فقال الذى بعث إليه : إن فلانًا أحوج منى فبعث إليه ، فلم يزل يبعث به واحدًا بعد واحد حتى تداولت سبعة أبيات ، ثم رجع إلى الأول فنزل قوله تعالي: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر : ٩] .

ويقال : إن نزول هذه الآية كان فى شأن رجل من الأنصار ، وذلك ما رواه الحسن : أن رجلاً أصبح على عهد رسول الله ﷺ صائمًا فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب ، ثم أصبح صائمًا فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب ثم أصبح صائمًا ، فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع ، ففطن به رجل من الأنصار فلما أمسى أتى به منزله فقال لأهله : قد نزل بنا الليلة ضيف فهل عندنا طعام ؟ فقالت : إن عندنا من الطعام ما يشبع الواحد وكانا صائمين ولهما صبى ، فقال لها : إنا نطعم ذلك ضيفنا ونصبر الليلة ، فنومى الصبى قبل وقت العشاء وإذا قربت الطعام فأطفئى السراج حتى يرى الضيف أنا نأكل معه حتى يشبع . فجاءت بثريدة فوضعتها ثم دنت من

(١) صحيح: أخرجه أحمد، حديث (٢٣٠١٢)، من حديث أبي بريدة، انظر صحيح الجامع، حديث (٥٨١٤).

السراج كأنها تصلحه فأطفأته ، فجعل الأنصارى يضع يده فى القصعة بين يديه ولا يأكل شيئًا ، فأكل الضيف حتى أتى على ما فى القصعة ، فلما أصبح الأنصارى صلى مع رسول الله ﷺالفجر ، فلما سلم النبى ﷺأقبل على الأنصارى وقال : «**لقد عجب الله تعالى من صنيعكما**» يعنى : رضى به وتلا هذه الآية : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعنى : يؤثرون بما عندهم لغيرهم ويمنعون أنفسهم وإن كان بهم مجاعة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعنى : من يدفع البخل عن نفسه فأولئك هم الناجون من عذابه .

وذكر عن حامد اللفاف رحمه الله تعالى أنه قال : إنى لأرضى منكم بأربعة وإن كان السلف على خلاف ذلك : أحدها : أن تهتموا لتقصير الفريضة كما كانوا يهتمون لتكثير الفضيلة . والثانى : أن تخافوا الله فى ذنوبكم أن لا تغفر كما كانوا يخافون على الطاعة ، أن لا تقبل . والثالث : أن تزهدوا فى الحرام كما كانوا يزهدون فى الحلال . والرابع : أن تؤتوا الشفقة والمعروف إلى إخوانكم وأصدقائكم كما كانوا يؤتونهما إلى أعدائهم .

٣٧ - باب ما تدفع الصدقة عن صاحبها

(قال الفقيه)أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالي : حدثنا عبد الله بن حبان البخارى حدثنا أبو جعفر المنادى البغدادى حدثنا إبراهيم بن محمد عن أشعث الحرانى عن أبى الفرج الأزدى : أن عيسى بن مريم عليهما السلام مر بقرية وفى تلك القرية قصار ، فقال أهل القرية : يا عيسى إن هذا القصار يمزق علينا ثيابنا ويحبسها فادع الله أن لا يرده برزمته؟ فقال عيسى عليه السلام : اللهم لا ترده برزمته . قال : فذهب القصار ليقصر الثياب ومعه ثلاثة أرغفة ، فجاءه عابد كان يتعبد فى تلك الجبال وسلم على القصار ، وقال : هل عندك خبز تطعمنى أو ترينى حتى أنظر إليه وأشم ريحه ، فإنى لم آكل الخبز منذ كذا وكذا؟ فأطعمه رغيفًا ، فقال : يا قصار ، غفر الله لك ذنبك ، وطهر قلبك . فأعطاه الثانى فقال : يا قصار غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : فأطعمه الثالث فقال : يا قصار ، بنى الله لك قصرًا فى الجنة . فرجع القصار من العشى سالمًا ، فقال أهل القرية : يا عيسى هذا القصار قد رجع؟ فقال : ادعوه ، فلما أتاه قال : يا قصار ، أخبرنى بما عملت اليوم؟ فقال : أتانى سيار من سيار تلك الجبال فاستطعمنى فأطعمته ثلاثة أرغفة فبكل رغيف أطعمته دعا لى بدعوات . فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ، هات رزمتك حتى أنظر إليها فأعطاه ففتحها فإذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد ، فقال عيسى عليه السلام : يا أسود . قال : لبيك يا نبى الله؟ قال : ألست قد بعثت إلى هذا؟ قال : نعم ، ولكن جاءه سيار من تلك الجبال فاستطعمه فبكل رغيف أطعمه دعا له بدعوة وملك قائم يقول : آمين ، فبعث الله تعالى إلىّ ملكًا من الملائكة فألجمنى بلجام من حديد .

فقال عيسى عليه السلام :يا قصار ، استأنف العمل فقد غفر الله لك ببركة صدقتك عليه .

حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد، قال: خرجت امرأة ومعها صبى لها فجاء ذئب فاختلس منها الصبى فخرجت فى أثره وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأطعمته، فجاء الذئب بصبيها حتى رده عليها، فهتف هاتف هذه لقمة بلقمة.

وبهذا الإسناد عن الأعمش عن أبى سفيان عن معتب بن سمى قال: تعبد راهب من بنى إسرائيل فى صومعة ستين سنة، فنظر يومًا إلى بعض الصحارى فأعجبته الأرض فقال: لو نزلت إلى الأرض فمشيت فيها ونظرت إليها، وأنزل معه رغيفًا فعرضت له امرأة فكشفت له فافتتن بها فلم يملك نفسه أن واقعها، فأدركه الموت على ذلك الحال، وجاءه السائل فأعطاه الرغيف فمات فجيء بعمل الستين سنة فوضع فى كفة الميزان وجيء بخطيئته ووضعت فى الكفة الأخرى فرجحت خطيئته بعمل ستين سنة، حتى جيء بالرغيف فوضع عمله فرجح بخطيئته، وقيل إن الصدقة تدفع سبعين بابًا من الشر، وعن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه، ما على الأرض صدقة تخرج حتى يفك عنها لحيى سبعين شيطانًا كلهم ينهاه عنها.

وعن قتادة [رحمه الله تعالى] قال: ذكر لنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار(١).

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءتها امراة سترت يدها فى كمها، فقالت لها عائشة: ما لك لا تخرجين يدك من كمك؟ قالت: لا تسألينى يا أم المؤمنين. قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: لا بد لك أن تخبرينى؟ فقالت: يا أم المؤمنين، إنه كان لى أبوان فكان أبى يحب الصدقة وأما أمى فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوبًا خلقًا، فلما ماتا رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت، ورأيت أمى قائمة بين الخلق الثوب الخرق موضوع على عورتها، ورأيت الشحمة بيدها وهى تلحسها وتنادى واعطشاه، ورأيت أبى على شفير الحوض وهو يسقى الماء ولم يكن عند أبى صدقة أحب إليه من سقيه الماء، فأخذت قدحًا من ماء فسقيت أمى فنودى من فوق: ألا من سقاها شلت يده فاستيقظت وقد شلت يدى.

وذكر أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى كان جالسًا ذات يوم، فجاء سائل وسأله شيئًا وكان عنده سلة تمر، فقال لامرأته: ائتينى بها. فجاءت به مالك فأعطى نصفها إلى السائل ورد نصفها إلى امرأته، فقالت له امرأته: مثلك يسمى زاهدًا؟ هل رأيت أحدًا يبعث إلى الملك هدية مكسرة؟ فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية، ثم أقبل على امرأته فقال لها: يا هذه، اجتهدى ثم اجتهدى، فإن الله تعالى قال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ فيقال: من أين هذه الشدة؟ قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٤] اعلمى أيتها

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث (٦١٤)، وابن ماجه، حديث (٣٩٧٣)، انظر صحيح الترمذي.

المرأة قد طرحنا من عنقنا نصفها بالإيمان فينبغى أن نطرح النصف الآخر بالصدقة .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن رجل من أهل البصرة قال : كان أعرابى صاحب ماشية وكان قليل الصدقة فتصدق بغريض من غنمه ، يعنى : بسخلة مهزولة ، فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه كلها تنطحه ، فجعل الغريض يحامى عنه ، فلما انتبه قال : والله لئن استطعت لأجعلن أتباعك كثيرة . قال : وكان بعد ذلك يعطى ويقسم .

وروى عن الأعمش عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، فينظر أيمن منه فلا يرى شيئًا إلا ما قدمه ، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى شيئًا إلا ما قدمه ، ثم ينظر أمامه فلا يرى شيئًا إلا النار ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»** [(١)] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه : يقال : عشر خصال تبلغ العبد منزلة الأخيار وينال بها الدرجات : أولها : كثرة الصدقة . والثانى : كثرة تلاوة القرآن . والثالث : الجلوس مع من يذكره بالآخرة ويزهده فى الدنيا . والرابع : صلة الرحم . والخامس : عيادة المريض . والسادس : قلة مخالطة الأغنياء الذين شغلهم غناهم عن الآخرة . والسابع : كثرة التفكر فيما هو صائر إليه غدًا . والثامن : قصر الأمل وكثرة ذكر الموت . والتاسع : لزوم الصمت وقلة الكلام . والعاشر : التواضع ولبس الدون وحب الفقراء والمخالطة معهم وقرب اليتامى والمساكين ومسح رؤوسهم .

ويقال : سبع خصال تربى الصدقة وتعظمها :

أولها : إخراجها من حلال ؛ لأن الله – تعالى – قال : ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

والثانى : إعطاؤها من جهد مقل ، يعنى : يعطى من مال قليل .

والثالث : تعجيلها مخافة الفوت .

والرابع : تصفيتها مخافة البخل . يعنى : يعطيها من أحسن أمواله ولا يعطيها من الرديء لأن الله تعالى قال : ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ يعنى : لا تأخذونه . يعنى : الرديء إذا كان على الآخر لكم قرضًا . ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة : ٢٦٧] أى : تسامحوا وتساهلوا فيه .

والخامس : يعطيها فى السر مخافة الرياء .

والسادس : بعد المن عنها مخافة إبطال الأجر .

والسابع : كف الأذى عن صاحبها مخافة الإثم لأن الله تعالى قال : ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة : ٢٦٤] . والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٧٥١٢)، ومسلم، حديث (١٠١٦) .

٣٨ - باب فضل شهر رمضان

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنى أبى رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو جعفر الإسكافي عن محمد بن موسى حدثنا الفضل بن عصام حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا القاسم بن الحكم العزى عن هشام بن أبي الوليد عن حماد بن سليمان السدوسى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إن الجنة لتبخر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتبرز الحور العين حتى يقمن على شرف الجنة فينادين: هل من خاطب إلى الله تعالى فيزوجه الله سبحانه وتعالى منا؟ ثم يقلن: يا رضوان، ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، فيقول: يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان، ويقول الله: يا رضوان، افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ، ويقول: يا مالك، أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ، ويقول: يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال ثم اقذفهم فى لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبى محمد صيامهم، فيقول الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ثم ينادى من يقرض الملى غير المعدم فى الوفى غير الظلوم؟ وإن لله تعالى فى كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة أعتق فى كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان فى آخر يوم من شهررمضان أعتق فى ذلك اليوم بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط فى كبكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركزه على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا فى ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب، فيبعث جبريل الملائكة فى هذه الأمة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة، الرحيل الرحيل. فيقولون: يا جبريل، ما صنع الله فى حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة. فقالوا: ومن هؤلاء الأربعة؟ قال: مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع الرحم، ومشاحن» قيل: يا رسول الله، ومن المشاحن؟ قال: «هو المصارم - يعنى: الذى لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام - فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطر يبعث الملائكة فى كل البلاد فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع ما خلق الله تعالى إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم. فإذا

برزوا إلى مصلاهم، يقول الله جل جلاله لملائكته: يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا، جزاؤه أن توفيه أجره. فيقول الله تعالى: فإنى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد جعلت ثوابهم فى صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى. فيقول الله تعالى: يا عبادى، سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم شيئًا لدينكم ودنياكم إلا أعطيتكم إياه»[١].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن أبى هشام عن محمد بن محمد بن الأسود عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس** خصال لم تعط أمة قبلها: لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون فى غيره، ويزين الله كل يوم جنته ويقول لها: يوشك عبادى الصالحون أن تلقى عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، ويغفر لهم فى آخر ليلة». قيل: يا رسول الله، أهى ليلة القدر؟ قال: «لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»[٢].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفرحدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه ويقول: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، قد افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر»[٣].

وروى عن **الأعمش** عن خيثمة قال: كانوا يقولون: من رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة، كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر[٤].

وروى عن **عمر** رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحبًا بمطهرنا، فرمضان خير كله صيام نهاره وقيام ليله والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله.

وروى **أبو هريرة** رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

وروى **أبو هريرة** رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى كل حسنة يعملها ابن**

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٣٦٩٥).

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٧٩٠٤)، وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٠)، وقال: فيه هشام بم زياد أبو المقدام، وهو ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه النسائي، حديث (٢١٠٦)، انظر صحيح النسائي.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٠)، من حديث انس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري، حديث (٣٨)، ومسلم، حديث (٧٦٠).

آدم تضاعف له من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، والصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه يوم القيامة»[١].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا أبو وهب عبد الله بن بكر حدثنا إياس عن على بن زيد عن سعيد ابن المسيب عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس، إنه قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة القدر وهى خير من ألف شهر، شهر فرض الله صيامه وجعل قيام ليله تطوعًا، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة. وهو شهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائمًا كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه» قلنا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم؟ قال «يعطى الله هذا الثواب لمن يفطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن أشبع صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار» [٢].

(قال الفقيه): رحمه الله تعالي: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو الحسن الفراء بإسناده عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: ما من عبد صام رمضان فى إنصات وسكوت، وذكر الله تعالى، وأحل حلاله وحرم حرامه، ولم يرتكب فيه فاحشة، إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ إلا وقد غفرت له ذنوبه كلها. ويبنى له بكل تسبيحة وتهليلة بيت فى الجنة من زمردة خضراء فى جوفها ياقوتة حمراء، فى جوف تلك الياقوتة خيمة من درة مجوفة، فيها زوجة من الحور العين، عليها سواران من ذهب موشح بياقوتة حمراء تضيء لها الأرض كلها.

وبهذا الإسناد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال وقد دنا شهر رمضان: «لو يعلم العباد ما فى رمضان لتمنت أمتى أن يكون رمضان سنة» فقال رجل من خزاعة: حدثنا يا رسول الله بما فيه؟ قال: «إن الجنة لتزين لرمضان من الحول إلى الحول، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق أشجار الجنة، فتنظر الحور إلى ذلك ويقلن: يا رب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجًا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا. فما من عبد صام رمضان إلا زوج زوجتين من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله تعالى فى كتابه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري، حديث (١٩٠٤)، ومسلم، حديث (١١٥١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، حديث (١٨٨٧).

ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة ليس فيها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لونًا من الطيب، وكل امرأة منهن على سرير من ياقوتة حمراء منسوجة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا بطائنها من استبرق، لكل امرأة سبعون وصيفة، هذا بكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات» [(١)].

وعن النبي ﷺ قال: «رجب شهر أمتى وفضله على سائر الشهور كفضل أمتى على سائر الأمم، وشعبان شهرى وفضله على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء، ورمضان شهر الله وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه» [(٢)].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الحسن: أن النبى ﷺ خرج وإذا الناس يتلاحون فقال النبى ﷺ: «**جئت وأنا أريد أن أخبركم بليلة القدر غير أنى خشيت أن تتكلوا عليها، وعسى أن يكون خيرًا فاطلبوها فى العشر الأواخر فى تسع بقين وفى سبع بقين وفى خمس بقين، وفى ثلاث بقين، وفى آخر ليلة تبقى، ومن أماراتها أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس فى صبيحتها ليس لها شعاع، من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما كان قبل ذلك من ذنب**» [(٣)].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: قد اشترط النبى ﷺ فى قيام الليل وصيام النهار الإيمان والاحتساب، والإيمان: هو التصديق بما وعد الله له من الثواب، والاحتساب أن يكون مقبلاً عليه خاشعًا لله تعالى، فإذا أراد العبد أن ينال الثواب والفضائل التى ذكرها النبى ﷺ فينبغى أن يعرف حرمة الشهر، ويحفظ فيه لسانه من الكذب والغيبة والفضول، ويحفظ جوارحه عن الخطايا والزلل، ويحفظ قلبه عن الحسد وعداوة المسلمين، فإذا فعل ذلك فينبغى أن يكون خائفًا أن الله يقبل منه أو لا يقبل.

وقد ذكر عن بعض الحكماء أنه كان يقول: إلهى قد ضمنت لصاحب المصيبة فى الدنيا الأجر وفى الآخرة الثواب، إلهى إن رددت علينا هذا الصوم فلا تحرمنا أجر المصيبة يا معروفًا بالمعروف.

وروى أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال: صمنا مع رسول الله ﷺ فلما كان ليلة الثالث والعشرين قام وصلى بنا حتى مضى ثلث الليل، ثم لما كانت ليلة الرابع والعشرين لم يخرج إلينا.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة، حديث (١٨٨٦)، والطبراني في الكبير، حديث (٩٦٧)، وأورده الهيثمي (٣/ ١٤٢)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفي، إسناده جرير بن أيوب البجلي، قال أبو نعيم: كان يضع الحديث.

(٢) أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب، حديث (١٨٣٠) من حديث الحسن مرسلاً، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٠٥) وقال: هذا حديث موضوع والكسائي لا يعرف، والنقاش متهم.

(٣) أخرجه ابن حبان بنحوه، حديث (٣٦٧٩) إلى قوله «**وفي آخر ليلة تبقى**»، وباقي الحديث أخرجه ابن أبي شيبه، حديث (٨٦٧٨)، دون قوله: «**من قامها**» إلى أخر الحديث.

فلما كانت ليلة الخامس والعشرين خرج إلينا وصلى بنا حتى مضى شطر الليل، فقلنا: لو نفلتنا ليلتنا هذه؟ فقال «إنه من خرج وقام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» ثم لم يصل بنا فى الليلة السادسة والعشرين، فلما كانت ليلة السابع والعشرين قام وجمع أهله وصلى بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح؟ قلنا: وما الفلاح؟ قال: السحور (١).

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها: أن النبى ﷺ خرج فى أول جوف الليل فى رمضان وصلى فى المسجد وصلى الناس بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، وكثر الناس فى الليلة الثانية فصلى وصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر، فلما صلى الفجر أقبل على الناس، وقال «إنه لم يخف عليّ شأنكم الليلة ولكنى خشيت أن يعزم عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك» (٢).

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: وكان النبى ﷺ يرغبهم فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرًا من خلافة عمر، حتى جمعهم عمر بن الخطاب على أبى بن كعب رضى الله تعالى عنهما (٣).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: وحدثنى أبى بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب هذه التراويح من حديث سمعه منى. قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى حول العرش موضعًا يسمى حظيرة القدس وهو من النور، فيها ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى يعبدون الله عز وجل عبادة لا يفترون ساعة، فإذا كان ليالى شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض فيصلون مع بنى آدم، فينزلون كل ليلة إلى الأرض فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا».

فقال عمر رضى الله تعالى عنه عند ذلك: نحن أحق بهذا، فجمع الناس للتراويح، ونصبها إلى أبي بن كعب (٤).

وروى عن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه: أنه خرج فى أول ليلة من شهر رمضان فسمع القراءة فى المساجد، ورأى القناديل تزهر فى المساجد، فقال: نور الله قبر عمر كما نور مساجدنا بالقرآن، وروى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هكذا رضى الله عنهم أجمعين.

* * *

---

(١) صحيح:أخرجه أبو داود، حديث (١٣٧٥)، والنسائي، حديث (١٣٦٤)، انظر صحيح أبي داود.
(٢)أخرجه البخاري، حديث (٢٠١٢)، ومسلم، حديث (٧٦١).
(٣)أخرجه البخاري، حديث (٢٠١٠)، من حديث ابن عبد القاري، ومسلم، حديث (٧٥٩)، من حديث أبي هريرة.
(٤)أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٣٦٩٦).

٣٩ - باب فضل أيام العشر

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على ابن أحمد حدثنا محمد بن الفضيل حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبىﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام» يعنى: أيام العشر، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى؟ قال: «ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»(١).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا محمد بن عقيل حدثنا محمد ابن مخلد بن خالد حدثنا يحيى بن أبى كثير حدثنا عبد السلام بن سليمان عن مرزوق عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: «ما من أيام أحب إلى الله وأفضل من أيام العشر».

قيل: ولا مثلهن فى سبيل الله؟ قال: «ولا مثلهن فى سبيل الله إلا رجل عقر جواده وعفر وجهه». وفى رواية أخرى: «عقر جواده وأهريق دمه»(٢).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن غالب بإسناده عن عطاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها: أن شابًا كان صاحب سماع، وكان إذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائمًا، فارتفع الحديث إلى النبىﷺ فأرسل إليه فدعاه فقال: «ما يحملك على صيام هذه الأيام؟» قال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، إنها أيام المشاعر وأيام الحج، عسى أن يشركنى فى دعائهم.

قال: «فإن لك بكل صوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم عرفة فلك بها عدل ألفى رقبة وألفى بدنة وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله وهو صيام سنتين، سنة قبلها، وسنة بعدها»(٣).

وروى فى رواية أخرى أنه قالﷺ: «يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة»(٤)

وقال أهل التفسير فى قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ

(١) أخرجه البخاري، حديث (٩٦٩)، وأبو داود، حديث (٢٤٣٨).
(٢) أخرجه الطبراني، حديث (٦٦٩٦)، وفي الصغير، حديث (٨٨٩)، من حديث ابن عباس.
(٣) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ٢٨٠) من حديث عائشة مرفوعًا، وقال: موضوع، وفيه محمد المحرمي، قال عنه أبو حاتم رواه. وقال ابن معين: ليس بشيء.
(٤) أخرجه أحمد بنحوه، حديث (٢٢٦٦٩) من حديث أبي قتادة.

أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أنها عشر من أول ذى الحجة وكلم الله موسى تكليمًا، وقربه نجيًا فى أيام العشر، وكتب له الألواح فى أيام العشر.

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال: عليكم بصوم أيام العشر، وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها، فإنى سمعت نبيكم محمدًا ﷺ يقول: «الويل لمن حرم خير أيام العشر، عليكم بصوم التاسع خاصة فإن فيه من الخيرات أكثر من أن يحصيها العادون»(١).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنى أبى رحمة الله عليه حدثنا أبو عبد الرحمن بن أبى الليث حدثنا أحمد بن جعفر البغدادى حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن محمد ابن الفضل ابن عطية عن أبيه عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى، قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل عليه السلام فى أيام العشر: أولهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. والثانى: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا. والثالث: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. والرابع: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. والخامس: حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى.

وذكر أن هذه الكلمات أنزلت فى الإنجيل، وأن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن فضل هذه الدعوات فذكر لهم من الثواب والفضيلة لمن قرأها فى أيام العشر ما لا يقدر على وصفه أحد.

قال أبو النضر هاشم بن القاسم: حدثنى رجل أنه دعا بهذه الدعوات فى أيام العشر، فرأى فى منامه كأن فى بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض.

روى مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه فيهن من العمل من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيها التكبير والتحميد والتهليل»(٢).

وروى نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يكبر، فى جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه. وكان عطاء بن أبى رباح يكبر فى العشر فى الطريق وفى الأسواق.

وروى جرير بن يزيد عن أبى زياد قال: كان سعيد بن جبير وعبد الرحمن ابن أبى ليلى ومن رأينا من فقهاء المسلمين يوم العيد وأيام التشريق يقولون: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه أحمد، حديث (٥٤٤٦)، والطبراني في الكبير، حديث (١١١١٦)، من حديث ابن عباس، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ١٦)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

وقال جعفر بن سليمان : رأيت ثابتًا البناني يقطع حديثه في أيام العشر : يعني في مجلس الذكر، ثم يقول : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله . والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد وقال : إنها أيام الذكر، هكذا كان الناس يصنعون ، فقال جعفر : رأيت مالك بن دينار يفعل هكذا .

وروى المغيرة بن شعبة عن أبي معشر قال : سألت النخعي عن التكبير في الطريق أيام العشر؟ قال : إنما يفعل ذلك الحواكون . وعن ليث بن أبي سليم ، قال : سألت مجاهدًا عن التكبير في الطريق أيام العشر؟ فقال : إنما يفعل ذلك الحاكة .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : من كبر في هذه الأيام في نفسه كان أفضل . ولو أنه كبر ورفع صوته وأراد به إظهار الشريعة وأن يذكر الناس فلا بأس به ، وقد جاء الأثر في ذلك .

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال : «إن الله تعالى قد اختار من الأيام أربعة ، ومن الشهور أربعة ، ومن النساء أربعة ، وأربعة يسبقون إلى الجنة ، وأربعة اشتاقت إليهم الجنة . **أما الأيام فأولها :** يوم الجمعة ، فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه . والثاني : يوم عرفة فإذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول : يا ملائكتي انظروا إلى عبادي جاءوا شعثًا غبرًا قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان ، اشهدوا أني قد غفرت لهم . والثالث : يوم النحر فإذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد . والرابع : يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى لملائكته ياملائكتي إن كل عامل يطلب أجره ، وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم أني قد غفرت لهم ، وينادي المنادي : يا أمة محمد ، ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات ، وأما الشهور : فشهر الله الأصم رجب ، وثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وأما النساء : فمريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين ، إلى الإيمان بالله ورسوله ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وفاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة .

وأما السابقون : فلكل قوم سابقٌ إلى الجنة ، فمحمدﷺ سابق العرب ، وسلمان سابق فارس ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وأما الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة : فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وسلمان ، وعمار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنهم»[١] .

وروى عن سالم بن أبي الجعد : أن النبيﷺ قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها : «قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإن الله تعالى يرفع عنك ذنوبك عند أول دفعة من دمها» . يعني : أول قطرة . قال

---

(١) أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٦٤)، وقال منكر بمرة، وفيه العباس بن أسجود، وأبو محمد المراغي مجهولان .

عمران بن الحصين: أخاصة لك يا رسول الله ولأهل بيتك أو لعامة المسلمين؟ قال: «**بل لعامة المسلمين**»[(١)].

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ضحوا وطيبوا بها نفسًا فإنه من أخذ أضحيته يوم محلها فاستقبل بها القبلة، كان قرنها وفرثها ودمها وشعرها وصوفها ووبرها محضورات له يوم القيامة، إن الدم إذا وقع فى التراب فإنما يقع فى حرز الله، أنفقوا يسيرًا تؤجروا كثيرًا**»[(٢)].

٤٠ - باب فضل يوم عاشوراء

(**قال الفقيه**) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الحاكم أبو الحسن على ابن الحسين السردرى حدثنا أبو جعفر أحمد بن حاتم حدثنا يعقوب بن جندب عن حامد ابن آدم عن حبيب بن محمد عن أبيه عن إبراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك، ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر وعشرة آلاف شهيد، ومن مسح يده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شعرة درجة، ومن فطر مؤمنًا ليلة عاشوراء، فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام وأشبع بطونها، قالوا: يا رسول الله، لقد فضل الله يوم عاشوراء على سائر الأيام؟ قال: نعم، خلق الله تعالى السموات والأرضين يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق البحر يوم عاشوراء، وخلق اللوح والقلم يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وخلق حواء يوم عاشوراء، وخلق الجنة وأدخله الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وقد أمر بالذبح يوم عاشوراء، وفدى ولده من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد عيسى فى يوم عاشوراء، ورفع الله إدريس وعيسى يوم عاشوراء، وولد النبى ﷺ فى يوم عاشوراء، ويوم القيامة فى يوم عاشوراء»[(٣)].

(**قال الفقيه**) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا المسيب بن أبى بكر عن عكرمة رضى الله تعالى عنه قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذى تيب فيه على آدم، وهو اليوم الذى أهبط فيه نوح من السفينة فصامه شكرًا، وهو اليوم الذى أغرق فيه

---

(١) أخرجه الحاكم، حديث (٧٥٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، حديث (٨١٦٧).

(٣) أورده الذهبي في الميزان (٢/ ١٨٩)، وقال: فيه حبيب بن أبي حبيب الخرائطي، قال عنه ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث. أورده ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ١٦٩)، وقال: قال الحاكم: روي عن أبي حمزة وإبراهيم الصائغ أحاديثه موضوعه.

فرعون وفلق البحر لبنى إسرائيل فصاموه، فإن استطعت أن لا يفوتك صومه فافعل.

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان عن إبراهيم عن محمد بن ميسرة قال: بلغنا من أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة،[١] قال سفيان: جربناه فوجدناه كذلك. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قدم النبى ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا: إن هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبنى إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيمًا له. فقال النبى ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم وأمر بصومه»[٢].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: قد اختلفوا فى تفسير هذا اليوم قال بعضهم: إنما سمى عاشوراء لأنه عاشر يوم من المحرم.

وقال بعضهم: لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات: تاب الله على آدم يوم عاشوراء، ورفع الله تعالى إدريس مكانًا عليًا فى يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودى يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام فى يوم عاشوراء، واتخذه خليلاً وأنجاه من النار كذلك، وتاب الله على داود يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى يوم عاشوراء، وأنجى الله موسى من البحر وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد النبى ﷺ يوم عاشوراء.

قال بعضهم: إنما سمى عاشوراء لأنه عاشر عشر كرامات أكرم الله بها هذه الأمة: أولها: شهر رجب وهو شهر الله الأصم، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم. والثانى: شهر شعبان وفضله على سائر الشهور كفضل النبى ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والثالث: شهر رمضان وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه. والرابع: ليلة القدر وهى خير من ألف شهر. والخامس: يوم الفطر وهو يوم الجزاء. والسادس: أيام العشر وهى أيام ذكر الله تعالى. والسابع: يوم عرفة وصومه كفارة سنتين. والثامن: يوم النحر وهو يوم القربان. والتاسع: يوم الجمعة وهو سيد الأيام. والعاشر: يوم عاشوراء وصومه كفارة سنة. فكل وقت من هذه الأوقات كرامات جعلها الله تعالى لهذه الأمة لتكفير ذنوبهم وتطهير خطاياهم.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش فى الجاهلية وكان يصومه رسول الله ﷺ بمكة، فلما قدم المدينة فرض صيام شهر

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (١٠٠٠٧)، من حديث ابن مسعود، وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٨٩)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه الهيضم بن الشاخ، وهو ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه البخاري، حديث (٣٩٤٣)، ومسلم، حديث (١١٣٠).

رمضان. فقال النبي ﷺ: «إني كنت أمرت بصوم يوم عاشوراء فمن شاء صام ومن شاء ترك»[(١)].

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: يوم عاشوراء يوم التاسع. وقال بعضهم: يوم الحادى عشر. وأكثرهم على أنه يوم العاشر. والله تعالى أعلم.

٤١ - باب فضل صوم التطوع وصوم أيام البيض وصوم رجب

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا ابن وهب عن عمرو بن محمد المعمرى أن زيد بن أسلم حدثه وقال: لا أعلم إلا أنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الأعمال خمسة: فعمل بمثله، وعمل بمثليه وعمل موجب، وعمل بعشرة، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله، فأما العمل الذى بمثله: فالرجل يعمل سيئة يكتب عليه واحدة ورجل يهم بحسنة ولم يعملها فيكتب له حسنة. وأما العمل الذي بمثليه فهو المرجل يعمل حسنة فتكتب أضعافًا والعمل الموجب: من لقى الله لا يعبد إلا هو، وجبت له الجنة ومن لقى الله يعبد غيره وجبت له النار.

والعمل الذى بعشرة: من عمل حسنة فيكتب له عشرة. والعمل الذى بسبعمائة: من عمل فى سبيل الله تعالى أو ينفق فى ذلك فيكتب له سبعمائة. والعمل الذى لا يعرف ثواب عامله إلا الله فهو: الصوم»[(٢)].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى حدثنا على بن أحمد حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا أبو صدقة اليمانى قال: دخل بلال رضى الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ وهو يأكل الطعام، فقال: «يا بلال، الطعام الطعام». فقال: يا رسول الله ﷺ إنى صائم. فقال رسول الله ﷺ: «نأكل أرزاقنا، ورزق بلال فى الجنة، إن الصائم إذا كان عند قوم يأكلون تسبح أعضاؤه وتصلى عليه الملائكة وتقول: اللهم اغفر له وارحمه ما دام فى مجلسه»[(٣)].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن واصل مولى أبى عيينة قال: أخبرنى لقيط عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال: ركبنا البحر فبينما نحن نسير فى لجة البحر وقد رفعنا الشراع ولا نرى جزيرة ولا شيئًا إذا نحن بمناد ينادى: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم. قال: فانصرفنا فلم نر شيئًا فنادى سبعًا، قال أبو موسى: فلما كانت السابعة قمت فقلت: يا هذا، قد ترى ما نحن فيه ولسنا نستطيع أن نحتبس عليك فأخبرنا ما تريد أن تخبرنا به. فقال: ألا أخبركم بقضاء قضى الله تعالى على نفسه؟ قلنا: أخبرنا. قال: فإن الله تعالى قضى على نفسه أنه ما

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٤٥٢)، ومسلم، حديث (١١٢٥).
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٣٥٨٨)، وقال: هكذا رواه ابن وهب منقطعًا.
(٣) أخرجه بنحوه ابن ماجه، حديث (١٧٤٩) من حديث بريدة بن الحصيب (أبو سهل).

من عبد أظمأ نفسه فى يوم حار إلا أرواه الله تعالى يوم القيامة . وذكر عن ابن المبارك عن واصل مولى أبى عيينة عن لقيط عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى نحوه وزاد فيه : وكان أبو موسى يتتبع اليوم الحار الشديد فيصومه .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر قال : حدثنا أبو عتاب البغدادى قال : حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبير قال : حدثنا الحارث بن منصور : حدثنا يحيى السقاء عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن أبى مالك الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال : «ست خصال من الخير : مجاهدة عدو الله بالسيف ، والصوم فى الصيف ، وحسن الصبر عند المصيبة ، وترك المراء وإن كان محقًا ، والتبكير بالصلاة فى يوم الغيم – أو قال : فى يوم الصيف – وحسن الوضوء فى أيام الشتاء»[1] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا نصير بن يحيى حدثنا أبو مطيع عن بكر بن خنيس يرفعه إلى أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : لولا ثلاث ما باليت أن أموت : أحدها : تعفير وجهى فى التراب لله ساجدًا ، وصوم يوم بعيد الطرفين ألتوى فيه من الجوع والظمأ ، والثالث : جلوس مع قوم يتخيرون أطيب الكلام كما يتخيرون أطيب التمر .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن عبد الله الطنافسى عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان مولى هاشم أنه سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : علمنى رسول الله ﷺ ثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت : أن لا أنام إلا على وتر ، وأن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وأن لا أدع صلاة الضحى[2] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن عبد الله الطنافسى عن العوام بن حوشب حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا هشام بن القاسم حدثنا أبو إسحاق الأشجعى عن عمرو بن قيس عن الحسن بن الصباح عن هنيدة بن خالد الخزاعى عن حفصة رضى الله تعالى عنها قالت : أربع لم يدعهن النبى ﷺ صيام يوم عاشوراء ، وصوم أيام العشر ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتان قبل الغداة [3] .

قال : حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حدثنا محمد ابن على حدثنا يحيى بن محمد بن كامل بن طلحة عن حماد بن سلمة عن الحجاج بن أبى إسحاق عن الحارث عن على كرم الله وجهه أن النبى ﷺ قال : «صوموا شهر الصبر – يعنى شهر رمضان ، وثلاثة أيام من كل شهر فهو بمنزلة صوم الدهر ويذهب حر الصدر»[4] . يعني : غله وغشه .

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٢٧٥٥) .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (١١٧٨)، ومسلم، حديث (٧٢١) .
(٣) ضعيف: أخرجه النسائي، حديث (٢٤١٦)، انظر ضعيف النسائي .
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٦)، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح .

حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يعلى بن حميد حدثنا الأعمش عن رجل عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال: أتيت المدينة فإذا أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فقلت: لأنظرن على أى حال هو اليوم، فقلت له: أصائم أنت؟. قال: نعم، فهم ينتظرون الإذن على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فلما دخلوا أتينا بقصاع فأكل أبو ذر فحركته بيدى أذكره، فقال: إنى لم أنس ما قلت لك، أخبرتك أنى صائم فإنى أصوم من كل شهر ثلاثة أيام فأنا أبدًا صائم.

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا محمد بن الفضل الضبى عن حصين عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قال: كنت رجلاً مجتهدًا فزوجنى أبى امرأة فدخل يومًا منزلى فلم يرنى، فقال للمرأة: كيف تجدين بعلك؟ فقالت: نعم الرجل هو رجل لا ينام ولا يفطر فوقع فى أبى، فقال: زوجتك امرأة من المسلمين فعطلتها؟ فلم أبال بما قال لى أبى مما أجد من القوة والاجتهاد إلى أن بلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعانى فقال لى: «لكنى أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، فصل ونم وصم من كل شهر ثلاثة أيام». فقلت: يا رسول الله، أنا أقوى من ذلك. قال: «صم يومًا وأفطر يومًا وهو صوم داود عليه السلام». وقال لى: «فى كم تقرأ القرآن». قلت: فى يومين وليلتين. قال: «اقرأه فى خمسة عشرة يومًا». قال: قلت: يا رسول الله، أنا أقوى من ذلك. قال: «فاقرأه فى سبع». ثم قال: «إن لكل عامل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

فقال عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إلى من أن يكون لى مثل أهلى ومالى، وأنا اليوم شيخ قد كبرت وضعفت وأكره أن أترك ما أمرنى به رسول الله ﷺ.[1]

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: «أن رجلاً جاء إليه فسأله عن الصيام فقال: ألا أحدثك بحديث كان عندى من التحف المخزونة، إن كنت تريد صوم داود عليه السلام فإنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وإن كنت تريد صوم ابنه سليمان عليه السلام فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من أول كل شهر وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره، وإن كنت تريد صوم ابن العذراء البتول - يعنى: عيسى ابن مريم عليهما السلام- فإنه كان يصوم الدهر كله ويأكل الشعير ويلبس الشعر الخشن، وكان حيثما أدركه الليل صف قدميه يصلى حتى يرى علامة الفجر قد طلعت، وكان لا يقوم مقامًا إلا صلى ركعتين فيه، وإن كنت تريد صوم أمه فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يومين، وإن كنت تريد

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (١٩٧٥)، ومسلم، حديث (١١٥٩).

صوم خير البشر النبي العربي القرشي أبي القاسم محمدﷺ فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر - يعني: صوم أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر- ويقول: «هن صيام الدهر»[(١)] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال: «من صام شهر رمضان ثم أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله» .

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه: حتى أحسب لكم فصوم رمضان يكون ثلثمائة يوم وستة أيام وستين يومًا لأن الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكل يوم يقوم مقام عشرة أيام[(٢)] .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: وقد كره بعض الناس صيام السبت وقال: فيه تشبه بالنصارى.

وروى عن إبراهيم النخعي أنه سئل عن صيام السبت فقال: هو صوم الحيض

وقال بعضهم: ينبغي أن يصوم متفرقًا حتى لا يكون تشبهًا بالنصارى، وعندى أنه لا بأس به متتابعًا أو متفرقًا ؛ لأن يوم الفطر صار فاصلاً بينهما . والله أعلم .

٤٢ - باب النفقة على العيال

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا ابن علية عن أيوب قال: نُبئت أن أصحاب النبيﷺ كانوا فى منزل لهم، فأشرف عليهم رجل فأعجبهم شبابه وقوته فقالوا: لو أن هذا جعل شبابه وقوته فى سبيل الله . فسمع بذلك النبيﷺ فقال: «أوما فى سبيل الله إلا كل من قاتل أو غزا؟ من سعى على نفسه ليعفها فهو فى سبيل الله، ومن سعى على والديه ليعفهما فهو فى سبيل الله، ومن سعى على عياله ليعفهم فهو فى سبيل الله، ومن سعى على عياله ليعفهم فهو فى سبيل الله ومن سعى مكاثرًا فهو فى سبيل الشيطان»[(٣)] .

(قال الفقيه) حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أسماء عن ثوبان رضى الله تعالى عنه أن النبيﷺ قال: «أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله»[(٤)] .

قال أبو قلابة: بدأ بالعيال وأى رجل أعظم أجرًا من رجل يسعى على عياله الصغار.

وعن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال: «إنما الصدقة عن ظهر

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨)، والبيهقي في الكبرى، حديث (٨٢٢٦)، من حديث المنهال.
(٢) أخرجه مسلم، حديث (١١٦٤٠)، وأبو داود، حديث (٢٤٣٣)، من حديث أبي أيوب الأنصاري .
(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٢٥)، من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٩٩٤)، والترمذي، حديث (١٩٦٦).

غني، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»[١]. قوله «عن ظهر غني : أي ما فضل عن العيال ، «اليد العليا» : اليد المنفقة ، «واليد السفلى» : اليد السائلة ، «وابدأ بمن تعول» بالصدقة لمن هو صاحب عيال .

(قال الفقيه) رحمه الله : سمعت أبى رحمه الله تعالى قال : كان ثابت البنانى عند أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنهما فذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن الله عز وجل قد ضمن دين العبد إذا استدان فى ثلاثة : أحدها : من قبل النكاح مخافة الفجور ثم لم يقدر على قضائها حتى مات، فقد ضمن الله دينه أن يقضى عنه يوم القيامة . والثانى دينه لإعانة المسلمين ليخرج إلى الغزو، والثالث : إذا استدان لكفن الميت فإن الله تعالى يرضى خصماءه يوم القيامة» .

فدخل ثابت البنانى رحمه الله تعالى على الحسن البصرى رحمه الله تعالى فذكر له ما سمع من أنس رضى الله تعالى عنه، فقال الحسن البصرى : قد كبر أنس وضعف ونسى ما هو الأفضل من ذلك، بل ضمن الله تعالى مع هؤلاء رجلاً استدان لينفق على عياله واجتهد على قضائه فلم يبلغ حتى مات، لم يكن بين خصمائه وبينه خصومة يوم القيامة [٢].

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «إن فى السماء ملكين ما لهما عمل إلا يقول أحدهما : «اللهم أعط لمنفق خلفًا، ويقول الآخر : اللهم عجل لممسك تلفًا»[٣].

وروى مكحول عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «من طلب الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة وسعيًا على عياله وتعطفًا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا مرائيًا لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»[٤].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن جناح حدثنا أبو حفص على بن إسحاق، عن أبى معاوية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله، رغيف أتصدق به أحب إليك أم مائة ركعة تطوعًا؟ قال : «رغيف تتصدق به أحب إليّ من مائتى ركعة تطوعًا؟» قلت : يا رسول الله، قضاء حاجة المسلم أحب إليك أم مائة ركعة تطوعًا؟ قال : «قضاء حاجة المسلم أحب إلى من ألف ركعة تطوعًا» . قال : قلت : ترك لقمة من الحرام أحب إليك أم ألف ركعة تطوعًا؟ قال : «ترك لقمة من حرام أحب إليّ من ألفى ركعة تطوعًا» .

قال : قلت : يا رسول الله، ترك الغيبة أحب إليك أم ألف ركعة تطوعًا؟ قال : «ترك الغيبة أحب

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث (١٦٧٦)، والنسائي، حديث (٢٥٤٤).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) أخرجه البخاري، حديث (١٤٤٢)، ومسلم، حديث (١٠١٠).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠).

إليّ من عشرة آلاف ركعة تطوعًا» . قال: قلت: يا رسول الله، قضاء حاجة الأرملة أحب إليك أم عشرة آلاف ركعة تطوعًا؟ قال: «قضاء حاجة الأرملة أحب إليّ من ثلاثين ألف ركعة تطوعًا؟» . قال: قلت: يا رسول الله الجلوس مع العيال أحب إليك أم الجلوس فى المسجد؟ قال: «الجلوس ساعة عند العيال أحب إليّ من الاعتكاف فى مسجدى هذا» . قال: قلت: يا رسول الله النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة فى سبيل الله؟ قال: «درهم ينفقه الرجل على العيال أحب إليّ من ألف دينار ينفقه فى سبيل الله» .

قال: قلت: يا رسول الله، بر الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة؟ قال: يا أنس، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾«فبر الوالدين أحب إليّ من عبادة ألفى ألف سنة»(١) .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا ابن معاذ حدثنا الحسين المروزى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن أبى كبشة الأنمارى قال: ضرب لنا رسول الله ﷺ مثل الدنيا كمثل أربعة رجال: رجل آتاه الله علمًا وآتاه مالاً فهو يعمل بعلمه فى ماله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً فيقول: لو أن الله تعالى آتانى مثل ما آتى فلانًا لفعلت فيه مثل ما يفعل فهما فى الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا فهو يمنعه من حقه وينفقه فى الباطل، ورجل لم يؤته مالاً ولم يؤته علمًا فيقول: لو أن الله تعالى آتانى مثل ما آتى فلانًا لفعلت به مثل ما يفعل، فهما فى الوزر سواء(٢) .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارى حدثنا أبو عيسى موسى بن هارون الطوسى ببغداد حدثنا أبو معاوية عن عمرو حدثنا طعمة بن عمرو عن أبى إسماعيل عن أبى رجاء عن رجل من أهل البصرة عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن فى الجنة لغرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**» . قيل: ومن سكانها يا رسول الله ﷺ قال: «الذين يطعمون الطعام ويطيبون الكلام ويديمون الصيام ويفشون السلام ويصلون بالليل والناس نيام» . قالوا: يا رسول الله، إن هولاء أهل لذلك، ومن يطيق ذلك؟ قال: «فمن قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد أطاب الكلام، ومن أطعم أهله فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان فقد أدام الصيام، ومن لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن صلى العشاء الآخرة والفجر فقد صلى بالليل والناس نيام»(٣) . يعني: اليهود والنصارى والمجوس - لعنهم الله .

وعن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن حبيب الله، وولده تحفة الله، فمن

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) صحيح: أخرجه بنحوه الترمذي، حديث (٢٣٢٥)، وابن ماجه، حديث (٤٢٢٨)، انظر صحيح الترمذي .

(٣) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (٢٥٢٧)، من حديث علي، انظر صحيح الترمذي .

رقه الله ولدًا في الإسلام فليكثر قبلته ، فإنه يكتب له بكل قبلة ثواب شهيد ، وبكل قبلة بيتًا في الجنة» .

وعن ثابت ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب المؤمن ، ويحب أهله وولده ، وأحب شيء إلى الله تعالى أن يرى الرجل مع امرأته وولده على مائدة يأكلون ، فإذا اجتمعوا عليها نظر إليهم بالرحمة لهم فيغفر لهم قبل أن يتفرقوا من موضعهم» .

وعن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أيما مؤمن يحب الأكل مع الأولاد ناداه ملك من تحت العرش : يا عبد استأنف العمل ، فقد غفر الله لك الذنوب كلها» .

وعن عبد الرحمن اليماني ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أكل المؤمن مع أولاده كتب له بكل لقمة ثواب عتق رقبة ، ورفع له مدينة ، وأعطاه الله كتابه بيمينه» .

وعن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «حب الأولاد ستر من النار ، والأكل معهم براءة من النار ، وكرامتهم جواز على الصراط» . والله أعلم .

٤٣ - باب الرعاية على ملك اليمين

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن شريك بن أبى نمر عن عطاء ابن يسار : أن أبا ذر رضى الله تعالى عنه ضرب وجه غلام له، فاستعدنى عليه إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: «لا تضربوا وجوه المصلين، وأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإن رابوكم فبيعوهم»[١].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا الأسباط عن مطرف عن عامر الشعبى رضى الله تعالى عنه قال : استسقى رجل من أصحاب النبى ﷺ من أهل بيت فدعت المرأة خادمتها فأبطأت عليها فقذفتها، فقال : أما إنك ستحدين يوم القيامة لها أو تقيمين أربعة يشهدون أنها كما قلت . فأعتقتها فقال لها : عسى أن يكفر هذا عنك .

وروى أبو ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : «إخوانكم خَوَلُكم[٢] جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم

(١) أخرجه بمعناه أبو داود، حديث (٥١٦١) .
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٥٠)، ومسلم، حديث (١٦٦١) .

فيما تستعملونهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم». وروى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة سيء الملكة أكرمُوهم إكرامَكم أولادَكم وأطعموهم مما تأكلون». قلت: يا رسول الله، ما ينفعنا من الدنيا؟ قال: «فرس تربطه تقاتل عليه فى سبيل الله ومملوك يكفيك، وإذا صلى فهو أخوك»(١). وروى عن النبى ﷺ أن رجلاً سأله فقال: كم نعفو عن الخادم؟ قال: «كل يوم سبعين مرة»(٢). وعن قتادة رضى الله تعالى عنه قال: كان من آخر كلام النبى ﷺ عند موته: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»(٣). يعني: عليكم بمحافظة الصلوات وتعاهد ما ملكت أيمانكم.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «دخلت امرأة النار فى هرة لها ربطتها فى البيت لم تطعمها ولم تسقها ولم ترسلها فتأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(٤).

وعن الحسن البصرى رحمه الله قال: مر النبى ﷺ ببعير معقول صدر النهار، فقضى حاجته ثم رجع والبعير على حاله فقال لصاحبه: «أما علفت البعير هذا اليوم؟» قال: لا. قال: «أما إنه ليحاجك يوم القيامة»(٥). يعنى يخاصمك إلى الله تعالى يوم القيامة.

وروى عن عبدِ خير عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبته: «أيها الناس الله الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون؛ فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم ألا من ظلمهم فأنا خصمهم يوم القيامة والله حاكمهم»(٦).

وروى عن عون بن عبد الله أنه كان يقول لغلامه إذا عصاه: ما أشبهك بسيدك.

وروى عنه ﷺ «أرقاءكم أرقاءكم، أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإذا جائوا بذنب ولم تريدوا أن تغفروا لهم، فبيعوهم، ولا تعذبوا خلق الله تعالى»(٧)

قوله: «أرقاءكم» يعنى راعوا وتعاهدوا أرقاءكم.

وقال ﷺ «إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله تعالى، فارفعوا أيديكم»(٨)

وقال: «حسن الملكة يمن، وعسر الملكة شؤم»(٩)

وروى أن عليًا رضى الله عنه دعا غلامًا له مرة ومرتين وثلاثًا، فلم يجبه، فقام إليه وقال: ألم

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٦٩١)، وأحمد، حديث (٧٥).
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٥١٦٤)، والترمذي، حديث (١٩٤٩)، انظر صحيح أبي داود.
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٦٩٨)، وأحمد، حديث (٥٨٥)، من حديث أنس، انظر صحيح ابن ماجه.
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٣٣١٨)، ومسلم، حديث (٢٦١٩).
(٥) أخرجه هناد في الزهد، حديث (١٣٤٤).
(٦) صحيح: أخرج أبو داود أوله، حديث (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وانظر صحيح أبي داود.
(٧) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٣٥)، انظر صحيح الجامع، حديث (٩٠٥).
(٨) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (١٥٩٠)، من حديث أبي سعيد الخدري، انظر ضعيف الترمذي.
(٩) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (٥١٦٢)، انظر ضعيف أبي داود.

تسمع يا غلام ؟ قال : نعم فقال : ما منعك عن جوابى ؟ قال أمنت من عقوبتك فتكاسلت ، فقال : امض ، فأنت حر لوجه الله تعالى . وروى عثمان - رضى الله عنه - عرك أذن خادمه لذنب ، ثم ندم على ذلك ، فقال لخادمه : قم فخذ أذنى فاعركها بكل قوة لك ، لعل الله تعالى يعفو عنى قال له الغلام : يا مولاى ، أنا أيضًا أخاف من مالك يوم الدين كما تخاف ، فعفوت عنك لعل الله يعفو عنى بفضله . وروى أبو بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : «ثلاثة كلهم لهم أجران : رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، ورجل كان من أهل الكتاب يؤمن بنبيه فأدرك النبى ﷺ فآمن به فله أجران، ورجل له مملوك أدى حق الله تعالى وحق مواليه فله أجران»[١] . وروى عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه سئل عن المملوك يرسله مولاه فى الحاجة وتحضره صلاة الجماعة بأى ذلك يبدأ؟ قال : بحاجة مولاه .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : يعنى إذا كان معه فى الوقت سعة ولا يخاف فوت الوقت، وأما إذا خاف ذهاب الوقت فلا يجوز له أن يؤخرها عن وقتها؛ لأن النبى ﷺ قال : «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»[٢] ويستحب للرجل أن يتعاهد ما ملكت يمينه، ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق؛ لأن الله تعالى لم يكلف عباده ما لا يطيقون، وينبغى أن يحسن المعاشرة فإن حسن المعاشرة من أخلاق المؤمنين . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يدخل الجنة سيئ الملكة أكرموهم إكرامكم أولادكم وأطعمهم مما تأكلون» . وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه رأى كسرة خبز ملقاة فقال لغلامه : ارفعها وأمط عنها الأذى . فلما أمسى وأراد أن يفطر قال لغلامه : ما فعلت بالكسرة؟ قال : أكلتها . قال : اذهب فأنت حر، سمعت النبى ﷺ يقول : «من وجد كسرة فرفعها وأكلها لم تصل إلى جوفه حتى يغفر الله له»[٣] . فإنى أكره أن أستعبد من قد غفر له .

٤٤ - باب الإحسان إلى اليتيم

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو عبد الله الطالقانى بسمرقند حدثنا أحمد بن عمرو عن أبيه عن عيسى بن يونس عن أبى الورقاء قال : سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول : قال رسول الله ﷺ : «من مسح على رأس يتيم رحمة كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة، ورفع له بكل شعرة درجة»[٤] .

وفي رواية «من مسح رأس اليتيم ، لا يمسحه إلا لله ، كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، حديث (١٠٩٥)، والطبراني في الأوسط، حديث (٤٣٢٢)، انظر صحيح الجامع، حديث (٧٥٢٠).

(٣) أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٥) بنحوه من حديث ابن مسعود، وفيه يوسف بن السفر، قال الدارقطني: متروك يكذب.

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (٢/ ٨٥٢)، حديث (٩٠٥).

ومن احسن إلى يتيمه أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وقرن بين أصبعيه [١] .

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا ابن مردويه حدثنا محمد بن عاصم عن أبى على الرحبى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضم يتيمًا من بين يتامى المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله تعالى له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له، ومن أذهب الله كريمته فصبر واحتسب أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له».

قيل: وما كريمته؟ قال: «عينه، ومن كان له ثلاث بنات فأدبهن وأنفق عليهن حتى يمتن أو يبنى بهن أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله تعالى له». قال: فناداه رجل من الأعراب فقال: يا رسول الله أو اثنتين؟ قال: «أو اثنتين»[٢]. قال: وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إذا حدث بهذا الحديث قال: هذا والله من غرائب الحديث.

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فشكا إليه قسوة القلب فقال له النبى ﷺ: «إن سرك أن يلين قلبك فامسح برأس اليتيم وأطعمه»[٣]

وقال ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يسيئون إليه»[٤].

قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن الكبائر **قال**: هى تسع:

الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمدًا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، والسحر واستحلال البيت الحرام[٥].

وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: ست موبقات ليس فيهن توبة: أكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والسحر، والشرك بالله، وقتل نبى من الأنبياء.

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] يعنى: سيدخلون فى الآخرة النار.

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢٢٢٠٧)، والطبراني في الكبير، حديث (٧٨٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (١١٥٤٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٢)، وقال: روي الترمذي بعضه، ورواه الطبراني، وفيه حنش بن قيس الرحبي وهو متروك.

(٣) أورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٠)، وقال: رواه الطبراني وفي إسناده من لم يسم، وبقية مدلس.

(٤) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، حديث (٣٦٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد، حديث (١٣٧)، انظر ضعيف ابن ماجه.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (١٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، حديث (٦٥١٤).

ويقال: طوبى للبيت الذى فيه اليتيم، وويل للبيت الذى فيه اليتيم. يعنى: ويل لأهل البيت الذين لم يعرفوا حق اليتيم، وطوبى لهم إذا عرفوا حقه.

وروى أن رجلاً جاء إلى النبىﷺ فقال: عندى يتيم فمم أضربه؟ قال: «مما تضرب به ولدك»[1]. يعنى: لا بأس أن تضربه للتأديب ضربًا غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولده.

وروى عن فضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: رب لطمة أنفع ليتيم من أكلة خبيص.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: إن كان يقدر أن يؤدبه بغير ضرب ينبغى له أن يفعل ذلك ولا يضربه؛ فإن ضرب اليتيم أمر شديد؛ بدليل ما حدثنا به الفقيه أبو جعفر رحمه الله حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر حدثنا محمد بن على وهو والد أبى ترخان حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمرو بن سفيان القطعى حدثنا الحسن بن أبى جعفر عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله تعالى: يا ملائكتى، من أبكى الذى غيبت أباه فى التراب؟ وهو أعلم به. قال: تقول الملائكة ربنا لا علم لنا، قال: فإنى أشهدكم أن من أرضاه فيّ فأرضيه من عندى يوم القيامة»[2].

قال: وكان رسول اللهﷺ يمسح رؤوسهم ويلطف بهم، وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يفعل ذلك. وعن عبد الرحمن بن أبزى قال: قال الله تعالى لداود النبىﷺ: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد، واعلم أن المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج بالذهب كلما رآها قرت عينه، والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير.

وعن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن النبىﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم المسلم كهاتين فى الجنة وجمع بين أصبعيه»[3]. وعن أبى عمران الجونى عن أبى الخليل قال: قرأت فى مسئلة داود عليه السلام قال: إلهى، ما جزاء من أسند إليه اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى. يعني: ظل العرش. وعن عوف بن مالك الأشجعى أن النبىﷺ قال: «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات ينفق عليهن حتى يُبْنى بهن أو يَمُتْنَ إلا كن له حجابًا من النار». فقالت امرأة: يا رسول الله، أو ثنتان؟ قال: «أو ثنتان»[4].

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٣)، وقال: رواه الطبراني في الصغير، وفيه معلي بن مهدي وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٧٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٠٥)، من حديث سهل بن سعد.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (١٠٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٧)، وقال: رواه الطبراني وفيه النهاس بن قهم، وهو ضعيف.

قال النبي ﷺ «أنا وامرأة سفعاء الخدين فى الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه إلى امرأة مات زوجها فحبست نفسها على بناتها حتى يبنى بهن أو يمتن» (١).

وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من حمل من السوق طرفة إلى ولده كان كمن حمل صدقة حتى يضعها فى فيهم، وليبدأ بالإناث فإن الله تعالى يرق للإناث، ومن رق للأنثى كان كمن بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله غفر له، ومن فرح أنثى فرحه الله يوم الحزن» (٢).

وقال النبي ﷺ: «يا علي، إذا بكى اليتيم اهتزله العرش، فيقول الله تعالى: يا جبريل وسع فى النار موضوعًا لمن أبكاه فإنى ميكيه، ووسع فى الجنة لمن أضحكه، فإنى أضحكه» (٣).

٤٥ - باب الزنا

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبو الحسين أحمد ابن حمدان حدثنا أحمد بن الحارث حدثنا قتيبة بن سعيد البعلانى حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة وزيد بن خالد رضى الله تعالى عنهما أنهما أخبرا: أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله تعالى. وقال الآخر وهو أفقههما: أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله وأذن لى أن أتكلم؟ قال: «تكلم» قال: إن ابنى كان عسيفًا على هذا الرجل - يعنى: كان أجيرًا عنده - فزنى بامرأته، فأخبرونى أن على ابنى الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وجارية لى، ثم سألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى مائة جلدة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته. فقال رسول الله ﷺ «أما والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى، أما غنمك وجاريتك فرد عليك، وأما الذى على ابنك فجلد مائة وتغريب عام». فأمر أنيسا الأسلمى أن يأتى المرأة وقال: «اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها». فاعترفت فرجمها (٤).

فقد بين النبي ﷺ حكم الزنى وأن الزانى وكذا الزانية إذا لم يكن محصنًا يعنى: إذا لم يكن له امرأة يجب عليه مائة جلدة كما قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ من النساء ﴿وَٱلزَّانِى﴾ من الرجال ﴿فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يعني: مائة سوط ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله، يعني: لا تأخذكم الرأفة والرحمة فى حد الله تعالى.

ومعناه: ولا تحملكم الشفقة على إبطال الحد فإن الله تعالى أرحم بعباده منكم، وأمر بحد

(١) ضعيف أخرجه أبو داود، حديث (٥١٤٩)، انظر ضعيف أبي داود.
(٢) أورده الغزالي في الإحياء (٢/ ٥٣)، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٦٨٢٨)، ومسلم، حديث (١٦٩٨).

الزانيين فى الدنيا، فمن لم يقم حده فى الدنيا فإنما يضرب يوم القيامة بسياط من نار على مشهد الخلائق ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يعنى: إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبيوم القيامة فلا تعطلوا الحد، ثم قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] يعنى: وليحضر عند إقامة الحد جماعة من المؤمنين، وإنما حضر عندهما جماعة لزيادة العقوبة؛ لأنهما يخجلان إذا كانا بمحضر من القوم ويكون ذلك زجرًا لهما عن الزنى، فهذا حد من لم يكن محصنًا، فأما إذا كان محصنًا فهو الرجل إذا كانت له امرأة وقد دخل بها، أو زنت امرأة وكان لها زوج وقد دخل بها فحدهما الرجم، كما روى عن النبى ﷺ أنه رجم ماعز بن مالك(١).

وروى عن النبى ﷺ: أن امرأة جاءت إليه فأقرت بالزنى وهى حامل، فأمرها أن ترجع حتى تضع حملها، فلما وضعت حملها أتته فأمر بها فرجمت(٢). فهذا حد الزنى فى الدنيا(٣) فإن أقيم عليهما الحد فى الدنيا وإلا أقيم عليهما فى الآخرة، وعذاب الآخرة أشد وأبقى فاحذروا الزنى فإنه معصية عظيمة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ يعنى: لا تزنوا واجتنبوا الزنى فإن الزنى معصية ﴿ومقتا﴾ يعني: يوجب لصاحبه المقت والسخط من الله تعالى ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] بئس المسلك وبئس الطريق لأهل الزنى يعنى: قد أخذ طريقًا يجره إلى النار.

وقال الله تعالى فى آية أخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿مَا ظَهَرَ﴾ يعنى: «ما كبر». وهو الزنى ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعنى: القبلة، واللمس كله زنى كما جاء فى الخبر «اليدان تزنيان والعينان تزنيان»(٤). قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] فقد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفروج عن الحرام، فقد حرم الله تعالى الزنى فى آيات كثيرة من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وهو ذنب عظيم، وأى ذنب أعظم من هتك ستر حرمة المسلمين واختلاط الأنساب. وروى عن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه كان لا يزنى فى الجاهلية، وكان يقول: لا يعجبنى لو هتك أحد حرمتى، فأنا لا أهتك حرمة أحد.

وروى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه قال: إياكم والزنى فإن فيه ست خصال: ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة:

* فأما التى فى الدنيا فنقصان الرزق يعنى: تذهب البركة من رزقه، ويصير محرومًا من

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٨٢٤)، ومسلم، حديث (١٦٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، حديث (١٦٩٥)، وأبو داود، حديث (٤٤٤٢).

(٣) هذا إذا كان محصنا، فأما إذا كان غير متزوج فإن حده مائة جلدة وتغريب عام علي خلاف في وجوب التغريب وعدمه.

(٤) أخرجه أحمد، حديث (٨٥٠٧).

الخيرات، ويصير بغيضًا فى قلوب الناس.

* وأما التى فى الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول فى النار وهى التى سماها الله تعالى النار الكبرى.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»(١).

وروى عن النبى ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: «صف لى النار؟». فقال: يا محمد، سوداء مظلمة لو أن مثل خرق إبرة برز من النار لأحرق ما على وجه الأرض، ولو أن ثوبًا من ثيابها علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه، ولو أن قطرة من الزقوم طرحت إلى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، ولو أن ملكًا من التسعة عشر الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه برز إلى أهل الأرض لمات أهل الأرض من تشويهه واختلاف خلقه، ولو أن حلقة من السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه طرحت إلى الأرض لهدمتها إلى الأرض السفلى ثم لم تستقر. فقال رسول الله ﷺ: «حسبى يا جبريل». فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، أنت تبكى وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه». فقال جبريل عليه السلام: يا محمد، وما يؤمننى على أن أكون عند الله على غير ما أنا عليه أو أبتلى ما ابتلى به هاروت وماروت وإبليس الملعون(٢).

فهذا جبريل مع كرامته على ربه كان يبكى فكيف لا يبكى من هو عاص، فلا تغتر بحياتك وصحتك فإن الدنيا زائلة والعذاب طويل، واحذر الزنى فإنه يورث الغضب والسخط والعذاب الأليم.

وأشد الزنى ما هو مصر عليه وهو الرجل الذى يطلق امرأته وهو مقيم معها بالحرام، ولا يقر عند الناس مخافة أن يفتضح فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، يعنى: تظهر الأسرار، فاحذر فضيحة ذلك اليوم واجتنب الزنى ولا تصر عليه؛ فإنه لا طاقة لك على عذاب الله وتب إلى الله تعالى؛ فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده وأنت إذا مت لا ينفعك الندم والتوبة، وإنما تنفعك التوبة والندامة ما دمت فى الحياة.

وقد مدح الله المؤمنين بحفظ فروجهم وبَشَّرهم بالفلاح والنجاة فقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧]. يعنى: هم العاصون. فالواجب على كل مسلم أن يتوب من الزنى، وينهى الناس عن ذلك فإن كل موضع ظهر فيه الزنى ابتلاهم الله تعالى بالطاعون.

---

(١)أخرجه البخاري، حديث (٣٢٦٥)، ومسلم، حديث (٢٨٤٣).

(٢)سبق تخريجه.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار حدثنا محمد بن صالح الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبيه عن عكرمة قال: سمعت كعبًا يقول لابن عباس رضى الله تعالى عنهما: إذا رأيتم السيوف قد أعريت والدماء قد أهريقت فاعلموا أن حكم الله قد ضيع فيهم فانتقم الله ببعضهم من بعض، وإذا رأيتم المطر قد منع فاعلموا أن الناس قد منعوا الزكاة فمنع الله ما عنده، وإذا رأيتم الوباء قد فشا فاعلموا أن الزنى قد فشا.

وفى الخبر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أخوف ما أخاف هلى أمتى قوم عمل لوط»[١]

وعن ابن عباس: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه»[٢]

وفى خبر «لو اغتسل اللوطي بالبحار، ولم يطهر إلا بالتوبة»[٣]

وقال ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»[٤].

٤٦ - باب أكل الربا

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا الفقيه أبو جعفر الهندوانى حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا مؤمل عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «ليلة أُسرى بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعدًا وصواعق وسمعت برقًا، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات ترى من ظاهر بطونهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: أكلة الربا»[٥].

وروى عن عطاء الخراسانى أن عبد الله بن سلام قال: الربا اثنان وسبعون حوبًا، يعني: إثمًا، وأصغرها حوبًا كمن أتى أمه فى الإسلام، ودرهم من الربا شر من بضع وثلاثين زنية. قال: ويأذن الله تعالى بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا فإنه ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾. يعنى: كالمجنون كلما قام سقط.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: آخر ما نزل من القرآن آية الربا، فتوفى رسول الله ﷺ ولم يفسرها لنا، فدعوا الربا والريبة، يعنى: الكبيرة والصغيرة.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، حديث (١٤٥٧)، وابن ماجه، حديث (٢٥٦٣)، انظر صحيح الترمذي.

(٢) حسن صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (٤٤٦٢) والترمذي، حديث (١٤٥٦)، دون قوله: «ومن أتي بهيمة...» إلى آخره، انظر صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه الديلمي، حديث (٥١٧٦)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٢).

(٤) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٢٩١٨)، انظر ضعيف الترمذي.

(٥) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٢٧٣)، دون قوله: «سمعت فوق رأسي رعدًا وصواعق ورأيت برقا» انظر ضعيف ابن ماجه.

وعن الحارث عن على رضى الله تعالى عنهما أنه قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، والواشمة والمستوشمة، والمحلل والمحلل له، ومانع الصدقة[١].

وفى رواية أبى جحيفة أن النبى ﷺ «لعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمتوشمة والمصور»[٢]

وروى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما يكسب العبد مالاً من الحرام فيتصدق به فلا يؤجر عليه ولا ينفق منه فلا يبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار». إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن. إن الخبيث لا يمحو الخبيث[٣] قال تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم﴾ [البقرة: ٢٦٧]

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه، إن نبى الله داود كان يأكل من عمل يديه»[٤] وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢][٥].

ثم ذَكَرَ الرجلَ يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يقول: يارب يارب، ومطعمه حرام وشرابه حرام، وملبسه حرام، ونومه حرام، وغدوه حرام ومجيئه حرام، فأنى يستجاب لذلك؟![٦]. «ويأتى زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه من الحلال أم من الحرام»

وعن أبى رافع قال: بعت خلخال فضة من أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فوضع الخلخال فى كفة والدراهم فى كفة، فكان الخلخال أثقل منها يسيرًا فأخذ مقراضًا فقلت: الزيادة لك يا خليفة رسول الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الزائد والمستزيد فى النار»[٧].

وروى أبو سعيد الخدرى وعبادة بن الصامت وأبو هريرة وغيرهم عن النبى ﷺ أنه قال: «الفضة بالفضة مثلا بمثل والفضل ربا، والحنطة بالحنطة مثلا بمثل والفضل ربا - وذكر الشعير والتمر والملح ثم قال: - فمن زاد أو استزاد فقد أربى»[٨].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الربا.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هكذا، ويقال: ما ظهر الزنى وأكل الربا فى بلد إلا

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي، حديث (٥١٠٤) من حديث الحارث، انظر صحيح النسائي.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٥٩٦٢).
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧).
(٤) أخرجه البخاري، حديث (٢٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣١)، دون قوله: «وإن نبي الله داود...» إلى آخره.
(٥) أخرجه مسلم، حديث (١٠١٥)، والترمذي، حديث (٢٩٨٩).
(٦) أخرجه البخاري، حديث (٢٠٥٩)، وأحمد، حديث (٩٦١٨).
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (٢٢٥٠١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٨).
(٨) أخرجه مسلم، حديث (١٥٨٤)، وأبو داود، حديث (٣٣٤٩).

خربت. وهو المراد بقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»(١) فكل عمل عليه فريضة، أو شرع فيه فعلمه عليه فرض.

وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: من اتجر قبل أن يتفقه فى الدين فقد ارتطم بالربا ثم ارتطم ثم ارتطم. يعنى: غرق فيه.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: لا يبيعن فى أسواقنا هذه قوم لم يتفقهوا فى الدين، ولم يوفوا الكيل والميزان.

وعن ليث عن عبد الرحمن بن سابط قال: إنما يؤذن فى هلاك القرى إذا استحلوا أربعًا: إذا نقصوا الميزان، وبخسوا المكيال، وأظهروا الزنى، وأكلوا الربا؛ لأنهم إذا أظهروا الزنى أصابهم الوباء، وإذا نقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر، وإذا أكلوا الربا جرد عليهم السيف.

وروى عن عبيد المحاربى قال: كنت أمشى خلف على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى السوق ومعه الدرة فإن رأى رجلاً لا يوفى الكيل ضربه وقال: أوف الكيل.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: يا معشر الأعاجم، إنكم وليتم أمرين بهما أهلك من كان قبلكم من القرون الماضية المكيال والميزان.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يأتى على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا». قيل: يا رسول الله، كلهم يأكلون الربا؟ قال: «من لم يأكل منه يصيبه من غباره»(٢). يعنى: يصيبه من إثمه؛ لأنه يعين على ذلك فيكون شاهدًا أو كاتبًا أو راضيًا بفعله فله حظ من الوزر.

كما قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه: الزائد والمستزيد فى النار.

وفى رواية أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غبارة»(٣)

فينبغى للتاجر أن يتعلم من العلم مقدار ما يحتاج إليه لتجارته لكيلا يأكل الربا، كما روى الحسن - رضى الله عنه - الحديث المشهور قال: حفظت من رسول الله ﷺ أنه قال غير مرة ولا مرتين: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن اليقن والصدق طمأنينة، وإن الشك والكذب ريبة»(٤)

وينبغى أن يجتهد فى الكيل والوزن؛ لأن الله تعالى شدد فى أمر الكيل والوزن، وأوعد الوعيد الشديد فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] يعنى: الشدة من العذاب، ويقال: ويل واد فى

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٢٤)، دون قوله: «ومسلمة»، وانظر صحيح ابن ماجه.
(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (٣٣٣١)، والنسائي، حديث (٤٤٥٥)، انظر ضعيف أبي داود.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ١١).
(٤) صحيح: أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (٢٥١٨)، وأحمد، حديث (١٧٢٣)، انظر صحيح الترمذي.

جهنم للذين ينقصون ويخونون فى الكيل والوزن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ يعنى: يكتالون من الناس ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾ [المطففين: ٢] يعنى: حقهم تاما ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ يعنى: إذا كالوا الناس ﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ يعنى: لهم ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] يعنى ينقصون، ثم قال تعالي: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] يعنى: ألا يعلم هؤلاء الذين يخونون فى الكيل والوزن ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ ليوم القيامة ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥] يعني: هوله عظيم.

ويقال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأهل المدينه أسوأ الناس كيلاً، وكان لهم كيلان وميزانان، وكان الرجل إذا اشترى بالكيل الزائد باع بالكيل الناقص فقال لهم: ويل لكم؛ ما تصنعون؟[1]

فاعتبر يا ابن آدم

فإن اليوم الذى سماه الله عظيمًا كيف يكون حاله؟ أى يوم يكون؟ وأى هيبة؟ وأى خوف أعظم منه؟ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] يعنى: يقفون بين يدى الله تعالى ويسألهم عن قليل وكثير ويقرأ فى كتابه ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] فطوبى لمن عدل فى الدنيا فى حقوق الناس، وويل لمن لم يعدل فى حقوق الناس. وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العدل ميزان الله تعالى فى الأرض فمن أخذه قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه إلى النار»[2].

واعلم أن العدل يكون من السلطان فى رعيته ويكون من الرعية فيما بينهم، فعليكم بالعدل لتنجوا من العذاب الأليم.

٤٧ - باب ما جاء فى الذنوب

حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارى حدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد ابن أبى العوام الرياحى حدثنا أبى حدثنا يحيى بن سابق عن خيثمة بن خليفة عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن أبى جعفر محمد بن الحسين عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان فيما أعطى الله لموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فى الألواح عشرة أبواب: فأول ما كتب فى اللوح الأول: يا موسى، لا تشركن بى شيئًا فقد حق القول منى لتلفحن وجوه المشركين النار، واشكر لى ولوالديك أقيك المتالف، أعنى: أحفظك من المهالك، وأنسأ لك فى عمرك، وأحييك حياة طيبة، وأنقلك وأقلبك إلى خير منها، ولا تقتل النفس التى حرمتها فتضيق عليك الأرض برحبها، والسماء بأقطارها، وتبوء بسخطى فى النار، ولا تحلف باسمى كاذبًا ولا آثمًا؛ فإنى لا أطهر ولا أزكى من لم ينزهنى، ومن لم يعظم أسمائى، ولا تحسد

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٢٢٣)، انظر صحيح ابن ماجه.
(٢) لم أجده.

الناس على ما آتيتهم من فضلي؛ فإن الحاسد عدو لنعمتي، راد لقضائي ساخط لقسمتي التي قسمت بين عبادي، ومن لم يكن كذلك فلست منه وليس مني، ولا تشهد بما لا يعيه سمعك ويحفظه عقلك ويعقد عليه قلبك؛ فإني واقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة أسألهم عنها سؤالاً حثيثًا، ولا تسرق ولا تزن بحليلة جارك؛ فأحجب عنك وجهي، وأغلق عنك أبواب السماء، وأحب للناس كما تحب لنفسك، ولا تذبحن لغيري فإني ما أحب من القربان إلا ما ذكر عليه اسمي وكان خالصًا لوجهي، وتفرغ لي يوم السبت وفرغ جميع أهل بيتك»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى جعل السبت لموسى عيدًا واختار الجمعة فجعلها لنا عيدًا».

(قال الفقيه) أبو جعفر رحمه الله تعالى: حدثنا أبو القاسم حدثنا محمد بن الحسن حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن محمد بن كعب القرظي قال: قام رسول الله ﷺ على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال: «كتاب كتب الله تعالى فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم ولا يزاد فيهم ولا ينقص، وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال بأنهم منهم بل هم، ثم يستنقذهم الله تعالى بقضائه من الشقاء إلى السعادة قبل الموت ولو بفواق ناقة، وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم، وليستخرجنهم الله منهم ثم ليستخرجنهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، السعيد من سعد بقضاء الله تعالى والأعمال بالخواتيم»(٢).

وروى فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا»(٣).

قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: اعبدوا الله عز وجل كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يُغنيكم خير من كثير يُلْهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى وأن الإثم لا يُنْسَى.

وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يفنى، وكن كما شئت» يعني كما تدين تدان(٤).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: معنى قوله: «كما تدين تُدان». يعني: أنك لو عملت خيرًا تجد ثواب الخير وإن عملت شرًا تجز به يوم القيامة جزاء الشر، وهذا كقوله عز وجل ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦٥).
(٢) أورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٣)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حماد بن واقد الصفار، ضعيف.
(٣) أخرجه أحمد، حديث (٢٤٠٠٤)، وابن حبان، حديث (٤٨٦٢).
(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (٢٢٠٣).

يعنى: أن الله تعالى لا يظلم أحدًا ولا ينقص من ثواب حسناته شيئًا ولا يعاقبه بغير ذنب، وقد بين الله تعالى الطريق وبعث رسولاً كريمًا ناصحًا لأمته وقد بين طريق الجنة وطريق النار.

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجاء الفراش يتهافتن فيها فأنا أمنعكم من أن تقعوا فى النار»[1]. يعني: أنهاكم عن الذنوب والعصيان فإن الذنوب تلقى صاحبها فى النار.

ويقال: قبلت توبة آدم عليه الصلاة والسلام لخمس خصال، ولم تقبل توبة إبليس لعنه الله لخمس خصال، فآدم أقر على نفسه بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع بالتوبة، ولم يقنط من رحمة الله تعالى، وإبليس لعنه الله لم يقر على نفسه بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم يسرع فى التوبة، وقنط من رحمة الله تعالى، فمن كان حاله مثل حال آدم قبلت توبته ومن كان حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته.

وروى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال: لأن أدخل النار وقد أطعت الله أحب إلى من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله تعالى. معناه لو دخل الجنة وقد عصى الله تعالى فالحياء من الله تعالى لأجل ذنوبه باق، ولو دخل النار وقد أطاع الله تعالى لا يكون له الخجل والحياء ويُرْجَى خروجُه منها.

وقد روى عن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه أنه مر بعتبة الغلام فى برد شديد وعلى عتبة قميص خلق وهو قائم يتفكر وهو يترشح عرقًا، فقال له مالك: ما الذى أوقفك فى هذا الموضع؟ قال: يا معلمى هذا موضع عصيت الله تعالى فيه. يعنى: أنه كان يتفكر فى ذنبه وهو يسيل منه العرق حياء من الله تعالى.

وقال مكحول الشامى: من أوى إلى فراشه ثم لم يتفكر فيما صنع فى يومه فإن عمل خيرًا حمد الله، وإن أذنب استغفر ربه عز وجل، وإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذى ينفق ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر، ويقال: إن الله تعالى قال فى بعض الكتب: عبدى، إنى ملك لا أزول فأطعنى فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه حتى أجعلك حيًا لا تموت، عبدى، أنا الذى إذا أقول للشيء كن فيكون.

وعن أبى محمد بن محيريز قال: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل، قيل له: وهل يسيء أحد إلى من يحبه؟ قال: نعم نفسك أحب الأنفس وأعزها إليك، فإذا عصيت فقد أسأت إليها.

وقيل لبعض الحكماء: أوصنى بشيء؟ قال: لا تجف ربك ولا تجف الخلق ولا تجف نفسك،

---

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٤٨٣)، ومسلم، حديث (٢٢٨٤).

أما الجفاء بربك فأن تشتغل بخدمة غيره من المخلوقين، وأما الجفاء مع الخلق فأن تذكرهم عند الناس بسوء، وأما الجفاء مع النفس فأن تتهاون بفرائض الله تعالى.

وروى عن كهمس بن الحسن أنه قال: أذنبت ذنبًا وأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة. قيل له: ما هو يا عبد الله؟ قال: زارنى أخ لى فاشتريت له سمكًا فأكل، ثم قمت إلى حائط جارى فأخذت منه قطعة طين فغسلت بها يدي.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعظم الذنوب عند الله تعالى أصغرها عند الناس، وأصغر الذنوب عند الله تعالى أعظمها عند الناس»(١).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: يعنى أعظمها عند المذنب إذا عظمه وخافه فإنها أصغر عند الله تعالى، وأما إذا كان صغيرًا فى عين المذنب فهو عظيم عند الله تعالى؛ لأن أعظم الذنوب ما كان مصرًا عليه، وهذا كما روى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه قال: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

وروى عن عوام بن حوشب أنه قال: أربع بعد الذنب شر من الذنب: الاستصغار، والاغترار، والاستبشار، والإصرار.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: لا تغرنك هذه الآية ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] لأنه قد اشترط فى الحسنة المجيء بها يوم القيامة، والعمل سهل على العامل ولكن المجيء به يوم القيامة شديد، وإن السيئة واحدة ولكن لها عشر من العيوب: أولها: أن العبد إذا عمل سيئة فقد أسخط خالقه على نفسه وهو قادر عليه فى كل وقت. والثانى: أنه فرح من هو أبغض إليه وهو إبليس عدو الله وعدُوه. والثالث: تباعده من أحسن المواضع وهى الجنة. والرابع: تقربه إلى شر المواضع وهو جهنم. والخامس: أنه جفا من هو أحب إليه وهى نفسه. والسادس: نجس نفسه وقد خلقها الله تعالى طاهرة. والسابع: آذى أصحابه الذين لا يؤذونه وهم الحفظة. والثامن: أحزن النبى ﷺ فى قبره. والتاسع: أشهد على نفسه الليل والنهار وآذاهم بذلك وأحزنهم. والعاشر: أنه خان جميع الخلائق من الآدميين وغيرهم.

أما خيانة الآدميين

فإنه لو كان لأحد عنده شهادة فإنه لا تقبل شهادته لأجل ذنبه فيبطل حق صاحبه لأجل ذنبه، وأما الخيانة لجميع الخلائق فإنه يقل المطر إذا أذنب فكان فى ذلك خيانة لجميع الخلائق، فإياك والذنب فإن فى الذنب هذه العيوب، وفى ذلك كله ظلم نفسه بمعصيته.

وقيل: أبخل الناس من بخل على نفسه بما فيه سعادة، وأظلم الناس من ظلم نفسه بمعصية الله

---

(١) لم أقف عليه.

تعالى ؛ لأن من عمل المعصية فقد أهلك نفسه .

(وقال بعض الحكماء) : إياك والذنب فإن الذنب مشؤوم فيصير شؤمه حجر المنجنيق ، فيضرب على حائط الطاعة فيكسر الحائط ويدخل ريح الهواء ويطفئ سراج المعرفة .

وقيل لبعض الحكماء : ما لنا نسمع العلم ولا ننتفع به؟ فقال لهم : لخمس خصال : أولها : قد أنعم الله عليكم فلم تشكروه . والثانى : إذا أذنبتم فلم تستغفروه . والثالث : لم تعملوا بما علمتم من العلم . والرابع : صحبتم الأخيار ولم تقتدوا بهم . والخامس : دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبى يقول : روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما من يوم إلا وينزل من السماء خمس من الملائكة أحدهم بمكة ، والثانى بالمدينة ، والثالث ببيت المقدس ، والرابع بمقابر المسلمين ، والخامس بأسواق المسلمين .

فأما الذين ينزل بمكة فينادى : ألا من ترك فرائض الله تعالى فقد خرج من رحمة الله تعالى .

وأما الذى ينزل بالمدينة فينادى : ألا من ترك سنن النبى ﷺ فقد خرج من شفاعته .

وأما الذى ينزل ببيت المقدس فينادى : ألا من اكتسب مالاً حرامًا لم يقبل الله تعالى سائر عمله .

وأما الذى ينزل بمقابر المسلمين فينادى : يا أهل المقابر ، بماذا تغتبطون وعلى ماذا تندمون ؟ فيقولون : ندامتنا على ما فات من أعمارنا ، ونغتبط بأهل الجماعات لقراءتهم كلام الله تعالى وتذاكرهم بالعلم وصلواتهم على النبى ﷺ ، واستغفارهم لذنوبهم ، ونحن لا نقدر على شيء من ذلك .

وأما الذى ينزل فى الأسواق فينادى ويقول : يا معشر الناس ، مهلاً مهلاً فإن لله تعالى سطوات ونقمات فمن خشى سطواته ونقماته فليداو جراحته حتى يتوب من ذنوبه ، شوقناكم فلم تشتاقوا وخوفناكم فلم تخافوا لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع وشيوخ ركع لصب عليكم العذاب صبًا»[1] .

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها : أن رسول الله ﷺ قال لها : «يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله تعالى طالبًا»[2] .

ويقال : مثل الذنوب الصغار كمثل من جمع خشبات صغارًا فيوقد منها نارًا باجتماعها .

ويقال : مكتوب فى التوراة : من يزرع البر يحصد السلامة .

وفى الإنجيل مكتوب : من يزرع السوء يحصد الندامة . وهذا فى القرآن وهو قوله تعالى : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء : ١٢٣] .

---

(١) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٩٨) من حديث ابن مسعود .
(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجه ، حديث (٤٢٤٣) ، وأحمد ، حديث (٢٤٤٦٠) ، انظر صحيح ابن ماجه .

وروى أبو القاسم بن محمد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن رجل كثير الذنوب كثير العمل أعجب إليك أم رجل قليل الذنوب قليل العمل؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئًا. يعنى: قليل الذنوب أعجب إليّ.

قال بعض الحكماء: كل سفلة يعمل الطاعة، ولكن الكريم من يترك المعصية.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: فى كتاب الله تعالى دليل على أن ترك المعصية أفضل من أعمال الطاعة؛ لأن الله تعالى قد اشترط فى الحسنة المجئ بها إلى الآخرة وفى ترك الذنوب لم يشترط شيئًا سوى الترك، وقال تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. فنسأل الله تعالى العفو. وقد قال رسول الله ﷺ: «ترك ذرة مما نهى الله عنه خير من عبادة الثقلين»[١].

٤٨ - باب ما جاء فى المظالم

حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن على الطوسى حدثنا محمد ابن هشام حدثنا أبو معاوية عن زهير بن زيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته». يعنى: لا ينجو. ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][٢].

حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا ابن منيع حدثنا على بن الجعد حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر عمل مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئاته فحملت عليه ثم يلقى في النار»[٣].

حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا خزيمة حدثنا على بن أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يعلى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا له: المفلس من لا درهم له ولادينار ولا متاع. قال: «فإن المفلس من أمتى الذى يأتى يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح فى النار»[٤].

وذكر عن أبى ميسرة قال: أتى بسوط إلى رجل فى قبره بعدما دفن فجاءاه. يعنى: منكرًا ونكيرًا.

(١) لم أقف عليه.
(٢) أخرجه البخاري، حديث (٤٦٨٦)، ومسلم، حديث (٢٤٤٩).
(٣) أخرجه البخاري، حديث (٢٤٤٩)، وأحمد، حديث (٢٤١٩).
(٤) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨).

فقالا له: إنا ضارباك مائة سوط. فقال الميت: إني كنت كذا وكذا فتشفع حتى حطا عنه عشرًا ثم لم يزل بهما حتى صار إلى ضربة واحدة فقالا: إنا ضارباك ضربة. فضرباه واحدة فالتهب القبر نارًا فقال: لم ضربتماني؟ فقالا: مررت برجل مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه.

فهذا حال الذى لم يغث المظلوم فكيف يكون حال الظالم. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه. قيل له وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وهو ظالم، وقد مر ذكر الظالم فى باب التوبة.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم؛ لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى رضا الخصم، فينبغى للظالم أن يتوب عن الظلم ويتحلل من المظلوم فى الدنيا، فإذا لم يقدر عليه فينبغى أن يستغفر ويدعو له فإنه يرجى أن يحلله بذلك.

قال ميمون بن مهران: إن الرجل إذا ظلم إنسانًا فأراد أن يتحلل منه مظلمته ففاته ولم يقدر عليه، فاستغفر الله تعالى له فى دبر صلاته خرج من مظلمته.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: من أعان ظالمًا على ظلمه أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم، فقد جاء بغضب من الله وعليه وزرها.

وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال للأحنف بن قيس: من أجهل الناس؟ قال الأحنف: من باع آخرته بدنياه.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: ألا أنبئك بأجهل من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من باع آخرته بدنيا غيره.

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قلت: يا رسول الله، أنصره مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»[(١)]. وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: ما أحسنتُ إلى أحد ولا أسأت إلى أحد قط، لأن الله تعالى يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦] يعنى: إن أحسنت إلى أحد فقد أحسنت إلى نفسى، وإن أسأت إلى أحد فقد أسأت إلى نفسى. وقال رسول الله ﷺ: «لَرَدُّ دانقٍ من حرام أفضل عند الله من سبعين حجة مبرورة»[(٢)]. والحج المبرور: هو الذي لا يخالطه من الرياء شيء، والبيع المبرور الذي لا يخالطه شيء من الخيانة والتجارة المبرورة التي لا يخالطها شيء من الربا.

(١) أخرجه البخاري، حديث (٦٩٥٢)، والترمذي، حديث (٢٢٥٥).
(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، حديث (٧٠٣٢).

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «ملعون من سأل بوجه الله تعالى، ملعون من يسأل بوجه الله تعالى فيمنع سائله ، ما لم يسأله هجرًا»[١] .

«ملعون من ضر أخاه المسلم أو ماكَرَه» «ملعون من كذب ، ملعون مال لا يزكى كل عام، ملعون بدن لا يبتلى في كل عام ليلة من البلاء العثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاع العين فما فوق ذلك»[٢] .

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «أوحى الله إلى عيسى -عليه السلام - أن قل للملأ من بني إسرائيل : أنا ملك الملوك ، أملك قلوبهم بيدي ، فإن أطاعني عبادي جعلتهم رحمة عليهم ، وإن عصوني جعلتهم نقمة عليهم ، فلا تشتغلوا بالدعاء عليهم ، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم»[٣] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال: كان رجل من المهاجرين له حاجة إلى رسول الله ﷺ فأراد أن يلقاه على خلاء فيبدى له حاجته، وكان رسول الله ﷺ فى العسكر بالبطحاء، وكان يجيء من الليل فيطوف حتى إذا كان فى وجه الصبح رجع فصلى صلاة الغداة . قال: فحبسه الطواف ذات ليلة حتى أصبح، فلما استوى على راحلته عرض له الرجل فأخذ بخطام ناقته فقال: يا رسول الله، لى إليك حاجة؟ قال: «دعنى فإنك ستدرك حاجتك». فأبى . فلما خشى أن يحبسه خفقه بالسوط خفقة ثم مضى فصلى صلاة الغداة، فلما انفتل أقبل بوجهه على القوم واجتمع القوم حوله فقال: «أين الذى جلدته آنفًا؟» فأعادها: «إن كان فى القوم فليقم». فجعل الرجل يقول: أعوذ بالله تعالى ثم برسوله . وجعل رسول الله ﷺ يقول: «ادن ادن منى». حتى دنا منه فجلس رسول الله ﷺ بين يديه وناوله السوط وقال: «خذ بجلدتك فاقتص منى». فقال أعوذ بالله أن أجلد نبيه . قال: «خذ بجلدتك فاقتص لا بأس». فقال: أعوذ بالله أن أجلد نبيه . قال: «لا إلا أن تعفو». فألقى السوط وقال: قد عفوت يا رسول الله . ثم قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس، اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمنًا إلا انتقم الله منه يوم القيامة»[٤]

وقال ﷺ : «والله لتؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يؤخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء»[٥] .

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٣)، وقال: «رواه الطبراني في الكبيرة، وإسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق» .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، حديث (٨٥٨٠) من حديث أبي بكر الصديق .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث (٨٩٦٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٤٩)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك .

(٤) أخرجه عبد الرزاق بنحوه في مصنفه (٩/ ٤٦٥).

(٥) أخرجه مسلم، حديث (٢٥٨٢)، والترمذي، حديث (٢٤٢٠).

وعنه أيضًا: «إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة»(١).

وعن سفيان الثورى رحمة الله عليه أنه قال: إن لقيت الله تعالى بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله تعالى أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه أنه قال: لا ينبغى للرجل إذا كان عليه دين أن يصطبغ بالزيت أو بأقل منه ما لم يقض دينه.

وروى عن فضيل بن عياض قال: قراءة آية من كتاب الله تعالى والعمل بها أحب إليّ من أن أختم القرآن ألف مرة، وإدخال السرور على المؤمنين وقضاء حاجتهم أحب إليّ من عبادة العمر كله، وترك الدنيا ورفضها أحب إليّ من أن أعبد الله بعبادة أهل السموات والأرض، وترك دانق من حرام أحب إلى من مائة حجة من مال حلال.

وذكر عن أبى بكر الوراق أنه قال: أكثرُ ما ينزع من القلب الإيمانَ ظُلْمُ العباد.

وسئل ابو القاسم الحكيم هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟

قال: نعم، ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العبد: أولها: ترك الشكر على الإسلام. والثانى: ترك الخوف على ذهاب الإسلام. والثالث: الظلم على أهل الإسلام.

وروى حميد عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: أوصى النبىﷺ رجلاً بثلاث فقال له: «أكثر ذكر الموت يشغلك عما سواه، وعليك بالشكر فإنه زيادة فى النعمة، وعليك بالدعاء فإنه لا تدرى متى يستجيب الله لك، وأنهاك عن ثلاث: لا تنقض عهدًا ولا تعن على نقضه، وإياك والبغى فإن من بغى عليه لينصرنه الله، وإياك والمكر فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله»(٢).

وروى منصور عن مجاهد عن زيد بن سمرة قال: إن لجهنم جبابًا- يعنى: مواضع كساحل البحر - فيها حيات كالبخاتى، وعقارب كالبغال الدلم، فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم قيل لهم: اخرجوا من الساحل. فيخرجون فتأخذ الحيات بشفاههم ووجوههم وما شاء الله تعالى منهم فتكشطن، فيستغيثون فرارًا منها إلى النار، فيسلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جلده حتى يبدو العظم فيقال: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم. فيقال: ذلك بما كنت تؤذى المؤمن وهو قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال: كفى بالمؤمن من الغى ثلاث: يعيب على الناس بما يأتى به، ويبصر من عيوبهم ما لا يبصر من عيوب نفسه، ويؤذى جليسه فيما لا يعنيه.

---

(١) **ضعيف:** أورده المتقى الهندي في كنز العمال (٧٦٣٣)، وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو، انظر ضعيف الجامع، حديث (١٧٨٤).

(٢) **ضعيف:** أخرج أوله السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» عن سفيان عن شريح مرسلا. وانظر «ضعيف الجامع» رقم (١٠٩٩).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد، ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى»(١).

٤٩ - باب الرحمة والشفقة

حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان حدثنا أحمد بن الحارث حدثنا قتيبة بن سعيد البغلاني، عن مالك بن سمي مولى أبى بكر عن بكر عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشى فى الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل بها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث وهو يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له فغفر له». قالوا: يا رسول الله، إن لنا فى البهائم لأجرًا؟ قال: «فى كل ذات كبد رطبة أجر»(٢).

حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا النضر بن الأشعث عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة إلا رحيم». قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: «ليس رحمة أحدكم نفسه خاصة، ولكن حتى يرحم الناس عامة ولا يرحمهم إلا الله تعالى»(٣).

حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا معاوية عن الأعمش عن حسان بن أبى الأشرس عن أبى عبيدة عن عبد الله قال: إذا رأيتم أخاكم قد أصابه جزاء فلا تلعنوه ولا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم ارحمه اللهم تب عليه.

وعن الشعبى قال: صعد النعمان بن بشير المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغى للمسلمين أن يكونوا بينهم بنصيحة بعضهم بعضًا، وتراحمهم فيما بينهم كمثل العضو من الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى الجسد كله بالسهر حتى يذهب الألم من ذلك العضو»(٤).

وعن أنس بن مالك قال: بينما عمر رضى الله تعالى عنه يعس ذات ليلة إذ مر برفقة قد نزلت فخشي عليهم السرقة، فأتى عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فقال: ما الذى جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: مررت برفقة قد نزلت فحدثتنى نفسى أنهم إذا باتوا ناموا، فخشيت عليهم السرقة فانطلق بنا نحرسهم. قال: فانطلقنا، فقعدا قريبًا من الرفقة يحرسان حتى إذا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (٦٠٠٩)، ومسلم، حديث (٢٢٤٤).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث (١٤٥٤) والديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٧٠٦٧).

(٤) **صحيح:** أخرجه البخاري بنحوه، حديث (٦٠١١)، ومسلم، حديث (٢٥٨٦).

رأيا الصبح نادى عمر رضى الله تعالى عنه: يا أهل الرفقة، الصلاة الصلاة. مرارًا حتى إذا رآهم تحركوا قاما فرجعا.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: عليك أن تقتدى بالذين قبلك فإن الله قد مدح أصحاب النبى ﷺ بالتراحم فيما بينهم قال الله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق، وكانوا يرحمون أهل الذمة، فكيف بالمسلمين؟.

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابًا ثم ضيعناك اليوم، وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين.

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: رأيت عمر رضى الله تعالى عنه على قتب وهو يعدو به بالأبطح، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أين تصير؟ فقال: بعير ند من الصدقة فأنا أطلبه.

فقلت له: لقد أذللت الخلفاء من بعدك. فقال: لا تلمنى يا أبا الحسن، فوالذى بعث محمدًا ﷺ بالحق لو أن عناقًا ذهب بشاطىء الفرات لأوخذ بها عمر يوم القيامة؛ لأنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روّع المؤمنين.

وعن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن يرحمهم الله تعالى بسلامة الصدور وسخاوة النفس والرحمة لجميع المسلمين**»[(١)] .

وروى عبد الوهاب بن محمد العسقلانى بسمرقند بإسناده عن حميد عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أربع من حق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم**»[(٢)] .

حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن أبيه عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للمسلم على أخيه ست خصال واجبة إن ترك منها واحدة فقد ترك حقًا واجبًا: إذا دعاه أن يجيبه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يحضره، وإذا لقيه أن يسلم عليه، وإذا استنصحه أن ينصحه، وإذا عطس أن يشمته**»[(٣)] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبى إلا وقد رعى». قالوا: يا رسول الله، وأنت قد

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٠٨٩١)، والديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٨٨٤).
(٢) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (١٤٩٩).
(٣) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (٤٠٧٦)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن، وثقه يحيى القطان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

رعيت؟ قال: «نعم، فأنا قد رعيت»(١).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: الحكمة فى رعى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم أولا حتى تظهر شفقتهم على خلقه وهو أعلم بهم، وإذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم أنبياء وجعلهم مسلطين على بنى آدم فى أمر دينهم.

وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب، بأى شيء اتخذتنى صفيًا؟ قال: برحمتك على خلقى، فإنك كنت ترعى الغنم لشعيب عليه الصلاة والسلام فندت شاة من غنمك فاتبعتها، فأصابك الجهد فى طلبها حتى أدركتها، فلما أخذتها ضممتها إلى حجرك وقلت لها: يا مسكينة، أتعبتنى وأتعبت نفسك. فبرحمتك على خلقى اصطفيتك وأكرمتك بالنبوة.

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله فى الدنيا والآخرة، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة، والله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم»(٢).

وروى قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«والذى نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير»**(٣).

وروى الشعبى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال: إن الله تعالى لا يرحم من لا يرحم، ولا يغفر لمن لا يغفر، ولا يتوب على من لا يتوب.

وروى عن أحد الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء(٤).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى»(٥).

وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن فى الإنجيل مكتوبًا. يا ابن آدم، كما ترحم فكذلك ترحم، وكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباده؟ وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه كان يتتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسلها ويقول: اذهبى فعيشى. وقال شقيق الزاهد رحمه الله تعالى: إذا ذكرت الرجل بالسوء فلم تهتم له ترحما فأنت أسوأ حالاً منه، وإذا ذكرت الرجل الصالح فلم تجد فى قلبك حلاوة طاعة ربك فأنت رجل سوء.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (٢٢٦٢)، وابن ماجه، حديث (٢١٤٩).
(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم، حديث (٢٦٩٩)، وأبو داود، حديث (٤٩٤٦)، والترمذي، حديث (١٤٢٥)، وابن ماجه، حديث (٢٢٥).
(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (١٣)، ومسلم، حديث (٤٥).
(٤) **صحيح:** أخرجه أبو داود، حديث (٤٩٤١)، والترمذي، حديث (١٩٢٤)، وانظر صحيح أبي داود.
(٥) **صحيح:** أخرجه البخاري بنحوه، حديث (٧٣٧٦)، ومسلم، حديث (٢٣١٩)، والترمذي، حديث (١٩٢٢).

وقال مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه: بلغنى أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال: لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله فتقسو قلوبكم، والقلب القاسى بعيد من الله تعالى ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا فى عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا إليها كأنكم عبيد، وإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا صاحب البلاء واحمدوا الله على العافية.

وروى عن أبى عبد الله الشامى قال: استأذنت على طاوس فخرج شيخ كبير فقال لي: أنا هو. فقلت له: لئن كنت أنت هو فإنك إذا لخرف. فقال: إن العالم لا يخرف. فدخلت عليه فقال لى: سل وأوجز. فقلت له: إن أوجزت لى أوجزت لك. فقال: إن شئت جمعت لك التوراة والإنجيل والفرقان فى ثلاث كلمات فعلت. فقلت: وددت ذلك. فقال خف الله خوفًا لا يكون أحد أخوف عندك منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك.

وعن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان كله: الإنفاق فى الإقتار، والإنصاف من نفسه، وإفشاء السلام على الخلائق.

وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال: أحب الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد فى الجدة، والرفق بعباد الله تعالى، وما رفق أحد بعباد الله إلا رفق الله به.

وروى هشام عن الحسن قال: أوحى الله إلى آدم: يا آدم، أربع هنّ جماع لك ولولدك - يعنى: جماع الخير - واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة بينك وبين الناس، فأما التى لى فأن تعبدنى ولا تشرك بى شيئًا، وأما التى لك فعملك أجزيك به حين تكون أفقر ما تكون إليه، وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة، وأما التى بينك وبين الناس فاصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به. والله أعلم.

٥٠- باب خوف الله تعالى

حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارى حدثنا الحارث بن أبى أسامة حدثنا داود بن المحبر عن ميسرة عن محمد بن زيد عن سعيد بن المسيب: أن عمر وأبيّ بن كعب وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، من أعلم الناس؟ قال: «العاقل». قالوا: يا رسول الله، من أعبد الناس؟: قال: «العاقل». قالوا: يا رسول الله، من أفضل الناس؟ قال: «العاقل». قالوا: يا رسول الله، أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته؟ فقال رسول الله ﷺ: « ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]. العاقل المتقى، وإن كان فى الدنيا خسيسًا دنيئًا»[1]. يعنى: بالمتقى الذى يتقى الله عز وجل ويتقى معاصيه.

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي)، حديث (٨٣٢).

وروى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قال: إذا عرف الرجل من نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء فقد تمسك بالأمر الوثيق، أما علامة الخوف فاجتناب ما نهى الله عنه، وأما علامة الرجاء فالعمل بما أمر الله به.

وقيل: للرجاء والخوف علامتان: فعلامة الرجاء عملك لله بما يرضى، وعلامة الخوف اجتنابك ما نهى الله عنه.

حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الشعبى رضى الله تعالى عنه عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضى الله تعالى عنه حين طُعن: يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف عليك اثنان، وقُتلت شهيدًا.

فقال عمر رضى الله تعالى عنه: المغرور من غررتموه، والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع.

وعن الحسن البصرى عن جابر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار»(١).

وعن النبى ﷺ أنه قال «قال الله عز وجل: وعزتى وجلالى إنى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، من خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة»(٢).

وروى عن عمار بن منصور رضى الله تعالى عنهما قال: كنت تحت منبر عدى بن أرطاة، فقال: ألا أحدثكم حديثًا ما بينى وبين رسول الله ﷺ إلا رجل واحد؟ قالوا: نعم. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة فى السماء السابعة سجودًا منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(٣).

وروى عن أبى ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمى لم تلدنى. فقالت له امرأته: يا أبا ميسرة، أليس الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام. قال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أنا واردون النارَ ولم يبين لنا أنا صادرون عنها.

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: إنى لا أغبط ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، أليس هؤلاء

(١) سبق تخريجه.
(٢) حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث (٦٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» حديث (٧٧٧)، وانظر «صحيح الجامع» رقم (٤٣٣٢).
(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال، حديث (٢٩٨٣٧).

يعاتبون يوم القيامة إنما أغبط من لم يخلق .

وقال حكيم من الحكماء : الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوى على الطاعة، وذكر الموت يزهد فى الفضول .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها»[1] .

وسئل رسول الله ﷺ : من آلك يا رسول الله؟ قال : «آلى كل مؤمن تقى إلى يوم القيامة، ألا إن أوليائى هم المتقون، ولا فضل لأحد منكم إلا بتقوى الله عز وجل»[2] .

وروى الربيع عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المهلكات : فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه . وأما المنجيات : فالعدل فى الرضا والغضب، والاقتصاد فى الفاقة والغنى، وخشية الله عز وجل فى السر والعلانية»[3] .

وذكر عن الربيع بن خيثم أنه كان لا يزال باكيًا خائفًا ساهرًا بالليل، فلما رأت أمه ما به من الجهد نادته . يا بنى، أقتلت قتيلاً؟ قال : نعم . قالت : فمن هو حتى نطلب العفو من أوليائه فوالله لو يعلمون ما تلقاه لرحموك؟ قال : يا أماه، قتلت نفسى .

(قال الفقيه) : علامة خوف الله تعالى يتبين فى سبعة أشياء:

أولها : يتبين فى لسانه فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثانى : أن يخاف فى أمر بطنه، فلا يدخل بطنه إلا طيبًا حلالاً ولا يأكل من الحلال إلا مقدار حاجته .

والثالث : أن يخاف فى أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة .

والرابع : أن يخاف فى أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل .

والخامس : أن يخاف فى أمر قدميه فلا يمشى فى معصية الله .

والسادس : أن يخاف فى أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه

---

(١) أخرجه البزار في مسنده حديث (١٣٢٢)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣١٠) وقال: رواه البزار، وفيه أم كلثوم بنت العباس، ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ٤٠) .

(٣) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان)، حديث (٧٢٥٢) .

النصيحة والشفقة للمسلمين.

والسابع: أن يكون خائفًا فى أمر طاعته فيجعل طاعته خاصة لوجه الله تعالى ويخاف الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] وقال ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ وقد مدح الله المتقين فى كتابه فى مواضع كثيرة وأخبر أنهم ينجون من النار، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

(قال الفقيه) رحمه الله: حدثنا محمد بن محمد بن مندوسة حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا على بن عاصم حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الحريرى عن أبى السائل عن غنيم عن ابن قيس عن أبى العوام قال: قال كعب الأحبار: أتدرون ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قالوا: ما كنا نرى ورودها إلا دخولها. قال: لا ولكن ورودها أن يجاء بجهنم كأنها نتن إهالة وهو الودك حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد: خذى أصحابك وذرى أصحابى. فتخسف بكل ولى لها وهى أعلم بهم من الوالد بولده، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم، وإن الخازن من خزنة جهنم معه عمود من حديد له شعبتان، يدفع به الدفعة فيكب فى النار سبعمائة ألف أو كما قال.

وروى عن الحسن عن عمران بن الحصين قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى مسيره فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ثم قال رسول الله ﷺ: «أتدرون أى يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك اليوم الذى يقول الله لآدم: قم فابعث بعث النار وبعث الجنة. فيقول آدم: أى رب فما بعث النار وما بعث الجنة؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار، وواحد فى الجنة». فأنشأ القوم يبكون فقال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة». فكبروا، ثم قال: «لم يكن نبى إلا كانت قبله جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن لم يكن كمل العد من الجاهلية فيؤخذ من المنافقين، وما مثلكم فى الأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب البعير». ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة». فكبروا ثم قال: «إن معكم لخليقتين ما كانتا فى شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن مات من كفرة الجن والإنس»[1].

وعن الحسن البصرى رحمه الله قال: لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود والنصارى وأهل البدعة يحبون أنبياءهم وليسوا معهم.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان غده شرًا من يومه فهو

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي، حديث (٣١٦٨)، وانظر ضعيف الترمذي.

ملعون، ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان، ومن كان فى النقصان فالموت خير له»[١] .

وروى عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن لله تعالى دارًا من زمردة أو من لؤلؤة فيها سبعون ألف دار، وفى كل دار سبعون ألف بيت، لا ينزلها إلا نبى أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو رجل حكم فى نفسه.

قيل: وما الحكم فى نفسه؟ قال: الذى يعرض له الحرام فيتركه مخافة الله عز وجل.

(قال الفقيه) رحمه الله: سمعت أبى رحمه الله يقول: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يقال له حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلى فدنت منى المرأة، وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله ﷺ، وأخذنا فى حديث الدنيا، ثم تذكرت ما كنت فيه، فقلت فى نفسى: قد نافقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة والحزن، فخرجت فجعلت أنادى: نافق حنظلة فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقال: كلا لم تنافق يا حنظلة. فدخلت على النبى ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة نافق حنظلة. فقال: «كلا لم تنافق يا حنظلة». فقلت: يا رسول الله، كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه. فقال: «يا حنظلة، إنكم لو كنتم على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطريق وزارتكم فى دوركم وعلى فراشكم، ولكن يا حنظلة ساعة فساعة»[٢].

وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠] الآية، أهم الذين يعملون بالمعاصى ويخافون؟ قال: «لا ولكن هم الذين يعملون بالطاعة ويخافون أن لا تقبل منهم»[٣].

(قال الفقيه) رحمه الله: من عمل الحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء، فما ظنك بمن يعمل السيئة:

أولها: خوف القبول؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

والثانى: خوف الرياء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] الآية.

والثالث: خوف التسليم والحفظ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ٦٠] فاشترط المجيء بها إلى دار الآخرة.

---

(١) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس»، حديث (٥٩١٠)، (من حديث علي).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٧٥٠)، والترمذي، حديث (٢٥١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (٣١٧٥)، وابن ماجه، حديث (٤١٩٨)، وانظر صحيح الترمذي.

والرابع: خوف الخذلان فى الطاعة؛ لأنه لا يدرى أنه هل يُوَفَّق لها أم لا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٥١ - باب ما جاء فى ذكر الله تعالى

(قال الفقيه) أبو الليث رحمه الله: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر حدثنا صالح بن أبى كريب عن كثير بن مرة قال: سمعت أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله»[(١)] .

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو معاوية عن الحجاج عن أبى جعفر أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الأعمال ثلاثة: إنصاف الرجل من نفسه، ومواساة الأخ فى المال، وذكر الله تعال على كل حال»[(٢)] .

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه قال: ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن الحسن البصرى قال: قيل: يا رسول الله، أى العمل أفضل؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله»[(٣)] .

وقال مالك بن دينار رحمه الله: من لم يأنس بحديث الله عز وجل عن حديث المخلوقين فقد قل عمله، وعمى قلبه، وضيع عمره.

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذكر الله علم الإيمان، وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار».

وروى وهب بن منبه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: لما بعث الله يحيى بن زكريا عليهما السلام إلى بنى إسرائيل أمره بأن يأمرهم بخمس خصالت، ويضرب لهم بكل خصلة مثلاً أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا وضرب لهم مثلاً، فقال: مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله، ثم أسكنه دارًا وزوجه جارية له، ودفع إليه مالاً وأمره أن يتجر فيه، ويأكل منه ما يكفيه ويؤدى إليه فضل الربح، فعمد العبد إلى فضل ربحه فجعل يعطيه لعدو سيده، ويعطى

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي، حديث (٣٣٧٧)، وابن ماجه، حديث (٣٧٩٠)، وانظر صحيح الترمذي.
(٢) أخرجه ابن المبارك، حديث (٧٤٤).
(٣) **حسن:** أخرجه ابن حبان، حديث (٨١٨)، الطبراني في «الكبير»، حديث (١٨١)، وانظر «صحيح الجامع» رقم (١٦٥).

لسيده منه شيئًا يسيرًا، فأيكم يرضى بمثل هذا العبد؟ وأمرهم بالصلاة وضرب لهم مثلاً

فقال: مثل الصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك فأذن له، فدخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته، فجعل يلتفت يمينًا وشمالاً ولم يهتم لقضاء حاجته، فأعرض عنه الملك ولم يقض حاجته، وأمرهم بالصيام وضرب لهم مثلاً

فقال: مثل الصائم كمثل رجل لبس جبة للقتال وأخذ سلاحه فلم يصل إليه عدوه، ولم يعمل فيه سلاح عدوه، وأمرهم بالصدقة وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصدقة كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى إليهم من كسبه من القليل والكثير حتى فدى نفسه منهم فعتق وفك منهم رقبته، وأمرهم بذكر الله وضرب لهم مثلاً

فقال: مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن وبقربهم عدو، فجاءهم عدوهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا عليهم بابه فحصنوا أنفسهم من العدو، ثم قال رسول اللهﷺ: «وأنا آمركم بهذه الخصال الخمس التى أمر الله تعالى بهن يحيى عليه الصلاة والسلام، وآمركم بخمس خصال أخرى أمرنى الله تعالى بهن: عليكم بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد، ومن دعا بدعاء الجاهلية فهو في جثا جهنم»[1].

وعن عبد الله بن عمير قال: من قال: الحمد لله تفتح له أبواب السماء، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والتسبيح لله تعالى لا ينتهى إلى ثوابه علم أحد دون الله تعالى. قال الله تعالى: «إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى وحده ذكرته وحدى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ أحسن منه وأكرم»[2].

وقال: «ما من عبد يضع جنبه على الفراش فيذكر الله تعالى فيدركه النوم وهو كذلك إلا كتب ذاكرًا إلى أن يستيقظ».

(قال الفقيه) رحمه الله: الذكر من الله عز وجل العفو والمغفرة، فإذا ذكر العبد الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة. وذكر عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: الذكر بين الذكرين، والإسلام بين السيفين، والذنب بين الفرضين وإنما أراد بقوله: «الذكر بين الذكرين». يعنى: أن العبد لا يقدر على ذكر الله تعالى ما لم يذكره الله تعالى بالتوفيق، وإذا ذكر الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة ومعنى قوله: «الإسلام بين السيفين». يعنى: يقاتل حتى يسلم ثم إذا رجع عن الإسلام يقتل. ومعنى قوله: «الذنب بين الفرضين». يعنى: فرض عليه أن لا يذنب فإذا أذنب فرض عليه أن يتوب.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي، حديث (٢٨٦٣)، وابن حبان، حديث (٦٢٣٣)، وانظر (صحيح الترمذي).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (٧٤٠٥)، ومسلم، حديث (٢٦٧٥)، (من حديث أبي هريرة).

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] قال هو الشيطان جاثم على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس فإذا غفل وسوس.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل شيء صقال وصقال القلب ذكر الله تعالى»[1].

وعن إبراهيم النخعى أنه قال: إذا دخل الرجل بيته فسلم قال الشيطان: لا مقيل. يعنى: لم يبق لى ههنا موضع قرار. وإذا أتى بطعام فذكر الله تعالى قال الشيطان: لا مقيل ولا معطم ولا مشرب، فيخرج خائبًا.

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: بسم الله، فإن نسى فى أوّله فليقل باسم الله في أوله وآخره»[2].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: «إذا أكل أحدكم طعامًا ولم يقل بسم الله أكل الشيطان معه، وإذا ذكر اسم الله تعالى منع الشيطان من بقية طعامه وتقايأ ما أكل واستأنف طعامًا جديدًا».

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أحمد ابن محمد قال: حدثنا نصر بن يحيى قال: حدثنا أبو مطيع عن الربيع بن بدر عن أبى محمد، وكان أبو محمد رجلاً من أصحاب أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال إبليس لربه: أى رب جعلت لبنى آدم بيوتًا يذكرونك فيها فما بيتى؟ قال: الحمام. قال: فجعلت لهم مجالس فما مجلسى؟ قال: السوق. قال: فجعلت لهم قراءة فما قراءتي؟ قال: الشعر. قال: فجعلت لهم حديثًا فما حديثى؟ قال: الكذب. قال: فجعلت لهم أذانًا فما أذانى؟ قال: المزمار. قال: فجعلت لهم رسلاً فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فجعلت لهم كتابًا فما كتابى؟ قال: الوشم. قال: فجعلت لهم مصائد فما مصائدى؟ قال: النساء. قال: فجعلت لهم طعامًا فما طعامي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمى. قال: فجعلت لهم شرابًا فما شرابى؟ قال: كل مسكر.

وعن الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه أنه قال: جاء رجل فقال: أوصنى بشيء فقال له فضيل: احفظ عنى خمسًا: أولها: أن ما أصابك من شيء فقل ذلك بقضاء الله تعالى حتى تدفع الملامة عن الخلق. والثانى: احفظ لسانك لينجو كل الخلق منك وأنت تنجو من عذاب الله تعالى. والثالث: صدق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكون مؤمنًا. والرابع: استعدّ للموت حتى لا تموت غافلاً. والخامس: اذكر الله كثيرًا حيثما كنت حتى تكون محصنًا من جميع السيئات.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (٥٢٢) (من حديث ابن عمر).

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود، حديث (٣٧٦٧)، والترمذي، حديث (١٨٥٨)، وابن ماجه، حديث (٣٢٦٤)، وانظر صحيح أبي داود.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه رأى رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا فوقف عليه وقال: أهذا كلام ترجو فيه الثواب؟ فقال الرجل: لا. قال: أفتأمن فيه العقاب؟ قال: لا. قال: فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثوابًا ولا تأمن فيه عقابًا؟ عليك بذكر الله تعالى.

وقال كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه: إنا نجد فى كتاب الله تعالى المنزل على أنبيائه: إن الله تعالى يقول: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته فوق ما أعطى السائلين» [1].

وقال فضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه: إن البيت الذى يذكر فيه اسم الله تعالى يضيء لأهل السماء كما يضيء المصباح لأهل البيت المظلم، وإن البيت الذى لا يذكر فيه اسم الله تعالى يظلم على أهله.

وروى فى الخبر أن موسى عليه السلام قال: يا رب، كيف لى أن أعلم من أحببت ممن أبغضت؟ قال: يا موسى، إنى إذا أحببت عبدًا جعلت فيه علامتين. قال: يا رب، وما هما؟ قال: ألهمه ذكرى لكى أذكره فى ملكوت السموات والأرض، وأعصمه عن محارمى وسخطى كى لا يحل عليه عذابى ونقمتى، يا موسى، وإنى إذا أبغضت عبدًا جعلت فيه علامتين. قال: يا رب، وما هما؟ قال: أنسيه ذكرى وأخلى بينه وبين نفسه لكى يقع فى محارمى بسخطى فيحل عليه عذابى ونقمتى.

وروى أبو المليح عن أبيه: أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ كان رديفه على دابة فعثرت بهما الدابة فقال الرجل: تعس الشيطان. فقال النبى ﷺ «لا تقل تعس الشيطان فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون ملء البيت، ولكن قل بسم الله فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب» [2].

وروى داود بن قيس رضى الله تعالى عنه عن نافع عن جبير أن النبى ﷺ قال: «كفارة المجلس إذا أراد أحدكم أن يقوم من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه إلى يوم القيامة، وإن كان مجلس لغو كان كفارة لما قبله» [3].

قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بإسناده عن محمد بن واسع قال: قدمت مكة فلقيت أخا سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة». قال: فقدمت خراسان فأتيت قتيبة بن مسلم

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي بنحوه، حديث (٢٩٢٦)، وانظر ضعيف الترمذي.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود، حديث (٤٩٨٢)، وانظر صحيح أبي داود.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، حديث (٣٤٣٣)، وانظر صحيح الجامع، رقم (٦٤٣٠).

فقلت: قد أتيتك بهدية. فحدثه بالحديث فكان قتيبة يركب فى موكب حتى يأتى السوق فيقول بهذه الكلمات ثم ينصرف[١].

(قال الفقيه) رحمه الله: اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارًا وجعل لها أوقاتاً، ولم يجعل لذكر الله تعالى مقدارًا ولا وقتًا، وأمر بالكثرة بغير مقدار وهو قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] يعنى: اذكروه فى جميع الأحوال.

وتفسير الذكر فى الأحوال كلها أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: إما أن يكون فى الطاعة، أو فى المعصية، أو فى النعمة، أو فى الشدة، فإن كان فى الطاعة فينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأل منه القبول، وإن كان فى المعصية فينبغى أن يدعو الله بالامتناع ويسأله التوبة، وإن كان فى النعمة يذكره بالشكر، وإن كان فى الشدة يذكره بالصبر.

واعلم أن فى ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله تعالي.

والثانى: أنه يزيد فى الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حرزًا من الشيطان إذا كان ذاكرًا لله تعالى.

والرابع: أن فيه رقة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصى. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

٥٢ - باب الدعاء

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا أبى قال: حدثنا أبو بكر بن إبراهيم قال: حدثنا سالم بن أبى مقاتل القاضى عن أبى معشر عن محمد بن كعب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: من رزق خمسًا لم يحرم خمسًا: من رزق الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] ومن رزق الاستغفار لم يحر م المغفرة لقوله تعالي: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقد روى السادس من رزق الإنفاق لم يحرم الخلف لقوله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقد روى السابع: ومن أعطى الجهد لا يحرم التوفيق، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي، حديث (٣٤٢٨)، وابن ماجه، حديث (٢٢٣٥)، وانظر صحيح الترمذي.

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن ليث عن زياد بن المغيرة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له فى الدنيا، وإما أن يدخر له فى الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»(١).

وعن يزيد الرقاشى رضى الله عنه أنه قال: إذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى كل دعوة دعا بها العبد فى الدنيا فلم يجب بها، فيقول له: عبدي، دعوتنى يوم كذا فأمسكت عليك دعوتك فهذا الثواب مكان ذلك الدعاء، فلا يزال العبد يعطى من الثواب حتى يتمنى أنه لم يكن أجابه في الدنيا دعوة قط.

وروى النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة». ثم قرأ قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠](٢).

وقال أبو ذر الغفارى: يكفى من الدعاء مع البر مثل ما يكفى الطعام من الملح.

وعن الحسن البصرى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل» قالوا: وكيف يستعجل يا رسول الله؟ قال: «يقول دعوت الله ودعوت فلم يستجب لى»(٣).

وعن الحسن أنه دخل على أبى عثمان النهدى يعوده وهو مريض فقال لأبى عثمان: يا أبا عثمان ادع الله بدعوات فقد بلغك فى دعاء المريض ما قيل فيه. قال: فحمد الله وأثنى عليه وتلا آيات من كتاب الله تعالى وصلى على النبى ﷺ ثم رفع يده ورفعنا أيدينا فدعا، فلما وضعنا أيدينا قال: أبشروا فوالله لقد أستجاب الله لكم. فقال له الحسن: أتأتلى على الله؟ قال: نعم يا حسن، لو حدثتنى بحديث لصدقتك فكيف لا أصدقه وهو يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فلما خرجوا قال الحسن إنه لأفقه.

وذكر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: أى ساعة أدعوك يا رب فتستجيب لى فيها؟ فقال: أنت عبدى وأنا ربك فمتى دعوتنى أستجب لك. فعاوده مرارًا فقال له ربه: ادعنى فى كبد الليل؛ فإنى أستجيب وإن دعانى فيها عشار.

وذكر أن رابعة العدوية خرجت إلى المقبرة فاستقبلها رجل فقال لها: ادعى الله لي. فقالت:

---

(١) **حسن صحيح:** أخرجه الترمذي، حديث (٣٥٧٣)، وانظر صحيح الترمذي.
(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود، حديث (١٤٧٩)، والترمذي، حديث (٣٣٧٢)، وابن ماجه، حديث (٣٨٢٨)، وانظر صحيح أبي داود.
(٣) **صحيح:** أخرجه البخاري، حديث (٦٣٤٠)، ومسلم، حديث (٢٧٣٥) (من حديث أبي هريرة).

يرحمك الله أطع الله وادعه فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال : «يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»(١) .

وعن جعفر بن برقان عن صالح بن يسار قال : يقول الله تعالى : تدعوننى وقلوبكم معرضة عنى ، فباطل ما تذهبون .

وقيل لبعض الحكماء : إنا لندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ . قال : لأن فيكم سبع خصال تمنع دعاءكم من السماء . قيل : وما هن؟ قال :

أولها : أنكم أسخطتم ربكم ولم تطلبوا رضاه . يعنى : إنكم تعملون أعمالاً توجب عليكم السخط من الله بها ولم ترجعوا عن ذلك ولم تندموا على ما فعلتم .

والثانى : أنكم تقولون نحن عبيد الله ولا تعملون عمل العبيد . يعنى : أن العبد يعمل بما أمره سيده ولا يخرج عن أمره .

والثالث : أنكم تقرأون القرآن ولم تتعاهدوا حروفه . يعنى : لا تقرأون بالتفكر والتعظيم ولا تعملون بما أمر الله فيه .

والرابع : أنكم تقولون نحن من أمة محمد ﷺ ولم تعملوا بسنته . يعنى : أنكم تعملون بالرسم - العادة - ولا تعملون بالسنة .

والخامس : أنكم تقولون إن الدنيا عارية ، وقد اطمأننتم إليها .

والسادس : أنكم تقولون إنها زائلة وأعمالكم أعمال المقيمين بها .

والسابع : أنكم تقولون إن الآخرة خير من الدنيا ولا تجتهدون فى طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة .

(قال الفقيه) رحمه الله : ينبغى لمن دعا الله أن يكون بطنه طاهرًا من الحرام فإن الحرام يمنع الإجابة .

وقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله ، أدعو الله فلا يستجيب لى دعائى؟ فقال النبى : «يا سعد ، اجتنب الحرام فإن كل بطن دخل فيه لقمة من حرام لا يستجاب دعاؤه أربعين»(٢) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ، حديث (٦٤٩٥) ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩١) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه من لم أعرفهم .

وينبغي لمن دعا أن لا يستعجل

لأن الداعي إذا دعا الرب تبارك وتعالى أجابه الرب عز وجل ألبته وربما تتبين الإجابة من ساعته، وربما تتبين في وقت آخر، وربما تتبين في الآخرة ولا تتبين في الدنيا.

وذكر في الخبر أن موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه بالهلاك، وأمن هارون عليه السلام، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩] قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: كان بين الدعاء وبين الإجابة أربعون سنة.

وروى يزيد الرقاشي رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا ضرب وجهه بالبلاء كما تضرب الغريبة من الإبل عن حياض الماء فيكون مرحومًا في أهل السماء، وما من دعوة يدعو بها إلا أعطاه الله تعالى إحدى خصال ثلاث. . . .»[١]. وقد ذكرناها.

وقال بعض الحكماء: أربعة لا سعادة فيهم:

أحدهم: الذي يبخل بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

والثاني: الذي لا يجيب المؤذن.

والثالث: من استعان به إنسان بخير فلم يعنه.

والرابع: الذي يعجز أن يدعو لنفسه وللمؤمنين دبر صلواته.

وقال عبد الله الأنطاكي رضى الله تعالى عنه:

دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وإخلاء البطن من الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم»[٢]. والله تعالى أعلم.

٥٣ - باب ما جاء في التسبيح

(قال الفقيه): حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم ابن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضل الضبي عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣].

قال: وحدثني الثقة بإسناده عن خالد بن عمران: أن النبي ﷺ خرج على قومه فقال: «خذوا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود، حديث (١٤٨٥)، وانظر ضعيف أبي داود.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٦٤٠٦)، ومسلم، حديث (٢٦٩٤).

جُنَّتكم». فقالوا: يا رسول الله، أمن عدو حضر؟ قال: «لا بل من النار». قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومجنبات ومعقبات». ومعنى قولهﷺ: «مقدمات». يعنى: يقدمن صاحبهن إلى الجنة. «ومجنبات وهن الباقيات الصالحات»[(١)]. يعنى: يجنبن صاحبهن النار. «ومعقبات». يعنى: حافظات.

قال: وحدثنى الثقة بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: جاء إسرافيل عليه السلام إلى النبىﷺ وقال:

قل يا محمد؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عدد ما علم الله تعالى، وزنة ما علم الله تعالى، وملء ما علم الله تعالى، فمن قالها مرة كتب الله له خمس خصال: كتب من الذاكرين الله كثيرًا، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرسًا فى الجنة، وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحات ورق الشجر اليابس، ونظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه[(٢)].

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: إن الله تعالى لما خلق العرش أمر الحملة بحمله فثقل عليهم فقال الله تعالى: قولوا: سبحان الله. فقالت الملائكة: سبحان الله. فتيسر عليهم حمله، وجعلوا يقولون طول الدهر: سبحان الله. إلى أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام، فلما عطس آدم عليه السلام ألهمه الله تعالى قول الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمكم ربك ولهذا خلقتك. فقالت الملائكة: كلمة ثانية جليلة شريفة لا ينبغى لنا أن نتغافل عنها فضمتها إلى هذه فقالوا على طول الدهر: سبحان الله والحمد لله. إلى أن بعث الله نوحًا عليه السلام، فكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح فأوحى الله تعالى إلى نوح أن يأمر قومه أن يقولوا: لا إله إلا الله. فيرضى عنهم، فقالت الملائكة هذه كلمة ثالثة جليلة شريفة لا ينبغى لنا أن نتغافل عنها. فضمتها إلى هاتين فجعلوا يقولون على طول الدهر: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله. إلى أن بعث الله إبراهيم عليه السلام فأمره بالقربان ثم فداه بكبش، فلما رأى الكبش قال: الله أكبر. فرحًا بذلك، فقالت الملائكة: هذه كلمة رابعة جليلة شريفة فضمتها إلى هذه الكلمات فجعلوا يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فلما حدث جبريل عليه السلام بهذا الحديث النبىﷺ قال تعجبًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) **صحيح:** أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (١٩٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (٦٠٦)، (من حديث أبي هريرة). وانظر «**صحيح الجامع**» رقم (٣٢١٤).

(٢) ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٩٠) وقال: رواه ابن ماجه باختصار، ورواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عمر بن راشد اليمامي وقد وثق على ضعفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

العلى العظيم» . فقال جبريل عليه السلام: اضمم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب الله عبدًا أعطاه الإيمان، فمن ضن بالمال أن ينفقه وخاف العدو أن يجاهده وهاب الليل أن يكابده فليكثر من قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله (١). وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺأنه قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» (٢). وروى سمرة بن جندب عن النبى ﷺأنه قال: «أفضل الكلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت» (٣). وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا سمع سائلاً يسأل شيئًا ويقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فيقول عبد الله بن مسعود: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقال: هذا هو القرض الحسن .

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: يعنى: إذا كان الرجل معسرًا ولم يكن معه شيء يتصدق به فليقل هذه الكلمات فينال فضل الصدقة. وروى فى الخبر أن النبى ﷺحث أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون، وأبو أمامة الباهلى جالس بين يدى النبى ﷺوهو يحرك شفتيه فقال له رسول الله ﷺ: «إنك تحرك شفتيك فماذا تقول عند ذلك؟» . فقال أبو أمامة الباهلى: يا رسول الله، أرى الناس يتصدقون وليس لى شيء أتصدق به فأقول فى نفسى: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فقال النبى ﷺ: «يا أبا أمامة، هذه الكلمات خير لك من مُدِّ ذهب تتصدق به على المساكين» (٤). والله أعلم .

٥٤ - باب فضل الصلاة على النبى ﷺ

(قال الفقيه) أبو الليث: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا ابن أبى فديك عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنهما عن جده محمد بن عبد الرحمن أن النبى ﷺقال: «ما منكم من أحد سلم عليّ إذا مت إلا جاءنى جبريل فقال جبريل: يا محمد، هذا فلان ابن فلان يقرئك السلام. فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته» (٥).

قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، حديث (٨٩٩٠)، وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٩) وقال: رواه الطبراني موقوفا، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢٦٩٥)، والترمذي، حديث (٣٥٩٧) .

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم، حديث (٢١٣٧)، وابن ماجه، حديث (٣٨١١) .

(٤) أخرجه ابن حبان، حديث (٨٣٠)، والطبراني في الكبير، حديث (٨١٢٢) .

(٥) **حسن**: أخرجه أبو داود بنحوه، حديث (٢٠٤١)، (من حديث أبي هريرة) وانظر «**صحيح أبي داود**» .

عمر: بلغني أن الدعاء يحبس بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك عليه الصلاة والسلام[١] .

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر رضى الله تعالى عنه حدثنا أبو بكر بن أبي يزيد وفي نسخة سعيد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سلمة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين» ثم صعد فقال: «آمين» ثم صعد فقال: «آمين» ثم استوى فجلس، فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمنت ثلاثًا؟ قال: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله. قلت: آمين. وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله. قلت: آمين. قال: ومن ذكرت عنده فلم يصلِ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله. قلت: آمين»[٢] .

وروى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «من صلى على في اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها في الآخرة وثلاثين في الدنيا»[٣] .

وعن سعيد بن عمير الأنصاري وكان بدريًا - أي قاتَلَ يوم بدر - قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى على من أمتي مخلصًا من قلبه صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، ورفع له عشر درجات، ومحا عنه عشر سيئات»[٤] .

قال: وسمعت أبي يحكى قال: كان سفيان الثوري بينما هو يطوف إذ رأى رجلاً لا يرفع قدمًا ولا يضع قدمًا إلا وهو يصلى على النبي ﷺ قال: قلت له: يا هذا، إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ هل عندك في هذا شيء؟ قال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثوري. قال: لولا أنك غريب من أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي، ولا أطلعتك على سرى، ثم قال لي: خرجت أنا ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدى فقمت لأعالجه، فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه إذ مات والدى واسود وجهه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فجذبت الإزار على وجهه فغطيته، فغلبتني عيني فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجهًا ولا أنظف منه ثوبًا ولا أطيب منه ريحًا يرفع قدمًا ويضع أخرى حتى دنا من والدي، فكشف الإزار عن وجهه فأمَرَّ يده على وجهه فابيض ثم ولى راجعًا فتعلقت بثوبه فقلت: ياعبد الله، من أنت الذى مَنَّ الله على والدى بك في أرض الغربة؟ قال: أو ما تعرفني؟ أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفًا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على، فلما نزل به ما نزل

(١) **حسن:** أخرجه الترمذي، حديث (٤٨٦)، وانظر صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه ابن حبان، حديث (٤٠٩)، (من حديث عمار بن ياسر).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، حديث (٣٠٣٥)، (من حديث أنس) بلفظ: «... **من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا...**».

(٤) **صحيح:** أخرجه النسائي في «الكبرى»، حديث (٩٨٩٢)، وانظر «**السلسلة الصحيحة**» رقم (٣٣٦٠).

استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على، فانتبهت فإذا وجه أبى أبيض.

وروى عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر أن النبى ﷺ قال: «من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة»(١).

وعن أبى بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال: «أربع من الجفاء: أن يبول الرجل وهو قائم، وأن يمسح جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة، وأن يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن، وأن أذكر عنده فلا يصلى عليّ»(٢).

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «صلوا على فإن الصلاة على زكاة لكم، واسألوا الله لى الوسيلة». قالوا: وما الوسيلة يا رسول الله؟ قال: «أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأنا أرجو أن يكون أنا هو»(٣).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالي: معنى قوله ﷺ: «زكاة لكم».

يعنى: طهارة لكم ومغفرة لذنوبكم. فلو لم يكن للصلاة على النبى ﷺ ثواب سوى أنه يرجى بذلك شفاعته لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنها، فكيف وفيها مغفرة الذنوب وفيها الصلاة من الله تعالى.

وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات»(٤).

وإذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبى ﷺ أفضل من سائر العبادات فانظر وتفكر فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ففى سائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها، وأما الصلاة على النبى ﷺ فقد صلى عليه بنفسه أولاً وأمر ملائكته بالصلاة عليه، ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه، فثبت بهذا أن الصلاة على النبى ﷺ أفضل العبادات.

وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال: قلنا: يا رسول الله، كيف نصلى عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد،

(١) حسن صحيح: أخرجه ابن ماجه، حديث (٩٠٨)، (من حديث ابن عباس) وانظر صحيح ابن ماجه، وأخرجه ابن أبي شيبة حديث (٢١٧٩٣)، (من حديث أبي جعفر).

(٢) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (١٥٠١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٢/ ٢٨٥)، (من حديث أبي هريرة).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي، حديث (٣٦١٢)، وأحمد، حديث (٧٥٤٤)، وانظر «صحيح الجامع»، رقم (٣٦٣٦).

(٤) صحيح: أخرجه النسائي، حديث (١٢٩٧)، وأحمد، حديث (١١٥٨٧)، وانظر صحيح النسائي.

كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[١].

وقال بعضهم: الصلاة على النبي ﷺ أن يقول: اللهم صليتُ كما صليتَ أنت وملائكتك على محمد.

وقال بعضهم: الصلاة عليه أن يقول: اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك أنى أصلى على محمد.

وقال بعضهم: أن يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

٥٥ - باب ما جاء فى فضل لا إله إلا الله

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندي: رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الإفريقى عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه، فيوضع فى كفة الميزان ثم يخرج قرطاس مثل أنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيوضع فى الكفة الأخرى فيرجح على خطاياه»[٢].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو مولى المطلب عن المطلب بن حنطب أن النبى ﷺ قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله»[٣].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا عبد الله بن حبان حدثنا أبو جعفر عن محمد بن عبد الله المنادى البغدادى حدثنا إبراهيم ابن هدبة عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل عليّ جبريل عليه السلام وهو يتلو هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال النبى ﷺ: «يا جبريل، كيف يكون الناس يوم القيامة؟» قال: يا محمد، يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها ذنب قط، فإذا زفرت جهنم زفرة تتعلق الملائكة بالعرش ويقول كل ملك: يا رب، لا أسألك إلا نفسى، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، قال: «يا جبريل وما العهن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٦٣٥٧)، ومسلم، حديث (٤٠٦)، وأبو داود حديث (٩٧٦)، والترمذي، حديث (٤٨٣)، والنسائي، حديث (١٢٨٨)، وابن ماجه، حديث (٩٠٤).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث (٣٣٩).

(٣) **حسن**: جزء من الحديث أخرجه الترمذي، حديث (٣٥٨٥)، (من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده). وانظر صحيح الترمذي.

المنفوش؟» قال: يعنى الصوف المندوف، وتذوب الجبال من مخافة جهنم يا محمد، فيجاء بجهنم يوم القيامة، وهى تزفر زفرة، عليها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك حتى توقف بين يدى الله عز وجل فيقول لها: يا جهنم، تكلمى فتقول: لا إله إلا الله، وعزتك وعصمتك لأنتقمن لك اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك، لا يجاوزنى إلا من عنده جواز. قال النبى ﷺ «يا جبريل، وما الجواز يوم القيامة؟» قال: أبشر يا محمد، فإن أمتك يوم القيامة على الجواز، ألا من شهد أنه لا إله إلا الله فقد جاز من جسر جهنم. فقال النبى ﷺ: «الحمد لله الذى ألهم أمتى شهادة أن لا إله إلا الله»[١].

وروى عن عطاء بن أبى رباح قال: سألت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن قول الله عز وجل: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: الواجب على كل إنسان أن يكثر من قول لا إله إلا الله، ويسأل الله تعالى فى آناء الليل وأطراف النهار أن لا ينزع منه الإيمان وهذا القول منه، ويحفظ نفسه من المعاصى فإن كثيرًا من الناس يقولون هذا القول ثم ينزع منهم فى آخر عمرهم بسبب أعمالهم الخبيثة، ويخرجون من الدنيا على الكفر نعوذ بالله، وأى مصيبة أعظم من هذا، إن الرجل كان اسمه من المسلمين فى جميع عمره فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين، فهذا هو الحسرة كل الحسرة، وليست الحسرة بالذى يخرج من الكنيسة أو من بيت النار فيدخل جهنم، ولكن الحسرة بالذى يخرج من المسجد فيطرح فى النار وذلك كله بسبب أعماله الخبيثة وارتكابه المحرمات فى السرائر، فرب رجل وقع فى يده شيء من أموال الناس فيقول: أنفقها ثم أردها أو أستحل منهم فيموت قبل أن يرضى خصمه، ورب إنسان وقع منه بينه وبين امرأته حرمة فيقول: كيف أدعها وبيننا أولاد، فيصر على ذلك فيأتيه الموت وهو على الحرام، وربما ينزع منه الإيمان بسبب ذلك، فانظر يا أخى واجتهد فى إصلاح أمرك قبل أن يأتيك الموت، فإنك لا تدرى متى يأتيك الموت.

واعلم أن العمر قليل والحسرة طويلة، وعليك أن تكثر من قول لا إله إلا الله، وأن تعمل ما هو شكر لهذا النعمة العظيمة، فإن النعمة تبقى مع الشكر وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى: لا إله إلا الله ثمن الجنة.

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله، هل للجنة ثمن؟ قال «نعم، لا إله الا الله»[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله من أسبق الناس إلى شفاعتك؟ قال

---

(١) **في مسنده:** إبراهيم بن هدبة، قال عنه ابن عدي. مجهول يأتي بالبواطيل، انظر ميزان الاعتدال (١/ ١٩٩).
(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ٣٨).

«من قال لا إله إلا الله خالصًا من نفسه»[١] .

وعن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] قال: إذا أخرج من النار من قال لا إله إلا الله قال المشركون: يا ليتنا كنا مسلمين.

وعن عطاء فى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩] يعني: من قال لا إله إلا الله فله الجنة ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] يعنى من جاء بالشرك.

وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] قال: هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى ﷺ يومًا فقال: يا محمد، إن الرب يقرئك السلام وهو يقول: ما لى أراك مغمومًا حزينًا -وهو أعلم به- فقال: «يا جبريل، لقد طال تفكرى فى أمر أمتى يوم القيامة» قال: يا محمد، فى أمر أهل الكفر أم فى أمر أهل الإسلام؟ قال: «يا جبريل، لا بل فى أمر أهل لا إله إلا الله» قال: فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة من بنى سلمة، فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله. فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، الحمد لله رب العالمين. فقال له جبريل: عد فعاد كما كان، ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت، فقال: قم بإذن الله. فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول: واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه. فقال له: عد فعاد كما كان، ثم قال جبريل: هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدمًا» قالوا: يا رسول الله، فإن قالها فى حياته؟ قال «هى أهدم وأهدم»[٢] .

وعن النبى ﷺ أنه قال: «احضروا موتاكم فلقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم العليم من الرجال والنساء يحار عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحبة، ولا تقنطوهم فإن الكرب شديد والأمر عظيم، والذى نفس محمد بيده لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف»[٣] .

وروى فى الخبر أن رجلاً كان فى بنى إسرائيل من أعبد الناس وكان فى زمنه رجل آخر من أفجر الناس، فمات العابد فقيل لموسى عليه السلام، إنه فى النار. ومات الفاجر فقيل لموسى عليه السلام: إنه من أهل الجنة. قال موسى عليه السلام لامرأة العابد: ما كان عمله؟ قالت: كان من أعبد الناس وما يخفى عليكم. فقال: وما كان عمله أيضًا؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه قال:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري، حديث (٩٩) بلفظ: أسعد الناس.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، حديث (٦٠٤٨).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٦) بنحوه.

طوبى لنا إن كان ما جاء به موسى حقًا، وقال لامرأة الفاجر: ما كان عمله؟ قالت: كان أفجر الناس وما خفى عليكم. فقال: وما كان عمله أيضًا؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه قال: لا إله إلا الله والحمد لله على ما جاء به موسى عليه السلام. وعن النبى ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله خرج من فيه طير أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت، فعرج إلى السماء فيسمع له دوى تحت العرش كدوى النحل، فيقال له: اسكن فيقول: لا حتى تغفر لصاحبى فيغفر لقائلها، ثم يجعل بعدها لذلك الطير سبعون لسانًا يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطير فأخذ بيد صاحبه حتى يكون قائده ودليله إلى الجنة»[١].

وروى فى الخبر أن الله تعالى لما أغرق فرعون وأنجى موسى عليه السلام، قال موسى: يا رب، دلنى على عمل أعمله يكون شكرًا لما أنعمت عليّ؟ قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، وكان موسى يطلب الزيادة، فقال: يا موسى، لو وضعت سبع سموات وسبع أرضين فى كفة الميزان، ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى لرجح لا إله إلا الله.

وعن مجاهد قال: ثلاث لا يحجبهن عن الله شيء، شهادة أن لا إله إلا الله، ودعوة موقن بالإجابة ودعوة الوالد لولده، ودعوة المظلوم على الظالم.

وروى عن أحد الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه قال: من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصًا ومدها بالتعظيم، كفر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب؟ قال: يغفر من ذنوب أهله وجيرانه[٢].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: يقال: من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف وعند الملائكة شريف، وغفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ويجد حلاوة الطاعة وتكون حياته ومماته خيرًا له:

أولها: أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله.

والثانى: أن يقول بعد الفراغ من كل شيء الحمد لله.

والثالث: إذا جرى على لسانه لغو أو عمل سواءًا قل أو كثر يقول بعده أستغفر الله.

والرابع: إذا أراد أن يقول أفعل غدًا كذا فيقول على أثره إن شاء الله.

والخامس: إذا استقبله مكروه يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

والسادس: إذا أصابته مصيبة فى النفس أو فى المال قل أو كثر يقول إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٤٦).

(٢) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٥٤٦٤)، (من حديث أنس) بلفظ: (من قال لا إله إلا الله ومدها هدرت له ألف ذنب من الكبائر).

والسابع: لا يزال يجرى على لسانه فى آناء الليل وأطراف النهار لا إله إلا الله .

وروى عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال : حدثنا من سمع معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه لما حضرته الوفاة يقول : اكشفوا عنى فإنى سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لم يمنعنى أن أحدثكم به إلا أن تتكلموا به سمعت النبى ﷺ يقول : «من قال لا إله إلا الله مخلصًا موقنًا دخل الجنة»[١] .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «من لقن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢] .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[٣] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : بإسناده عن زيد بن أسلم عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهم : عن النبى ﷺ أنه قال : «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح عليه السلام ابنه؟ قال : يا بنى ، آمرك بأمرين وأنهاك عن أمرين : آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فإن السماء والأرض لو جعلتا فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة أخرى لوزنتها ، وآمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الملائكة ودعاء الخلق وبها يرزق الخلق . وأنهاك أن تشرك بالله شيئًا فإن من أشرك بالله شيئًا فقد حرم الله عليه الجنة ، وأنهاك عن الكبر فإنه لا أحد يدخل الجنة وفى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[٤] .

وروى فى الخبر : «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة»[٥] فقد اشترط فى هذا القول الإخلاص ولا يكون الإخلاص إلا أن يمنعه ذلك القول من الذنوب . فإن كان القول لا يمنعه من الذنوب فليس بمخلص ، ويخاف أن يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تسترد منه .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : الناس فى إيمانهم على ضربين : منهم من يكون إيمانه له عطاء ، ومنهم من يكون إيمانه له عارية ، فالعلامة فى ذلك أن الذى يكون إيمانه عطاء يمنعه إيمانه من الذنوب ويرغبه فى الطاعات ، والذى هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات ، لأنه لا تدبير له فى مكان هو فيه عارية .

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «لا إله إلا الله ثمن الجنة» وفى خبر آخر «مفتاح الجنة»[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد، حديث (٢١٥٥٥)، والحميدى في مسنده، حديث (٣٦٩).

(٢) أخرجه أحمد، حديث (١٥٤٦٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٢)، وقال: رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب وفيه كلام لاختلاطه .

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود، حديث (٣١١٦)، وانظر صحيح أبي داود.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث (١١٥١).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولكن المفتاح لابد له من الأسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الذنوب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصى.

وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمنى عملاً يقربنى إلى الجنة ويباعدنى عن النار؟ قال: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشر أمثالها» فقلت: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال «هى من أحسن الحسنات»(١).

وروى سلمة بن زيد عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال: يندرس الإسلام حتى لا يدرى أحد ما الصلاة وما الصيام، حتى إن الرجل ليقول: كان من قبلنا من يقول لا إله إلا الله، فنحن نقول لا إله إلا الله. قيل له: فما يغنى عنهم لا إله إلا الله؟ قال: ينجون بها من النار ويدخلون بها الجنة قالها ثلاثا.

٥٦ - باب ما جاء فى فضل القرآن

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المعلى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم أنه قال: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٢).

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: معنى قوله شافع مشفع يعنى: يطلب الشفاعة لصاحبه وتعطى له الشفاعة، والماحل الساعى يعنى: يسعى لصاحبه أنه لم يقرأه ولم يعمل به فيصدق قوله، فمن جعله أمامه يعنى: يقرأه ويعمل به قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه يعنى: جفاه فلم يقرأه ولم يعمل به ساقه إلى النار يوم القيامة.

وبهذا الإسناد عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن نافع بن عبد الحارث وكان عامل عمر رضى الله تعالى عنه على مكة فخرج يتلقى عمر فى بعض حجاته، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: من استعملت على مكة؟ قال: عبد الرحمن بن أبى أبزى. قال له عمر رضى الله تعالى عنه: تستعمل رجلاً من الموالى على قريش؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنى لم أدع خلفى أحدًا أقرأ للقرآن منه. قال له عمر رضى الله تعالى عنه: نعم إن الله تعالى رفع بالقرآن رجالاً ووضع رجالاً، وإن عبد الرحمن ابن أبى أبزى ممن رفعه الله بالقرآن (٣).

قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمود بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد، حديث (٢٠٩٧٦). وانظر «**صحيح الجامع**» رقم (٦٩٠).
(٢) ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ١٦٤) وقال: رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك.
(٣) **صحيح:** أخرجه مسلم، حديث (٨١٧).

المسيب عن محمد بن عمرو عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهم قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله تعالى ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين، ونور مبين، وشفاء نافع وعصمة لمن تمسك به، ومنجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الترداد، اتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول «ألم» عشرة ولكن الألف عشرة واللام عشرة والميم عشرة[1] .

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «من نفس عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[2] . وروى يزيد بن أبى حبيب عن النبى ﷺ أنه قال: «من استظهر القرآن خفف الله تبارك وتعالى عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين»[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا انه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا من خلق الله تعالى أعطى أفضل مما أعطى فقد حَقَّرَ ما عَظَّمَ الله وعظم ما حقر الله تعالى، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل، ولا يجد فيمن يجد ولكن يعفو ويصفح[4] .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه: ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره يصوم إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغى لحامل القرآن أن يكون باكيًا حزينًا حليمًا سكينًا لينًا، ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلاً ولا صياحًا ولا حديدًا.

وروى معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة هم الغرباء فى الدنيا: القرآن فى جوف الظالم والرجل الصالح فى قوم سوء، والمصحف فى بيت لا يقرأ فيه»[5] .

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٢٠٤٠)، وانظر «**ضعيف الجامع**» رقم (٢٠٢٤).

(٢) سبق تخريجه. (٣) ذكره ابن حبان في المجروحين، حديث (١٠٢٠).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، حديث (٢٠٢٨)، وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ١٥٩) وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك.

(٥) ذكره الديلمي في «**مسند الفردوس**» حديث (٤٣٠١)، (من حديث أبي هريرة) بلفظ (الغرباء في الدنيا أربعة قران في جوف السهر ومسجد في نادي قوم لا يصلون فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح مع قوم سوء). وقال المناوي في فيض القدير: وكذا ابن لال عن أبي هريرة وفيه عبد الله بن هارون الصوري قال الذهبي في الذيل: لا يعرف

وقال محمد بن كعب القرظي: من قرأ القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩][الأنعام: ١٩].

وروى في الخبر: أن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن، فيقال للقارئ يوم القيامة: اقرأ وارق فإن كان معه نصف القرآن يقال له: لو كان عندك زيادة لزدناك[١].

وروى خالد بن بشير عن الحسين بن علي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن في الصلاة وهو قائم فله بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ القرآن في الصلاة قاعدًا كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأ القرآن في غير الصلاة فله بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى شيء من كتاب الله وهو يريد الأجر كتب له بكل حرف حسنة، ومن قرأ القرآن حتى يختمه كانت له عند الله دعوة مستجابة إما معجلة وإما مؤجلة»[٢].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يستخف بحقهن إلا منافق: إمام مقسط، وذو شيبة في الإسلام، وحامل القرآن»[٣].

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: حرضنا رسول الله ﷺ على تعلم القرآن، ثم أخبرنا عن فضله وقال: «تعلموا القرآن». ثم أخبرنا عن فضله، وقال: «إن القرآن يأتي أهله يوم القيامة أحوج ما يكون إليه - قال - فيقدم على صاحبه بأحسن صورة له فيقول: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحبه وتكرمه وكنت تسهر ليلك بي وتدأب نهارك - يعني: من عادتك أن تقرأ نهارك. قال: - فيقول: لعلك القرآن. ثم يقدم على الله فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع تاج الملك على رأسه، ويلبس والداه المسلمان حلتين ما يقوم بهما الدنيا وأضعافهما فيقولا: من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال لهما: بفضل ولدكما بقراءة القرآن أعطيتما ذلك».

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الزهراوين - يعني: البقرة وآل عمران - فإنهما يأتيان أهلهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف بأجنحتهم ويحاجان عن أهليهما - ثم قال -: تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة - يعني: السحرة. ثم قال: - هذا لمن تعلمه ولم يلغ فيه ويعمل به أو لم يجف عنه ولم يستأكل به».

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه قال: من ختم القرآن نهارًا صلت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح. وكانوا يستحبون أن يختموا نهارًا.

قال عبد الله بن المبارك: كانوا يستحبون أن يختم في أيام الصيف في أول النهار. وفي أيام الشتاء

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود، حديث (١٤٦٤)، والترمذي، حديث (٢٩١٤) (من حديث عبد الله بن عمرو) بلفظ (اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). وانظر صحيح أبي داود.

(٢) انظر جمع الجوامع (٨١٨/١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» حديث (٣٢٥٦٢) عن عمار موقوفا.

فى أول الليل حتى تكون الصلاة عليهم أكثر .

وروى قتادة عن أنس بن مالك عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ قال : «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمر طعمه طيب ولا ريح له ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»(١) .

وروى عقبة بن عامر عن النبى ﷺ أنه قال : «المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة»(٢) .

يعنى : إن جهر بالقراءة فنعما هى ، وإن أسر فهو أفضل .

وعن الوليد بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : «عرضت عليّ الذنوب فلم أر فيها شيئًا أعظم من حامل القرآن وتاركه»(٣) .

وعن طلق بن حبيب أن النبى ﷺ قال : «من تعلم القرآن ثم نسيه من غير عذر حط له بكل آية درجة وجاء يوم القيامة مجذومًا مخصومًا»(٤) .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «من تعلم القرآن ثم نسيه من غير عذر جاء يوم القيامة أجذم»(٥) يعنى : مقطوع اليد .

وعن الضحاك قال : ما تعلم القرآن رجل ثم نسيه إلا بذنب يصيبه ثم قرأ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] وأى مصيبة أعظم من نسيان القرآن .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت أبا جعفر رحمه الله قال : حدثنا على بن أحمد حدثنا شاذان بن إبراهيم حدثنا على بن الحسين الحليمى قال : سمعت الحسن بن زياد يقول : سمعت أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه يقول : من قرأ القرآن فى السنة مرتين فقد أدى حقه ، لأن النبى ﷺ عرضه فى كل سنة على جبريل عليه الصلاة والسلام مرة ، وفى السنة التى توفى فيها مرتين(٦) .

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٥٠٢٠)، ومسلم، حديث (٧٩٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود، حديث (١٣٣٣)، والترمذي، حديث (٢٩١٩)، والنسائي، حديث (٢٥٦١)، وانظر صحيح أبي داود.

(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو داود، حديث (٤٦١)، والترمذي، حديث (٢٩١٦)، وانظر ضعيف أبي داود.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (١٩٩٩٧)، وعبد الرزاق، حديث (٥٩٧٠).

(٥) **ضعيف**: أخرجه أبو داود، حديث (١٤٧٤)، وانظر ضعيف أبي داود.

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (٤٩٩٨)، بلفظ : (كان يعرض على النبي كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه).

٥٧ - باب فضل طلب العلم

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو الحسن على بن محمد الوراق حدثنا خشنام بن إسماعيل بن أبى بكر الصوفى حدثنا القاسم محمد بن المهلبى عن عبد الله بن داود عن عاصم بن رجاء عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه فى مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء، جئتك من مدينة رسول الله ﷺ فى حديث بلغنى أنك حدثته عن رسول الله ﷺ، فقال له: ما جئت لتجارة ولا لحاجة ولا جئت إلا لهذا؟ قال: ما جئت إلا لهذا. قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم يستغفر له كل من فى السماوات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»(١).

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن شريك حدثنا إبراهيم ابن عبد الله عن جعفر بن عوف عن أبى العميس عن القاسم قال: قال عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: منهومان لا يشبعان: طالب العلم، وطالب الدنيا وهما لا يستويان، أما طالب العلم فيزداد رضا من الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان، ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وقرأ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧](٢).

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن محمد الوراق حدثنا الفضل بن محمد حدثنا عبد الله ابن صالح المصرى عن معاوية بن صالح عن أبى عبيد عن محمد بن سيرين، قال: دخلت مسجد البصرة والأسود بن سريع يقص على الناس، وقد اجتمع عليه أهل المسجد وخلفه من أهل الفقه جلوس فى ناحية أخري، يتحدثون الفقه ويتذاكرون، فركعت بين الحلقة والذكر، فلما فرغت قلت: لو أتيت إلى الأسود فعسى أن تصيبهم إجابة ورحمة تصيبنى معهم، ثم قلت: لو أتيت حلقة الفقه لعلى أسمع كلمة لم أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أخير نفسى فى ذلك حتى جاوزتهم فلم أقعد مع أحد منهم، فلما كانت تلك الليلة أتانى آت فى المنام فقال: أما إنك لو أتيت الحلقة التى كان يذكر فيها الفقه لوجدت جبريل عليه السلام معهم جالسًا،

قال: حدثنى أبى رحمه الله تعالى قال: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى حدثنا محمد ابن الربيع،

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود، حديث (٣٦٤١)، والترمذي، حديث (٢٦٨٢)، وابن ماجه حديث (٢٢٣)، وانظر صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، حديث (٣٣٢).

حدثنا داود بن سليمان عن جعفر بن محمد عمن حدثه عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلىٰ باب العالم إلا كتب الله له بكل حرف وبكل قدم عبادة سنة، وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة، ويمشى على الأرض والأرض تستغفر له، ويمسى ويصبح مغفورًا له، وشهدت له الملائكة ويقولون: هؤلاء عتقاء الله من النار»[1] .

قال: سمعت الفقيه أبا جعفر رحمه الله تعالى يذكر بإسناده. أن النبى ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكرون الله والآخر يتعلمون الفقه ويدعون الله ويرغبون إليه، فقال ﷺ: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلمًا فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم»[2] .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال: لأن أتعلم مسألة أحب إلىَّ من قيام ليلة، وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: أنتم فى زمن العمل فيه خير من العلم، وسيأتى زمن العلم فيه خير من العمل.

وروى سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «أفضل الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة: طلب العلم، والجهاد، والكسب، لأن طالب العلم حبيب الله، والغازى ولى الله، والكاسب صديق الله»[3] .

وروى أبان عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله، ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله، وإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون له أبو قبيس ذهبًا فأنفقه فى سبيل الله تعالى»[4] .

وقيل لعبد الله بن المبارك: إلى متى يحسن للمرء أن يتعلم؟ قال: ما دام يقبح عليه الجهل يحسن له التعلم، وحكى عن ابن المبارك رحمه الله أنه كان فى حال الموت ورجل عنده يكتب له العلم فقيل له: فى هذه الحالة تكتب العلم؟ فقال: لعل الكلمة التى تنفعنى لم تبلغنى إلى الآن.

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء، حديث (٢٣٥٥) وقال: قال ابن حجر نقلا عن السيوطي: كذب موضوع.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، حديث (٢٢٩)، والدارمي، حديث (٢٢٥١)(من حديث عبد الله بن عمرو) وانظر ضعيف ابن ماجه.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء، حديث (٤٦٢) وقال: رواه ابن لال عن أبي سعيد بلفظ: (أفضل الأعمال الكسب من الحلال).

(٤) في مسنده: أبان بن أبي عياش. قال الجوزجاني في أحوال الرجال (١/ ١٠٣): ساقط، وقال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ٧): قال أحمد بن حنبل: تركوا حديثه.

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: تعلموا العلم، فإن تَعَلُّمَه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، ألا إن العلم سبيل منازل أهل الجنة، وهو المؤنس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة أئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وترغب الملائكة فى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويصلى عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوام الأرض وسباع البر، والبحر والأنعام لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، ويبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار، والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومذاكرته تعدل بالقيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء(١) .

(قال الفقيه) : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بإسناده عن الحسن البصرى رحمهم الله قال: ما أعلم شيئًا أفضل من الجهاد فى سبيل الله إلا أن يكون طلب العلم، فإنه أفضل من الجهاد فى سبيل الله، ومن خرج من بيته فى طلب باب من العلم حفته الملائكة بأجنحتها، وصلت عليه الطيور فى جو السماء، والسباع فى البر، والحيتان فى البحر، وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقًا، ألا فاطلبوا العلم واطلبوا للعلم السكينة والحلم والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء، ولا تختلفوا به إلى الأمراء، ولا تطاولوا به على عباد الله فتكونوا من جبابرة العلماء الذين أدركهم سخط الله فكبهم على مناخرهم فى نار جهنم، اطلبوا علمًا لا يضركم فى عبادة الله، واعبدوا الله عبادة لا تضركم فى طلب العلم، فإنه لا ينتفع بهذا إلا هذا، ولا تكونوا كأقوام تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة، حتى إذا نحلت جلودهم على أجسادهم، خرجوا على الناس بأسيافهم، ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا، وإن العامل بغير علم كالحائد عن الطريق، فهو لا يزداد اجتهادًا إلا ازداد بعدًا، وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه. قيل له: عمن هذا يا أبا سعيد، قال: لقيت فيه سبعين بدريًا واغتربت فى طلبه أربعين يومًا.

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال: أيها الناس، ما لى أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، تعلموا قبل أن يرفع العلم فإن رفع العلم ذهاب العلماء.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن الله لا يرفع العلم بقبض يقبضه، ولكن يقبض العلماء بعلمهم، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالاً فَيُسْألون فيحدثون فضلوا وأضلوا»(٢) .

---

(١) ذكره الديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٢٢٣٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري، حديث (١٠٠)، ومسلم، حديث (٢٦٧٣)

وعن ابن المبارك رضى الله تعالى عنه أنه قيل له: لو أوحى الله إليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟ قال: أطلب فيه العلم.

وعن إبراهيم النخعى قال: لا يزال الفقيه فى الصلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنك لا تلقاه إلا وذكر الله تعالى على لسانه يحل حلالا ويحرم حراما.

ويقال: العلماء سرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.

وروى عن سالم بن أبى الجعد أنه قال: اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فأعتقنى. فقلت فى نفسى: بأى الحرف أحترف، فاخترت العلم على كل الحرف، فلم يمض كثير مدة حتى أنه أتانى الخليفة زائرًا فلم آذن له.

وذكر عن صالح المرى رحمه الله تعالى أنه دخل على أمير المؤمنين فأجلسه على وسادته فقال صالح: قال الحسن وصدق الحسن، فقال له أمير المؤمنين: وأى شيء قال الحسن؟ قال: قال الحسن: إن العلم يزيد الشريف شرفًا، ويبلغ بالعبد منازل الأحرار، وإلا فمن صالح المرى حتى يجلس على وسادة أمير المؤمنين لولا العلم.

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، أنه قال: اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم (١).

وروى ابن المسيب عن أبى بكر عن عون بن عبد الله قال: جاء رجل إلى أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فقال: إنى أريد أن أتعلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به، قال: أما إنك إن توسدت العلم خير لك من أن تتوسد الجهل، ثم ذهب إلى أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه وقال له مثل ذلك فقال أبو الدرداء: إن الناس يبعثون على ما ماتوا عليه، يبعث العالم عالمًا والجاهل جاهلاً، ثم ذهب إلى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال له مثل ذلك فقال له أبو هريرة رضى الله تعالى عنه: ما أنت بواجد شيئًا أضيع له من تركه. وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال «ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه فى الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وإن لكل شيء عمادًا وعماد الدين الفقه» (٢).

وذكر فى الخبر: أن أهل البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: العلم أفضل من المال.

وقال بعضهم: المال أفضل من العلم. فبعثوا رسولاً إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فسأله

---

(١) **موضوع**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» حديث (١٦٦٣) والديلمي في «مسند الفردوس» حديث (٢٣٦). وانظر ضعيف الجامع، حديث (٩٠٦).

(٢) **موضوع**: أخرجه الدارقطني في سننه، حديث (٢٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (١٧١٢). وانظر ضعيف الجامع رقم (٥١٠٤).

عن ذلك؟ فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : العلم أفضل .

فقال الرسول: إن سألونى عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال : قل لهم : إن العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، ولأن العلم لا يعطيه الله إلا من يحبه والمال يعطيه الله لمن أحبه ولمن لا يحبه، بل يعطى لمن لا يحبه أكثر، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف : ٣٣] الآية ولأن العلم لا ينقص بالبذل والنفقة، والمال ينقص بالبذل والنفقة، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، والعالم إذا مات فذكره باق، ولأن صاحب المال ميت، وصاحب العلم لا يموت، ولأن صاحب المال يسأل عن كل درهم من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ وصاحب العلم له بكل حديث درجة فى الجنة .

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : الناس ثلاثة : عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة، وسائر الناس همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح .

وقال: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو مع النفقة والمال تنقصه النفقة، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : العالم والمتعلم فى الأجر سواء، وإنما الناس رجلان عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك .

٥٨ - باب العمل بالعلم

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه : حدثنا الحاكم أبو الحسن على بن الحسين حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا إبراهيم بن رستم حدثنا حفص الأثرى، عن إسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا فى الدنيا، فإذا دخلوا فى الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم»[(١)] .

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا عبد الله ابن نمير عن جعفر بن برقان عن الفرات بن سليمان قال : قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : لا يكون الرجل عالمًا حتى يكون متعلمًا، ولا يكون عالمًا حتى يكون بالعلم عاملاً، وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : ويل للذى لا يعلم مرة، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات .

وعنه أيضًا رضى الله تعالى عنه أنه قال : إنى لا أخاف أن يقال لى يوم القيامة : يا عويمر ماذا

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٤٢١٠)، وابن سفيان في المسند، وذكره العقيلي في ضعفاء الرجال، وقال عنه ابن الجوزي : حديث موضوع، فإبراهيم لا يعرف والعبدي من المتروكين .

علمت؟ لكنى أخاف أن يقال لى يوم القيامة: يا عويمر ماذا عملت فيما علمت؟ وعن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال: من علم وعمل وعلم فذلك الذى يدعى فى ملكوت السموات عظيمًا.

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - أنه قال لعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه: من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به. قال: فما ينفى العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع.

وعن عيسى ابن مريم عليهما السلام: ماذا يغنى عن الأعمى حمل السراج ويستضيء به غيره؟ وماذا يغنى عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذا يغنى عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها؟ وعنه أيضًا عليه الصلاة والسلام قال: ما أكثر الأشجار وليس كلها بمثمر، وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد، وما أكثر الثمار وليس كلها بطيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع، وعن الأوزاعى قال: من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم.

وقال سهل بن عبد الله: الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء كلهم سكرى إلا العاملين بالعلم، والعاملون مغرورون إلا المخلصين، والمخلصون على الخطر(١).

وعن النبى ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا الذى يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الشك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد»(٢).

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه؛ لأن العالم إذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم إياه ولا غيره وإن جمع العلم بالأوقار، لأنه بلغنا أن رجلاً فى بنى إسرائيل جمع ثمانين تابوتًا من العلم. فأوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء أن قل لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لا ينتفع به إلا أن تعمل بهذه الثلاثة الأشياء:

أولها: أن لا تحب الدنيا فإنها ليست بدار المؤمنين.

والثانى: أن لا تصاحب الشيطان فإنه ليس برفيق المؤمنين.

والثالث: أن لا تؤذى المؤمنين فإنه ليس بحرفة المؤمنين.

قال سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه: ليس يحسن على الناس الجهل من عمل بما يعلم فهو من أعلم الناس، ومن ترك العمل بما يعلم فهو الجاهل.

قال: وقد كان يقال: يغفر للجاهل سبعون ذنبًا ما لا يغفر للعالم واحدة.

وذكر فى الخبر أن الملائكة تتعجب من ثلاثة: عالم فاسق يحدث الناس بما لا يعمل به، وقبر

---

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى»، (٥/ ٣٤٥) من كلام ذي النون المصري.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٧٤٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٧٢)، وذكره الجوزي في الموضوعات، (١/ ٢٥٧)، وقال: هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ.

الفاجر يبنى بالجص والآجر، والنقش على جنازة الفاجر.

ويقال: أشد الحسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل له مملوك صالح يدخل الجنة، ومولاه يدخل النار، ورجل جمع المال ومنع منه حقوق الله تعالى فيموت فينفق منه ورثته فى طاعة الله تعالى فينجون به والذى جمعه فى النار، ورجل عالم سوء يحدث الناس ينجو الناسُ بعلمه وهو يصير إلى النار.

وقال رجل للحسن البصرى رضى الله تعالى عنه: إن فقهاءنا يقولون كذا. فقال الحسن: وهل رأيت فقيهًا قط؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

ويقال: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام أكلة الشبهة، وإذا صار العلماء أكلة الشبهة صار العوام أكلة الحرام، وإذا صار العلماء أكلة الحرام صار العوام كفارًا.

(قال الفقيه): لأن العلماء إذا جمعوا الحلال فالعوام يقتدون بهم فى الجمع ولا يحسنون العلم فيقعون فى الشبهة، وأما إذا أخذ العلماء من الشبهة وتحرزوا عن الحرام فيقتدى بهم الجهال ولا يميزون بين الشبهة والحرام فيقعون فى الحرام، وأما إذا أخذ العلماء من الحرام فيقتدى بهم الجهال ويظنون أنه حلال فيكفرون إذا استحلوا الحرام.

ويقال: إذا كان يوم القيامة تعلق الجهال بالعلماء يقولون: أنتم قد علمتم فلم تدلونا ولم تنهونا حتى وقعنا فيما وقعنا. وعن النبى ﷺ أنه سئل أى الناس شر؟ قال «العالم إذا فسد»[(١)]. يقال: إذا فسد العالِم فسد لفساده العالَم. وروى عن بشر بن الحارث أنه كان يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذه الأحاديث، قالوا: كيف نؤدى زكاتها؟ قال: اعملوا من كل مائتى حديث بخمسة أحاديث. وقال بعض الحكماء: تعلم العلم فى زماننا تهمة، والاستماع مؤانسة، والقول به شهوة، والعمل به نزع النفس. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من تعلم العلم لأربع دخل النار: ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يقبل به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء المال والحرمة والجاه والمنزلة»[(٢)].

وقال سفيان الثورى: أول العلم الصمت، والثانى الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج البزار حديثًا بمعناه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ من شرار الناس؟، قال: «شرار الناس شرار العلماء في الناس»، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٥)، وقال: وفي إسناده الخليل بن مرة وهو منكر الحديث.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٥٤)، وابن ماجه مختصرًا، برقم (٢٥٣)، ولم يذكر: «**أو يأخذ به من الأمراء... إلخ**» والدارمي، برقم (٣٦٧)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

وقال أبو الدرداء: كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا، ولا تكن الرابع فتهلك. يعني: ممن لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع.

ويقال: العلماء ثلاثة: أولها: عالم بالله وعالم بأمر الله. والثانى: عالم بالله وليس عالمًا بأمر الله. والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله. فأما العالم بالله وبأمر الله فالذى يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، وأما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله فالذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله فالذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: سمعت أبى رحمه الله قال: سمعت محمد بن جناح قال: قال أبو حفص: يزاد للعالم عشرة أشياء: الحسنة، والخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة فى أموال الناس، والدوام على النظر فى الكتب، وقلة الحجاب، وأن يكون بابه مفتوحًا للوضيع والشريف، فإنه بلغنا أن داود النبى ﷺ إنما ابتلى من شدة الحجاب. قال أبو حفص: عشرة أشياء قبيحة فى عشرة أصناف من الناس: الحدة فى السلطان، والبخل فى الأغنياء، والطمع فى العلماء، والحرص فى الفقراء، وقلة الحياء فى ذوى الأحساب، والفتوة فى الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وإتيان الزهاد أبوابَ أهل الدنيا، والجهل فى العبادة.

قال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إذا كان العالم راغبًا فى الدنيا حريصًا عليها، فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلاً، والفاجر فجورًا، وتقسى قلب المؤمن، وقال بعض الحكماء: كلام الحكماء لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: يعنى أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستظرفون كلامهم فيكون بمنزلة اللهو لهم، وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء فيرون قبح ذلك الكلام فيعتبرون به ويحترزون عن مثل ذلك.

ويقال: همة السفهاء الاستماع، وهمة العلماء الرواية، وهمة الزهاد الرعاية. يعني: يتعاهدون بما فيه ويعملون به، وبالله التوفيق.

٥٩ - باب فضل مجالس العلم

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا أبو القاسم بن محمد ابن روزية حدثنا أبو موسى عيسى بن خنشام حدثنا سويد عن مالك عن إسحاق بن عبد الله عن أبى طلحة عن أبى مرة عن أبى واقد الليثى: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس إليها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال:

«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟»

* فأما الأول فآوى إلى الله فآواه الله .

* وأما الثانى فاستحيا من الله أن يؤذى الناس فاستحيا الله منه، وأما الثالث : فأعرض فأعرض الله عنه»[١] .

قال : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان عن داود بن شابور عن شهر بن حوشب، قال : قال لقمان لابنه : يا بنى، إذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالمًا ينفعك علمك . وإن تك جاهلاً علموك، ولعل الله تعالى يطلع عليهم برحمته فتصيبك معهم، وإذا رأيت قومًا لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالمًا لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزدك غيًا، ولعل الله أن يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى صالح عن أبى هريرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : «إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الأرض فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادوا وقالوا : هلموا إلى بغيتكم . فيجيئون فيحفون بهم، فإذا صعدوا إلى السماء فيقول الله تعالى : على أى شيء تركتم عبادى يصنعون وهو أعلم بهم؟ قالوا : تركناهم يحمدونك ويسبحونك ويذكرونك . فيقول : فأى شيء يطلبون؟ فيقولون : الجنة . فيقول الله عز وجل : هل رأوها؟فيقولون : لا، فيقول : فكيف لو رأوها؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد لها طلبًا وأشد عليها حرصًا . فيقول : من أى شيء يتعوذون؟ فيقولون : يتعوذون من النار، فيقول الله تعالى : هل رأوها؟ فيقولون : لا، فيقول : كيف لو رأوها؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد منها هربًا وأشد منها خوفًا . فيقول : إنى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم . فيقولون : إن فيهم فلانًا الخاطئ لم يردهم وإنما جاءهم لحاجة . فيقول : هم القوم لا يشقى جليسهم»[٢] .

وروى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إن لم يعطك منه أصابك من ريحه . ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرق ثيابك أصابك من دخانه .

وعن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن الله عز وجل كتب كلمتين وضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الخلق، ولم يعلم الملائكة عن علمهما وأنا أعلم بهما .

(١) أخرجه البخاري، برقم (٩٦)، ومسلم، برقم (٢١٧٦)، والترمذي، برقم (٢٧٢٤) .
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٠٨)، ومسلم، برقم (٢٦٨٩)، والترمذي، برقم (٣٦٠٠) .

قيل: يا أبا إسحاق، وما هما؟ قال: إحداهما كتب: لو كان رجل يعمل عمل جميع الصالحين بعد أن تكون صحبته مع الفجار، فأنا الذى أجعل عمله إثمًا وأحشره يوم القيامة مع الفجار. والأخرى: لو كان رجل يعمل عمل جميع الأشرار بعد أن تكون صحبته مع الصالحين والأبرار ويحبهم، فأنا الذى أجعل آثامه حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار.

(قال الفقيه) رحمه الله: ويقال: من انتهى إلى العالم وجلس معه ولا يقدر على أن يحفظ العلم فله سبع كرامات: أولها: ينال فضل المتعلمين. والثانى: ما دام جالسًا عنده كان محبوسًا عن الذنوب والخطايا. والثالث: إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة. والرابع: إذا جلس عنده فتنزل عليهم الرحمة فتصيبه ببركتهم. والخامس: ما دام مستمعًا تكتب له الحسنة. والسادس: تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضا وهو فيهم. والسابع: كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفارة للذنوب ورفعًا للدرجات له وزيادة فى الحسنات.

ثم يكرمه الله تعالى بست كرامات أخرى: أولها: يكرمه بحب شهود مجلس العلماء. والثانى: كل من يقتدى بهم فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. والثالث: لو غفر لواحد منهم يشفع لهم. والرابع: يبرد قلبه من مجلس الفساق. والخامس: يدخل فى طريق المتعلمين والصالحين. والسادس: يقيم أمر الله تعالى لأن الله تعالى قال: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩] يعنى: العلماء والفقهاء هذا لمن لم يحفظ شيئًا، وأما الذى يحفظ فله أضعاف مضاعفة.

(وقال بعض الحكماء) إن لله تعالى جنة فى الدنيا من دخلها طاب عيشه. قيل: ما هى؟ قال: مجلس الذكر.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء»(١).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء.

وروى حميد عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ فقال «ما أعددت لها» قال: ما أعددت لها كثيرًا من صلاة ولا صيام، إلا أنى أحب الله

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٥٨٣)، وذكره الزبيدي في الإتحاف (٥/٩)، وقال: ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل، ولم يخرجه ولده، وكذلك لم أجد له إسنادًا.

ورسوله. فقال النبي ﷺ «المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت» قال أنس: وما رأيت المسلمين فرحوا بشيء كفرحهم بذلك[١].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: ثلاثة أقولهن حقًا لا يتولى الله عبدًا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، وليس من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، والمرء مع من أحب، والرابع لو حلفت عليها لبررت لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر الله تعالى عليه فى الآخرة.

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه دخل السوق فقال: أنتم ههنا وميراث محمد ﷺ يقسم فى المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق. فرجعوا وقالوا: يا أبا هريرة، ما رأينا ميراثًا يقسم. فقال لهم: ما رأيتم؟ قالوا: رأينا قومًا يذكرون الله تعالى ويقرءون القرآن. قال: فذلك ميراث محمد ﷺ.

وعن علقمة بن قيس قال: لأن أغدو على قوم أسألهم عن أوامر الله تعالى أو يسألونى عنها أحب إليّ من أن أحمل على مائة فرس فى سبيل الله تعالى.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعًا، وما قعدت عدة من أهل الأرض يذكرون الله تعالى إلا قعدت معهم عدتهم من الملائكة»[٢].

قال شقيق الزاهد رحمه الله تعالى: الناس يقومون من مجلسى على ثلاثة أصناف: كافر محض، ومنافق محض، ومؤمن محض. قال: لأنى أفسر القرآن فأقول عن الله تعالى وعن رسوله، فمن لم يصدقنى فهو كافر محض، ومن كان يضيق قلبه بهذا فهو منافق محض، ومن ندم على ما صنع ونوى أن لا يذنب بعد هذا فهو مؤمن محض.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: يقال: من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء: من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها، ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بقسمة الله تعالى، ومن جلس مع السلطان زاده الله الكبر وقساوة القلب، ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة والميل إلى عقولهن، ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو والمزاح، ومن جلس مع الفساق زاده الله الجراءة على الذنوب والمعاصى والإقدام عليها والتسويف فى التوبة، ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة فى الطاعات واجتناب المحارم، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦١٧١)، ومسلم، برقم (٢٦٣٩)، والترمذي، برقم (٢٣٨٥).
(٢) أخرجه أحمد مختصرًا، برقم (١٢٤٧٦)، ولم يذكر «...وما قعدت...إلخ»، وأبو يعلى في مسنده، برقم (٤١٤١)، وأورده الهيثمي في المجمع، (١٠/٧٦)، وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه ميمون المرئي وثقه جماعة، وفيه ضعف وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

ويقال: ثلاثة من النوم يبغضها الله تعالى: وثلاثة من الضحك يبغضها الله تعالى: النوم عند مجلس الذكر، والنوم بعد صلاة الفجر وقبل العشاء الآخرة، والنوم فى صلاة الفريضة، والضحك خلف الجنازة، والضحك فى مجلس الذكر، والضحك عند المقابر.

وقال أبو يحيى الوراق: المصائب أربعة: فوت التكبيرة الأولى، وفوت مجلس الذكر، وفوت مواقعة العدو، وفوت الوقوف بعرفات، يعنى: إذا خرج إلى الحج وفاته الحج.

ويقال: مجالسة العلماء مرمة للدين وزين للبدن، ومجالسة الفساق جراحة للدين وشين للبدن.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «النظر فى وجه الوالد عبادة، والنظر فى الكعبة عبادة، والنظر فى المصحف عبادة»[١] والنظر فى وجه العالم عبادة.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: لو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه، فكيف وقد أقام النبى ﷺ العالم مقام نفسه، فقال: «من زار عالمًا فكأنما زارنى، ومن صافح عالمًا فكأنما صافحنى، ومن جالس عالمًا فكأنما جالسنى، ومن جالسنى فى الدنيا أجلسه الله معى يوم القيامة فى الجنة»[٢].

وروى عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه قال: مثل العلماء كمثل النجوم، إذا بدت اهتدوا بها، وإذا أظلمت تحيروا، وموت العالم ثلمة فى الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلفت الليالى والأيام.

٦٠ - باب ما جاء فى الشكر

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى وحدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا محمد بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة عن زكريا بن أبى زائدة عن سعيد بن أبى بردة عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٣].

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله حدثنا محمد بن عقيل حدثنا عياش الدورى حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبى عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يجيء مناد فينادى بصوت يسمعه الخلائق: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٧٨٦٠)، الديلمي في الفردوس، برقم (٦٨٦٧)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة، برقم (٢٨٧) مختصرًا.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٦٨٦٧)، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٨٥): في إسناده كذاب.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٣٤)، والترمذي، برقم (١٨١٦)، وأحمد، برقم (١١٩٩٢).

المضاجع فيقومون، وهم قليل، ثم ينادى ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون، وهم قليل، ثم ينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء فيقومون، وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس»[١].

قال: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسى حدثنا إبراهيم ابن يوسف حدثنا محمد بن عبيد، عن يوسف بن ميمون عن الحسن رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام لربه: يا رب، كيف استطاع آدم أن يؤدى شكر ما صنعت إليه؟ خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسكنته جنتك وأمرت الملائكة فسجدوا له؟ قال: يا موسى، علم آدم أن ذلك منى فحمدنى عليه، فكان ذلك شكرًا لما صنعت إليه.

وروى عن سعيد عن قتادة أن النبى ﷺ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة صالحة»[٢].

ويقال: كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام: اللهم إنى أسألك أربعة وأعوذ بك من أربعة: أما اللواتى أسألك: فلسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وبدنًا صابرًا، وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتي. وأما اللواتى أعوذ بك منهن: فأعوذ بك من ولد يكون عليّ سيدًا، ومن امرأة تشيبنى قبل وقت المشيب، ومن مال يكون وبالاً عليّ، ومن جار لو رأى منى حسنة كتمها ولو رأى منى سيئة أفشاها.

وروى عن معاوية بن أبى سفيان أنه قال لجلسائه: ما العافية فيكم؟ فقال كل واحد منهم شيئًا. فقال معاوية: العافية للرجل أربعة أشياء: بيت يؤويه، وعيش يكفيه، وزوجة ترضيه، ونحن لا نعرفه فنؤذيه. يعنى: لا يعرفه السلطان فيؤذيه لأنه كان خليفة وسلطانًا.

وعن سفيان الثورى رحمه الله تعالى قال: نعمتان إن رزقك الله تعالى إياهما فاحمد الله عليهما واشكره: اجتنابك من باب السلطان، واجتنابك من باب الطبيب وعن بكر بن عبد الله المزنى قال: من كان مسلمًا وبدنه فى عافية فقد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا وسيد نعيم الآخرة، لأن سيد نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام،

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٣].

---

(١) أخرجه معمر بن راشد بنحوه في الجامع، (١١/ ٢٥٤)، وعبد بن حميد في مسنده، برقم (١٥٨١)، والبيهقي في الشعب، برقم (٦٩٣)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية، (٤/ ٣٧٣)، وعزاه لابن إسحاق وأبي يعلى، وسكت عليه البوصيري.

(٢) **ضعيف**: أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (١١٢٧٥)، وفي الأوسط، برقم (٧٢١٢)، والبيهقي في الشعب، برقم (٤٤٢٩)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٧٥٦).،

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٤١٢)، والترمذي، برقم (٢٣٠٤)، وابن ماجه، برقم (٤١٧٠)، وأحمد، برقم (٢٣٤٠)، والدارمي، برقم (٢٧٠٧).

وروى عن أحد التابعين رضى الله تعالى عنه أنه قال: من تظاهرت عليه النعم فليكثر ذكر الحمد لله، ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار، ومن ألح عليه الفقر فليكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان فى الطعام أربعة فقد كمل شأنه كله، إذا كان من حلال، وإذا أكل ذكر اسم الله عليه، ثم تكثر عليه الأيدى، وإذا فرغ منه حمد الله»(١).

وروى الحسن عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أنعم الله على عبد من نعمة صغرت أو كبرت فقال الحمد لله إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذ»(٢).

وعن النبى ﷺ أنه قال: «عجبت لأمر المؤمن أمره كله خير له، إن أصابه خير فشكر كان خيرًا له وإن أصابه شر فصبر كان خيرًا له»(٣).

وعن مكحول رحمه الله تعالى أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال: بارد الشراب، وظل المساكين، وشبع البطون، واعتدال الخلق ولذة النوم، وذكر عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه وعليه مدرعة من صوف وكساء من صوف وثياب من صوف، مجزوز الرأس والشاربين باكيًا متغير اللون من الجوع يابس الشفتين من الظمأ طويل شعر الصدر والذراعين، فقال السلام عليكم، أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر. يا بنى إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم لكم الآخرة، ولا تهينوا الآخرة فتكرم عليكم الدنيا، فإن الدنيا ليست بأهل كرامة، هى تدعو كل يوم إلى الفتنة والخسارة. ثم قال: إن كنتم جلسائى وأصحابى فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء للدنيا، فإن لم تفعلوا فلستم بأصحابى ولا بإخوانى. يا بنى إسرائيل، اتخذوا المساجد بيوتًا والقبور دورًا كونوا كأمثال الأضياف، ألا ترون إلى طيور السماء لا يزرعون، ولا يحصدون والله فى السماء يرزقهم. يا بنى إسرائيل، كلوا من خبز الشعير ومن بقول الأرض، واعلموا أنكم لم تؤدوا شكر ذلك فكيف ما فوق ذلك.

وروى أن سعيد بن جبير قال: أول من يدخل الجنة من يحمد الله فى السراء والضراء.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: اعلم أن الحمد والشكر عبادة الأولين والآخرين، وعبادة الملائكة، وعبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعبادة أهل الأرض، وعبادة أهل الجنة.

فأما عبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو أن آدم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله، وأن

---

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في سننه، وانظر تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٥).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه، برقم (٣٨٠٥)، الطبراني في الأوسط بنحوه، برقم (١٣٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، برقم (٢٠١١).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٩٩)، وأحمد، برقم (٢٣٩٧٥)، من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

نوحًا عليه الصلاة والسلام لما أغرق الله قومه وأنجاه ومن معه من المؤمنين أمره الله تعالى بأن يحمده فقال له : ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٨].

وقال إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم : ٣٩].

وقال داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل : ١٥].

وإن أهل الجنة يحمدون الله تعالى فى ستة مواضع :

أحدها : عند قوله تعالى : ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس : ٥٩] فإذا امتازوا يقولون : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٨].

والثانى : حين جاوزوا الصراط قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر : ٣٤].

والثالث : لما اغتسلوا بماء الحياة نظروا إلى الجنة فقالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا﴾ [الأعراف : ٤٣].

والرابع : حين دخلوها قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر : ٧٤].

والخامس : حين استقروا فى منازلهم قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر : ٣٤، ٣٥] الآية.

والسادس : حين فرغوا من الطعام قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢].

وقال بعض الحكماء : اشتغلت بشكر أربعة أشياء :

أولها : أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق ورأيت بنى آدم أكرم الخلق فجعلنى من بني آدم .

والثانى : فضل الرجال على النساء، فجعلنى من الرجال .

والثالث : رأيت الإسلام أفضل الأديان، وأحبها إلى الله تعالى فجعلنى مسلمًا،

والرابع : رأيت أمة محمدﷺ أفضل الأمم فجعلنى من أمة محمدﷺ .

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبىﷺ قال : «إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم وهم أربعة أصناف : الملائكة والجن والإنس والشياطين، وجعلهم عشرة أجزاء تسعة منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس والشياطين»[١] .

ويقال : الخلق عشرة أجزاء تسعة منها الشياطين والجن، وواحد منها الإنس، ثم جعل الإنس

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، رقم (٩٤٨).

مائة وخمسة وعشرين صنفًا فالمائة منها يأجوج ومأجوج وساتوج ومالوق وغيرهم، وكلهم كفار ومصيرهم إلى النار، وخمسة وعشرون سائر الخلق، واثنا عشر من ذلك الروم والخزر والصقلاب ونحوها، وستة فى المغرب: الزط والحبش والزنج ونحوها، وستة بالمشرق: الترك والخاقان وغز وتغز وخلنج وكيماك ويمك، فهؤلاء كلهم كفار ومصيرهم فى النار إلا من أسلم، وبقى صنف واحد من المسلمين من مائة وخمسة وعشرين صنفًا، فالواجب على كل من كان مؤمنًا أن يحمد الله تعالى على هذا ويعرف نعمته، ويعلم أن الله تعالى قد اختاره من جملة الخلق وجعله من صنف المؤمنين، ثم جعل الصنف الواحد من المسلمين على ثلاثة وسبعين صنفًا اثنان وسبعون من ذلك فى أهواء مختلفة كلهم على الضلالة، وواحد على سبيل السنة.

ويقال: الشكر على وجهين:

شكر عام وشكر خاص، فأما الشكر العام: فهو الحمد باللسان وأن يعترف بالنعمة من الله تعالى، وأما الشكر الخاص فالحمد باللسان والمعرفة بالقلب والخدمة بالأركان وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لا يحل.

وعن محمد بن كعب أنه قال: الشكر العمل لقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] يعنى: اعملوا عملاً تؤدون به شكرًا.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله عنده شاكرًا صابرًا: إحداهما أن ينظر فى دينه إلى من هو فوقه فيقتدى به، وينظر فى دنياه إلى من هو دونه فيحمد الله»[١].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى:

تمام الشكر فى ثلاثة أشياء:

أولها: إذا أعطاك الله شيئًا فتنظر من الذى أعطاك فتحمده عليه.

والثانى: أن ترضى بما أعطاك.

والثالث: ما دام منفعة ذلك الشيء معك وقوته فى جسدك لا تعصه.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: إن لله تعالى من خلقه صفوة إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أنعموا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا.

وروى عن محمد بن كعب القرظى قال: ركب سليمان بن داود عليهما السلام مركبًا فجاء أناس من قومه فقالوا: يا رسول الله، أعطيت شيئًا ما أعطى أحد قبلك.

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الترمذي (بمعناه)، برقم (٢٥١٢)، ابن المبارك في الزهد، برقم (١٨٠)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢٨٣٢).،

قال سليمان عليه السلام: أربع خصال من كن فيه فقد أعطى خيرًا مما أعطى آل داود من الدنيا: خشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الغضب والرضا، وحمد الله فى السراء والضراء. وروى عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه أنه قيل له: أى الناس أنعم؟ قال: جسد فى التراب آمن من العذاب منتظر للثواب.

٦١ - باب فضل الكسب

(قال الفقيه): أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا قبيصة عن سفيان عن الحجاج بن فرافصة عن مكحول عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة وسعيًا على أهله وتعطفًا على جاره، بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا مرائيًا لقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان»[1].

قال: حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد عن نصير بن يحيى قال: حدثنا بعض أصحابنا أن داود النبى صلوات الله تعالى عليه وسلامه كان يخرج متنكرًا فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته فتعرض له جبريل عليه السلام على صورة آدمي، فقال له داود عليه السلام:

يا فتى، ما تقول فى داود؟ فقال: نعم العبد هو غير أن فيه خصلة.

قال: وما هى؟ قال: يأكل من بيت مال المسلمين وما فى العباد أحب إلى الله من عبد يأكل من كد يده، فعاد إلى محرابه باكيًا متضرعًا يقول: يا رب، علمنى صنعة أعملها بيدى تغنينى بها عن بيت مال المسلمين. فعلمه الله تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد حتى كان فى يده بمنزلة العجين، وكان إذا فرغ من القضاء وحوائج أهله عمل درعًا فباعها وعاش هو وعياله بثمنها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] يعني: لتحفظكم من حربكم.

قال: حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم حدثنا نصير بن يحيى حدثنا مكى بن إبراهيم، عن شيخ من أشجع عن ثابت البنانى رضى الله تعالى عنه قال: بلغنى أن العافية عشرة أجزاء تسعة فى السكوت وواحدة فى الفرار من الناس، والعبادة عشرة أجزاء تسعة فى طلب المعيشة وواحدة فى العبادة.

وروى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما فتح الرجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، لأن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٣/ ١١٠)، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠٣٧٤)، وقال أبو نعيم: غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راويًا عنه إلا الحجاج.

يأخذ أحدكم حبلاً فيعمد إلى هذا الوادى، فيحتطب فيه ثم يأتى سوقكم هذا فيبيعه بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(١).

وعن النبى ﷺ أنه قال: «عليكم بالبز فإن أباكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان بزازًا»(٢).
وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ «أن زكريا عليه الصلاة والسلام كان نجارًا»(٣).

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: كان سليمان بن داود عليهما السلام يخطب الناس على المنبر، وإن فى يديه لخوصًا يعمل به القفة أو بعض ما يعمل، فإذا فرغ ناوله إنسانًا وقال: اذهب به وبعه.

وقال شقيق بن إبراهيم فى قوله تعالى ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] إن الله عز وجل لو رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد.

وقال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم واتجروا فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس.

وروى العوام بن حوشب عن أبى صالح مولى عمر رضى الله تعالى عنهم أنه قال: كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة فيجلب واحد ويبيع الآخر، ويغزو الثالث فى سبيل الله تعالى.

قال العوام: فحدثنى أبو صالح ورأيته مرابطًا بالساحل، قال: نحن ثلاثة شركاء، وهذه نوبتى فى الغزو.

قال: وسمعت الفقيه أبا جعفر رحمه الله تعالى قال: روى عن ابن المبارك أنه قال: من ترك السوق ذهبت مروءته وساء خلقه.

وعن إبراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى قال لمحمد بن سلمة: عليك بالسوق فإنه أعز لصاحبه.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال «من غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (بنحوه)، برقم (٩٤١١)، وابن حبان، برقم (٣٣٨٧)، وبمعناه مختصرًا أخرجه البخاري برقم (١٤٧٠)، والترمذي، برقم (٦٨٠)، والنسائي، برقم (٢٥٨٩)، وأحمد، برقم (٩١٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (بنحوه)، (٩/ ٦٣) من قول إسحاق بن يسار.
(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٣٧٩).
(٤) أخرجه مسلم بنحوه، برقم (١٥٥٢)، وأحمد، برقم (١٥٢٣٨)، وابن حبان، برقم (٣٣٦٨).

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لو قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[١].

وعن مكحول رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إياكم أن تكونوا عيابين أو مداحين أو طعانين أو متماوتين»[٢] يعنى: أن يجعل نفسه كالميت لا يشتغل بالكسب.

وعن الأعمش عن أبى المخارق قال: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ مر عليهم أعرابى شاب جلد فقال أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما: ويحه لو كان شبابه وقوته فى سبيل الله كان أعظم لأجره.

فقال رسول الله ﷺ: «إن كان يسعى على أبوين كبيرين ليعينهما فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على أولاده الصغار فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليستغنى عن الناس فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى رياء وسمعة فهو فى سبيل الشيطان»[٣].

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال «إن الله تعالى يحب كل مؤمن محترف أبا العيال، ولا يحب الفارغ الصحيح لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة»[٤].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان النبى ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حوائج أهله فسئل عن ذلك، فقال: «أخبرنى جبريل عليه السلام فقال: من سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو فى سبيل الله»[٥].

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فسأل منه حاجة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما فى بيتك شيء؟» قال: بلى، يا رسول الله، حلس قد تخرق بعضه ونحن نجلس عليه وننام فيه، ونجعل بعضه تحتنا وبعضه فوقنا، وقصعة نأكل فيها ونشرب فيها، ونغسل فيها رؤوسنا. فقال رسول الله ﷺ: «ائتنى بهما جميعًا» فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشترى هذين؟» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم. فقال: «ألا من يزيد على درهم

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، برقم (١٣٠٠٤)، والبزار في كشف الأستار، برقم (١٢٥١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٦٣)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (١٤٢٤).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، برقم (٩٤٠)، وابن المبارك في الزهد، (١/ ١٣٢)، الحديث في إسناده مكحول وهو كثير الإرسال، انظر تقريب التهذيب، (٢/ ٢٧٣).

(٣) أورده الهيثمي في المجمع، (٤/ ٣٢٥)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٤) **ضعيف**: أخرجه الطبراني مختصرًا، برقم (٨٩٣٤)، بلفظ: «**إن الله يحب المؤمن المحترف**» وكذا البيهقي في الشعب، برقم (١٢٣٧)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (١٧٠٤).

(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني في الأوسط، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه جعفر بن محمد، قال عنه النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن عينيه: لم يكن صاحب حديث، انظر ميزان الاعتدال، (١/ ٤١٤).

مرتين؟» فقال رجل آخر: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وقبض الدرهمين، ودفعهما إلى الرجل وقال له: «اشتر بأحدهما طعامًا واحمله إلى منزلك واشتر بالآخر قدومًا وائتني به».

فأتاه فشد له رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال: «انطلق واحتطب وبع ولا أراك خمسة عشر يومًا». فذهب واكتسب عشرة دراهم فاشترى ببعضها طعامًا وببعضها ثوبًا، فقال رسول الله ﷺ: «أليس هذا خيرًا لك من أن تجيء يوم القيامة ومسألتك في وجهك نكتة سوداء لا يمحوها إلا النار»[١].

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلدًا ليس فيها خمسة: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائم، ونهر جار، وطبيب حاذق.

وقيل لبعض الحكماء: ما خير المكاسب؟ قال: أما خير مكاسب الدنيا: فطلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه لعدة العبادة، وتقديم فضل زاد يوم القيامة.

وأما خير مكاسب الآخرة: فعلم معمول به نشرتَه، وعمل صالح قدمته، وسنة حسنة أحييتها.

قيل: وما شر المكاسب؟ قال: أما شر مكاسب الدنيا: فحرام جمعته، وفي المعصية أنفقته، ولمن لا يطيع ربه خلفته. أما شر مكاسب الآخرة: فحق أنكرته حسدًا، ومعصية قدمتها إصرارًا، وسنة سيئة أحييتها عدوانًا، أي: ظلمًا.

٦٢ - باب آفة الكسب والحذر عن الحرام

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندي رضي الله تعالى عنه: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو حفص. عن سعيد عن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إن شئتم لأحلفن أن التاجر فاجر»[٢]. قال قتادة: وكان يقول ﷺ: «عجبت للتاجر أن يتخلص، يحلف بالنهار ويحسب بالليل»[٣].

(قال) حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، عن نصير بن يحيى قال: بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء، والأمراء، والغزاة، وأهل الكسب.

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (١٦٤١)، وابن ماجه، برقم (٢١٩٨)، وأحمد، برقم (١٢١٥٥)، انظر ضعيف سنن أبي داود للألباني.

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (بمعناه)، برقم (١٥٢٤٢)، وكذا الحاكم في المستدرك، برقم (٢١٤٥)، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠١٩٥)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (١٥٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم بنحوه في الزهد، (١/ ٤٠)، من حديث سليمان، والديلمي في الفردوس، برقم (٧١٦٣) والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس رضي الله عنه، وأورده الذهبي في الميزان، (١/ ٣١٦) في ترجمة بشر بن الحسين الأصبهاني، قال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: عامة حديثه ليس بمحفوظ.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: سمعت بعض الزهاد يفسر هذا الكلام فقال: أما الأمراء فهم الرعاة يرعون الخلق، وأما العلماء فهم ورثة الأنبياء وهم يدلون الخلق إلى الآخرة والناس يقتدون بهم، وأما الغزاة فهم جند الله على الأرض لقمع الكفار ولأمن المسلمين، وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق، ثم قال: الرعاة إذا صاروا ذئابا فمن يحفظ الغنم ؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدي الخلق والعلماء يقتدى بهم الخلق، والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمتى يظفرون بالعدو؟ وأما أهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف يأمن بهم الناس؟ .

قال بعض الحكماء: إذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعًا:

أولها: لسان تقى من ثلاثة: من الكذب، واللغو، والحلف.

والثانى: قلب صاف من ثلاث من الغش والخيانة والحسد.

والثالث: نفس محافظة لثلاث: الجمعة والجماعات وطلب العلم فى بعض الساعات وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره.

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: التاجر إذا لم يكن فقيهًا ارتطم فى الربا، يعنى: غرق فى الربا، ثم ارتطم ثم ارتطم.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: من لم يتفقه فى الدين فلا يتجرن فى أسواقنا.

وقال سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه: لا تنظرن إلى زى أهل السوق فإن تحت ثيابهم ذئابًا.

وقال سفيان أيضًا: إياكم وجيران الأغنياء، وقراء الأسواق وعلماء الأمراء.

وعن محمد بن أبي الشمال رضى الله تعالى عنه أنه أتى السوق فقال: يا أهل السوق سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: كسب الحلال أشد من نقل الجبل إلى الجبل.

وعن يونس بن عبيد رضى الله تعالى عنه أنه قال: ما أعلم اليوم شيئًا أقل من درهم طيب ينفق، وأخ يسكن إليه فى الإسلام، وعامل يعمل على السنة، وما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهمًا من الحلال لاستشفينا به مرضانا.

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه: ما من عبد إلا ويعرض على الله يوم القيامة فلا تزول قدماه حتى يسأل عن أربع خصال: عن جسده فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن علمه كيف عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟[1].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٤١٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٧٢٩٩).

وقال بعض الحكماء: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ من الحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء، والمؤمن البصير يأخذ بالخوف ويمسك بالشكر وينفق خالصًا لوجه الله تعالى.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى: الطاعة مخزونة فى خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال.

وعن ابن شُبْرُمة رحمه الله تعالى قال:

العجب ممن يحتمى من حلال مخافة الداء، فكيف لا يحتمى بالحرام مخافة النار.

وروى ابن الزبير عن جابر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطئوا الرزق، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب فخذوا ما حل لكم وذروا ما حرم الله»[1].

وقال الحكيم: الناس فى الكسب على خمس مراتب:

* منهم من يرى الرزق من الله تعالى ومنهم من يرى الرزق من الكسب، فهو كافر، ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك.

* ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدرى أيعطيه أم لا فهو منافق شاك.

* ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى لأجل الكسب ولا يؤدى حقه فهو فاسق.

* ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببًا وأخرج حقه ولا يعصى الله تعالى لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص.

وروى عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه غلام يأتيه كل ليلة بغلته طعامًا يأكله، وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا يأكله حتى يسأله من أين اكتسبه ومن أين أصابه؟ قال: جاء ذات ليلة بطعام فضرب يده إليه فأكل لقمة من غير أن يسأله، فقال الغلام: قد كنت تسألنى كل ليلة غير هذه الليلة فإنك لم تسألنى؟ قال: ويحك الجوع حملنى، ويحك أخبرنى من أين جئت به؟ قال: كنت رقيت لأناس فى الجاهلية فوعدونى عليه عدة فرأيت عندهم وليمة فذكرتهم وعدهم الذى وعدونى فأعطونى هذا الطعام. فاسترجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه عند ذلك ثم أخذ يتقيأ فكابد وجاهد نفسه أن ينزع اللقمة من بطنه، فلم يقدر حتى اخضر واسود من الجهد فلم يقدر، فلما رأوا ما يلقى من المعالجة قالوا: لو شربت عليه قدحًا من

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن ماجه، برقم (٢١٤٤)، والحاكم في المستدرك، برقم (٧٩٢٤)، وابن حبان برقم (٣٢٢٨)، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠١٨٤)، انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

ماء، فأتى بعس من ماء فشرب ثم تقيأ فما زال يعالج نفسه حتى نبذها، فقالوا: هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى حرم الجنة على كل جسد تغذى أو غُذى بحرام»[١] .

(قال الفقيه) رحمه الله: من أراد أن يكون كسبه طيبًا فعليه أن يحفظ خمسة أشياء:

أولها: أن لا يؤخر شيئًا من فرائض الله تعالى لأجل الكسب ولا يدخل النقص فيها.

والثاني: لا يؤذى أحدًا من خلق الله تعالى لأجل الكسب.

والثالث: أن يقصد بكسبه استعفافًا لنفسه ولعياله ولا يقصد به الجمع والكثرة.

والرابع: أن لا يُجْهِدَ نفسه فى الكسب جدًا.

والخامس: أن لا يرى رزقه من الكسب ويرى الرزق من الله تعالى والكسب سببًا.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من اكتسب مالاً من مأثم فتصدق به أو وصل به رحمًا أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك كله وألقى فى النار»[٢] . وروى عن عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه أنه قال: «لا يقبل الله حج رجل ولا عمرته ولا جهاده ولا صدقته ولا إعتاقه ولا نفقته من ربا أو رشوة أو خيانة أو غلول أو سرقة، ثم قال: الخمس بالخمس.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال النبى ﷺ «لا يكسب عبد مالاً حرامًا فيتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، وإن الله تعالى لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن»[٣] .

وعن الحسن البصرى رحمه الله أن النبى ﷺ قال: «إنما المال مال جالب وشر تجاركم المقيمون بين أظهركم الذين يمارونكم وتمارونهم وتحالفونهم ويحالفونكم»[٤] . وسئل النبى ﷺ عن أطيب الكسب؟ قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور الذى لا شبهة فيه ولا خيانة»[٥] .

---

(١) أخرجه البزار في مسنده، برقم (٤٣)، وأبو يعلى في مسنده، برقم (٨٣) وعبد بن حميد في مسنده، برقم (٣) والديلمي في الفردوس، برقم (٧٦١٤)، وأورده الهيثمي في المجمع، (١٠/ ٢٩٣)، وقال: رواه أبو يعلي والبزار والطبراني في الأوسط ورجال أبي يعلى ثقات، وفي بعضهم خلاف كلهم بدون ذكر القصة، وأما القصة فأخرجها البخاري بمعناها بلفظ آخر، برقم (٣٨٤٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، برقم (٦٢٥)، وأبو داود في مراسليه، برقم (١٣١) من حديث القاسم بن مخيمر.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد، برقم (٣٦٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٣) وصححه، والبزار في مسنده، برقم (٢٠٢٦)، والديلمي في الفردوس، برقم (٧٧٩٤)، والبيهقي في الشعب، برقم (٥٥٢٤)، انظر ضعيف الجامع الصغير رقم (١٦٢٥).،

(٤) (١) من مراسيل الحسن البصري، وهو كثير التدليس، انظر ميزان الاعتدال (١/ ٥٢٧).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد، برقم (١٦٨١٤)، والحاكم في المستدرك برقم (٢١٦٠)، والطبراني في الأوسط، برقم (٧٩١٨)، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (١٠٣٣).

وعن قتادة رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان يقال: التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة[1].

٦٣ - باب فضل إطعام الطعام وحسن الخلق

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن عبد الوهاب ابن محمد حدثنا أحمد بن على حدثنا أبو ثابت أحمد بن أبى وداعة حدثنا أبو بكر بن عمرو ابن سعيد بن على بن الأزهرى، عن جرير عن الأعمش عن عطية العوفى قال: قال لى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما: يا عطية، احفظ وصيتى ما أراك مُصاحبى غير سفرى هذا أَحِبَّ آل محمد وصحبه وأحب محبى آل محمد ولو وقعوا فى الذنوب والخطايا، وأبغض مبغضى آل محمد ﷺ ولو كانوا صوامًا قوامًا، وأطعم الطعام، وأفش السلام، وصل بالليل والناس نيام، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام، وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام»[2].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محاصر بن مورع عن الأعمش عن أبى إسحاق عن الغيران بن حريث قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال: إن هؤلاء المهاجرين والأنصار يقولون: إنا لسنا على شيء، فقال: بلى إذا أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وصمت وحججت بيت الله وقريت الضيف دخلت الجنة.

(قال الفقيه) رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضيل حدثنا يعلى بن عبيد عن محمد بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة»[3].

وعن عطاء قال: كان إبراهيم صلوات الله تعالى عليه وسلامه إذا أراد أن يتغدى ولم يجد من يتغدى معه سار الميل والميلين فى طلب من يتغدى معه.

وعن عكرمة رضى الله تعالى عنه قال: كان إبراهيم صلوات الله تعالى عليه وسلامه يسمى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب ينظر من أيها مجيء المرء.

---

(١) أخرجه البيهقي بنحوه في الشعب، برقم (٩٠٢٩)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب، برقم (٧٦٧)، وعزاه للمنذري في ترغيبه (٢/ ٥٨٥)، وللأصبهاني وضعفه.

(٢) ضعيف: أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٩٦١٦) وفيه الأعمش وهو يدلس، وقد عنعنه، وعطية العوفي ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦١٣٥)، ومسلم، برقم (٤٨)، وأبو داود، برقم (٣٧٤٨).

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: لأن أجمع نفرًا من إخوانى على صاع أو صاعين أحب إليّ من أن أخرج إلى سوقكم هذا فأعتق نسمة.

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان إذا صنع طعامًا فمر به رجل ذو هيئة لم يدعه، وإذا مر به مسكين دعاه وقال: أتدعون من لا يشتهى وتدعون من يشتهى.

وروى عن النبى ﷺ أنه سئل: ما أكثر ما يلج به الناس فى الجنة؟ قال «تقوى الله وحسن الخلق» فقلت: ما أكثر ما يلج به الناس فى النار؟ قال: «الأجوفان الفم والفرج وسوء الخلق»[١].

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبويها قالت: إن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار وإن كان القوم فجارًا.

وروى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كنت عاشر عشرة رهط فى مسجد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد الخدرى وعبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهم فجاء فتى من الأنصار فسلم على النبى ﷺ ثم جلس فقال: أى المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقًا» قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا قبل أن ينزل به أولئك هم الأكياس» ثم سكت الفتى وأقبل علينا النبى ﷺ وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فيما مضت من أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين: شدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، وما ترك أئمتهم الحكم بكتاب الله تعالى إلا جعل بأسهم بينهم»[٢].

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق»[٣].

وعن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن نواس بن سمعان الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٠٤)، وابن ماجه، برقم (٤٢٤٦)، وأحمد، برقم (٩٠٨٥)، وابن حبان، برقم (٤٧٦)، والحاكم في المستدرك، برقم (٧٩١٩)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه أوله، برقم (٤٢٥٩)، والحاكم كاملا، برقم (٨٦٢٣)، والطبراني في الأوسط، برقم (٤٦٧١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٣١٧- ٣١٨)، وقال: روى ابن ماجه بعضه ورواه البزار، ورجاله ثقات.

(٣) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٤٢٧)، وأبو يعلى في مسنده، برقم (٦٥٥٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٢٥٣٣٣)، والبيهقي في الشعب، برقم (٨٠٥٤)، وأبو نعيم في الحلية، (١٠/ ٢٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢٠٤٣).

يطلع عليه الناس»[١] .

وروى **أبو هريرة** رضى الله تعالى عنه عن النبىﷺ أنه قال: «كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه»[٢] .

وعن **أبى ثعلبة الخشنى** عن النبىﷺ أنه قال: «إن من أحبكم إلى وأدناكم منى مجلسًا فى الآخرة أحسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسًا فى الآخرة أسوأكم أخلاقًا»[٣] .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: إن حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمسُ الجليدَ، وإن الخلق السيىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وروى **يحيى بن سعيد** عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: كان آخر ما أوصانى به رسول اللهﷺ حين جعلت رجلى فى الغرز فقال: «حسن خلقك مع الناس يا معاذ بن جبل»[٤] .

وروى **جابر بن عبد الله** رضى الله تعالى عنهما عن رسول اللهﷺ أنه قال «حسن الخلق زمام من رحمة الله فى أنف صاحبه، والزمام بيد الملك والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة، وسوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار»[٥] .

وروى **جابر بن عبد الله** رضى الله تعالى عنهما عن النبىﷺ أنه قال: «إن هذا الدين هو الذى ارتضيته لنفسى ولا يصلحه إلا خصلتان: السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»[٦] .

ويقال: إذا دعا الرجل أضيافًا يجب على صاحب البيت ثلاثة أشياء، ويجب على الضيف ثلاثة أشياء:

فأما التى تجب على صاحب البيت:

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٥٣)، والترمذي، برقم (٢٣٨٩)، وأحمد، برقم (١٧٨٠)، والدارمي، برقم (٢٧٨٩)، وابن حبان، (٣٩٧).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد، برقم (٨٧٥٩)، وابن حبان، برقم (٤٨٣)، والحاكم في المستدرك، برقم (٤٢٥)، والدارقطني برقم (٢١٤)، انظر ضعيف الجامع للألباني، رقم (٤١٦٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد، برقم (١٧٢٨٩)، وزاد فيه «**الثرثارون، المتشدقون، المتفيهقون**» وكذا ابن حبان برقم (٥٥٥٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٢٥٣٢٠)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (١٥٣٥).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (تعليقًا)، (٢/ ٩٠٢). ،

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٨٠٣٧)، والديلمي في الفردوس، برقم (٢٩٩٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٨٩٢٠)، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠٨٦٤)، والديلمي في الفردوس، برقم (٤٤٨١) وأورده الهيثمي في المجمع، (٨/ ٢٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر، وهو ضعيف. وكذلك مقدام بن داود.

فأولها: أن لا يتكلف للضيف ما لا يطيق ولا يجاوز فيه السنة.

والثاني: أن لا يطعمه إلا من حلال.

والثالث: أن يحفظ عليه وقت الصلاة.

وأما التي تجب على الضيف:

فأولها: أن يَجلس حيث يُجلس.

والثاني: أن يرضى بما قدم إليه.

والثالث: أن يدعو له عند خروجه بالبركة.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من أدى زكاة ماله وأقرى الضيف وأعطى قومه النائبة فقد وُقِيَ شُحَّ نفسه»[1] وبالله التوفيق.

٦٤ - باب التوكل على الله

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندي رضي الله تعالى عنه: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا عبد الرحمن بن محمد المانى، عن شيخ بن أشجع عن سالم بن أبي الجعد رضي الله تعالى عنه قال: قال عيسى ابن مريم صلوات الله تعالى عليه وسلامه: لا تخبئوا طعامًا لغد فإن غدًا يأتى ومعه رزقه، وانظروا إلى الذر ومن يرزقه، فإن قلتم بطون الذر صغار فانظروا إلى الطائر، فإن قلتم: للطائر أجنحة فانظروا إلى الوحوش، ما أبدنها وأسمنها.

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر عن سفيان عن أبى السوداء عن أبى مجلز قال: قال عمر رضى الله تعالى عنه: ما أبالى على أى حال أصبحت على ما أحب أو على ما أكره، لأنى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره.

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب عن المطلب بن حنطب أن النبي ﷺ قال: «ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام قد ألقى فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوعب كل الذى كتب لها، فمن أبطأ عنه شيء من ذلك فليجمل فى الطلب فإنكم لا تدركون ما عند الله بمثل

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٤٠٩٦)، بلفظ: «برئ من الشح» بدلاً من «وفي نفسه من الشح»، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠٨٤٢)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢٣٢٥).

طاعته»(١).

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده»(٢).

وذكر عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال لابنه سليمان عليه الصلاة والسلام: يا بني، إنما يستدل على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال. وحسن الصبر فيما قد فات.

وذكر عن أبى مطيع البلخى أنه قال لحاتم الأصم رحمهما الله تعالى: بلغنى أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد. قال: بل أجاوزها بالزاد. قال: وما زادك؟ قال: زادى فيها أربعة أشياء. قال: وما هي؟ قال: أرى الدنيا بحذافيرها مملكة لله وأرى الخلق كلهم عيال الله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذًا فى جميع خلقه.

قال أبو مطيع: نعم الزاد زادك يا حاتم، وإنك لتجاوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا: وذكر أن رجلاً جاء إلى شقيق الزاهد رحمه الله تعالى فقال له: أوصنى؟ فقال له شقيق: احفظ ثلاثة أشياء: اعبد الله فإنه يثبتك وحارب عدو الله فإنه ينصرك، وصدقه بالوعد فإنه يأتى به إليك.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: لو أن أهل العلم صانوا علمهم وبذلوه لأهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًا واحدًا، يعنى هم آخرته -كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه، ومن شغلته هموم أحوال الدنيا لم يبال الله تعالى فى أى أودية النار أهلكه وأى أودية النار عذبه»(٣).

ويقال: مكتوب فى التوراة: يا ابن آدم، حرك يدك أبسط لك فى رزقك، وأطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى ما يصلحك.

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: قوام الإسلام بأربعة أركان: اليقين، والعدل، والصبر، والجهاد، والعلماء فسروا هذه الأربعة أشياء فقالوا:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف، برقم (٥٧)، وانظر شرح السنة للبغوى، رقم (٤١١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٧٧٠٧)، من حديث محمد بن كعب القرظي عن عمر بن عبد العزيز، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم (٦٧٥)، والبيهقي في الزهد، برقم (٩٨٦)، وأبو نعيم في الحلية، (٣/ ٢١٨)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.،

(٣) ضعيف: أخرجه ابن ماجه، برقم (٢٥٧)، والحاكم في المستدرك، برقم (٣٦٥٨)، والبزار في مسنده، برقم (١٦٣٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٤٣١٣) وأبو نعيم في الحلية، (٢/ ١٠٥)، انظر ما ضعفه الألباني، عدا المرفوع من الحديث فقد حسنه في صحيح سنن ابن ماجه.،

أما اليقين فهو على وجهين:

أحدهما: أن يعمل لله خالصًا ولا يطلب به عرض الدنيا ولا رضا المخلوقين.

والثاني: أن يكون آمنًا بوعد الله وهو الرزق.

وأما العدل فهو على وجهين:

أحدهما: أنه لو كان عليه حق يؤديه قبل الطلب.

والثاني: إذا كان له على غيره حق يرفق بطلبه.

وأما الصبر فهو على وجهين:

أحدهما: أن يصبر على أداء فرائض الله تعالى.

والثاني: أن يصبر عما نهاه الله تعالى عنه.

وأما الجهاد فهو على وجهين:

أحدهما: أن لا تغفل عن عدوك وهو الشيطان فإنك إن غفلت عنه فإنه لم يغفل عنك، فهو كالذئب إذا وقع فى الغنم فكل شاة غفلت عنه أخذها.

والثاني: إن أكثر فتنة بنى آدم لأجل المال فارض باليسير من المال لكيلا يغرك.

وروى عن شقيق رحمه الله تعالى أنه قال لحاتم الأصم رحمه الله تعالى: منذ كم تختلف إليّ؟ قال: منذ ثلاثين سنة. فقال له شقيق: أى: شيء تعلمت فى هذه الثلاثين سنة؟ قال: تعلمت ست كلمات فلو عملت بها لرجوت أن تنجينى من فتنة الدنيا. فقال له شقيق: أخبرنى عن ذلك فلعلى أعمل بهن فأنجو بذلك؟ فقال: أما الأولى نظرت فى قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فرأيت نفسى من تلك الدواب التى رزقها الله تعالى، وعلمت أن ما هو لى فإنه يصل إليّ فإن الله تعالى يرزق الفيل مع عظمه ولا ينسى البعوضة لصغرها، ففوضت أمرى إلى الله فاشتغلت بالعبادة ولا أهتم لغيرها. فقال له شقيق: نعم ما فهمت فما الثانية؟ قال: نظرت فى قول الله تعالي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فرأيت المؤمنين كلهم إخوة لي، والأخ ينبغى أن يكون مشفقًا على أخيه، ورأيت العداوة التى تقع بين الناس أصلها من الحسد، فاجتهدت حتى أخرجت الحسد من قلبى، حتى صار قلبى بحال لو أصاب المؤمن هم بالمشرق جعلت أهتم حتى كأنه أصابنى، ولو أصاب مسلمًا خير فى المغرب أسر به حتى كأنه أصابنى.

فقال له شقيق: نعم ما فهمت فما الثالثة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان حبيبًا ولا بد للحبيب أن يظهر للحبيب محبته، فوجدت حبيبى طاعة الله تعالى وما سوى ذلك من الأحباء كلهم ينقطعون عنى إلا طاعة الله، فإنها معى فى القبر وفى المحشر وعلى الصراط، فانقطعت عن جميع الأحبة واتخذت طاعة الله حبيبًا. فقال له شقيق: نعم ما فهمت فما الرابعة؟ قال: نظرت فوجدت لكل

إنسان عدوًا ولا بد للعدو من عداوته والحذر منه فرأيت عدوى الكافر والشيطان فرأيت عداوة الكافر أيسر، لأنه إن قاتلنى فقتلنى كنت شهيدًا وإن قتلته كنت مأجورًا، فرأيت عداوة الشيطان أشد؛ لأنه يرانى من حيث لا أراه فيريد أن يجعلنى مع نفسه فى النار فاشتغلت بعداوته ما عشت وتركت عداوة غيره. فقال له شقيق: نعم ما فهمت فما الخامسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل إنسان بيتًا ولا بد للبيت من العمارة فرأيت منزلى القبر فاشتغلت بعمارته. فقال له شقيق: نعم ما فهمت فما السادسة؟ قال: نظرت فوجدت لكل شيء طالبًا فرأيت طالبى ملك الموت، ولا أدرى متى يأتينى فاستعددت له كالعروس تزف إلى منزل زوجها، فمتى جاءنى لا أطلب منه التأخير، فقال له شقيق: نعم ما فهمت إن عملت بها نجوت أنا وأنت.

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أخلى ناقتى وأتوكل على الله أو أعقلها وأتوكل، على الله، قال: «بل اعقلها وتوكل على الله»(١).

(وقال بعض الحكماء): صفة أولياء الله تعالى ثلاث خصال: الثقة بالله فى كل شيء، والفقر إلى الله فى كل شيء، والرجوع إلى الله فى كل شيء.

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس ولم يسألهم شيئًا، وأبغض الناس إليهم من احتاج إليهم، وأحب الناس إلى الله من احتاج إليه وسأله وأبغض الناس إليه من استغنى عنه ولم يسأل منه شيئًا وذكر أن لقمان الحكيم عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بنى، كثيرًا ما أوصيتك إلى هذه الغاية وإنى لموصيك الآن بست خصال فيها علم الأولين والآخرين:

أولها: أن لا تشغل نفسك بالدنيا إلا بقدر ما يبقى من عمرك.

والثانى: اعبد ربك بقدر حوائجك إليه.

والثالث: اعمل للآخرة بقدر ما تريد المقام بها.

والرابع: ليكن شغلك فى فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها.

والخامس: لتكن جراءتك على المعاصى، بقدر صبرك على عذاب الله.

والسادس: إذا أردت أن تعصى الله فاطلب مكانًا لا يراك فيه الله وملائكته.

وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، برقم (٢٥١٧) من حديث أنس، وابن حبان، برقم (٧٣١)، من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه، وأخرجه البيهقي في الشعب، برقم (١٢١٠)، وأبو نعيم في الحلية، (٨/ ٣٩٠)، وابن أبي الدنيا في التوكل، برقم (١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

ويقال: التوكل توكلان:

أحدهما: فى الرزق فلا يجوز فيه إلا الأمن.

والثانى: فى طلب ثواب العمل فيكون آمنًا بوعد الله فى الثواب، ويكون خائفًا فى عمله أن يقبل منه أم لا يقبل.

وروى عطاء بن السائب عن يعلى بن مرة قال: اجتمعنا مع نفر من أصحاب على كرم الله وجهه فقلنا: لو حرسنا أمير المؤمنين فإنه محارب ولا نأمن عليه أن يغتال، فبينا نحن عند باب حجرته حتى خرج للصلاة، فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: حرسناك يا أمير المؤمنين، لأنك محارب وخشينا أن تغتال. فقال: أفمن أهل السماء حرستمونى أم أهل الأرض؟ قالوا: بل من أهل الأرض فكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء؟ قال: فإنه لا يكون فى الأرض شيء حتى يقدره الله فى السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره.

٦٥ - باب الورع

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو جعفر عن سعيد عن قتادة قال: كان عبد الله بن مطرف يقول إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صومًا وصلاة وصدقة وإن الآخر أفضل منه ثوابًا. قيل له: كيف يكون ذلك؟ قال: هو أشدهما ورعًا.

قال: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا عبد العزيز بن أبان عن أبى معشر عن عمارة أنه قال: لما توجه عبد الله بن رواحة نحو قرية مؤتة قال: يا رسول الله، أوصني؟ قال: «إنك تقدم أرضًا السجود بها قليل فاستكثر من السجود بها» قال: زدنى. قال: «اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب» فولى ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله، زدنى؟ قال: «اذكر الله تعالى فإن الله تعالى وتر يحب الوتر» قال زدنى؟ قال: «نعم لا تعجزن ولا تعجزن لا تعجزن إن أسأت عشرًا أن تحسن واحدة»[(١)].

قال: حدثنا عبد الوهاب بن محمد بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه وعنهم أن رسول الله ﷺ قال: «تقبلوا لى ستًا أتقبل لكم الجنة: إذا حدثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضوا أبصاركم واحفوا فروجكم وكفوا أيديكم وأرجلكم عن

---

(١) في إسناده عبد العزيز بن أبان، قال عنه الذهبي: أحد المتروكين، وقال يحيى: كذاب خبيث، حدث بأحاديث موضوعة، انظر ميزان الاعتدال، (٢/ ٦٢٢).

الحرام تدخلوا جنة ربكم»(١).

وعن الحسن عن عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «قال الله تعالى: عبدى، أدِّ ما افترضتُ عليك تكن من أعبد الناس، وانتهِ عما نهيتك عنه تكن من أورع الناس، واقنع بما رزقتك تكن من أغنى الناس»(٢).

وعن فضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه أنه قال: خمس من علامات السعادة: اليقين فى القلب، والورع فى الدين، والزهد فى الدنيا، والحياء فى العينين، والخشية فى البدن وخمس من علامات الشقاوة: القسوة فى القلوب، والجمود فى العينين، وقلة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: كنا ندع تسعة أعشار من الحلال مخافة أن نقع فى الشبهة أو فى الحرام، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه نحو هذا.

(وقال بعض الحكماء):

أمر الدنيا كلها عجب ولكنى أتعجب من ابن آدم المغرور فى خمسة أشياء:

أولها: أتعجب من صاحب فضول الدنيا كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره وحاجته إليه.

والثانى: من لسان ناطق كيف يطاوع نفسه ويعرض عن ذكر الله تعالى وعن تلاوة القرآن.

والثالث: أتعجب من صحيح فارغ رأيته مفطرًا أبدًا كيف لا يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أو نحوه، وكيف لا يتفكر فى عاقبة الصوم إذا استقبله.

والرابع: أتعجب من الذى يمهد فراشه وينام إلى الصبح كيف لا يتفكر فى فضل صلاة ركعتين فى الليل فيقوم ساعة من الليل.

والخامس: أتعجب من الذى يجترئ على الله ويرتكب ما نهاه عنه وهو يعلم أنه يعرض عليه يوم القيامة فكيف لا يتفكر فى عاقبة أمره لينزجر عنه.

وروى عن ابن المبارك رحمه الله أنه قال: ترك فلس من حرام أفضل من مائة ألف فلس أتصدق بها. وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلما فلما فرغ من الكتابة نسى فجعل القلم فى مقلمته، فلما رجع إلى مرو ورأى القلم عرفه فتجهز للخروج إلى الشام لرد القلم.

---

(١) **حسن:** أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٨٠٦٦)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: فيه إرسال، من حديث عبادة بن الصامت، وأخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٤٣٥٥)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (١٠١٨).

(٢) **حسن:** أخرجه الترمذي بمعناه، برقم (٢٣٠٥)، وابن ماجه، برقم (٤٢١٧)، وأحمد، برقم (٨٠٨١)، والطبراني في الأوسط، برقم (٧٠٥٤)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

وعن الشعبى رضى الله تعالى عنه قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى الغنم حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة فإن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»[١].

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: لكل شيء حد وحدود الإسلام: الورع، والتواضع والشكر والصبر، فالورع ملاك الأمور، والتواضع براءة من الكبر، والصبر النجاة من النار، والشكر الفوز بالجنة،

وعن النبى ﷺ أنه قال: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، فما ينفعكم إلا بالورع»[٢].

(قال الفقيه) رحمه الله:

علامة الورع أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها: حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

والثانى: الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولقول النبى ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث»[٣].

والثالث: الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غض البصر عن المحارم لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والسادس: أن يعرف نعمة الله على نفسه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩)، والترمذي، برقم (١٢٠٥)، وابن ماجه، برقم (٣٩٨٤)، وأحمد، برقم (٢٧٦٣٨).

(٢) **خبر باطل**: أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٥١٢٤)، وانظر تنزيه الشريعة (٢/ ٣١١).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٦٦)، ومسلم، برقم (٢٥٦٣)، وأبو داود، برقم (٤٩١٧)، والترمذي، برقم (١٩٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

والسابع: أن ينفق ماله فى الحق ولا ينفقه فى الباطل لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾. يعنى: لم ينفقوا فى المعصية ولم يمنعوا من الطاعة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. أى: عدلاً.

والثامن: أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال محمد بن كعب القرظى: ثلاث خصال إن استطعت أن لا تترك شيئًا منها أبدًا فافعل: لا تبغين على أحد فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]. ولا تمكرن على أحد مكرًا فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. ولا تنكثن عهدًا أبدًا فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة، فالزهد الفرض: هو الزهد فى الحرام، والزهد الفضل: هو الزهد فى الحلال، والزهد السلامة هو الزهد فى الشبهات.

وقال أيضًا: الورع ورعان: ورع فرض وورع حذر، فالورع الفرض الورع عن معاصى الله تعالى، والورع الحذر الورع عن الشبهات.

والحزن حزنان: حزن لك وحزن عليك، فالحزن الذى هو لك حزنك على الآخرة، والحزن الذى هو عليك حزنك على الدنيا وزينتها.

(قال الفقيه) رحمه الله: الورع الخالص أن يكف بصره عن الحرام، ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجميع جوارحه عن الحرام.

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه أتى بزيت من الشام وكان الزيت فى الجفان. - يعنى: فى القصاع - وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح وعنده ابن له شعرانى، فلكما أفرغت جفنة مسح بقيتها برأسه، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين، ثم أخذ بيده فانطلق إلى الحجام فحلق شعره، وقال: هذا أهون عليك.

وروى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه استأجر دابة إلى عمان، فبينما هو يسير إذ سقط سوطه فنزل عن الدابة وربطها وذهب راجلاً فأخذ السوط، فقيل له: لو حولت رأس دابتك فأخذت

السوط؟ فقال: إنما استأجرتها لتذهب ولم استأجرها لترجع.

وعن أبى رزين عن معاذ رضى الله تعالى عنهما قال: كنت مع النبى ﷺ وهو على حمار عليه برذعة، فقال: «يا معاذ، أتدرى ما حق الله على العباد؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا» ثم قال «وهل تدرى ما حق العباد على الله تعالى إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال «أن يدخلهم الجنة»[١].

٦٦ - باب الحياء

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا محمد بن معاذ حدثنا نصر عن الحجاج عن مكحول عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنهم أن النبى ﷺ قال: «أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح والسواك والحياء»[٢].

قال الفقيه: قال حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا الماسرجسى حدثنا جرير عن منصور عن ربعى بن خراش عن عقبة عن عامر رضى الله تعالى عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٣].

قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن حدثنا إسحاق حدثنا بكر بن منير حدثنا محمد بن الهيثم حدثنا أبو عثمان عن هشام عن سفيان عن أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ «استحيوا من الله تعالى حق الحياء» فقالوا: إنا نستحيى من الله والحمد لله.

قال: «ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٤]. وعن الحسن عن النبى ﷺ أنه قال: «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٨٥٦)، بلفظ: «**ألا يعذب من لا يشرك به**» بدل: «**أن يدخلهم الجنة**»، وكذلك أخرجه مسلم، برقم (٣٠)، والترمذي، برقم (٢٦٤٣)، وابن ماجه، برقم (٤٢٩٦).

(٢) **ضعيف**: أخرجه الترمذي، برقم (١٠٨٠)، وأحمد، برقم (٢٣٦٢٨)، والطبراني في الكبير، برقم (٤٠٨٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (١٨٠٢)، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٨٣)، وأبو داود، برقم (٤٧٩٧)، وابن ماجه، برقم (٤١٨٣)، وأحمد، برقم (٢٧٧٠٢).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٥٨)، وأحمد، برقم (٣٦٦٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني، رقم (١٧٢٤).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٠٩)، وابن ماجه، برقم (٤١٨٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد، برقم (١٠٥١٩)، وابن حبان، برقم (٦٠٨)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (١٣١٤)، و من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أنه قال: لأن أموت ثم أحيا ثم أموت ثم أحيا ثلاثًا أحب إليّ من أن أنظر إلى عورة أحد أو ينظر أحد إلى عورتى، وعن على كرم الله وجهه أنه قال: لعن الله الناظر والمنظور إليه.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «لا يحل لأحد أن يدخل الحمام إلا بمئزر».

وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنه قال: لا يصلح دخول الحمام إلا بإزارين إزار للعورة وإزار للعين. يعنى: يغض بصره عن عورات الناس.

وعن عيسى ابن مريم علية الصلاة والسلام أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع الشهوة فى القلب، وكفى بها فتنة لصاحبها.

وسئل حكيم عن الفاسق؟ قال: الذى لا يغض بصره عن أبواب الناس وعوراتهم [(١)].

وعن عطاء أنه قال: مر النبى ﷺ برجل يغتسل فقال: يا أيها الناس، إن الله حيى حليم ستار ويحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليتوار عن أعين الناس [(٢)].

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: أن النبى ﷺ كان إذا أراد قضاء الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض [(٣)].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: الحياء على وجهين: حياء فيما بينك وبين الناس وحياء فيما بينك وبين الله تعالى، أما الحياء الذى بينك وبين الناس فأن تغض بصرك عما لا يحل لك، وأما الحياء الذى بينك وبين الله تعالى فأن تعرف نعمته فتستحى أن تعصيه.

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه: أنه دخل على النبى ﷺ فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال «أخبرنى جبريل عليه السلام أن الله تعالى يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه، أفلا يستحى الشيخ من الله أن يذنب بعد ما شاب فى الإسلام» [(٤)].

وروى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله، عورتنا ما نأتى منها وما نذر، قال «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك».

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) **صحيح** أخرجه أبو داود، برقم (٤٠١٢)، والنسائي، برقم (٤٠٦)، وأحمد، برقم (١٧٥٠٩)، والبيهقي في الكبرى، برقم (٩٠٨)، من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه، انظر سنن أبي داود للألباني.

(٣) **صحيح** أخرجه أبو داود، برقم (١٤)، والدارمي، برقم (٦٦٦)، والبيهقي في الصغرى، برقم (٧٢)، من حديث أنس بن مالك، والترمذي برقم (١٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٠١)، برقم (١١٣٩)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٤) قال أبو حاتم ثم هذا حديث باطل لا أصل له وفيه محمد بن عبد الله الأنصاري، يقال له: ابن زياد، قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال، انظر الموضوعات لابن الجوزي، (١/ ١٧٨).

قال: قلت : يا رسول الله أرأيت إن كان أحدنا خاليًا؟

قال: «فالله أحق أن يستحى منه»[١] .

وقال بعض السلف لابنه: إذا دعتك نفسك إلى كبيرة فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها فإن كنت لا ممن فى السماء تخاف ولا ممن فى الأرض تستحى فاعدد نفسك فى عداد البهائم .

قال الفضيل بن عياض: لا تغلق بابك وترخى سترك وتستحى من الناس، ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك ولا تستحى من الجليل الذى لا يخفى عليه خافية .

وقال منصور بن عمار رضى الله تعالى عنه : فى الحكمة من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فى يده غيره، ومن سل سيف البغى قطع به يده، ومن احتفر بئرًا لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورته، ومن نسى زلل نفسه استعظم زلة غيره، ومن كابد الأمور عطب : يعنى ارتكب الأمور العظام، ومن خاطر بنفسه هلك، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن تعمق فى العمل مل، ومن فخر على الناس قصم، يعنى كسر، ومن سفه عليهم شتم، ومن صاحب الأرذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مدخل السوء اتهم ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العافية اصطبر، ومن جهل موضع قدمه مشت فى ندامة، ومن خشى الله فاز، ومن لم يجرب الأمور خدع، ومن صارع أهل الحق صرع، ومن احتمل ما لا يطيقه عجز، ومن عرف أجله قصر أمله، ومن تعود طريق الجهل ترك طريق العدل .

٦٧ - باب العمل بالنية

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله : حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صدقة بن عبد الله عن المهاجر بن حبيب عن زيد بن ميسرة قال: يقول الله تعالى: «إنى لست أقبل كلام كل حكيم، ولكن أنظر إلى همه وهواه، فإن كان همه وهواه إياى جعلت صمته تفكرًا وكلامه ذكرًا وإن لم يتكلم» .

(قال الفقيه) : حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم النخعى، قال: إن الرجل ليتكلم بالكلام وعلى كلامه المقت ينوى فيه الخير، فيلقى الله له العذر فى قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير، وإن الرجل ليتكلم بكلام حسن لا ينوى فيه الخير فيلقيه الله فى قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا خيرًا .

---

(١) **حسن:** أخرجه أبو داود، برقم (٤٠١٧)، والترمذي، برقم (٢٧٦٩)، وابن ماجه، برقم (١٩٢٠)، وأحمد، برقم (١٩٥٣٠)، والحاكم في المستدرك، برقم (٧٣٥٨)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني .

وعن عون بن عبد الله رحمه الله : كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض ثلاث كلمات : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس .

وعن الحسن رحمه الله فى قوله عز وجل : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء : ٨٤] يعنى : على نيته يعنى : صحة العمل بالنية .

قال النبى ﷺ «نية المؤمن خير من عمله»[١] .

قال بعض أهل العلم : إنما كان كذلك لأنه قد يثاب على نية الخير وإن لم يعمل ولا يثاب على عمله بلا نية .

وقال بعضهم : نية المؤمن خير من عمله لطول نيته وقصر عمله ؛ لأنه ينوى أن يعمل الخير ما بقى ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بقى .

وقال بعضهم : لأن النية عمل القلب والقلب معدن المعرفة ، وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «يؤتى بالعبد يوم القيامة ومعه من الحسنات أمثال الجبال الرواسى فينادى مناد : من كان له على فلان مظلمة فليجئ فليأخذها . فيجيء أناس فيأخذون من حسناته حتى لا يبقى له من الحسنات شيء ويبقى العبد حيران فيقول له ربه : إن لك عندى كنزًا لم أطلع عليه ملائكتى ولا أحدًا من خلقى . فيقول : يا رب ، ما هو؟ فيقول : بنيتك التى كنت تنوى من الخير كتبتها لك سبعين ضعفًا»[٢] .

وروى فى الخبر : «أن عابدًا من عباد بنى إسرائيل مر بكثيب من الرمل فتمنى فى نفسه لو كان دقيقًا فأشبع به بنى إسرائيل فى مجاعة أصابتهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبى فيهم : قل لهذا العابد أن الله تعالى يقول : إنى قد أوجبت لك من الأجر ما لو كان دقيقًا فتصدقت به» .

وروى فى الخبر : «أنه يوتى بالعبد يوم القيامة فيعطى كتابه بيمينه فيرى فيه الحج والعمرة والجهاد والزكاة والصدقة ، فيقول العبد فى نفسه : ما عملت من هذا شيئًا وليس هذا كتابى . فيقول الله تعالى : اقرأ فإنه كتابك عشت دهرًا وأنت تقول لو كان لى مال لحججت ولو كان لى مال لجاهدت وعرفت من نيتك أنك صادق فأعطيتك ثواب ذلك كله»[٣] .

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير ، برقم (٥٩٤٢) ، والبيهقي في الشعب ، برقم (٦٨٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية ، (٣/ ٢٥٥) ، والخطيب البغدادي في تاريخه ، (٩/ ٢٣٧) ، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني ، رقم (٥٩٧٧) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه .

(قال الفقيه) رحمه الله: إنما يظهر صدق نيته إذا لم يبخل بالقليل الذى عنده، فلو رأى حاجًا منقطعًا فيقول فى نفسه، لو كان لى مال لحججت، فلما لم يكن لى طاقة إلا هذين الدرهمين دفعتهما إلى هذا، وإذا رأى غازيًا منقطعًا يقول: لو كان لى مال لغزوت فلما لم يكن لى طاقة إلا هذه الدراهم دفعتها إلى هذا الغازى المحتاج أو إلى مسكين بجواره، وأما إذا بخل بالقليل الذى عنده فيعلم الله تعالى أنه لو كان عنده أكثر من ذلك لكان يبخل بالكثير كما يبخل بالقليل فلا ثواب له فى نيته، وكذلك الذى يقول لو كنت حفظت القرآن لقرأته آناء الليل والنهار، فإذا كان يقرأ السورة التى يحفظها فيعلم الله أنه لو كان يحفظ الباقى منه لكان يقرأ، فيعطيه الله تعالى فضل الذى يحفظ القرآن كله، وإن لم يقرأ ما عنده علم الله منه أن نيته غير صالحة.

وروى سهل بن سعد الساعدى عن النبى ﷺ أنه قال: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته»(١).

وروى محمد بن على عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب رجلاً فى الله لعدل ظهر منه هو فى علم الله من أهل النار آجره الله على حبه إياه كما لو أحب رجلاً من أهل الجنة، ومن أبغض رجلاً فى الله لجور ظهر منه وهو فى علم الله من أهل الجنة آجره الله على بغضه إياه كما لو كان يبغض رجلاً من أهل النار»(٢).

وروى فى الخبر: «أن الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام: يا موسى، هل عملت لى عملاً قط؟ قال: إلهى صليت لك وصمت لك وتصدقت لك وذكرتك، قال الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان - يعنى: حجة لك - والصوم جُنَّة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأى عمل عملت لى؟ قال موسى عليه الصلاة والسلام: إلهى، دلنى على العمل الذى هو لك؟ قال: يا موسى، هل واليت لى وليًا، أو عاديت لى عدوًا؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله تعالى والبغض فى الله تعالى».

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولا إلى أحوالكم وإنما ينظر إلى أعمالكم وإلى قلوبكم»(٣).

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»(٤).

---

(١) سبق تخريجه، انظر (١/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٩٥٢١)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء، برقم (١٧٠٤).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٦٤)، وابن ماجه، برقم (٤١٤٣)، وأحمد، برقم (٧٨١٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٤١٤)، وأبو نعيم في الحلية، (٨/ ١٨٨)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

وروى الأعمش عن أبى عمرو الشيبانى عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله تعالى عنهم أنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ وأراد الجهاد فقال: احملنى يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ائت فلانًا فإنه يحملك» فأتاه فأعطاه بعيرًا فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». وفى خبر آخر «الدال على الخير كفاعله»(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال: قدم سائل على عهد رسول الله ﷺ فسأل فسكت القوم ثم إن رجلاً أعطاه فأعطاه القوم. فقال رسول الله ﷺ: «من استن خيرًا واستن به فله أجره ومثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن استن شرًا واستن به فعليه وزره ووزر من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا»(٢).

وروى تميم الدارى عن النبى ﷺ أنه قال: «خمس من جاء بهن يوم القيامة لم يُصَدَّ عن الجنة: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين والعامة»(٣).

وروى فى خبر آخر أنه ﷺ قال: «ألا إن الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولجميع المسلمين»(٤).

(قال الفقيه) رحمه الله: أما النصيحة لله عز وجل فأن تؤمن بالله وتدعو الناس إلى ذلك وتتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فأن تصدقه بما جاء به من عند الله وتعمل بسنته وتدل الناس على ذلك، وأما النصيحة لكتابه فهو أن تقرأه وتعمل بما فيه وتتمنى أن يقرأه جميع الناس ويعملوا بما فيه، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فأن تطيعهم فيما أمروه وتنتهى عما نهوه وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، ولا تخرج عليهم بالسيف، وأما النصيحة للمسلمين فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتتمنى أن يكونوا فيما بينهم على الألفة والمودة.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: كم من نائم يكتب له أجر المصلين؟ وكم من مصل مستيقظ يكتب من النائمين؟ وذلك أن الرجل إذا كان من عادته أن يقوم وقت السحر ويتوضأ ويصلى حتى يطلع الفجر فنام ليلة على تلك النية فغلبه النوم، حتى أصبح فاستيقظ حزن لذلك واسترجع فإنه

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٨٩٣)، وأبو داود، برقم (١٥٢٩)، والترمذي، برقم (٢٦٧١)، وأحمد، برقم (٢١٨٣٤).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٠١٧)، والترمذي، برقم (٢٦٧٥)، والنسائي، برقم (٢٥٥٤)، وابن ماجه، برقم (٢٠٣)، وأحمد، برقم (١٠٣٧٠)، والدارمي، برقم (٥١٤).

(٣) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم (٧٥٩)، وانظر كنز العمال، رقم (٧٢٠٢).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (٥٥)، وأبو داود، برقم (٤٩٤٤)، والترمذي، برقم (١٩٢٦)، والنسائي، برقم (٤١٩٨)، وأحمد، برقم (١٦٤٩٣).

يكتب مصليًا، ويبلغ ثواب القائمين بنيته، وأما إذا كان الرجل لم يكن يقوم بالليل فظن أنه قد أصبح فقام وتوضأ ودخل المسجد، فإذا هو لم يصبح فجعل ينتظر الصبح ويقول فى نفسه: لو علمت أنه لم يطلع الفجر لم أقم من فراشى فهذا الذى يكتب من النائمين وهو مستيقظ.

٦٨ - باب العجب

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله عنه وأرضاه: حدثنا محمد ابن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا وكيع عن المسعودى عن زيد بن رفيع عن أبى عبيدة قال: قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: النجاة فى اثنتين التقوى والنية، والهلاك فى اثنتين القنوط والإعجاب.

وعن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة يفطر من سبت إلى سبت، فطلب إلى الله حاجة فلم يعطها فأقبل على نفسه، وقال: لو كان عندك خير لَقُضِيَتْ حاجتك وإنما أُتِيتَ مِنْ قِبَلِكَ، فنزل عليه ملك من ساعته فقال: يا ابن آدم، إن ساعتك التى ازدريت نفسك فيها خير من عبادتك التى قد مضت.

وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه: كان رجل إذا مشى أظلته سحابة فقال رجل لأمشين فى ظله، فأعجب الرجل بنفسه فقال مثل هذا يمشى فى ظلى، فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: إن من صلاح توبتك أن تعرف ذنبك، وإن من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وذكر عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا خطب فخاف العجب قطع، وإذا كتب فخاف العجب مزق وقال: اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى.

وعن مطرف بن عبد الله قال: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إلىّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه سألها رجل فقال: متى أعلم أنى محسن قالت: إذا علمت أنك مسيء. قال متى أعلم أنى مسيء؟ قالت: إذا علمت أنك محسن.

وذكر أن شابًا من بنى إسرائيل رفض دنياه واعتزل عن الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى، فخرج إليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه إلى منزله فقالا له: يا فتى، أخذت بأمر شديد لا تصبر عليه. فقال الشاب: قيام الناس بين يدى الله أشد من قيامى هذا. فقالا له: إن لك أقرباء فعبادتك فيهم أفضل. فقال الشاب: إن ربى إذا رضى عنى أرضى عنى كل قريب وصديق. فقالا له: أنت شاب لا تعلم وإنا قد جربنا هذا الأمر ونخاف عليك العجب. فقال الشاب: من عرف نفسه لم يضره العجب. فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: قم فإن الشاب قد وجد ريح الجنة فلا يقبل قولنا.

وذكر فى الخبر أن داود صلوات الله عليه وسلامه خرج إلى ساحل فعبد ربه سنة، فلما تمت السنة قال: يا رب، قد انحنى ظهرى، وكلت عيناى ونفدت الدموع فلا أدرى إلى ماذا يصير أمرى؟ فأوحى الله تعالى إلى ضفدع أن أجب عبدى داود عليه السلام. فقالت الضفدع: يا نبى الله، أتمنَّ على ربك فى عبادة سنة، والذى بعثك بالحق نبيًا إنى على ظهر برية منذ ثلاثين سنة أو سنين أسبحه وأحمده وإن فرائصى ترعد من مخافة ربي. فبكى داود عليه الصلاة والسلام عند ذلك. وذكر أن هذه القصة كانت لموسى عليه السلام بعدما قتل قتيلاً.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله تعالى فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه.

والثانى: أن ينظر إلى النعماء، التى أنعم الله بها عليه، فإذا نظر فى نعمائه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولا يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظر فى ذنوبه التى أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قل عجبه، وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدرى ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة. وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب.

(قال الفقيه) رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: كنت أسمع قول الله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] ولم أدر لمن قالها، حتى دخل كعب رحمه الله تعالى على عمر رضى الله تعالى عنه ونحن عنده، فقال: يا كعب، حدثنا ولا تحدثنا إلا بحديث يشبه كتاب الله تعالى؟ فقال كعب رحمه الله تعالى: إن الله يبعث الخلائق يوم القيامة فى قاع أفيح يسمعهم الداعى وينفذهم البصر، ثم يدعى كل قوم بإمامهم - يعنى: بمعلمهم الذى يعلمهم الهدى أو الضلالة - فيدعى بإمام الهدى قبل أصحابه فيتقدم فيعطى كتابه بيمينه وقد أخفيت سيئاته فهو يقرؤه بينه وبين نفسه لكيلا يقول بعملى دخلت الجنة، وقد بدت حسناته للناس فهم يقرؤونها حتى إنهم يقولون: طوبى لفلان ما ظهر له من الخير، فيقرأ سيئاته فى نفسه حتى يقول فى نفسه قد هلكت فيجد فى آخره إنى قد غفرت لك، فيتوج بتاج من نور يسطع ضوؤه، ثم يقال له: اذهب إلى أصحابك فبشرهم بأن لكل واحد منهم مثل ما لك. فإذا أقبل نظر إليه أهل الوادى فليس واحد منهم إلا وهو يقول: اللهم اجعله منا اللهم ائتنا به. ثم يأتى أصحابه فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾، فقد غفر لى، فأبشروا فإن لكل رجل منكم ما لى. وإذا كان إمام الضلالة دعى به فإذا قام أعطى كتابه فإذا تناوله بيمينه غلت يمينه إلى عنقه فيتناوله بشماله، فيجعل شماله من وراء ظهره فيلوى عنقه ويقرأ حسناته بينه وبين نفسه لكيلا يقول حفظت سيئاتى ولم تحفظ حسناتى، فيقول عملت كذا فجازيتك بما عملت.

وهكذا حتى يستوفى حسناته، وسيئاته ظاهرة للناس يقرؤونها حتى يقولوا: ويل لفلان ما ظهر له من الشر حتى إذا فرغ من صحيفته وجد فى آخره وإنه حق عليك كلمة العذاب، يعنى: وجب عليك العذاب، فيسود وجهه كقطع الليل المظلم، فيتوج بتاج من النار يسطع دخانه ثم يقال له: ائت أصحابك فبشرهم فإن لكل واحد منهم مثل هذا.

فإذا أقبل رآه أهل الوادى فقال كل واحد منهم: اللهم لا تجعل هذا منا اللهم لا تأتنا به. فلا يمر بقوم إلا لعنوه، ثم يأتى أصحابه فإذا رأوه لعنوه وتبرءوا منه فلعنهم هو كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] فيقول لهم: أبشروا فإن لكل واحد منكم مثل هذا.

وعن مسروق رحمه الله تعالى قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

وعن مجاهد رحمه الله أنه قال: بعث سعيد بن العاص قومًا يثنون عليه عند عثمان رضى الله تعالى عنه فقام المقداد فحثا فى وجوههم التراب وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «احثوا التراب فى وجوه المداحين»[1].

٦٩ - باب فى فضل الحج

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن داود حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا بإسناده حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عاصم بن على البغدادى عن أبيه عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: كنا مع النبى ﷺ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن فقالوا: فداك الأمهات والآباء أخبرنا بفضائل الحج؟ فقال: «بلى، أى رجل خرج من منزله حاجًا أو معتمرًا فكلما رفع قدمًا ووضع قدمًا تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له من الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك أجابه الرب عز وجل بلبيك وسعديك أسمع كلامك وأنظر إليك، فإذا دخل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة واصل الله له الخيرات، فإذا وقفوا بعرفات وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات ويقول: ملائكتى وسكان سمواتى، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق شعثًا غبرًا قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم بمحسنهم ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس وزاروا

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٣٠٠٢)، وأبو داود، برقم (٤٨٠٤)، الترمذي، برقم (٢٣٩٣)، وابن ماجه، برقم (٣٧٤٢)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (٣٣٩).

البيت نادى مناد من بطنان العرش ارجعوا مغفورًا لكم واستأنفوا العمل»[١].

قال: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا يزيد بن هارون، عن نصر بن حاجب عن محمد بن كعب عن على كرم الله وجهه، قال: كنت طائفًا مع النبى ﷺ ببيت الله الحرام فقلت: فداك أبى وأمى يا رسول الله ما هذا البيت؟ فقال لى: «يا على، أسس الله سبحانه وتعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتي» فقلت: فداك أبى وأمى ما هذا الحجر الأسود؟ قال: «تلك جوهرة كانت فى الجنة أهبطها الله إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس واشتد سوادها وتغير لونها لما مستها أيدى المشركين»[٢].

قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد ابن الفضل حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد القاهر بن السرى،

قال: حدثنا أبى عن كنانة حدثنا العباس بن مرداس: أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالرحمة والمغفرة، فأكثر الدعاء فأجابه ربه بأنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضًا. قال: أى رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم. فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه ربه بأنى قد غفرت لهم، ثم تبسم رسول الله ﷺ، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله، تبسمت فى ساعة لم تكن تتبسم فيها؟ قال: «تبسمت إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه»[٣].

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٤].

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: من أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه فطاف به طوافًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «ما رؤى الشيطان يومًا قط هو فيه أضعف ولا أحقر ولا أغيظ من يوم عرفة، وما ذلك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، ولم ير قبل ذلك مثله إلا ما رؤى من يوم بدر»[٥].

---

(١) **في إسناده**: الليث بن أبي سليم، قال أحمد: مضطرب الحديث ولكن حدث عنه لناس، وقال يحيى والنسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره، وانظر ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٠). ،

(٢) في إسناده نصر بن حاجب، قال عنه أبو داود: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، انظر ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٠).

(٣) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (بنحوه)، برقم (٣٠١٣)، وأحمد، برقم (١٥٧٧٤)، والبيهقي في الكبرى، برقم (٩٢٦٤)، وأبو يعلى في مسنده، برقم (١٥٧٨)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه للألباني.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (١٥٢١)، ومسلم، برقم (١٣٥٠).

(٥) **ضعيف**: أخرجه مالك مرسلاً، برقم (٩٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (٨١٢٥)، والبيهقي في الشعب، برقم (٤٠٦٩)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني رقم (٧٣٩). ،

وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه قال: فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال: إلهى، ما الحج؟ قال: بيتى الذى اخترته على جميع البيوت، وحرمى الذى حرمه خليلى إبراهيم، ينتهون إليه من أطراف الأرض يهللون بالتلبية كما يلبى العبد لسيده. قال موسى: إلهى، فما ثوابهم؟ قال: ألحقهم المغفرة حتى أشفعهم فى جيرانهم وقرابتهم. فقال موسى: إلهى من هم؟ من ليس له نفقة طيبة ولا قلبٌ زاكٍ. قال: فإنى أهب المسيء منهم للمحسن.

وعن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خلافته فدخل المسجد حتى وقف على الحجر ثم قال: إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. فقال على كرم الله وجهه: لا تقل مثل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله تعالى ولولا أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت عليك، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: يا أبا الحسن، وما تأويله من كتاب الله عز وجل؟ قال: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، فلما أقروا بالعبودية كتب إقرارهم فى رق ثم دعا هذا الحجر فألقمه ذلك الرق، فهو أمين الله على هذا المكان يشهد لمن وافاه يوم القيامة، قال عمر: يا أبا الحسن لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل[١].

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال بعدما كف بصره: ما ندمت على شيء مثل ما ندمت على أن لا أكون حججت ماشيًا لأنى سمعت أن الله تعالى يقول: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه وأرضاه: إذا كان الطريق قريبًا فلا بأس أن يحج ماشيًا وهو أفضل، وأما إذا كان الطريق بعيدًا فالراكب أفضل، لأن الماشى يتعب نفسه ويسوء خلقه فإذا أمن من هذا المعنى فالمشى أفضل.

وروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن الملائكة يتلقون الحاج فيسلمون على أصحاب الجمال، ويصافحون أصحاب البغال والحمير، ويعانقون الرجالة.

وروى الضحاك عن النبى ﷺ أنه قال: «أيما مسلم خرج من بيته قاصدًا فى سبيل الله فوقصته دابته قبل القتال أو لدغته هامة أو مات بأى حتف مات وهو شهيد، وأيما مسلم خرج من بيته حاجًا إلى بيت الله الحرام ثم نزل به الموت قبل بلوغه أوجب الله له الجنة»[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (١٦٨٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٣٢١)، وأبو يعلي في مسنده، برقم (١٠١)، والبيهقي في الشعب، برقم (٤١٠٠)، من حديث أبي هريرة.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج»[١].

وروى عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام»[٢].

وفى خبر آخر: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من عشرة آلاف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى غيره، وصلاة فى سبيل الله أفضل من مائتى ألف صلاة. - ثم قال: - ألا أدلكم على ما هو أفضل من ذلك، رجل قام فى سواد الليل فأحسن الوضوء وصلى ركعتين يريد بهما ما عند الله»[٣].

وعن يزيد بن بشر عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[٤].

وروى عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر فى الحجة الواحدة الجنة: الموصى بها، والمنفذ لها، والحاج عنه، والعمرة، والجهاد كذلك»[٥] والله تعالى أعلم.

٧٠ - باب فضل الغزو والجهاد

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو نصر حدثنا منصور بن جعفر الدبوسى بسمرقند: حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا على بن عاصم عن سهل عن صفوان بن يزيد بن القعقاع بن اللجلاج، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدًا»[٦].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، برقم (٢٥١٦) والحاكم في المستدرك، برقم (١٦١٢)، والبيهقي في الكبرى برقم (١٠١٦١)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (١١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١١٩٠)، ومسلم، برقم (١٣٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قال العراقي في المغني (١/ ٣٨٠): غريب، لم أجده بجملته هكذا.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٨)، ومسلم، برقم (١٦).

(٥) أخرجه البيهقي في الكبرى، برقم (٩٦٣٦)، وفي الشعب، برقم (٤١٢٣)، وذكره ابن عدي في الكامل، (٧/ ٥٤)، وقال: هذه الأحاديث عن ابن المنكدر عن سعيد المقبري وعن محمد بن محمد بن عمرو كلها غير محفوظة.

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (١٦٣٣) دون قوله: «**ولا يجتمع الشح... إلخ**» والنسائي كاملاً، برقم (٣١١٠)، وابن ماجه، برقم (٢٧٧٤)، وأحمد، برقم (٧٤٧٤)، وابن حبان، برقم (٣٢٥١)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

عن هشام بن عمار بن نصر عن الحسن رحمهم الله تعالى أن النبى ﷺ قال: «الغدوة أو روحة فى سبيل الله أفضل من الأرض ومن عليها، ولموقف الرجل فى الصف أفضل من عبادة ستين سنة»[١].

وبهذا الإسناد عن أبى معاوية عن الحجاج عن مقسم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، فقال عبد الله: أصلى الجمعة مع النبى ﷺ ثم ألحق بأصحابى وقد غدا أصحابه فلما صلى رآه النبى ﷺ قال: «ما لك لم تَغْدُ مع أصحابك؟» فقال: أحببت أن أصلى الجمعة ثم ألحق بأصحابى. فقال له «لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما أدركت فضل غدوتهم»[٢].

وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أنه قال: رباط ليلة على ساحل البحر خير من صيام رجل وقيامه فى أهله شهرًا، ومن مات فى سبيل الله مرابطًا أجاره الله من فتنة القبر وأمنه من الفزع الأكبر وأجرى عمله كل يوم وليلة إلى يوم القيامة، وزيارة قبر المرابط رباط إلى يوم القيامة[٣].

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام»

قيل: وأى الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من يده ولسانه»

قيل: فأى الصلاة أفضل قال: «طول القيام»

قيل: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل»

قيل: فأى الإيمان أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة» قيل: فأى الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهرق دمه» قيل: فأى الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمنًا»[٤].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «لا يجتمع غبار فى سبيل الله تعالى ودخان جهنم فى منخرى عبد مسلم»[٥].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله

---

(١) أخرج البخاري شطره الأول، برقم (٢٧٩٢)، ومسلم برقم (١٨٨٠)، والترمذي، برقم (١٦٥١)، وابن ماجه، برقم (٢٧٥٧)، وأحمد، برقم (١٢٣٧٢)، أما شقه الآخر فأخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٨٧٠٨)، وفي الكبير، برقم (٣٧٧)، والبيهقي في الشعب، برقم (٤٩٥٣)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (٥١٥١).

(٢) انظر كنز العمال، برقم (٣٠٢٤٥).

(٣) أخرجه مسلم بمعناه، برقم (١٩١٣)، والترمذي، برقم (١٦٦٥)، وأبو عوانة في مسنده، برقم (٧٤٦٧)، والبزار في مسنده، برقم (٢٥٢٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود مختصرًا، برقم (١٤٤٩)، والنسائي، برقم (٢٥٢٦)، وأحمد، برقم (٨٨٠٥)، والدارمي، برقم (١٤٢٤). انظر صحيح سنن أبي داود للألباني. ،

(٥) **صحيح**: أخرجه النسائي، برقم (٣١١٤)، وابن حبان، برقم (٤٦٠٧)، وابن المبارك في الجهاد، برقم (٣٠)، انظر مشكاة المصابيح للألباني، رقم (٣٨٢٨).

تعالى، وعين غضت عن محارم الله تعالى، وعين حرست فى سبيل الله تعالى»[١].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «عرض عليَّ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فشهيد والعبد المملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة الله تعالى، وفقير متعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور»[٢].

وعن النبى ﷺ: أنه سئل أى الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله تعالى»[٣].

وعن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: من أعطى فرسًا فى سبيل الله كان له كأجر من جاهد فى سبيل الله تعالى بماله ونفسه، ومن أعطى سيفًا فى سبيل الله تعالى جاء يوم القيامة وله لسان ينادى يوم القيامة أنا سيف فلان لم أزل أجاهد له إلى يومى هذا، ومن أعطى سهمًا فى سبيل الله ادخر الله له ذلك ويربيه حتى يجيء يوم القيامة على رؤوس الخلائق وهو أعظم من جبل أحد، ومن حمل مجاهدًا فى سبيل الله جعله الله له علمًا يوم القيامة، ومن أعطى ترسًا فى سبيل الله جعله الله له جنة يوم القيامة - يعنى: من النار - ومن طعن طعنة فى سبيل الله جعلها الله له نورًا بين يديه وجاءت يوم القيامة ولها ريح كريح المسك يجدها الخلائق، ومن سقى أخاه فى سبيل الله تعالى سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة، ومن زار أخاه فى سبيل الله كتب الله له بكل خطوة حسنة ورفع له بها درجة وحط عنه بها سيئة، ومن حبس فرسًا فى سبيل الله كتب الله له بكل شعرة حسنة ورفع له بها درجة وحط عنه بها سيئة، ومن حرس ليلة فى سبيل الله أمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة.

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: إذا كنت فى سرية فى سبيل الله فكن خلفها تسوق ضعيفها وتؤمن خائفها يكن لك مثل أجورهم ولا ينقص من أجورهم شيء.

وعن أحد الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه قال: السيوف مفاتيح الجنة قال: وإذا التقى الصفان فى سبيل الله تزين الحور العين فاطلعن فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره اللهم أعنه، فإذا أدبر احتجبن عنه وقلن: اللهم اغفر له. وإذا قتل غفر الله له بأول قطرة تخرج من دمه كل ذنب هو له، وينزل عليه اثنتان من الحور العين تمسحان الغبار عن وجهه.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الدارمي، برقم (٢٤٠٠)، والنسائي في «الكبرى» برقم (٨٨٦٩)، والحاكم في المستدرك، برقم (٢٤٣٢)، والبيهقي في الكبرى، برقم (٩/١٤٩)، من حديث أبي ريحانة، وأخرجه الطبراني في الكبير، برقم (١٠٠٣)، من حديث بهز بن حكيم، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢٧٠٦).

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد، برقم (٩٢٠٨)، وابن حبان، برقم (٤٦٥٦)، والحاكم في المستدرك، برقم (١٤٢٩)، والطيالسي في مسنده، برقم (٢٥٦٧)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني، رقم (٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٥٣٤)، ومسلم، برقم (٨٥).

وذكر: أن رجلاً حبشيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا كما ترانى دميم الوجه منتن الريح غير زاكى الحسب، فأين أنا إن قاتلت حتى أقتل؟ قال: «أنت فى الجنة» فأسلم الرجل. فقال: عندى غنم فكيف أصنع بها؟ فقال: «وجهها إلى المدينة ثم صح بها فإنها سترجع إلى أهلها» ففعل ذلك، ثم اقتحم القتال فاقتتلوا فلما تحاجز القوم قال النبى ﷺ «تفقدوا إخوانكم» ففعلوا فقالوا: يا رسول الله، ذلك الحبشى قتيل فى وادى كذا، فقام النبى ﷺ معهم فلما أشرف عليه قال: «اليوم حسن الله وجهك وطيب ريحك وزكى حسبك» فبكى فأعرض عنه، فقالوا: رأيناك أعرضت عنه؟ فقال: «والذى نفسى بيده لقد رأيت أزواجه من الحور العين ابتدرن حتى بدت خلاخيلهن»[1].

ويقال الغزاة ثلاثة أصناف: صنف منهم يرعون دوابهم، وصنف منهم يخدمونهم، وصنف منهم يباشرون القتال، وكلهم فى الأجر سواء، وأفضلهم الذى يرعى دوابهم ويقاتل إذا حضر القتال، ثم الذى يخدمهم ويقاتل إذا حضر القتال.

كما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «أعظم القوم أجرًا خادمهم».

وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من عبد يموت وله عند الله خير يتمنى أن يرجع إلى الدنيا وإن كانت له الدنيا وما فيها» يعنى: لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا، وإن أعطى له جميع الدنيا، لما يخاف من هول الموت إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل مرة أخرى[2].

وعن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] قال: هم الشهداء مسلولى السيوف عند العرش.

وفى رواية: متقلدين بالسيوف حول العرش، وعن قتادة أنه قال: إن الله تعالى أعطى المجاهدين ثلاث خصال: من قتل منهم صار حيًا مرزوقًا، ومن غلب أعطاه الله أجرًا عظيمًا، ومن عاش يرزقه الله رزقًا حسنًا.

وعن الحسن البصرى رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال: «من سأل الله الشهادة فمات كان له أجر الشهيد»[3].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قول الله عز وجل: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٢٤٦٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٧٩٥)، ومسلم، برقم (١٨٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (بمعناه)، برقم (١٩٠٩)، وأبو داود، برقم (١٥٢٠)، والترمذي، برقم (١٦٥٣)، وابن ماجه، برقم (٢٧٩٧)، والدارمي، برقم (٢٤٠٧)، من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

قال: أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة فى أيها شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله الشهادة من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جرح فى سبيل الله جرحًا أو نكب نكبة فإنه يجيء يوم القيامة لونه كالزعفران وريحه كالمسك»[1].

وروى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين: عين فقئت فى سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين باتت ساهرة من خشية الله، وعين باتت تحرس سرية من وراء المسلمين»[2].

٧١ - باب فضل الرباط

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا محمد بن حرب المدنى حدثنا عمر بن منصور عن النضر بن معبد عن أبى قلابة عن عثمان رضى الله تعالى عنه قال: كنت أسر واليوم أعلن وما كان يمنعنى أحد أن أحدثكم إلا لضن بكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام ألف يوم وقيام ألف ليلة»[3].

وقال: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا نصير بن يحيى قال: حدثنا أبو سليمان عن محمد بن الحسن عن محمد بن راشد عن مكحول أن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه مر بشرحبيل بن السمط، وهو مرابط فى قلعة بأرض فارس فقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «الرباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات وهو مرابط أجير من فتنة القبر ونما له كل عمله كأحسن ما كان يعمل إلى يوم القيامة»[4].

(قال الفقيه) أبو الليث رحمه الله: حدثنى أبى بإسناده عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كبر تكبيرة فى سبيل الله كانت كصخرة فى ميزانه يوم القيامة أثقل من السموات والأرض وما فيهن، ومن قال فى سبيل الله لا إله إلا الله والله أكبر رافعًا صوته بها كتب الله له بها رضوانه الأكبر، ومن يكتب له رضوانه الأكبر جمع الله بينه وبين محمد وإبراهيم وسائر

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود، برقم (٢٥٤١)، والترمذي، برقم (١٦٥٧)، والنسائي، برقم (٣١٤١)، وأحمد، برقم (٢٢١٦٣). انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٢) أخرجه الرافعي عن أسامة بن زيد، انظر كنز العمال، برقم (٤٣٤٦٨)، وانظر جمع الجوامع، (١/ ٦٢٣).

(٣) **حسن:** أخرجه الترمذي، برقم (١٦٦٧)، والنسائي، برقم (٣١٦٩)، وابن ماجه، برقم (٢٧٦٦)، انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني، رقم (١٢٢٤). ،

(٤) أخرجه مسلم، برقم (١٩١٣)، والترمذي، برقم (١٦٦٥).

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[(١)] .

(قال الفقيه) رحمه الله : اختلفوا فى الرضوان الأكبر . قال بعضهم : هو رؤية الله تعالى . وقال بعضهم : الرضوان الأكبر الذى لا يسخط عليه بعده أبدًا .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف لى أن أنفق من مالى حتى أبلغ عمل المجاهدين فى سبيل الله؟ قال : «وما مالك» قال : ستة آلاف . قال : «لو تصدقت بها ما كان عدل نومة الغازى فى سبيل الله»[(٢)] .

وروى محمد بن مقاتل العبادانى عن أبيه قال : كان يقال : من حلق رأسه فى الرباط ثم دفنه كان له أجر المرابط ، ما دام ذلك الشعر مدفونًا والشعر لا يبلى .

وروى عثمان بن عطاء عن أبيه قال : دخل رجل مع عبد الرحمن بن عوف ، فى حائط له فأعتق ثلاثين رقبة فجعل الرجل يتعجب من ذلك فقال له عبد الرحمن : أفلا أخبرك بعمل أفضل منه؟ قال : نعم . قال : بينما رجل يسير فى سبيل الله تعالى على دابته وسوطه متعلق فى أصبعه إذ نعس نعسة فسقط سوطه فَلَزَوْعته بسوطه أفضل مما رأيتنى صنعت .

وذكر عبد الله بن المبارك بإسناده عن رسول الله ﷺ قال : «يبعث الله يوم القيامة أقوامًا يمرون على الصراط كهيئة الريح ليس عليهم حساب ولا عذاب» . قالوا : من هم يا رسول الله؟ قال : «أقوام يدركهم موتهم فى الرباط»[(٣)] .

وروى أبو أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد موتهم : من مات مرابطًا فى سبيل الله ، ومن مات وعلم علمًا أجرى له أجر من عمل به ، ومن تصدق بصدقة جارية من ماله فأجرها يجرى له ما دامت الصدقة ، ورجل ترك ولدًا صالحًا وهو يدعو له»[(٤)] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : سمعت الفقيه أبا جعفر يذكر عن أبى القاسم عن نصير عن أبى مطيع أنه قال : الرباط الذى جاء فيه الفضل هو الرباط الذى لا يكون وراءه إسلام .

وروى سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه أنه قال : إذا أغار العدو على موضع فذلك الموضع

---

(١) أخرجه الحارث بن أسامة في مسنده ، برقم (٦٢٢) ، والديلمي في الفردوس ، برقم (٥٦٢٥) ، وقال أبو حاتم : هذا الخبر لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ ، وإسحاق يأتي عن الثقات الموضوعات ، لا يحل الرواية عنه إلا عن التعجب ولا يحتج بعبد الله بن نافع ، وقال النسائي : عبد الله متروك الحديث ، انظر الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الجهاد ، برقم (١٨١) . ،

(٤) حسن : أخرجه أحمد ، برقم (٢٢٣٠١) ، والطبراني في الكبير ، برقم (٧٨٣١) ، وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ١٦٧) ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني ، رقم (٨٧٧) .

رباط إلى أربعين سنة، وإذا أغار مرتين فهو رباط إلى مائة وعشرين سنة، وإذا أغار ثلاث مرات: فهو رباط إلى يوم القيامة.

٧٢ - باب فضل الرمى والركوب

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه وأرضاه: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو يحيى الحمانى عن الحسن بن عمارة عن عبد الله بن عبد الرحمن عن جابر بن زيد قال: كنت أرامى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ففقدنى يومًا، فقال لى: ما أبطأك؟ فأخبرته بعذرى، فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يكون لك عونًا على الرمى؟ فقلت: بلى. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يدخل بسهم واحد ثلاثة نفر الجنة: الرامى والمحتسب بصنعته والمقوى به».

قال النبى ﷺ: «ارموا واركبوا، وأن ترموا خير لكم وأحب إلىّ من أن تركبوا، فإن كل لهو لها به المؤمن باطل إلا فى ثلاث: رميك عن قوسك وتأديبك فرسك، وملاعبتك مع أهلك، فإن ذلك من الحق»[١].

وعن مكحول أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أهل الشام: علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية ومروهم بالاحتفاف بين الأغراض.

وعن مجاهد قال: رأيت ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يشتد بين الهدفين فى قميص.

وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه: كان يشتد بين الهدفين فى قميص واحد،

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لسعد يوم أحد «ارم يا سعد فداك أبى وأمى»[٢].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: فى هذا الخبر بيان فضل الرمى؛ لأن النبى ﷺ لم يقل لأحد فداك أبى وأمى إلا لسعد لأجل أنه كان راميًا، ودعا النبى ﷺ لسعد فقال: «اللهم سدد رميه وأجب دعوته»[٣].

وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى ﷺ قال: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٤].

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أبو داود، برقم (٢٥١٣)، والترمذي، برقم (١٦٣٧)، والنسائي، برقم (٣٥٧٨)، وابن ماجه، برقم (٢٨١١)، وأحمد، برقم (١٦٨٤٩)، والدارمي برقم (٢٤٠٥). انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤٠٥٥)، ومسلم، برقم (٢٤١٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٤٣١٤)، والبزار في مسنده، برقم (١٢١٣)، وابن أبي عاصم في السنة، برقم (١٤٠٨)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٦/ ١١٣)، وقال: رواه البزار، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاص، وهو متروك.

(٤) **صحيح:** أخرجه ابن ماجه، برقم (٢٣٠٥) والطبراني في الكبير، برقم (٤٠٤)، والبزار في مسنده، برقم (٢٩٤٣)، وأبو يعلي في مسنده، برقم (٦٨٢٨). انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

وفى خبر آخر: «العز فى نواصى الخيل، والذل فى أذناب البقر» يعنى: إذا اشتغل الناس بالجهاد كان فيه عز الإسلام، وإذا تركوا الجهاد واتبعوا أذناب البقر ذلوا [(١)].

وعن عمرو بن عنبسة عن النبى ﷺ أنه قال: «من رمى سهمًا فى سبيل الله فهو عدل محرر»[(٢)]. يعنى: مثل عتق رقبة.

وعن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال: «ستفتح لكم الأرض وتكفون المؤنة فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه»[(٣)].

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: المغراض روضة من رياض الجنة، والرامى على المغراض كالرامى على العدو، والذى يرد السهام له بكل قدم عتق رقبة.

وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر هذه الآية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ثم قال: «ألا إن القوة الرمى» - قالها ثلاثًا [(٤)]

وعن النبى ﷺ أنه قال: «من ترك الرمى بعدما علمه فقد ترك سنة».

وفى خبر آخر: «نعمة تركها»[(٥)] ويقال: لا ينبغى للشريف أن يأنف من أربعة وإن كان أميرًا، قيامه من مجلسه لوالديه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وخدمته لمن يؤدبه الذى يأخذ عنه العلم. والله أعلم.

وروى عن أنس بن مالك أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شرف المرء بعد طلب العلم تعلم الرمى». **فقلت**: يا رسول الله، ما ثواب تعلم الرمى؟، قال «يأنس، من رمى بسهم يديد بذلك وجه الله وعز الإسلام، كان له بكل رمية جارية من حور العين، وبنى له خيمة فى الجنة من درة بيضاء، سعتها مدار الأرض، ومن رمى بسهم فى سبيل الله زاده ذلك السهم حتى يجىء يوم القيامة وهو أثقل من جبل أحد»[(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (١٦٣٨)، والنسائي، برقم (٣١٤٣)، وابن ماجه، برقم (٢٨١٢)، وأحمد، برقم (١٦٥٧٤). انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٩١٨)، والترمذي، برقم (٣٠٨٣)، وأحمد، برقم (١٦٩٨٠)، وابن حبان، برقم (٤٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم، برقم (١٩١٧)، وأبو داود، برقم (٢٥١٤)، والترمذي، برقم (٣٠٨٣)، وابن ماجه، برقم (٢٨١٣)، وأحمد، برقم (١٦٩٧٩).

(٥) **ضعيف**: أخرجه أبو داود، برقم (٢٥١٣)، وأحمد، برقم (١٦٨٨٤)، انظر ضعيف سنن أبي داود للألباني.

(٦) لم أقف عليه.

وقال : «من تعلم الرمى أعطاه الله ثلاثة أشياء : الحشر مع المجاهدين ، الهيبه والسعة فى الرزق ، وفي الآخرة ثلاثة أشياء : الحشر مع المجاهدين ، ويجوز على الصراط كالبرق اللامع ، ويدخل الجنة بغير حساب»[١] .

٧٣ - باب أدب الغزو

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله عنه : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا ذكر الله»[٢] .

وعن عوف بن مالك الأشجعى أنه قال : من أراد أن يكون غازيًا حقًا مجاهدًا فى سبيل الله بالسنة فليحافظ على عشر خصال :

أولها : أن لا يخرج إلا برضا الوالدين .

والثاني : أن يؤدى أمانة الله التى فى عنقه من الصلاة والزكاة والحج والكفارة ، ثم يؤدى أمانات الناس التى فى عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور .

والثالث : أن يدع لأهله من النفقة ما يكفيهم قدر إقامته .

والرابع : أن تكون نفقته من كسب حلال فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب .

والخامس : أن يسمع ويطيع لأميره وإن كان عبدًا حبشيًا بعدما كان أميرًا عليه .

والسادس : أن يؤدى حق رفيقه ويتبسم فى وجهه كلما لقيه وينفق أكثر مما هو ينفق ويمرضه ويقوم فى حوائجه .

والسابع : أن لا يؤذى فى طريقه مسلمًا ولا معاهدًا .

والثامن : أن لا يفر من الزحف .

والتاسع : أن لا يغل من الغنيمة شيئًا لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [آل عمران : ١٦١] الآية .

والعاشر : أن يريد بغزوه إعزاز الدين ونصرة المؤمنين .

ويقال: ينبغى للغازى أن يكون له عشر خصال فى الحرب:

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرجه الدارمي، برقم (٢٤٤٠)، من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرج مسلم جزأ منه، برقم (١٧٤٢)، وأبو داود، برقم (٢٦٣١) من حديث عبد الله بن أوفى، وأحمد، برقم (١٠٣٩٥) من حديث أبي هريرة .

أولها: أن يكون فى قلب الأسد لا يجبن، وفى كبر النمر لا يتواضع لعدوه، وفى شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه، وفى حملة الخنزير لا يولى دبره إذا حمل عليه، وفى إغارة الذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه آخر، وفى حمل الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزنها، وفى ثباته كالحجر لا يزول من مكانه، وفى صبره كالحمار إذا أثقله نصول السهام وضرب السيوف. وفى وفاء الكلب لو دخل سيده النار لاتبع أثره، وفى التماس الفرص كالديك، وفى الهزيمة كالثعلب.

٧٤ - باب فضل أمة محمد ﷺ

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا أبو عبد الله محمد بن جناح حدثنا أبو سعيد الإمام حدثنا نصير عن عباد بن كثير عن مقاتل بن سليمان رضى الله تعالى عنهم أن موسى عليه الصلاة السلام قال: يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الشافعون والمشفعون فاجعلهم أمتى.

قال: هم أمة محمد ﷺ. قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة كفارة خطايهم الصلوات الخمس فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة محمد ﷺ. قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة يقتلون أهل الضلالة حتى إنهم يقتلون الأعور الدجال فاجعلهم أمتى.

قال: هم أمة محمد ﷺ، قال: يا رب أجد فى الألواح أمة طهارتهم بالماء والتراب فاجعلهم أمتى.

قال: هم أمة محمد ﷺ، قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة يأخذون الصدقات ويأكلونها وكان الأولون يحرقونها بالنار فاجعلهم أمتى.

قال: هم أمة محمد ﷺ. قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإذا عملها كتبت له عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف فصاعدًا، وإذا هم أحدهم بسيئة لم يكتب عليه شيء، وإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ، قال موسى: يا رب، أجد فى الألواح أمة يدخل الجنة منهم سبعون ألفًا بغير حساب فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ.[1]

وروى معمر عن قتادة نحو هذا وزاد فيه: قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة هم خير الأمم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ، قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة هم الآخرون هم السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ﷺ،

(١) في إسناده مقاتل بن سليمان، قال وكيع: كان كذابًا، انظر ميزان الاعتدال، (٤/ ١٧٣)، وعباد بن كثير، قال البخاري: تركوه، انظر نفس المصدر، (٢/ ٣٧١).

قال : يا رب، أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم وكانوا يقرءون نظرًا فاجعلهم أمتى . قال : هم أمة محمد ﷺ . حتى كأنه تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون من أمة محمد ﷺ وأوحى الله تعالى إليه : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] فرضى موسى عليه الصلاة والسلام .

وروى مقاتل بن حيان أن النبى ﷺ قال : «لما أسرى بى إلى السماء انطلق جبريل عليه السلام حتى انتهى بى إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل عليه السلام : تقدم يا محمد، قلت : يا جبريل، لا، بل تقدم أنت . قال : يا محمد لا ينبغى لأحد غيرك أن يجاوز هذا المكان وأنت أكرم على الله منى . قال : فتقدمت حتى انتهيت إلى سرير من ذهب وعليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل عليه السلام من خلفى : يا محمد إن الله يثنى عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه، فبدأت بالثناء على الله تعالى فقلت : التحيات لله والصلوات والطيبات . قال الله تعالى : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقال جبريل عليه السلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله قال الله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فقلت : بلى يا رب آمنت بك . ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ كما فرقت اليهود بين موسى وعيسى عليهما السلام وفرقت النصارى بينهما . قال الله عز وجل : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ يعنى : إلا طاقتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعنى : لها ثواب ما كسبت من الخير : ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ من الشر، ثم قال : سل تعط فقلت : ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ يعنى : اغفر ذنوبنا فإنا مرجعنا إليك يوم القيامة، قال الله تعالى : قد غفرت لك ولأمتك من وحدنى وصدق بك .

ثم قال : يا محمد سَلْ تُعْطَ . فقلت : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ قال الله تعالى : لك ذلك لا أؤاخذكم بما نسيتم أو أخطأتم أو بما استكرهتم عليه .

ثم قال : سل تعط . فقلت : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ وذلك لأن بنى إسرائيل كانوا إذا أخطئوا خطيئة حرم الله عليهم بذلك أطيب الطعام كما قال الله تعالى : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ .

قال الله تعالى : لك ذلك سَلْ تُعْطَ . فقلت : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ فإن أمتى هم الضعفاء . قال الله تعالى : لك ذلك سل تعط . فقلت : ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦] قال : لك ذلك، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٥][(١)] .

---

(١) **ضعيف:** في إسناده مقاتل بن حبان، لم يحتج به ابن خزيمة، وقال ابن معين : ضعيف، وقال النسائي : ليس به بأس، انظر ميزان الاعتدال، (٤/ ١٧١) .

قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردري قال: حدثنا بكر بن منير حدثنا هانى بن النضر حدثنا أحمد بن خالد عن المسعودى عن مزاحم بن زفر عن مجاهد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: أرسلت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحل لى المغنم وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي»[1].

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى: يحكى أن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان له على يهودى حق، فلقيه عمر رضى الله تعالى عنه فقال والذى اصطفى أبا القاسم على البشر لا تفارقنى وأنا طالبك بشيء. فقال اليهودى: ما اصطفى الله أبا القاسم على البشر. فرفع عمر رضى الله تعالى عنه يده فلطم خده، فقال اليهودى: بينى وبينك أبو القاسم. وأتيا النبى ﷺ فقال اليهودى: إن عمر زعم أن الله اصطفاك على البشر وإنى زعمت أن الله لم يصطفك على البشر فرفع يده فلطمنى. فقال النبى ﷺ: «أما أنت يا عمر فأرضه من لطمتك، ثم قال: بلى، يا يهودى إن آدم صفى الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى نبى الله، وعيسى روح الله، وأنا حبيب الله، بلى يا يهودى اسمان من أسماء الله تعالى سمى بهما أمتى سمى نفسه السلام وسمى أمتى المسلمين، وسمى نفسه المؤمن وسمى أمتى المؤمنين، بلى يا يهودى طلبت يومًا أدخره لنا - يعني: يوم الجمعة- فاليوم لنا وغدًا لكم وبعد غد للنصاري. بلى يا يهودى أنتم الأولون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بلى يا يهودى إن الجنة لمحرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا وإنها لمحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتى». وقال كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه: إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بثلاثة أشياء كما أكرم بها أنبياءه. أحدها: أنه جعل كل نبى شاهدًا على قومه وجعل هذه الأمة شهداء على الناس، وقال للرسل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال لهذه الأمة: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال: لكل نبى دعوة مستجابة، وقال لهذه الأمة ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]».

ويقال: إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بخمس كرامات:

أولها: أنه خلقهم ضعفاء حتى لا يتكبروا.

والثاني: خلقهم صغارًا فى أنفسهم حتى تكون مؤنة الطعام والشراب والثياب عليهم أقل.

والثالث: جعل عمرهم قصيرًا حتى تكون ذنوبهم أقبل.

والرابع: جعلهم فقراء حتى يكون حسابهم فى الآخرة أقل.

والخامس: جعلهم آخر الأمم حتى يكون بقاؤهم فى القبر أقل.

---

(١) أخرجه البخاري (بنحوه)، برقم (٤٣٨)، ومسلم، برقم (٥٢١). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وذكر أن آدم عليه الصلاة والسلام قال: إن الله تعالى أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات ما أعطانيها:

أحدها: أن قبول توبتي كان بمكة وأمة محمد ﷺ يتوبون في كل مكان فيتقبل الله توبتهم.

والثاني: إني كنت لابسًا فلما عصيت جعلني عريانًا وأمة محمد ﷺ يعصون عراة فيلبسهم الله.

والثالث: أني لما عصيت فرق بيني وبين امرأتي وأمة محمد ﷺ يعصون ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم.

والرابع: أني لما عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد ﷺ يعصون خارج الجنة فيدخلونها بالتوبة(١).

وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: بينما النبي ﷺ جالس مع المهاجرين والأنصار إذ أقبل إليه جماعة من اليهود فقالوا: يا محمد، إنا نسألك عن كلمات أعطاهن الله تعالى لموسى بن عمران لا يعطيها إلا نبيًا مرسلاً أو ملكًا مقربًا؟ فقال النبي ﷺ «سلوا» فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن هذه الصلوات الخمس التي افترضها الله على أمتك؟ فقال النبي ﷺ «أما صلاة الظهر إذا زالت الشمس يسبح كل شيء لربه، وأما صلاة العصر فإنها الساعة التي أكل فيها آدم عليه السلام من الشجرة وأما صلاة المغرب فإنها الساعة التي تاب الله على آدم عليه السلام فيها. فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة محتسبًا ثم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه، وأما صلاة العتمة فإنها الصلاة التي صلاها المرسلون قبلي، وأما صلاة الفجر فإن الشمس إذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان ويسجد لها كل كافر من دون الله» قالوا له: صدقت يا محمد فما ثواب من صلى؟ قال النبي ﷺ «أما صلاة الظهر فإنها الساعة التي تسعر فيها جهنم فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة إلا حرم الله تعالى عليه لفحات جهنم يوم القيامة، وأما صلاة العصر فإنها الساعة التي أكل آدم عليه السلام فيها من الشجرة فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». ثم تلا قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وأما صلاة المغرب فإنها الساعة التي تاب الله فيها على آدم عليه السلام فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة محتسبًا ثم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه، وأما صلاة العتمة فإن القبر ظلمة ويوم القيامة ظلمة فما من مؤمن مشى في ظلمة الليل إلى صلاة العتمة إلا حرم الله عليه وقود النار ويعطى نورًا يجوز به على الصراط، وأما صلاة الفجر فما من مؤمن يصلي الفجر أربعين يومًا في جماعة إلا أعطاه الله برائتين براءة من النار وبراءة من النفاق» قالوا: صدقت يا محمد، ولم افترض الله على أمتك الصوم ثلاثين يومًا؟ قال: «إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في بطنه مقدار ثلاثين يومًا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣١٨٠٢).

فافترض الله على ذريته الجوع ثلاثين يومًا ويأكلون بالليل تفضلاً من الله تعالى على خلقه» قالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا ما ثواب صيام أمتك؟ قال: «ما من عبد يصوم من شهر رمضان يومًا محتسبًا إلا أعطاه الله سبع خصال: يذوب اللحم الحرام من جسده، ويقربه من رحمته ويعطيه خير الأعمال، ويؤمنه من الجوع والعطش، ويهون عليه عذاب القبر، ويعطيه الله نورًا يوم القيامة، حتى يجاوز به الصراط، ويعطيه الكرامات فى الجنة» قالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا ما فضلك على النبيين؟ قال: «فما من نبى إلا دعا على قومه بالهلاك وأنا ادخرت دعوتى لأمتي». يعنى الشفاعة، قالوا: صدقت يا محمد نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وعن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه قال: قرأت فى بعض ما أنزل الله على موسى عليه السلام: يا موسى، ركعتان يصليهما أحمد وأمته وهى صلاة الغداة من يصليهما غفرت له ما أصاب من الذنوب من ليله ويومه ويكون فى ذمتى، يا موسى، أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهى صلاة الظهر أعطيهم بأول ركعة منها المغفرة، وبالثانية أثقل ميزانهم، وبالثالثة أوكل عليهم الملائكة يسبحون ويستغفرون لهم، وبالرابعة أفتح لهم أبواب السماء ويشرفن عليهم الحور العين، يا موسى أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهى صلاة العصر فلا يبقى ملك فى السموات والأرض إلا استغفر لهم ومن استغفرت له الملائكة لم أعذبه، يا موسى ثلاث ركعات يصليها أحمد وأمته حين تغرب الشمس أفتح لهم أبواب السماء لا يسألون من حاجة إلا قضيتها لهم، يا موسى، أربع ركعات يصليها أحمد وأمته حين يغيب الشفق وهى خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهم، يا موسى، يتوضأ أحمد وأمته كما أمرتهم أعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء والأرض، يا موسى يصوم أحمد وأمته شهرًا فى كل سنة وهو شهر رمضان أعطيهم بصيام كل يوم مدينة فى الجنة، وأعطيهم بكل خير يعملون فيه من التطوع أجر فريضة وأجعل فيه ليلة القدر، من استغفر منهم فيها مرة واحدة نادمًا صادقًا من قلبه إن مات من ليله أو شهره أعطيته أجر ثلاثين شهيدًا، يا موسى إن فى أمة محمد رجالاً يقومون على كل شرف يشهدون بشهادة أن لا إله إلا الله فجزاؤهم بذلك جزاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورحمتى عليهم واجبة وغضبى بعيد منهم، ولا أحجب باب التوبة عن واحد منهم ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله[1].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «إن أول من يدعى يوم القيامة نوح عليه السلام وأمته، ثم يقال له: هل بلغت ما أرسلت به؟ فيقول نعم يا رب، ثم يقال لقومه هل بلغكم نوح رسالة الله؟ فيقولون: لا والله، ولئن كنت أرسلت إلينا رسولاً لنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فما بلغنا ما أمر به، فقال لنوح عليه السلام: إن هؤلاء يزعمون أنك لم تبلغهم فهل لك عليهم من شهيد؟ فيقول: نعم.

---

(١) لوائح الوضع ظاهرة عليه.

فيقال: من هم؟ فيقال: هم أمة محمد ﷺ، فيدعون ويسألون.

فيقولون: نعم نشهد أن نوحًا عليه السلام قد بلغ قومه، فيقول قوم نوح كيف تشهدون علينا ونحن أول الأمم وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون نشهد أن الله تعالى بعث إلينا رسولاً وأنزل عليه الكتاب وكان فيما أنزل عليه خبركم».

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه: نحن الآخرون ونحن الأولون يوم القيامة فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣](١).

٧٥ - باب حق الزوج على زوجته

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الوهاب ابن محمد حدثنا محمد بن على حدثنا محمد بن صالح حدثنا عبد الرحمن الدورى عن عبد العزيز ابن الخطاب عن حبان بن على العنزى عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: إنى أسلمت فأرنى شيئًا أزداد به يقينًا.

قال «ما تريد؟» قال: ادع تلك الشجرة فلتأتك. قال «اذهب فادعها» فذهب فقال: أجيبى رسول الله، فمالت على جانب من جوانبها فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر ثم أقبلت ثم أدبرت فقطعت عروقها، ثم أقبلت تجر عروقها وفروعها، حتى انتهت إلى النبى ﷺ وسلمت عليه.

فقال الأعرابى: حسبى حسبى. فأمرها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع ثم استوت، فقال الأعرابى: ائذن لى يا رسول الله فأقبل رأسك ورجليك؟ فأذن له فقبل رأسه ورجليه.

فقال: أتأذن لى أن أسجد لك؟

قال: «لا تسجد لى ولا يسجد أحد لأحد من الخلق، ولو كنت آمر أحدًا بذلك لأمرت المرة أن تسجد لزوجها تعظيمًا لحقه»(٢).

وروى عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ قال: «أن لا تمنع نفسها ولو كان على ظهر قتب، ولا تصوم يومًا إلا بإذنه إلا رمضان، فإن فعلت كان الأجر له والوزر عليها، ولا تخرج إلا بإذنه فإن خرجت لنفسها لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري مختصرًا، برقم (٧٣٤٩)، وابن ماجه، برقم (٤٢٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) الحديث صحيح بدون القصة التي في أوله، انظر سنن الترمذي، برقم (١١٥٩)، وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (٥٢٣٩)، (٥٢٩٤).

(٣) أخرجه البيهقي، برقم (١٤٤٩٠)، والطيالسي في مسنده، برقم (١٩٥١)، وعبد بن حميد في مسنده، برقم (٨١٣).

وعن قتادة رضى الله تعالى عنه قال: ذكر لنا أن كعبًا قال: أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة عن صلاتها ثم عن حق زوجها.

وعن الحسن عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا هربت المرأة من بيت زوجها لم تقبل لها صلاة حتى ترجع وتضع يدها فى يده وتقول: اصنع بى ما شئت، وإن المرأة إذا صلت ولم تدع لزوجها ردت عليها صلاتها حتى تدعو لزوجها»(١).

وعن قتادة رضى الله تعالى عنه قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته وهو يومئذ بمنى «أيها الناس إن لكم على نسائكم حقًا وإن لهن عليكم حقًا، وإن من حقكم عليهن أن يحفظن فرشكم، ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن هن فعلن ذلك فقد أحل الله لكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح، وإن من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف»(٢).

وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها. وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت»(٣).

وعنه أيضًا عن النبى ﷺ أنه قال: «لو أن الزوج سال من أحد منخريه دم ومن الآخر صديد فلحسته المرأة ما أدت حق زوجها»(٤).

٧٦ - باب حق الزوجة على زوجها

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبى رحمه الله حدثنا أبو الحسن الفراء، حدثنا محمد بن غالب البغدادى عن الحسن بن عطية عن الفضل بن سهل عن ابن عاتكة، قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: سئل رسول الله ﷺ أى المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: «أحسنهم خلقًا مع أهله»(٥).

قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردرى: قال: حدثنى أبو أحمد الحلوانى حدثنا العباس بن

---

(١) من مراسيل الحسن.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه، برقم (١٢١٨)، وأبو داود، برقم (١٩٠٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي، برقم (٣٠٨٧)، وابن ماجه، برقم (١٨٥١)، من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد، برقم (١٦٦٤)، والطبراني في الأوسط، برقم (٨٨٠٥)، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٤١٦٣)، من حديث أبي هريرة, وقد صحح الألباني رواية أبي هريرة في صحيح الجامع, برقم (٦٦٠). ،

(٤) جزء من حديث أخرجه أحمد (بمعناه)، برقم (١٢٦٣٥)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٩/ ٤)، وقال: رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح خلا حفص ابن أخي أنس وهو ثقة.

(٥) أورده الهيثمي في المجمع، (٨/ ٢٢)، وقال: رواه البزار، وفيه سهيل بن أبي حزم، وثقه ابن معين، وضعفه جماعة، وانظر فيض القدير، (٢/ ٩٧).

محمد حدثنا يحيى بن معين، حدثنا أبو حفص الأبار عن حجادة عن عطية العوفى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذى يلى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والعبد راع فى مال سيده وهو مسئول عنه، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(١).

قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن على عن الفضل بن سهل عن محمد بن عبد الله بن أبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تزوج امرأة بصداق مثلها وهو ينوى أن لا يؤديه إليها فهو زان، ومن استدان دينًا وهو ينوى أن لا يقضه فهو سارق»(٢).

قال: حدثنا أبو القاسم الشناناذى بإسناده عن الحسن البصرى رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى»(٣).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حق المرأة على الزوج خمسة أشياء:

أولها: أن يخدمها من وراء الستر ولا يدعها تخرج من وراء الستر فإنها عورة وخروجها إثم وترك للمروءة.

والثانى: أن يعلمها ما تحتاج إليه من العلم مما لا بد لها من أحكام الوضوء، والصلوات والصوم.

والثالث: أن يطعمها الحلال فإن اللحم إذا نبت من الحرام يذوب بالنار.

والرابع: أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده.

والخامس: إن تطاولت عليه يحتمل ذلك منها نصيحة لها لكيلا تقع فى أمر هو أضر بها مما وقعت فيه.

وذكر أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أم كلثوم تطاولت عليه، فقال الرجل: إنى أردت أن أشكو إليه زوجتى وبه من البلوى ما بى فرجع. فدعاه عمر رضى الله تعالى عنه فسأله فقال: إنى أردت أن أشكو إليك زوجتى فلما سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٨٩٣)، ومسلم، برقم (١٨٢٩).
(٢) أخرجه ابن حبان في المجروحين، (٢/ ٢٦١).
(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم، برقم (١٢١٨)، وأبو داود، برقم (١٩٠٥)، وابن ماجه، برقم (٣٠٧٤)، وأحمد، برقم (٢٠١٧٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فقال عمر رضى الله تعالى عنه إنى أتجاوز عنها لحقوق لها علىّ:

أولها: أنها ستر بينى وبين النار، فيسكن بها قلبى عن الحرام.

والثانى: أنها خازنة لى إذا خرجت من منزلى وتكون حافظة لمالى.

والثالث: أنها قصارة لى تغسل ثيابى.

والرابع: أنها ظئر لولدي.

والخامس: أنها خبازة وطباخة لى. فقال الرجل: إن لى مثل ما لك فما تجاوزت عنها فأتجاوز.

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أربع نفقات لا يحاسب العبد بها يوم القيامة: نفقته على أبويه ونفقته على إفطاره، ونفقته على سحوره، ونفقته على عياله»[1].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدنانير أربعة: دينار تنفقه فى سبيل الله تعالى، ودينار تعطيه للمساكين، ودينار تعطيه فى رقبة، ودينار تنفقه على أهلك، وأعظمها أجرًا الدينار الذى تنفقه على أهلك»[2].

٧٧ - باب إصلاح ذات البين والنهى عن المصارمة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا عيسى بن خشنام حدثنا سويد عن مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا بوجهه وهذا بوجهه وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»[3].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا ابن عطية عن يونس عن الحسن البصرى رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا تهاجروا، فإن كنتم متهاجرين لا محالة فلا تهاجروا فوق ثلاثة أيام، وأيما مسلمين ماتا وهما متهاجران لا يجتمعان فى الجنة»[4].

قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن على الطوسى حدثنا عبد الله بن محمد عن مالك بن سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عبادًا يوضع لهم يوم القيامة منابر من نور ليسوا بأنبياء

---

(١) أخرجه الديلمى في الفردوس، برقم (١٥١٥).
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٩٩٥).
(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٠٧٧)، ومسلم، برقم (٢٥٦٠).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة كما في ترغيب المنذري، برقم (٤٥٦)، وهو من مراسيل الحسن، وله شواهد صحيحة.

ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء» فقالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم المتحابون فى الله»(١).

وعن **أبى هريرة** رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، فإذا رفع عمل المتصارمين فوق ثلاث رد»(٢).

وعن **أبى أمامة** رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان يهبط الله إلى سماء الدنيا فيطلع على أهل الأرض فيغفر لأهل الأرض جميعًا إلا الكافر والمشاحن»(٣).

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: هبوطه هبوط أمره كما قال الله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢] يعنى: فأتاهم أمره.

وروى عن **أنس بن مالك** رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «خمسة ليست لهم صلاة: المرأة الساخط عليها زوجها، والعبد الآبق من سيده، والمصارم الذى لم يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام، ومدمن الخمر، وإمام قوم يصلى بهم وهم له كارهون»(٤).

وعن **النبى** ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا»(٥).

وعن **أبى الدرداء** رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا»(٦).

وروى عن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه قال:

من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها:

أولهـا: من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار.

---

(١) أخرجه أحمد، برقم (٢٢٩٥٧)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٩)، وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤١١)، ومسلم، برقم (٢٥٦٥).

(٣) **حسن:** أخرجه ابن ماجه مختصرًا، برقم (١٣٩٠)، من حديث أبي موسي الأشعري، وابن حبان، برقم (٥٦٦٥)، والطبراني في الأوسط، برقم (٢١٢٤)، وفي الكبير، برقم (٢١٥)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

(٤) **حسن:** أخرجه الترمذي، برقم (٣٦٠)، وابن ماجه، برقم (٩٧١)، وابن حبان، برقم (١٧٥٤)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٥) أخرجه أبو سعيد السمان في مشيخته عن أنس، انظر كنز العمال، رقم (٥٤٨٦).

(٦) **صحيح:** أخرجه أبو داود، برقم (٤٩٠٩)، والترمذي، برقم (٢٥٠٩)، وأحمد، برقم (٢٧٥٤٨). انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

والثانى: من أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه.

والثالث: من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر.

والرابع: من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان.

والخامس: من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم.

والسادس: من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة.

والسابع: من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء.

والثامن: من أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه.

وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: أين تريدون؟ فيقولون: نريد الجنة.

فتقول الملائكة: أقبل الحساب؟ فيقولون: نعم قبل الحساب، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم فى الدنيا؟ قالوا: إنا كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا أسيء إلينا عفونا، فتقول الملائكة ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم عنق من الناس يريدن الجنة.

فتقول لهم الملائكة أين تريدون؟ قالوا: نريد الجنة فتقول الملائكة: أقبل الحساب؟ قالوا: نعم. فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الصبر. فتقول: وما كان صبركم؟ فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله.

فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد: أين جيران الله فى داره؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة، فتقول الملائكة، أين تريدون؟ فيقولون: نريد الجنة، فتقول الملائكة: أقبل الحساب؟ فيقولون: نعم.

فتقول الملائكة: من أنتم؟ فيقولون: نحن جيران الله فى أرضه. فيقولون: وما كان جواركم؟ فيقولون: كنا نتحاب فى الله وكنا نتبادل فى الله وكنا نتزاور فى الله. فتقول الملائكة ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين[١].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فيَّ؟ فوعزتى وجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلي»[٢].

---

(١) أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية، (٤/ ٣٩٤)، وابن أبي الدنيا في الحلم مختصرًا، برقم (٥٦)، والبيهقي في الشعب، (٨٠٨٦)، والحديث فيه ضعف.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٦٦)، وأحمد، برقم (٧٢٣٠)، ومالك، برقم (١٧٠٨).

وعن أبي أمامة رضى الله تعالى عنه قال: امش ميلاً وعد مريضًا، وامش ميلين وزر أخًا فى الله، وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين [١].

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة [٢].

وقال أبو بكر الوراق رضى الله تعالى عنه: إن الله بعث نبيه عليه الصلاة والسلام ليدعو الخلق إلى الله تعالى، وإنما طلب منهم عمل أربعة أشياء: القلب واللسان والجوارح والخلق.

وإنما طلب من كل واحد من هذه الأربعة شيئين: أما القلب فطلب منه تعظيم أمور الله تعالى والشفقة على خلقه، وأما اللسان فطلب منه ذكر الله تعالى على الدوام ومداراة الخلق، وأما الجوارح فطلب منها عبادة الله تعالى وعون المسلمين، وأما الخلق فطلب منه الرضا بقضاء الله تعالى وحسن المعاشرة مع الخلق واحتمال أذاهم.

وروى سهل بن أبى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا إنما الدين النصيحة» قالها ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين ولعامتهم».

(قال الفقيه) رحمه الله: النصيحة لله تعالى أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا، وتعمل بما أمر الله به وتنتهى عما نهى عنه، وتدعو الناس إلى ذلك وتدلهم عليه.

وأما النصيحة لرسوله فأن تعمل بسنته وتدعو الناس إليها.

وأما النصيحة لكتابه فأن تؤمن به وتتلوه وتعمل بما فيه وتدعو الناس إليه.

وأما النصيحة للأئمة فأن لا تخرج عليهم بالسيف وتدعو لهم بالعدل والإنصاف وتدل الناس إليه.

وأما النصيحة للعامة فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تصلح بينهم ولا تهجرهم وتدعو لهم بالصلاح.

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم. **وروى معمر** عن الزهرى عن حميد عن أمه أم كلثوم بنت عقبة عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نمى خيرًا» [٣].

---

(١) أورده الذهبي في الميزان، (٣/ ١٦٢)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب، برقم (١٨٤)، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

(٢) منكر جدًا: أخرجه الأصبهاني في ترغيبه، برقم (١٨٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب، (٣/ ٢٩٣)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب، رقم (١٦٦٦).،

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٢٦٩٢)، ومسلم، برقم (١٦٠٥)، وأبو داود، برقم (٤٩٢٠)، والترمذي، برقم (١٩٣٨)، وأحمد، برقم (٢٧٣٣).

وأما الإصلاح بين الناس فشعبة من شعب النبوة، والصرم بين الناس شعبة من شعب السحر.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الناس عند الله تعالى يوم القيامة ثوابًا أنفعهم للناس فى الدنيا، وإن المتقربين عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس»(١).

٧٨ - باب مخالطة السلطان

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردرى حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا إبراهيم بن رستم حدثنا أبو حفص الأزدى عن إسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ولم يدخلوا فى الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا فى الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم»(٢).

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الليث عن الحسن بن مسلم عن عبيد بن عمير أن النبى ﷺ قال: «ما ازداد رجل من السلطان قربًا إلا ازداد من الله بعدًا، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه»(٣).

وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن؟ قال: أبواب الأمراء.

وقيل لابن عمر رضى الله تعالى عنهما: إنا ندخل على السلطان فنتكلم بالكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه؟ قال: كنا نعدها من النفاق.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: إن الرجل ليدخل على ذى سلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه. **قيل:** وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله.

وقال بعض المتقدمين: إذا رأيت القارئ يختلف إلى الأغنياء فاعلم أنه مُرَاءٍ، وإذا رأيتَ عالمًا يختلف إلى الأمراء فاعلم أنه لص.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٦٠٢٦)، وفي الكبير، برقم (١٣٦٤٦)، دون قوله: «وإن المقربين عند الله... إلخ» وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩١)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة وفيه مسكين بن سراج، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٤٢١٠)، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة، (ص٢٨٨)، قيل: هو موضوع، وفي إسناده مجهول ومتروك، وتعقب ذلك وورد في هذا المعنى أشياء لا تصح، وقال ابن الجوزي في الموضوعات، (١/ ٢٦٣)، هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، فأما عمر العبدي، فقال أحمد: حرقنا حديثه، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك، وأما إبراهيم بن رستم، فقال ابن عدي: ليس بمعروف، وأما محمد بن معاوية فقال أحمد: كذاب.

(٣) أخرجه هناد في الزهد، برقم (٥٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٤).،

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: ليس شيء أضر بهذه الأمة، من ثلاث: حب الدينار والدرهم، وحب الرياسة، وإتيان باب السلطان، وقد جعل الله منهن مخرجًا، وعن مكحول رضى الله تعالى عنه قال: من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم أتى باب السلطان متملقًا إليه ومطيعًا له بين يديه خاض فى نار جهنم بعدد خطاه.

وعن ميمون بن مهران قال: فى صحبة السلطان خطران إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا يعرفك، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: لو أن رجلا لا يخالط هؤلاء يعنى السلاطين، ولا يزيد على الفرائض فهو أفضل من رجل يخالط السلطان ويصوم النهار ويقوم الليل، ويحج ويجاهد.

ويقال: ما أقبح بعالم يقال: أين هو؟ فيقال: عند الأمير.

وروى الحسن رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم يعظم أبرارهم فجارهم، وما لم يرفق خيارهم بشرارهم، وما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة وسلط عليهم جبابرتهم، وقذف فى قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة»[(١)].

وعن عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما أنه قال: يا معشر العلماء زغتم عن الطريق وأحببتم الدنيا، فكما أن الملوك تركوا الحكمة عندكم فاتركوا ملكهم عليهم.

وعن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه استعمل بشر بن عاصم الثقفى على صدقات هوازن فتخلف فلقيه عمر رضى الله تعالى عنه فقال: ما خلفك؟ أما ترى لنا عليك سمعًا وطاعة؟ قال: بلى ولكنى سمعت رسول الله ﷺ قال: «من ولى أحدًا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسنًا نجا وإن كان مسيئًا انخرق به الجسر فيهوى فيها سبعين خريفًا».

فخرج عمر رضى الله عنه حزينًا كئيبًا فلقيه أبو ذر رضى الله تعالى عنه فقال له: ما لى أراك حزينًا كئيبًا؟ قال: وما يمنعنى وقد سمعت بشر بن عاصم يقول كذا وكذا.

قال أبو ذر: أما سمعت ذلك؟ قال عمر: لا، قال أبو ذر: أشهد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولى أحدًا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسنًا نجا وإن كان مسيئًا انخرق به الجسر فيهوى فيها سبعين خريفًا وهى سوداء مظلمة»[(٢)].

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس بنحوه، برقم (٧٥٧٢)، وابن المبارك في الزهد، ص (٢٨٢) وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٦/ ١٣٨)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٥/ ٢٠٥-٢٠٦)، وقال: رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز، وهو متروك.

من شدة الحساب ما يود أن لم يكن قضى بين اثنين قط»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيﷺ أنه قال: «من جعل على القضاء فكأنما ذبح بغير سكين»[٢] .

وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنه دخل على أبي جعفر الدوانيقي فقال: يا أبا حنيفة أعنا على أمرنا؟ فقال أبو حنيفة: أنا لا أصلح لهذا الأمر.

فقال له: سبحان الله أعنا على أمرنا؟ فقال يا أمير المؤمنين إن كنت صادقًا فقد أخبرتك وإن كنت كاذبًا فلا يحل لك أن توليني هذا الأمر.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: خرجت إلى رسول اللهﷺ فصحبني رجلان. فلما دخلنا على رسول اللهﷺ قالا: يا رسول الله، استعملنا على بعض أعمالك؟ فقال النبيﷺ «إنا لا نستعمل على عملنا من أراده وطلبه»[٣] .

وعن النبي ﷺ أنه قال لكعب بن عجرة: «يا كعب، أعيذك بالله من إمارة السفهاء - ثلاث مرات - أمراء يكونون من بعدي فمن صدقهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك مني براء وأنا منهم بريء، يا كعب بن عجرة كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به، يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان، يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها»[٤] .

قال: حدثنا أبي رحمه الله بإسناده قال: حدثنا أبو عبد الله الطالقاني بسمرقند قال: حدثنا الزبير بن بكار الزبيري حدثنا عيسى بن يونس عن موسى بن عبد الصمد عن زاذان قال: كنا مع عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على سطح له وله من رسول اللهﷺ صحبة فرأى الناس يتحملون وينتقلون فقال: ما بالهم؟ قيل: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون خذني يا طاعون خذني، فقيل له: لم تدعو بالموت وأنت صاحب رسول الله وقد سمعته ينهى عنه؟ فقال: أسأل الله الموت لخصال ست، رأيت رسول اللهﷺ يتخوفهن على أمته. قلنا: ما هن؟ قال: إمارة الصبيان، وكثرة الشرط، والرشوة في الحكم، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالذمة، ونشء يتخذون هذا القرآن مزمارًا مهجرًا، يقدمون الرجل وما هو بأفضلهم ولا بأفقههم إلا ليغنيهم بالقرآن غناء[٥] .

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (بنحوه)، برقم (٢٤٥٠٨)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٤٨٦٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود، رقم (٣٥٧٢)، والترمذي برقم (١٣٢٥)، وابن ماجه، برقم (٢٣٠٨)، وأحمد، برقم (٧١٤٥)، والحاكم في المستدرك، برقم (٧٠١٨)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٢٢٦١)، ومسلم، برقم (١٨٢٤)، وأبو داود، برقم (٣٥٧٩)، والنسائي، برقم (٤)، وأحمد، برقم (١٩١٦٧)، ولم يذكر أحد «وطلبه».

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي بنحوه، برقم (٦١٤)، وأحمد، برقم (١٤٤٨١)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٥) أخرجه أحمد، برقم (١٥٦١٠)، وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٤٥)، وقال: في إسناده أحمد عثمان بن عمير البجلي وهو ضعيف، وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح، من حديث عابس الغفاري رضي الله عنه.

وعن الحسن البصرى رحمه الله أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى قومًا من القراء، قال: ما ظنكم يا هؤلاء القراء ليس هذا من مجالس الأتقياء.

وعن النبى ﷺ قال: «إياكم وجيران الأغنياء وعلماء الأمراء وقراء الأسواق»[١].

وعن الضحاك بن مزاحم، قال: إنى لأتقلب الليلة كلها على فراشى ألتمس كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط بها خالقى فلا أقدر عليها.

وذكر أن عيسى بن موسى لقى ابن شبرمة فقال له: ما لك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن قربتنى فتنتنى.

وإن أبعدتنى آذيتنى، وما عندى ما أخافك، وما عندى ما أرجوك، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: اجتنبوا أبواب الملوك فإنكم لا تصيبون من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من آخرتكم ما هو أفضل منه.

وقال بعض المتقدمين: دخولك على الملوك يدعوك إلى ثلاث: إيثارك رضاهم، وتعظيمك دنياهم. وتزكيتك عملهم الخبيث، فإن فعلت بهؤلاء فقد هلكت، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٧٩ - باب فضل المرض وعيادة المريض

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد بن روزبة حدثنا عيسى بن خشنام حدثنا سويد بن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال: انظرا ماذا يقول عبدى لعواده؟ فإن هو إذا جاءوه حمد الله رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم، فيقول الله: قولا لعبدى: إن أنا توفيته أدخله الجنة وإن شفيته بدلت له لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»[٢].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه على صديق له فقال سلمان: إن الله تعالى يبتلى عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى ومستعتبًا لما بقى، وإن الله ليبتلى عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه فيكون كالبعير الذى عقله أهله ثم أطلقوه، لا يدرى فيم عقلوه، ولا فيم أطلقوه.

وبهذا الإسناد عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن الحارث بن سويد عن ابن مسعود رضى الله

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه مالك، برقم، (١٦٨٢)، والبيهقي في الشعب، برقم (٩٩٤١)، والأصبهاني في الترغيب، برقم (٥٤٨).

تعالى عنهم قال: دخلت على النبيﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا، فمسسته فقلت له: إنك لتوعك وعكًا شديدًا؟ فقال: «أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت: لأن لك أجرين؟ قال: «نعم، والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها»(١).

قال: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن الفضل القاضى حدثنا جعفر ابن محمد بن مصعب حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو بلال الأشعرى عن سليمان النهدى عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال: قال النبيﷺ: «إذا جاءت الحمى للنفس المؤمنة فتناديها الروح من جوف النفس فتقول: أيتها الحمى، ما تريدين من هذه النفس المؤمنة؟ فتجيبها الحمى فتقول: أيتها الروح الطيبة إن نفسك هذه كانت طاهرة فقذرتها الذنوب والخطايا فأنا أطهرها، فتجيبها الروح أدنى إذن ثلاث مرازت فطهريها»(٢).

وعن جعفر بن برقان عن شيخ عن رجل من المهاجرين أنه عاد مريضًا فقال: بلغنى أن للمريض فى مرضه أربع خصال: يرفع عنه القلم، ويجرى له من الأجر مثل الذى كان يعمل وهو صحيح، ويتبع كل خطيئة فى مفاصله فيستخرجها فإن مات مات مغفورًا له، وإن عاش عاش مغفورًا له.

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال: ارفع القلم عنه، وقال لصاحب اليمين: اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل وهو صحيح فإنه فى وثاقي.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: إن الحمى جاءت إلى رسول اللهﷺ تشبه امرأة سوداء فقال لها: «من أنت؟» قالت: أنا أم ملدم، وقال: «وما تصنعين يا أم ملدم؟» قالت: آكل اللحم وأنشف الدم وإن حرى من فيح جهنم. فعرف أنها الحمى، فقالت: يا رسول الله، ابعثنى إلى أحب أهلك إليك؟قال: فبعثها إلى الأنصار فأخذتهم سبعة أيام فبعثوا صريخهم إلى رسول اللهﷺ فدعا رسول اللهﷺ فرفعها الله عنهم، فكان رسول اللهﷺ إذا رآهم قال: «مرحبًا بقوم طهرهم الله تطهيرًا»(٣).

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبيﷺ أنه قال: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٦٤٧)، ومسلم، برقم (٢٥٧١)، وأحمد، برقم (٣٦١٨)، والدارمي، برقم (٢٧٧١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه ابن حبان، برقم (١٨١)، والطبراني في الكبير، برقم (٦١١٣)، والبيهقي في الشعب، برقم (٩٩٦٩)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٢/ ٣٠٦)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه هشام بن لاحق وثقه النسائي وضعفه أحمد وابن حبان.

والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم» [١].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونَفَسُه صدقة ونومه عبادة وتقلبه من جانب إلى جانب جهاد فى سبيل الله ويكتب له أحسن ما كان يعمل فى الصحة» [٢].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «أربع يستأنفون العمل: المريض إذا برئ، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيمانًا واحتسابًا، والحاج من كسب الحلال» [٣].

وعن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاث من كنوز البر: كتمان المرض، وكتمان الصدقة وكتمان المصيبة» [٤].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه دخل على سلمان رضى الله تعالى عنه وهو مريض فقال: «إن لك فى مضجعك ثلاث خصال أولها تذكرة من ربك، والثانى تمحيص وكفارة لما سلف من ذنوبك، والثالث: أن دعاء المبتلى مستجاب فادع الله ما استطعت» [٥].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن السقيم لا يكتب له أجر إنما الأجر فى العمل ولكن يكفر به الخطايا.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: لا يكتب له بالمرض ولكنه يكتب له مثل عمله الذى كان يعمل إذا كان محسنًا وعجز عن العمل، ويعلم الله تعالى أنه لو كان صحيحًا لكان يعمل مثل ما كان يعمله فإنه يكتب له ثواب تلك الأعمال ويكون المرض كفارة لذنوبه. يعنى: إذا تاب من ذنوبه، وأما إذا لم يتب، ومن نيته أنه إذا برئ من مرضه يعود إلى مثل أعماله الخبيثة فإنه لا يكفر عنه.

وعن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» [٦].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «قال ربكم وعزتى وجلالى لا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٠٤٠)، وابن ماجه، برقم (٣٤٤٤)، والحاكم في المستدرك، برقم (١٢٩٦)، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٢) ذكره الذهبي في الميزان، (٢/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (١٥٠٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (١٠٠٤٨)، والديلمي في الفردوس، برقم (٦٠١٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٧)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٥٣١١).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، برقم (٩١)، وفيه سهل بن عامر البجلي، ويحيى بن أبي كثير مدلس، انظر ميزان الاعتدال (٤/ ٤٠٢)، وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال، برقم (٢٥١٩٩).،

(٦) أخرجه أحمد، برقم (٢١٦٦١)، من حديث أبي أمامة، والطبراني في الأوسط برقم (٧٥٤٠) من حديث أنس، والديلمي في الفردوس، برقم (٢٧٨٨)، من حديث ابن مسعود، والبزار، برقم (٧٦٥)، من حديث عائشة، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني تصحيحًا لرواية البزار، رقم (٣١٨٧).

أخرج عبدًا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أنقيه من خطيئة عملها بسقم فى جسده أو ضيق فى معيشته، فإن تبقى عليه منها شيء شددت عليه الموت حتى يجيء إليّ كما ولدته أمه، ولا أخرج عبدًا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة فى جسده أو سعة فى رزقه فإن تبقى منها شيء هونت عليه الموت حتى يجيء إليّ وليست له حسنة»[(١)].

وعن عاصم الأحول عن أبى العالية، قال: كنا نحدث منذ خمسين سنة أن الرجل إذا مرض مرضًا يشرف منه على نفسه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ويقول الله تعالى: اكتبوا لعبدى ما كان يعمل فى صحته حتى أقبضه أو أخلى سبيله.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا لم يزل يخوض فى الرحمة فإذا جلس عنده انغمس فيها»[(٢)].

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من عاد مريضًا فكأنما صام يومًا فى سبيل الله تعالى اليوم بسبعمائة يوم، ومن تبع جنازة فكأنما صام يومًا فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم»[(٣)].

وروى أن رجلاً جاء إلى أم الدرداء رضى الله تعالى عنها فشكا إليها القساوة من قلبه قالت: هى أعظم الداء ولكن عد المريض وشيع الجنازة، واطلع فى القبور، ففعل فكأنه رأى من نفسه ما يسره فرجع إليها فقال: جزاك الله خيرًا.

٨٠ - باب فضل صلاة التطوع

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا المسيب بن شريك عن عمر بن عبيد عن الحسن البصرى رحمة الله عليهم، أن رسول الله ﷺ قال: «للمصلى ثلاث خصال تحف به الملائكة من قدمه إلى عنان السماء ويسقط عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملك ينادى لو يعلم هذا المصلى من يناجى ما انفتل»[(٤)].

قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد ابن الفضل

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٣) مختصرًا، وقال: ذكره رزين ولم أره.

(٢) أخرجه أحمد، برقم (١٤٢٩٩)، وابن حبان، برقم (٢٩٥٦)، والحاكم في المستدرك، برقم (١٢٩٥) والبخاري في الأدب المفرد، برقم (٥٢٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩٧)، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) جزء من الحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده، برقم (٨٥٣).

(٤) **ضعيف:** أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، برقم (١٦٠)، وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (١٥٠)، من حديث الحسن، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٤٧٥٢).

حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عن محمد بن حميد عن عبد الرحمن ابن سالم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم عن النبىﷺ أنه بعث سرية فعجلت الكرة وأعظمت الغنيمة فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا سرية قط أعجل كرة ولا أعظم غنيمة من سريتك هذه؟ قال: «أفلا أخبركم بأعجل كرة وأعظم غنيمة من سريتى هذه؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال «أقوام يصلون الصبح ثم يجلسون فى مجالسهم يذكرون الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم يصلون ركعتين ثم يرجعون إلى أهاليهم، فهؤلاء أعجل كرة وأعظم غنيمة»(١).

قال: حدثنا عبد الرحمن حدثنا فارس بن مردويه حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان عن واصل عن يحيى عن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبىﷺ أنه قال: «يصبح على كل سلامى من بنى آدم كل يوم صدقة ثم قال: أمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وذكر الله تعالى صدقة، ومباضعتك أهلك صدقة» قلنا: يا رسول الله، أيقضى الرجل شهوته ويكون له صدقة؟ قال: «أرأيت لو فعل ذلك فيما حرم الله عليه أليس كان عليه إثم؟» قالوا بلى، قال: «إذا فعلها فيما أحل الله كانت له صدقة» قال: «ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى»(٢).

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله قال: حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل حدثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيد عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى رافع قال: فداك أبى وأمى. قال: «قم فصل أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا انقضت القراءة قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم اركع فقلها عشرًا، ثم ارفع رأسك فقلها عشرًا، ثم اسجد فقلها عشرًا، ثم ارفع رأسك فقلها عشرًا، ثم اسجد فقلها عشرًا ثم ارفع رأسك فقلها عشرًا، قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة وهى ثلثمائة فى أربع ركعات فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك» قال: ومن لم يستطع أن يفعلها كل يوم؟ قال «يفعلها كل جمعة» قال: فإن لم يستطع؟ قال: «يفعلها كل شهر» قال: فإن لم يستطع؟ قال: «يفعلها فى كل سنة»(٣).

وعن كعب الأحبار - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: لو أن أحدكم رأى ثواب ركعتين من التطوع لرأى ذلك أعظم من الجبال الرواسى، فأما المكتوبة فهى أعظم من أن يقال فيها.

وعن زيد بن خالد الجهنى - رضى الله تعالى عنه - عن رسول اللهﷺ أنه قال: «صلوا فى بيوتكم

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي، برقم (٣٥٦١)، وابن حبان، برقم (٢٥٣٥)، وأبو يعلى في مسنده، برقم (٦٥٥٩)، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

(٢) أخرجه مسلم، بنحوه، برقم (٧٢٠)، وأبو داود، برقم (١٢٨٥)، وأبو عوانة في مسنده، برقم (٢١٥١٣).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود، برقم (١٢٩٧)، والترمذي، برقم (٤٨٢)، وابن ماجه، برقم (١٣٨٧)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

ولا تتخذوها قبورًا»[١] .

وعن سمرة بن جندب عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: «تطوع الرجل فى بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده»[٢] .

وعن النبى ﷺ أنه قال: «صلاة الرجل فى بيته تطوعًا نور فنوروا بيوتكم»[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة حفظ الله له أهله وماله ودينه ودنياه وآخرته، ومن صلى الغداة فقعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين جعل الله له حجابًا من النار يوم القيامة»[٤] .

وروى زيد بن أسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قلت لأبى ذر رضى الله تعالى عنه: أوصنى يا عم؟ قال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلاها أربعًا كتب من العابدين، ومن صلاها ستًا لم يتبعه يومئذ ذنب، ومن صلاها ثمانية كتب من القانتين ومن صلاها عشرًا بني له بيت فى الجنة ، ومن صلاها اثنتى عشرة ركعة بنى له بيت فى الجنة»[٥] .

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للجنة بابًا يقال له باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحي؟ هذا بابكم فادخلوه»[٦] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: إذا كان الرجل فى صلاته فإنما يقرع باب الملك، ومن يدم على قرع باب الملك يوشك أن يفتح له .

ويقال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية،

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من بقعة يصلى فيها صلاة أو

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١١٨٧)، ومسلم، برقم (٧٧٧)، وأبو داود، برقم (١٠٤٣)، والترمذي، برقم (٤٥١)، والنسائي، برقم (١٥٩٨)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بلفظ «**اجعلوا من صلاتكم**» بدلا من «**صلوا**» وأما حديث زيد بن خالد، فرواه أحمد، برقم (٢١٧٢١)، وابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٦٤٤٩)

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٦٤٥٥) وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (٤٨٣٥)، السلسلة الصحيحة للألباني، رقم (٣١٤٩).

(٣) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه، برقم (١٣٧٥)، وأحمد برقم (٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٦٤٦٠)، وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (٩٨٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر ضعيف سنن ابن ماجه للألباني.

(٤) انظر كنز العمال، رقم (١٩٤٥٣)، وتنزيه الشريعة (٢/ ١٢٢).

(٥) أخرجه البزار في مسنده، برقم (٣٨٩٠)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٢/ ٢٣٦- ٢٣٧)، وقال: رواه البزار وفيه حسين بن عطاء، ضعفه أبو حاتم وغيره، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويدلس.

(٦) انظر كنز العمال، رقم (٢١٥٢١).

ذكر الله عليها إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها إلى سبع أرضين وفخرت على ما حولها من البقاع، وما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض»[(١)] .

وعن خالد بن معدان رضى الله تعالى عنه أنه قال: بلغنى أن ربك يباهى الملائكة بثلاثة نفر: رجل يكون بأرض قفر فيؤذن ويقيم الصلاة ثم يصلى وحده فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدى يصلى وحده لا يراه أحد غيرى لينزل سبعون ألف ملك وليصلوا وراءه، ورجل قام بالليل فيصلى وحده فيسجد فينام وهو ساجد فيقول: انظروا إلى عبدى روحه عندى وجسده ساجد إليّ، ورجل فى زحف غزو فثبت حتى قتل،[(٢)]

وعن المعافى بن عمران رضى الله تعالى عنه أنه قال: عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه قيامه بالليل[(٣)] .

٨١ - باب إتمام الصلاة والخشوع فيها

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى نضرة عن سالم ابن أبي الجعد عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم أنه قال: الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين.

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه رأى رجلاً يصلى ولا يتم ركوعها، ولا سجودها، فقال: لو مت على هذا لمت على غير الفطرة.

وعن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذى يسرق من صلاته» قيل: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»[(٤)] .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا وقرأ هذه الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو يعلى في مسنده، برقم (٤١١٠)، وابن المبارك في الزهد، برقم (٣٣٩)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٥١٦٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (بنحوه)، برقم (١٢٠٣)/ والنسائي، برقم (٦٦٦)، وأحمد، برقم (١٧٤٧٨)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٨١٠٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٣٢٤٨)، وأبو نعيم في الحلية، (٨/ ٣٣٨)، وأخرجه الخطيب عن سهل بن سعد مرفوعا.

(٤) أخرجه أحمد، برقم (٢٢١٣٦)، وأورده الهيثمي في المجمع (٢/ ١٢٠)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

وعن الحكم بن عيينة رضى الله تعالى عنه قال: من تأمل فى صلاته من عن يمينه وعن شماله فلا صلاة له، وعن مسلم بن يسار رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول لأهله: إنى إذا كنت فى الصلاة فحدثوا فإنى لست أسمع حديثكم.

وذكر عن يعقوب القارئ، أنه كان فى الصلاة فجاء طراز فاختلس رداءه، فذهب به إلى أصحابه فعرفوا رداءه فقيل له رده إلى الرجل الصالح، فإنا نخاف دعاءه فجاءه فوضعه على كتفه واعتذر إليه من صنيعه، فلما فرغ من صلاته أخبر بذلك فقال: إنى لم أشعر من رفعه ولا من وضعه.

وذكر عن رابعة العدوية رحمها الله أنها كانت فى الصلاة فسجدت على البوارى، فدخلت قطعة من قصب فى عينها فلم تشعر بها حتى انصرفت من الصلاة.

وروى عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما أنه كان إذا أراد أن يتوضأ تغير لونه، فسئل عن ذلك فقال: إنى أريد القيام بين يدى الملك الجبار. وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهى عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم، ثم دخل المسجد.

وعن النبى ﷺ: أنه رأى رجلاً فى الصلاة وهو يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[1].

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائصه وتغير لونه، فسئل عن ذلك فقال: جاء وقت الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان فلا أدرى أأُحْسِنُ أداء ما حُمِّلْتُ أم لا.

وروى هذا أيضًا عن زين العابدين على بن الحسين ابن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم.

وعن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال: كنا عند ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى المسجد بالطائف أنا وعكرمة وميمون بن مهران وأبو العالية وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين إذ صعد المؤذن. فقال: الله أكبر الله أكبر. فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حتى بل رداءه وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، فقال له أبو العالية: يا ابن عم رسول الله، ما هذا البكاء وما هذا الجزع، فإنا نسمع الأذان ولا نبكى فبكينا لبكائك؟ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: لو يعلم الناس ما يقول المؤذن ما استراحوا ولا ناموا. فقيل له: أخبرنا ما يقول المؤذن؟ قال: إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر يقول: يا مشاغيل تفرغوا للأذان وأريحوا الأبدان وتقدموا إلى خير

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٦٧٨٧)، وابن المبارك في الزهد، برقم (١١٨٨)، من حديث سعيد بن المسيب وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادره، (٣/ ٢١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عملكم، وإذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله يقول: أشهد أن جميع من فى السموات ومن فى الأرض من الخلائق ليشهد لى عند الله يوم القيامة أنى قد دعوتكم، وإذا قال أشهد أن محمدًا رسول الله يقول: يشهد لى يوم القيامة الأنبياء كلهم ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين أنى أخبرتكم فى كل يوم خمس مرات، وإذا قال حى على الصلاة، يقول: إن الله تعالى قد أقام لكم هذا الدين فأقيموه، وإذا قال حى على الفلاح يقول: خوضوا فى الرحمة وخذوا أسهمكم من الهدى وإذا قال: الله أكبر الله أكبر يقول: حرمت الأعمال قبل الصلاة، وإذا قال: لا إله إلا الله يقول: أمانة سبع سموات وسبع أرضين وضعت على أعناقكم فإن شئتم فأقدموا وإن شئتم فأدبروا.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «إن الرجلين ليقومان فى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض»[1].

وقيل: إنما سمي المحراب محرابًا لأنه موضع الحرب يعنى يحارب الشيطان حتى لا يشتغل قلبه، وذكر أن حاتمًا الزاهد رحمه الله دخل على عصام بن يوسف فقال له عصام: يا حاتم، هل تحسن أن تصلى؟ فقال: نعم. فقال: كيف تصلى؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أستوى فى الموضع الذى أصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى، وأرى الكعبة بين حاجبي، والمقام بحيال صدرى، والله تعالى يعلم ما فى قلبى، وكأن قدمى على الصراط، والجنة عن يمينى، والنار عن يسارى، وملك الموت خلفى، وأظن أنها آخر صلاتى، ثم أكبر تكبيرة بإخبات، وأقرأ قراءة بالتفكر، وأركع ركوعًا بالتواضع، وأسجد سجودًا بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهد على الرجاء والخوف، وأسلم على السنة، ثم أسلمها بإخلاص، وأقوم بين الرجاء والخوف، ثم أتعاهد بالصبر قال عصام: يا حاتم، كذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتى، قال: منذ كم صلاتك على هذا الوصف؟ قال: منذ ثلاثين سنة، فبكى عصام وقال: ما صليت صلاة من صلاتى مثل هذا قط.

وذكر أن حاتمًا فاتته الجماعة مرة فعزاه بعض أصحابه فبكى وقال: لو مات لى ابن واحد لعزانى نصف أهل بلخ، والآن وقد فاتتنى جماعة فما عزانى إلا بعض أصحابى، وإنه لو مات لى الأبناء جميعًا لكان أهون عليّ من فوات هذه الجماعة.

وقال بعض الحكماء: الصلاة بمنزلة الضيافة قد هيأها الله تعالى للموحدين فى كل يوم خمس مرات، كما أن الضيافة يجتمع فيها الألوان من الطعام ولكل طعام لذة ولون، فكذلك الصلاة فيها أفعال وأذكار مختلفة لكل فعل ثواب وتكفير للذنوب.

ويقال: المصلون كثير ومقيمو الصلاة قليل والله تعالى وصف المؤمنين بإقامة الصلاة فقال: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥]. ووصف المنافقين وسماهم مصلين فقال: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ

---

(١) موضوع: أخرجه داود بن المحبر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] وقال فى المؤمنين يقيمون الصلاة وإقامتها إدامتها ومحافظتها لوقتها وتمام ركوعها وسجودها.

وقال بعض الحكماء: الناس فى حضور الصلاة صنفان خاص وعام، فأما الخاص فيأتى فى الصلاة مع الحرمة، ويقول باليقين والهيبة، ويؤديها بالتعظيم، ويرجع مع الخوف. وأما العام فيجيء مع الغفلة، ويقوم بالجهل ويؤديها مع الوسوسة، ويرجع مع الأمن.

وقال بعض الحكماء بالفارسية «كناه كترا كنده توبة ياذ كلدوا يدست جانعان وبماز جوق جوق أزين كوته بمازان سرين ذبر ذحو كاجوك» يعنى: إذا توضأ مع الوسوسة بغير تعظيم، وصلى مع الوسوسة والتفكر فى أشغال الدنيا لا يتقبل منه.

وقال بعض الحكماء: أربعة أشياء قد انغمست فى أربعة مواضع، وأطلعت رأسها فى أربعة أماكن: أولها: رضا الله تعالى قد انغمس فى الطاعات وأطلع رأسه فى بيت الأسخياء. والثاني: سخط الله تعالى قد انغمس فى الخطايا وأطلع رأسه فى بيت البخلاء. والثالث: طيب العيش وسعة الرزق اختفى فى المثوبات فأطلع رأسه فى بيوت المصلين. والرابع: ضيق المعيشة انغمس فى العقوبات فأطلع رأسه فى بيوت المهاونين بالصلاة.

وقال بعض الحكماء:

إذا اشتغل الناس بستة أشياء فاشتغلوا أنتم بستة أخرى.

أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال فاشتغلوا أنتم بحسن الأعمال.

والثانى: إذا اشتغل الناس بالفضائل فاشتغلوا أنتم بإتمام الفرائض.

والثالث: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية فاشتغلوا أنتم بإصلاح السر.

والرابع: إذا اشتغل الناس بعيوب الناس فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والخامس: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضا المخلوقين فاشتغلوا أنتم بطلب رضا الله تعالى. والله أعلم بالصواب.

٨٢ - باب الدعوات والتسبيحات

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا معاوية عن الأعمش عن الحجاج عن إبراهيم عن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله تعالى عنهم قال: أتى النبى ﷺ رجل من الأعراب فقال: يا نبى الله، علمنى ما يجزينى من القرآن؟ فإنى لا أحفظ شيئا من القرآن. فقال النبى ﷺ: «قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». فعدها فى يده خمسة

فمضى هنيهة، ثم رجع فقال: يا رسول الله، هؤلاء لربى فما لى؟ قال: «قل اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى فعدها بيده الأخرى خمسًا، ثم انطلق فقال النبى ﷺ: «لقد ملأ الأعرابى يديه من الخير إن هو وفى بما قال»[١].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: معنى قوله علمنى ما يجزينى من القرآن؟ يعني: إذا علم من القرآن ما يقرأ فى الصلاة فلابد له من ذلك فإن لم يعلم أكثر من ذلك واستعمل هذه الكلمات يرجى له أن ينال فضل من يقرأ القرآن.

(قال الفقيه) رحمه الله: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد بن روزبة حدثنا عيسى بن خشنام حدثنا سويد عن مالك عن يزيد بن حفصة عن عمرو بن عبد الله بن كعب عن نافع عن ابن جبير عن عثمان بن أبى العاص قال: أتانى رسول الله ﷺ وبى وجع كاد أن يهلكنى، فقال النبى ﷺ «امسحه بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» قال: فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي[٢].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء رضى الله تعالى عنهم قال: من صلى اثنتى عشرة ركعة لا يتكلم فيها ثم قرأ فى آخرها سبع مرات بفاتحة الكتاب وآية الكرسى سبع مرات، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم سجد فقال: اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك العظيم وجدك الأعلى وكلماتك التامة ثم دعا استجيب له.

وعن ميمونة بنت سعد وكانت خادمة لرسول الله ﷺ قالت: مر النبى ﷺ بسلمان رضى الله تعالى عنه وهو يدعو فى دبر الصلاة فقال: «يا سلمان ألك حاجة إلى ربك؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فقدم بين يدى دعائك ثناء على ربك وصفه كما وصف نفسه وسبحه تسبيحًا وتحميدًا وتهليلاً» فقال سلمان وكيف أقدم ثناء يا رسول الله؟ قال: «تقرأ فاتحة الكتاب ثلاثًا فإنها ثناء الله تعالى» قال: فكيف أصفه؟ قال: «تقرأ سورة الصمد ثلاثًا فإنها صفة الله وصف بها نفسه» قال: فكيف أسبحه؟ قال: «قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم تسأل حاجتك»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو

---

(١) **حسن:** أخرجه أبو داود، برقم (٨٣٢)، والنسائي، برقم (٩٢٤)، وأحمد، برقم (١٨٦٣١)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٢) أخرجه مسلم (بمعناه)، برقم (٢٢٠٢)، وأبو داود، برقم (٣٨٩١)، والترمذي، برقم (٢٠٨٠)، وابن ماجه، برقم (٣٥٢٢).

(٣) أخرجه الكناني في تنزيه الشريعة، برقم (٤٥)، وقال في سنده مجاهيل.

الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات دبر صلاته، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

(قال الفقيه) رحمه الله: إذا كان الاستغفار مع ندامة القلب. وعن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما، أنه قال: أنا ضامن لمن قرأ عشرين آية من شر كل شيطان مارد وسلطان ظالم ولص عاد وسبع ضار لا يضره وهى آية الكرسى، وثلاث آيات من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى قوله ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وعشر آيات من أول سورة الصافات إلى قوله ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وثلاث آيات من سورة الرحمن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥] وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى آخر السورة.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلاً من بنى أسلم قال للنبى ﷺ ما نمت هذه الليلة، فقال له رسول ﷺ «من أى شيء؟» قال: لدغتنى عقرب.

فقال له النبى ﷺ: «أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق، لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى» (١).

وعن سعيد بن المسيب عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه: أن النبى ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى أتاه معاذ، فقال: «ما لى لم أرك؟» قال: يا رسول الله، كان لفلان اليهودى عليّ دين فخشيت إن خرجت أن يحبسنى عنك. فقال: «يا معاذ، ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل كذا وكذا إلا أداه الله عنك؟» قال: بلى. قال: «فادع بعد أن تقرأ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك» (٢).

ويقال: هذا دعاء لو دعا به أسير لفك الله به أسره.

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح: اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك آمنت بك مخلصًا لك دينى أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت وأتوب إليك من سيىء عملى وأستغفرك لذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن مات فى يومه وجبت له الجنة، وإن قالها حين يمسى فمات فى ليلته وجبت له الجنة إلا أنه يقول أمسيت» (٣).

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه، برقم (٢٧٠٩)، ومالك، برقم (١٧٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني بنحوه في الكبير، برقم (٣٢٣)، وأورده الهيثمي في المجمع، (١٠/ ١٨٥-١٨٦)، وقال: رواه الطبراني وفيه نصر بن مرزوق، ولم أعرفه، وبقيه رجاله ثقات إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٣٠٩٦)، وأورده الهيثمي في المجمع، (١٠/ ١١٤)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

وعن أبان بن عثمان عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أصبح وقال: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يصبه بلاء حتى يمسي، وإن قالها حين يمسى لم يصبه بلاء حتى يصبح»(١).

ويقال: إنه لما أصاب أبان الفالج نعوذ بالله، قالوا له: أين كنت مما تحدثنا به؟ قال: أما والله ما كذبت ولكن الله لما أراد أن يبتلينى بالذى ابتلانى به أنسانى ذلك الدعاء.

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه رجل فقال: يا رسول الله قلت ذات يدى؟ قال: «فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وما به يرزقون؟» قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى صلاة الغداة تأتيك الدنيا صاغرة راغمة»(٢).

وعن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، ثم مسح بهما وجهه ورأسه وسائر جسده(٣).

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة رضى الله تعالى عنه قال: بينما رجل مسافر إذ مر برجل نائم فرأى عنده شيطانين يقول أحدهما لصاحبه: اذهب فافسد على هذا قلبه. فلما دنا منه رجع إلى صاحبه وقال: لقد نام على آية ما لنا إليه من سبيل، فذهب صاحبه إلى النائم فلما دنا منه رجع إلى صاحبه وقال: صدقت. فذهب، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين ثم قال: أخبرنى على أى آية نمت؟ قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦].

وعن عمران بن جرير عن أبى مجلز قال: من خاف أميرًا ظالمًا فقال: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وبالقرآن إمامًا وحكمًا نجاه الله منه.

وروى مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أن خالد بن الوليد قال: يا رسول الله، إنى أروع فى منامى؟ فقال له رسول الله ﷺ «قل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون»(٤).

وعن النبى ﷺ أنه أخذ بيد معاذ رضى الله تعالى عنه وقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود، برقم (٥٠٨٨)، وابن ماجه، برقم (٣٨٦٩)، وأحمد، برقم (٤٤٦)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٢) **باطل**: أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٣٧٣١)، وانظر تنزيه الشريعة، (٢/ ٣١٢)، ولسان الميزان، برقم (١٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٥٠١٨)، وأبو داود، برقم (٥٠٥٦)، والترمذي، برقم (٣٤٠٢).

(٤) أخرجه أحمد، برقم (١٦١٣٧)، ومالك، برقم (١٧٠٤)، وابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٢٣٥٩٨).

صلاة أن تقول: اللهم أعنى على تلاوة ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[١].

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال: كان النبى ﷺ إذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور»[٢].

وعن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا حلم أحدكم حلمًا يخافه فليبزق عن شماله ثلاث مرات وليستعذ بالله من شره ثلاثًا فإنه لا يضره»[٣].

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا نبى الله أى الدعاء أفضل؟ فقال: «أن تسأل الله ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة» ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال: يا نبى الله، أى الدعاء أفضل؟ فقال: «أن تسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة» ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال مثل ذلك. **فقال النبى ﷺ**: «إذا أعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت»[٤].

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا أراد السفر ركب دابته ثم يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم أطو لنا الأرض وهون علينا السفر، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر والحور بعد الكور وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد، [٥]

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: إذا بنيت بأهلك فمرها أن تصلى ركعتين ثم خذ برأسها وقل: اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فى، وارزقها منى وارزقنى منها، واجمع بيننا ما جمعت بخير وفرق بيننا ما فرقت بخير[٦].

وعن جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما قال: عجبت ممن يبتلى بأربع كيف يغفل عن أربع: عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود، برقم (١٥٢٢)، والنسائي، برقم (١٣٠٣)، وأحمد، برقم (٢٢١٧٢)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٣١٢)، وأبو داود، برقم (٥٠٤٩)، والترمذي، برقم (٣٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٧٠٠٥)، ومسلم، برقم (٢٢٦١)، وأبو داود، برقم (٥٠٢١).

(٤) **ضعيف**: أخرجه الترمذي، برقم (٣٥١٢)، وابن ماجه، برقم (٣٨٤٨)، وأحمد، برقم (١٢٣١٣)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه للألباني.

(٥) أخرجه مسلم، برقم (١٣٤٢)، وأبو داود، برقم (٢٥٩٩)، والترمذي، برقم (٣٤٤٧)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٨٩٩٣)، والديلمي في الفردوس، برقم (١٩٣٨)، وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (١٠٤٦٠)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٤/ ٢٩٢)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وعجبت لمن خاف شيئًا من السوء كيف لا يقول حسبي الله ونعم الوكيل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠].

وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلا قال على عهد رسول الله ﷺ: اللهم ما كنت تعاقبني في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض الرجل فأضنى حتى صار كأنه هامة فأخبر به رسول الله ﷺ فأتاه فرفع رأسه وليس به حراك فقيل: يا رسول الله، إنه كان يدعو بكذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ «يا ابن آدم إنك لا تستطيع أن تقوم بعقوبة الله ولكن قل اللهم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فدعا بها الرجل فبرئ»[1].

وذكر أنه لما مات عتبة الغلام رآه رجل في المنام فسأله ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي ربي بدعوات كنت أدعو بها وهي مكتوبة على الحائط، فاستيقظ الرجل، فنظرني الحائط فإذا هو مكتوب بخط عتبة الغلام رحمه الله: اللهم يا هادي المضلين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك من ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المرزوقين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً برحمتك يا أرحم الراحمين. ويقال: من دعا بهذه الخمس كلمات دبر كل صلاة كتب من الأبدال. اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم اغفر لأمة محمد، ولجميع من آمن بك.

وروى أبان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن الحجاج بن يوسف غضب عليه وقال: لولا كتاب عبد الملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا، فقال أنس: لا تستطيع ذلك. قال: وما يمنعني من ذلك. قال: دعوات علمنيها رسول الله ﷺ أدعو بها كل صباح ومساء. فقال: علمنيها، فأبى فألح عليه فأبى.

قال أبان: فسألته عن ذلك حين مرض فقال ثلاث مرات: بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي وولدي، بسم الله على كل ما أعطاني ربي، الله الله ربي لا أشرك به شيئًا الله الله

---

(١) أخرجه مسلم بمعناه، برقم (٢٦٨٨)، والترمذي، برقم (٣٤٨٧)، وأحمد، برقم (١٢٠٦٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الله ربى لا أشرك به شيئًا، الله أكبر الله أكبر الله أكبر وأعز وأجل مما أخاف وأحذر، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن كل شيطان مريد ومن شر كل جبار عنيدة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك [(١)].

٨٣ - باب ما جاء فى الرفق

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله: حدثنى الخليل بن أحمد حدثنا أبو العباس السراجى حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: استأذن نفر من اليهود على النبى ﷺ فقالوا: السام عليك، فقال النبى ﷺ «وعليكم» فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: وعليكم السام واللعنة، فقال النبى ﷺ «يا عائشة إن الله تعالى يحب الرفق فى الأمر كله» قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت وعليكم» [(٢)].

قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل عن محمد بن إسماعيل عن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال: «يا عائشة من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» [(٣)].

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا فارس بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل عن زيد بن الحبان العكلى عن أشعث البصرى عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس والتودد إلى الناس، وما هلك رجل عن مشورة وما سعد رجل باستغنائه برأيه وإذا أراد الله أن يهلك عبدًا كان أول ما يفسد منه رأيه، وإن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وإن أهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة» [(٤)].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى رفيق يحب الرفق يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» [(٥)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٢٥٦)، ومسلم، برقم (٢١٦٥)، والترمذي، برقم (٢٧٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (٢٠١٣)، وأحمد، برقم (٢٥٢٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر صحيح جامع الترمذي للألباني.

(٤) **ضعيف**: أخرجه البيهقي بنحوه في الكبرى، (١٠/١٠٩)، وابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٢٥٤٢٨)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٣٠٧٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه، برقم (٣٦٨٨)، وابن حبان برقم (٥٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود، برقم (٤٨٠٧)، وأحمد، برقم (١٦٣٦٠)، من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (١٧٧١).

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خلقًا لما رأى الناس خلقًا أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقًا لما رأى الناس خلقًا أقبح منه»[1].

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كنت على بعير فيه صعوبة فجعلت أضربه فقال النبى ﷺ: «يا عائشة، عليك بالرفق فإنه لم يكن فى شيء إلا زانه ولا انتزع من شيء إلا شانه»[2].

قال: حدثنا أبى رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المعلم حدثنا أبو عمران الفارابى حدثنا عبد الرحمن بن حبيب حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن عبد خير عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ مرض رسول الله ﷺ فما لبث أن خرج إلى الناس يوم الخميس وقد شد رأسه بعصابة فرقى المنبر وجلس عليه مصفر الوجه تدمع عيناه، ثم دعا ببلال فأمره بأن ينادى فى المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله ﷺ فإنها آخر وصية لكم، فنادى بلال فاجتمع صغيرهم وكبيرهم وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة وأسواقهم على حالها حتى خرجت العذارى من خدورهن؛ ليسمعوا وصية رسول الله ﷺ حتى غص المسجد بأهله والنبى ﷺ يقول: «وسعوا وسعوا لمن وراءكم»، ثم قام النبى ﷺ يبكى لله ويسترجع فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الأنبياء وعلى نفسه عليهم الصلاة والسلام ثم قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم العربى الحرمى المكى الذى لا نبى بعدى.

أيها الناس: اعلموا أن نفسى قد نعيت وحان فراقى من الدنيا واشتقت إلى لقاء ربى، فواحزناه على فراق أمتى ماذا يقولون من بعدى، اللهم سلم سلم.

أيها الناس: اسمعوا وصيتى وعوها واحفظوها وليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنها آخر وصيتى لكم.

أيها الناس، قد بين الله لكم فى محكم تنزيله ما أحله لكم وما حرم عليكم وما تأتون وما تتقون، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم بلغت فاشهد.

أيها الناس: إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة البعيدة من الله تعالى ومن الجنة، القريبة من النار، وعليكم بالجماعة، والاستقامة فإنها قريبة من الله قريبة من الجنة بعيدة من النار - ثم قال: - اللهم هل بلغت.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد أوله، برقم (٢٤٤٧١)، وكذا ابن الجعد في مسنده، (١/ ٤٩٥)، وأخرج بقيته الحاكم في الكني، انظر كنز العمال، برقم (٥٤٢٤)، وصحح الألباني الشطر الأول، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٩٤)، وأبو داود، برقم (٤٨٠٨)، وأحمد، برقم (٢٥٤٢٥).

أيها الناس، الله الله فى دينكم وأمانتكم، الله الله فيما ملكت أيمانكم، فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة والله حاكمهم، الله الله فى النساء أوفوا لهن مهورهن ولا تظلموهن فيحرمكم حسناتكم يوم القيامة ألا هل بلغت.

أيها الناس، قوا أنفسكم وأهليكم نارا، وعلموهم وأدبوهم فإنهم عندكم عوان وأمانة، ألا هل بلغت.

أيها الناس، أطيعوا ولاة أموركم ولا تعصوهم وإن كان عبدًا حبشيًا مجدعًا فإنه من أطاعهم فقد أطاعنى ومن أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى الله، ألا لا تخرجوا عليهم ولا تنقضوا عهودهم، ألا هل بلغت.

أيها الناس، عليكم بحب أهل بيتى عليكم بحب حملة القرآن، عليكم بحب علمائكم، لا تبغضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم، ألا من أحبهم فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله، ألا هل بلغت.

أيها الناس، عليكم بالصلوات الخمس بإسباغ وضوئها، وإتمام ركوعها وسجودها.

أيها الناس، أدوا زكاة أموالكم، ألا من لم يؤد الزكاة فلا صلاة له، ألا من لا صلاة له فلا دين له، ولا صوم له ولا حج له، ولا جهاد له، اللهم هل بلغت.

أيها الناس، إن الله تعالى فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل فليمت على أى حال شاء يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا إلا أن يكون به مرض حابسه أو منع من سلطان جائر، ألا لا نصيب له فى شفاعتى ولا يرد حوضى، ألا هل بلغت.

أيها الناس، إن الله جامعكم يوم القيامة فى صعيد واحد فى مقام عظيم وهو شديد فى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ألا هل بلغت.

أيها الناس، احفظوا ألسنتكم، وأبكوا أعينكم، وأخضعوا قلوبكم، وأتعبوا أبدانكم، وجاهدوا أعداءكم، وعمروا مساجدكم، وأخلصوا إيمانكم، وانصحوا إخوانكم، وقدموا لأنفسكم واحفظوا فروجكم وتصدقوا من أموالكم، ولا تحاسدوا فتذهب حسناتكم، ولا يغتب بعضكم بعضًا فتهلكوا، ألا هل بلغت.

أيها الناس، اسعوا فى فكاك رقابكم، واعملوا الخير ليوم فقركم وفاقتكم، أيها الناس، لا تظلموا فإن الله هو الطالب لمن جار وعليه حسابكم وإليه إيابكم، إنه لا يرضى منكم بالمعصية أيها الناس، إنه ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أيها الناس، إنى قادم إلى ربى وقد نعيت إليّ

نفسى فأستودع الله دينكم وأمانتكم، والسلام عليكم معشر أصحابى وعلى جميع أمتى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ثم نزل فدخل المنزل فما خرج بعد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه وأمته وسلم(١).

٨٤ - باب العمل بالسنة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد ابن روزبة حدثنا عيسى بن خشنام حدثنا سويد عن مالك، قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم ثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي»(٢).

قال: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف عن المسيب عن عوف عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة(٤).

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يصلح قول ولا عمل إلا بالنية، ولا يصلح قول ولا عمل ولا نية إلا بالسنة.

وروى معقل بن يسار رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رجلان لا تنالهما شفاعتى».

وفى رواية أخرى: «صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى إمام ظلوم وغال فى الدين مارق منه»(٥). يعنى: الذى يغلو فى دينه حتى يخرج من طريق السنة والجماعة.

وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال: عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه واقشعر جلده مخافة الله تعالى إلا كان مثله كمثل شجرة يبس

---

(١) **موضوع:** فداود بن المحبر: متروك وعباد بن كثير متروك أيضًا.

(٢) أخرجه مالك، برقم (١٥٩٤).

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، برقم (١٢٧٠)، والبيهقي في الشعب، برقم (٩٥٢٣)، والمروزي في السنة (١/ ٣٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٣٥٢)، والبيهقي في الكبرى، برقم (٤٥٢٢)، اللالكائي في الاعتقاد، برقم (١٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٤٩٦)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٥/ ٢٣٥-٢٣٦)، وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما منيع، قال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات.

ورقها فأصابتها ريح فتحات ورقها، وإن اقتصادًا فى السبيل والسنة خير من اجتهاد فى خلاف السبيل والسنة، فانظروا عملكم ما كان اقتصادًا واجتهادًا أن يكون على سبيل الأنبياء وسنتهم.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة» قالوا: يا رسول الله، ما هذه الواحدة؟ قال: «أهل السنة والجماعة»(١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد»(٢).

قال: حدثنا أبو القاسم عمرو بن محمد حدثنا أبو بكر الواسطى حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا خلف بن خليفة عن أبان المكتب عن ابن هشام الرمانى عمن أخبره عن عبد الله بن مسعوذ رضى الله تعالى عنه قال: كيف بكم إذا اشتملتكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير يجرى عليها الناس يتخذونها سنة إذا غيرت وعمل بغيرها.

قيل: هذا منكر، قال قائل: فمتى هذا يا عبد الله؟ قال: إذا قلت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم وكثرت قراؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقهوا لغير الدين، فعند ذلك يكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم.

قال: فما تأمرنا يا عبد الله؟ قال: كن حلسًا من أحلاس بيتك وإلا فالنار أولى. قال: فوضع الرجل يده على خاصرته وقال: قتلتنى يا ابن أم عبد.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله حدثنا أبو على أحمد ابن محمد بن هرمس حدثنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ بالدينور حدثنا محمد بن إسماعيل بن عبد الملك حدثنا أبى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، أكرموا أصحابى وأحسنوا إليهم وأحبوهم فإن خير الناس أصحابى الذين بعثت فيهم فآمنوا بالله وصدقونى وآمنوا بما جئت به من عند الله واتبعوه واعملوا به، ثم خير الناس من بعدهم القرن الذين يلونهم آمنوا بى واتبعوا أمر الله ولم يرونى، ثم القرن الذين يلونهم آمنوا بى، ثم يجىء من بعدهم قرن يضيعون الصلوات ويتبعون الشهوات ويدعون ما أمرتهم به، ويأتون ما نهيتهم عنه، يقتبسون الدين بأهوائهم ويراءون الناس بأعمالهم، يحلفون ولا يستحلفون ويشهدون ولا يستشهدون ويؤتمنون فيخونون ولا

---

(١) أخرجه أحمد، برقم (١٢٥٠١)، من حديث أنس وأخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٣)، وابن أبي عاصم في السنة، برقم (٤٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٦٠)، من حديث عمرو بن عوف، وقال: رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقد حسن له الترمذي وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٨/ ٢٠٠)، وأورده الهيثمي في المجمع، (١/ ١٧٢)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه، وبقية رجاله ثقات.

يؤدون الأمانة، ويتحدثون فيكذبون ويقولون ما لا يفعلون، يرفع منهم العلم والحلم ويظهر فيهم الجهل والفحش، ويرفع منهم الحياء والأمانة ويفشو فيهم الكذب والخيانة وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وطول الأمل والبخل والحرص على الدنيا والشح والحسد والبغى وسوء الخلق وسوء الجوار، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، فإن سركم أن تسكنوا بحبوحة الجنة ونعيمها فالزموا السنة والجماعة، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وإن الله لا يجمع أمة محمد على الضلالة أبدًا، فمن خلع الطاعة وفارق الجماعة وضيع أمر الله تعالى، وخالف حكم الله لقى الله تعالى وهو عليه غضبان وأدخله النار»[١].

قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن حدثنا أبو بكر محمد بن يوسف عن الحسن ابن عرفة عن إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن خالد بن معدان عن العرباض بن سارية السلمى رضى الله تعالى عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ . **قال**: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدى يرى اختلافًا كثيرًا، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدركه منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»[٢].

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل طيبًا وعمل السنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة». **قيل**: يا رسول الله، هذا فى الناس كثير، قال: «سيكون فى قرون بعدى ثم يقل»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: خط لى رسول الله ﷺ خطا فقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله، وقال: «هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قـــــرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه، برقم (٤٢)، وأحمد، (٤/ ١٢٦)، والدرامي، برقم (٩٥)، انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي، برقم (٢٥٢٠)، والحاكم في المستدرك، برقم (٧٠٧٣)، والطبراني في الأوسط، برقم (٣٥٢٠)، وضعفه الألباني عن الجزء الأخير، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

(٤) أخرجه أحمد، برقم (٤١٤٢)، والدارمي، برقم (٢٠٢)، وابن حبان، برقم (٧)، والبزار في مسنده، برقم (١٧١٨)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٧/ ٢٢)، وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «لكل شيء آفة وإن آفة هذا الدين الأهواء»[١] وعن الشعبي رحمه الله أنه قال : إنما سميت الأهواء أهواء لأنها تهوى بصاحبها في النار ، وقال مجاهد رحمه الله : ما أدرى أى النعمتين أعظم على من الله تعالى أن هدانى للإسلام أو عافانى من هذه الأهواء؟ .

وروى أبو ذر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من خالف الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٢] .

وقال أويس القرنى لهرم بن حيان فى وصيته : إياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتدخل النار يوم القيامة ، والله أعلم .

٨٥ - باب الحزن فى أمر الآخرة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨] .

(قال الفقيه) حدثنا أبى رحمه الله حدثنا محمد بن موسى بن رجاء حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا هارون بن محمد الدمشقى عن سعيد بن عبد الله عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : «يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادى، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم، يا عبادى، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل ما زاد ذلك فى ملكى شيئًا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئًا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألنى كل واحد مسألته فأعطيته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم وأوفيكم إياها يوم القيامة فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[٣] .

---

(١) **ضعيف جدًا:** أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٥٠٠٣)، بلفظ : «**ولاة السوء**» وابن أبي أسامة في مسنده، برقم (٦١٤)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٤٧١٨) .

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود، برقم (٤٧٥٨)، وأحمد، برقم (٢١٦٠٠)، والحاكم في المستدرك، برقم (٤٠١)، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني .

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٧٧)، والترمذي، برقم (٢٤٩٥)، وأحمد، برقم (٢١٤٥٨) .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة»[١].

وذكر عن بعض الحكماء أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازة فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان خيرًا لكم، أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال: أحدها رؤية ملك الموت، والثانى مرارة الموت، والثالث خوف الخاتمة.

قال: وسمع أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه رجلاً يقول خلف جنازة: من هذا؟ فقال له أبو الدرداء: هذا أنت، فإن كرهت فأنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وروى عن الحسن البصرى، أنه رأى رجلاً يأكل فى المقابر فقال: هذا منافق الموت بين عينيه وهو يشتهى الطعام. وروى عن الحسن البصرى أيضًا أنه قال: يا عجبًا كل العجب من قوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل، وقد جلس أولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون، أو قال: جلس أوائلهم وهم يلعبون.

وروى أن الحسن البصرى ما رأى ميتًا إلا كأنه رجع من دفن أمه، وروى عن إبراهيم التيمى رحمه الله أنه قال: من كان آمنًا ولا يكون محزونًا خائفًا يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأن أهل الجنة ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يتكلمون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغى لحامل القرآن أن يكون محزونًا حليمًا سكينًا لينًا، ولا ينبغى أن يكون جافيًا ولا غافلاً ولا صياحًا ولا حديدًا.

قال شقيق بن إبراهيم رحمه الله: ليس للعبد صاحب خيرًا له من الهم والخوف، هَمٌّ فيما مضى من ذنوبه، وخوف فيما بقى لا يدرى ما ينزل به.

وقال حكيم رحمه الله:

من اهتم وحزن فى غير ثلاثة فإنه لم يعرف الحزن ولا السرور:

أحدها: هم الإيمان أنه يختم عمره به أم لا.

والثانى: هم أمر الله تعالى أنه يتم أم لا.

والثالث: هم الخصماء أنه ينجو منهم أم لا.

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، برقم (١١٤٦٣)، وابن حبان، برقم (٢٩٥٥)، وأبو يعلى في مسنده، برقم (١٢٢٢)، والبيهقي في الشعب، برقم (٩١٨٠)، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم (٤١٠٩).

«ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله على النار إحراقها فإن فاضت على وجه صاحبها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من عمل بر إلا وله ثواب إلا الدمعة فإنها تطفئ بحورًا من نار، ولو أن عبدًا بكى من خشية الله تعالى فى أمة لرحم الله تلك الأمة ببكاء ذلك العبد» (١).

وروى عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال: لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى يسيل الدمع على وجنتى أحب إليّ من أن أتصدق بوزن نفسى ذهبًا، وما من باك يبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموعه على الأرض فتمسه النار حتى يرجع قطر السماء وليس براجع، كما أن القطر إذا نزل من السماء لا يرجع إليها أبدًا، فكذلك الذى يبكى فى الدنيا من خشية الله تعالى لا تمسه النار أبدًا.

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من عبد يخرج من عينه من الدموع مثل الذباب أو رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدًا» (٢).

وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: ما دمعت عين إلا بفضل الله، وما دمعت عين امرئ حتى يمسح الملك قلبه.

وروى عن الحسن البصرى رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دمع فى سواد الليل وقطرة دم فى سبيل الله» (٣).

وروى زياد النميرى رحمه الله قال: «قال الله تعالى فى بعض الكتب: لا يبكى عبد من خشيتى إلا أجرته من نقمتى، ولا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكًا فى نور قدسى، يعنى فى الجنة.

وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه كان يصلى ذات ليلة فقرأ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] وجعل يرددها ويبكى حتى أصبح.

وروى عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه أنه قرأ هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] وجعل يرددها إلى الصباح ويبكى.

وروى عن النبى ﷺ أنه قرأ هذه الآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

---

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه البيهقي في الشعب، برقم (٨١١) مرسلًا، وذكره ابن عدي في الكامل عن أنس مرفوعًا برقم (٣٠٢). انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني، رقم (١٩٣٧).

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه، برقم (٤١٩٧)، والطبراني في الكبير، برقم (٩٧٩٩)، والبيهقي في الشعب، برقم (٨٠٢)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه للألباني.

(٣) أخرجه الترمذي بمعناه، برقم (١٦٦٩)، عن أبي أمامة وأخرجه معمر بن راشد في جامعه، (١١/ ١٨٨)، والبيهقي في الشعب، برقم (٨٣٠٨).

[المائدة: ١١٨] وجعل يرددها إلى الصباح ويبكى(١).

وروى فى الخبر أن داود عليه الصلاة والسلام ما شرب شرابًا بعد الذنب إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه.

وروى عن بهز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة بن أبى أوفى فقرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فحملناه ميتًا والله الموفق.

٨٦ - باب ما قيل كيف يصبح الرجل

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن ليث عن مجاهد قال: قال لى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما: يا مجاهد، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك قبل مماتك، ومن صحتك قبل سقمك، فإنك لا تدرى ما اسمك غدًا(٢).

وقال بعض الحكماء:

إذا أصبح الرجل ينبغى أن ينوى أربعة أشياء:

أولها: أداء ما فرض الله عليه. والثانى: اجتناب ما نهى الله عنه. والثالث: إنصاف من كان بينهم وبينه معاملة. والرابع: إصلاح ما بينه وبين خصمائه. فإذا أصبح على هذه النيات أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين.

وقيل لبعض الحكماء: بأى نية يقوم الرجل عن فراشه؟ قال: لا يسأل عن القيام حتى ينظر كيف ينام ثم يسأل عن القيام فمن لم يعرف كيف ينام لا يعرف كيف يقوم.

ثم قال: لا ينبغى للعبد أن ينام ما لم يصلح أربعة أشياء:

أولها: أن لا ينام وله على وجه الأرض خصم حتى يأتيه فيتحلل منه، لأنه ربما يأتيه ملك الموت فيقدمه على ربه لا حجة له عنده. والثانى: لا ينبغى أن ينام وقد بقى عليه فرض من فرائض الله تعالى. والثالث: لا ينبغى أن ينام ما لم يتب من ذنوبه التى سلفت منه، لأنه ربما يموت من ليلته وهو مصر على الذنوب. والرابع: لا ينبغى أن ينام حتى يكتب وصية صحيحة، لأنه ربما يموت من ليلته من غير وصية.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم، برقم (٢٠٢)، عن ابن عمرو والنسائي، برقم (١٠١٠)، وابن ماجه، برقم (١٣٥٠)، وأحمد، برقم (٢١٤٢٥)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري مرفوعًا، برقم (٦٤١٦)، وابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٣٤٣٠٤)، والبيهقي في الشعب، برقم (١٠٥٤٣)، وابن أبي عاصم في الزهد، (٩/١).

ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف: صنف فى طلب المال، وصنف فى طلب الإثم، وصنف فى طلب الطريق، فأما من أصبح فى طلب المال فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى وإن كثر المال، ومن أصبح فى طلب الإثم لحقه الهوان، ومن أصبح فى طلب الطريق آتاه الله تعالى الرزق والطريق. وقال بعض الحكماء: من أصبح لزمه أمران: الأمن، والخوف، فأما الأمن فهو أن يكون آمنًا بما تكفل الله له من أمر رزقه.

وأما الخوف فهو أن يكون خائفًا فيما أمر به حتى يتمه، فإذا فعل هذين أكرمه الله بشيئين:

أحدهما: القناعة بما يعطيه.

والثانى: حلاوة طاعته.

وروى سفيان الثورى عن أبيه عن سعيد بن مسروق رحمهم الله تعالى قال: كان الربيع ابن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا. وعن مالك بن دينار قيل له: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من كان منقلبه من دار إلى دار ولا يدرى إلى الجنة يصير أم إلى النار. وذكر أن عيسى ابن مريم عليهما السلام قيل له: كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف، وأصبحت مرتهنًا بعملى والخير كله فى يدى غيرى، ولا فقير أفقر منى.

وقيل لعامر بن قيس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أوقرت نفسى من ذنوبى وأوقرنى الله تعالى من نعمائه، فلا أدرى أعبادتى تكون تمحيصًا لذنوبى أو شكرًا لنعمة الله. وذكر عن محمد بن سيرين أنه قال لرجل: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من عليه خمسمائة درهم دينًا وهو معيل؟ فدخل ابن سيرين منزله وأخرج ألف درهم فدفعها إليه وقال: خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة درهم أنفقها على عيالك.

وكان ابن سيرين لم يكن يسأل أحدًا بعد ذلك كيف حالك مخافة أن يخبر عن حاله فيصير قيامه بأمره واجبًا عليه.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم قال:

من اصبح لزمه شكر اربعة اشياء:

أولها: أن يشكر فيقول الحمد لله الذى نور قلبى بنور الهدى وجعلنى من المؤمنين ولم يجعلنى ضالاً.

والثانى: أن يقول: الحمد لله الذى جعلنى من أمة محمدﷺ.

والثالث: أن يقول الحمد لله الذى لم يجعل رزقى بيد غيره. والرابع: أن يقول: الحمد لله الذى ستر عليّ عيوبى.

وعن شقيق بن إبراهيم قال:

لو أن رجلاً عاش مائتى سنة ولا يعرف هذه الأربعة أشياء فليس شيء أحق به من النار:

أحدها: معرفة الله تعالى، والثانى: معرفة عمل الله تعالى، والثالث: معرفة نفسه. والرابع: معرفة عدو الله وعدو نفسه. فأما معرفة الله تعالى فأن يعرفه فى السر والعلانية لأنه لا معطى ولا مانع غيره.

وأما معرفة عمل الله تعالى فأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الله تعالى، وأما معرفة نفسه فأن يعرف ضعفه وأن لا يستطيع أن يرد شيئًا مما يقضى الله تعالى عليه، يعني: يرضى بما قسم الله له، وأما معرفة عدو الله وعدو نفسه فأن يعرفه بالشر فيجازيه بالمعرفة حتى يكسره.

ويقال: ما من يوم أصبح فيه ابن آدم إلا فرض الله عليه عشرة أشياء:

أولها: أن يذكر الله تعالى عند قيامه لقوله تعالي: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]

والثاني: ستر العورة لقوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] الآية. وأدنى الزينة ما يوارى العورة.

والثالث: إتمام الوضوء فى أوقاتها لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

والرابع: إتمام الصلاة فى أوقاتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] يعنى: فرضًا مفروضًا مؤقتًا معلومًا.

والخامس: الأمن بوعد الله فى شأن الرزق لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

والسادس: القناعة بقسم الله تعالى لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

والسابع: التوكل على الله لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] [الفرقان: ٥٨] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

والثامن: الصبر على أمر الله تعالى وقضائه لقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ﴾ [القلم: ٤٨] ولقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والتاسع: الشكر على نعمة الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وأول النعمة هى صحة الجسم وأعظم النعمة هى دين الإسلام، ونعمه

كثيرة قال الله تعالى فى محكم تنزيله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

والعاشر: الأكل الحلال لقوله تعالي: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] يعنى: حلالاً.

٨٧ - باب التفكر

(قال الفقيه) رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا العباس السراج حدثنا أبو رجاء وأبو قتيبة بن سعد البغلانى حدثنا ابن أبى زرارة الحلبى عن عطاء بن أبى رباح قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله تعالى عنها فسلمنا عليها فقالت: من هؤلاء؟ فقلنا: عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير. فقالت: مرحبًا بك يا عبيد ابن عمير ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد: زر غبًا تزدد حبًا. فقال ابن عمر دعونا من هذا حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كل أمره عجيب غير أنه أتانى فى ليلتى فدخل معى فى فراشى حتى ألصق جلده بجلدى فقال: «يا عائشة أتأذنين لى أن أتعبد لربي» قلت: والله إنى لأحب قربك ولأحب هواك، فقام إلى قربة فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن فبكى حتى رأيت الدموع بلغت الأرض، ثم أتاه بلال بعدما أذن الفجر فلما رآه يبكى قال: لم تبكى يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا وما لى لا أبكى وقد نزلت عليّ الليلة ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

وروى فى بعض الأخبار أن من نظر فى النجوم وتفكر فى عجائبها وفى قدرة الله تعالى ويقرأ ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ كتب له بعدد كل نجم فى السماء حسنة.

وروى عن عامر بن قيس أنه قال:

أكثر الناس فرحًا فى الآخرة أطولهم حزنًا فى الدنيا، وأكثر الناس ضحكًا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا، وأخلص الناس إيمانًا يوم القيامة أكثرهم تفكرًا فى الدنيا[١].

قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن حدثنا إسحاق بن أحمد النسفى عن الحسين المروزى عن ابن المبارك، عن محمد بن شعيب عن النعمان عن مكحول عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال: روى هذا الخبر أيضًا مرفوعًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر ولهم بذلك أجر، ومن الناس ناسًا مفاتيح للشر مغاليق للخير وعليهم بذلك إصر - يعنى إثم كبير - طوبى لمن جعل مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وتفكر ساعة لى خير من قيام ليلة»[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان، برقم (٦٢٠)، والهيثمي في الموارد، برقم (٥٢٣)، والحسيني في البيان، والتعريف، برقم، (٨٤١).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص (٣٤٤)، والأصبهاني في الترغيب، برقم (٦٥٠).

وروى الأعمش عن عمرو بن مرة: أن النبى ﷺ مر بقوم يتفكرون فقال لهم: تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق [١].

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول: من خلق السموات؟ فيقول الله تعالى. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول الله تعالى. فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله وبرسوله» [٢].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة» [٣].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه:

إذا أراد الإنسان أن ينال فضل التفكر فليتفكر فى خمسة أشياء:

أولها: فى الآيات والعلامات.

والثانى: فى الآلاء والنعماء.

والثالث: فى ثوابه.

والرابع: فى عقابه.

والخامس: فى إحسانه إليه وجفائه له. فأما التفكر فى الآيات والعلامات فأن ينظر فى قدرة الله تعالى فيما خلق الله تعالى من السموات والأرض وطلوع الشمس من مشرقها وغروبها فى مغربها، واختلاف الليل والنهار، وفى خلق نفسه كما قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] فإذا تفكر العبد فى الآيات والعلامات يزيد به يقينًا ومعرفة، وأما التفكر فى الآلاء والنعماء فأن ينظر إلى نعم الله تعالى.

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين الآلاء والنعماء؟ فقال: كل ما ظهر من النعم فهو الآلاء وما بطن فهو النعماء، ومثل ذلك اليدان آلاؤه وقوة اليدين نعماؤه، والوجه آلاؤه وحسن الوجه والجمال نعماؤه والفم آلاؤه وطعم الطعام نعماؤه، والرجلان آلاؤه والمشى نعماؤه، فإذا كان للعبد رجلان ولم يكن له قوة المشى فقد أعطى الآلاء ولم يعط النعماء، والعروق والعظام آلاؤه وصحتها وسكونها نعماؤه. وقال بعضهم: الآلاء إيصال النعمة والنعماء دفع البلية. وقال بعضهم على ضد هذا، ويقال: الآلاء والنعماء واحد، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:

---

(١) أخرجه الربيع في مسنده، برقم (٨٢٧)، من حديث أبي أمية، والأصبهاني في العظمة، برقم (٥)، وهناد في الزهد، برقم (٩٤٥)، من حديث عمرو بن مرة.

(٢) أخرجه البخاري بمعناه برقم (٣٢٧٦)، ومسلم، برقم (١٣٤)، وأبو داود، برقم (٤٧٢١)، وأحمد، برقم (٨٣٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الأصبهاني في العظمة، برقم (٣٨).

٣٤] فإذا تفكر الإنسان فى الآلاء والنعماء يزيد فى المحبة، وأما التفكر فى ثوابه فهو أن يتفكر فى ثواب ما أعد الله لأوليائه فى الجنة من الكرامات فإن التفكر فى ثوابه يزيده رغبة فيها واجتهادًا فى طلبها وقوة فى طاعة ربه، وأما التفكر فى عقابه فهو أن يتفكر فيما أعد الله لأعدائه فى النار من الهوان والعقوبة والنكال فإن التفكر فى ذلك يزيده رهبة ويكون له قوة على الامتناع من المعاصى، وأما التفكر فى إحسانه إليه فهو أن يتفكر فى إحسان الله تعالى وهو ما ستر عليه من ذنوبه ولم يعاقبه بها ودعاه إلى التوبة، وينظر فى جفاء نفسه كيف ترك أوامره وارتكب معاصيه فإن التفكر فى ذلك يزيد الحياء والخجل، فإذا تفكر فى هذه الخمسة أشياء فهو من الذين قال فيهم النبىﷺ «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[1] ولا يتفكر فيما سوى ذلك؛ فإن التفكر فيما سوى ذلك وسوسة.

وقال بعض الحكماء: لا تتفكر فى ثلاثة أشياء: لا تتفكر فى الفقر فيكثر همك وغمك ويزيد فى حرصك، ولا تتفكر فى ظلم من ظلمك فيغلظ قلبك ويكثر حقدك ويدوم غيظك، ولا تتفكر فى طول البقاء فى الدنيا فتحب الجمع وتضيع العمر وتسوف فى العمل.

ويقال: أصل الورع أن يتعاهد المرء قلبه لكى لا يتفكر فيما لا يعنيه، فكلما ذهب قلبه إلى ما لا يعنيه عالجه حتى يرده إلى ما يعنيه وهو أشد الجهاد وأفضله وأشغله لصاحبه، فمن لم يفعل ذلك فى غير الصلاة يوشك أن لا يملك ذلك فى الصلاة.

وقال بعض الحكماء: تمام العبادة فى صدق النية، وتمام صلاح العمل فى التواضع، وتمام هذين بالزهد فى الدنيا، وتمام هذه كلها بالهم والحزن فى أمر الآخرة، وتمام الهم والحزن ملازمة ذكر الموت بقلبك وكثرة التفكر فى ذنوبك.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدر، وسخاوة المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر فى الشدة والبكاء فى الخلوة، والنصيحة للخلق والرحمة للمؤمنين، والتفكر فى الفناء، والعبرة من الأشياء. وقال مكحول الشامى رحمه الله: من أوى إلى فراشه ينبغى أن يتفكر فيما صنع فى يومه ذلك، فإن كان عمل فيه خيرًا يحمد الله تعالى على ذلك، وإن عمل ذنبًا استغفر الله منه ورجع عن قريب، فإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذى ينفق ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

وقال بعض الحكماء:

الحكمة تهيج من أربعة أشياء.

أولها: بدن فارغ من أشغال الدنيا.

والثانى: بطن خال من طعام الدنيا.

---

(١) انظر ما قبله.

والثالث: يد خالية من عروض الدنيا.

والرابع: التفكر فى عاقبة الدنيا.

يعنى: يتفكر فى عاقبة أمره فإنه لا يدرى كيف تكون عاقبته ولا يدرى أن أعماله تتقبل منه أم لا؟ فإن الله لا يتقبل من الأعمال إلا الطيب.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: سمعت جماعة من العلماء رفعوا الحديث إلى خالد ابن معدان قال: قلت لمعاذ بن جبل: حدثنى بحديث سمعته عن رسول الله ﷺ ثم حفظته وذكرته كل يوم من وقت ما حدثك به، فبكى معاذ رضى الله تعالى عنه حتى قلت إنه لا يسكت، ثم سكت ثم قال: فداك أبى وأمى يا رسول الله، حدثنى وأنا رديفه فرفع بصره إلى السماء فقال: «الحمد لله الذى يقضى فى خلقه بما أحب -ثم قال-: «**يا معاذ**»، قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير ونبى الرحمة. فقال: «**أحدثك حديثًا ما حدث به نبى أمته إن حفظته نفعك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة**». - ثم قال -: «**إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض، لكل سماء ملك وجعل لكل باب منها بوابًا منهم فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح حتى يمسى، ثم يرفع وله نور كنور الشمس حتى إذا بلغ سماء الدنيا فيزكيه ويكثره فيقول الملك قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له: لا غفر الله لك أنا صاحب الغيبة وهو يغتاب المسلمين لا أدع عمله أن يجاوزنى إلى غيرى**».

قال: «**وتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وضوء يضيء حتى ينتهى به إلى السماء الثانية فيقول الملك: قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك إنه أراد بهذا العمل غرض الدنيا وأنا صاحب عمل الدنيا لا أدع عمله أن يجاوزنى إلى غيرى**»

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا به بصدقة وصلاة كثيرة فتعجب الحفظة فيتجاوزون إلى السماء الثالثة فيقول الملك: قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا صاحب الكبر إنه من عمل وتكبر على الناس فى مجلسهم فقد أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد وهو يزهو كما تزهو النجوم بتسبيح وصوم فتمر به إلى السماء الرابعة فيقول له الملك: قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه وقل له لا غفر الله لك أنا ملك صاحب العجب بنفسه إنه من عمل عملًا وأدخل فيه العجب فقد أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى فيضرب بالعمل وجهه فيلعنه ثلاثة أيام.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مع الملائكة كالعروس المزفوفة إلى زوجها فتمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصلاة بين الصلاتين فيقول الملك: قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه واحمله على عاتقه إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل لله فهو يحسدهم ويقع فيهم فيحمله على عاتقه وتلعنه حفظته ما دام هو فى الحياة.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد بوضوء تام وقيام ليل وصلاة كثيرة فيمر به إلى السماء السادسة فيقول الملك قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الرحمة إن صاحبك لم يرحم شيئًا فإذا أصاب عبد من عباد الله ذنبًا أو ضرًا شمت به وقد أمرني ربي أن لا يجاوزني عمله إلى غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد بصدق واجتهاد وورع له ضوء كضوء البرق فتمر به إلى ملك السماء السابعة فيقول الملك: قف واضرب بهذا العمل وجه صاحبه واقفل عليه قلبه أنا ملك الحجاب أحجب كل عمل ليس لله تعالى، وأنه أراد به الرفعة وذكرًا في المجالس وصيتًا في المدائن وقد أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري»، قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا به من خلق حسن وصمت وذكر كثير وتشيعه ملائكة السموات حتى ينتهوا إلى تحت العرش فيشهدون له فيقول الله تعالى: أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على ما في نفسه إنه لم يرد بهذا العمل وجهي وأراد غيري فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلهم: عليه لعنتك ولعنتنا. وتقول أهل السماء: عليه لعنة الله ولعنة سبع سموات وأرضين ولعنتنا».

ثم بكى معاذ رضي الله تعالى عنه وقال: قلت: يا رسول الله ما أعمل؟ قال: «**اقتد بنبيك يا معاذ وعليك باليقين وإن كان في عملك تقصير، واقطع لسانك عن إخوانك، ولتكن ذنوبك عليك ولا تحملها على إخوانك، ولا تزك نفسك بتذميم إخوانك ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراء بعملك الناس**». والله الموفق.[1].

٨٨ - باب علامات الساعة

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد حدثنا أبو بكر الواسطي حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا محمد ابن الفضل الضبي عن عبد الله بن الوليد عن مكحول عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن لها أشراط: تقارب الأسواق - يعني: كسادها - ومطر ولا نبات، وتفشو العينة، - يعني: أكل الربا - وتظهر أولاد البغية - يعني: أولاد الزنى - ويعظم رب المال، وتعلو أصوات الفسقة في المساجد، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق» قال: وكيف تأمرني يا رسول الله؟ قال ﷺ: «فر بدينك أو كن حلسًا من أحلاس بيتك»[2].

قال: حدثنا عمر بن محمد حدثنا أبو بكر الواسطي حدثنا إبراهيم حدثنا عيسى بن أبي عيسى الأصفهاني رفعه قيل: يا رسول الله، متى الساعة؟.

---

(١) **موضوع:** انظر تنزيه الشريعة، (٢/ ٢٨٧)، والموضوعات (٢/ ١٥٧).
(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، برقم (١٧٩٦).

قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن أشراط الساعة عشرة: يقرب فيها الماحل، ويظهر فيها الفاجر، ويعجز فيها المنصف، وتكون الصلاة منا، والزكاة مغرمًا، والأمانة مغنماً واستطالة القراء، فعند ذلك تكون إمارة الصبيان، وسلطان النساء، ومشورة الإماء»(١).

قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا أبو بكر حدثنا إبراهيم حدثنا جعفر بن عوف عن أبى حيان التيمى عن أبى زرعة عن عمرو قال: جلس إلى مروان ثلاثة نفر بالمدينة فسمعوه يحدث عن الآيات أن أولها خروج الدجال، فقام النفر من عند مروان فجلسوا إلى عبد الله بن عمر فحدثوه بما قال مروان فقال عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها أو الدابة إحداهما قريبة على أثر الأخرى» ثم أنشأ يحدث قال: «وذلك أن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش فسجدت فاستأذنت فى الرجوع فيؤذن لها، حتى إذا أراد الله أن تطلع من مغربها أتت تحت العرش فاستأذنت فى الرجوع فلا يؤذن لها بشيء، ثم تعود وتستأذن فلا يؤذن لها بشيء حتى إذا علمت أنه لو أذن لها لم تدرك المشرق قالت: رب ما أبعدنى عن الناس، حتى إذا كان الليل كالطوق أتت فاستأذنت قيل لها: اطلعى من مكانك». ثم قرأ عبد الله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] (٢).

وعن عبيد بن عمير أن النبى ﷺ قال: «ليصحبن الدجال أقوام يقولون: إنا لنعلم أنه كاذب ولكنا نصحبه لنأكل من الطعام ونرعى من الشجر فإذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم»(٣).

وعن الحسن عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال: «إن الدجال خارج وهو أعور العين اليمنى، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، فيقول للناس ما ربكم؟ فمن قال: أنت ربى فقد فتن، ومن قال: ربى الله حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنته فيلبث فى الأرض ما شاء الله أن يلبث، ثم يجيء عيسى ابن مريم عليه السلام من قبل المغرب مصدقًا بمحمد ﷺ فيقتل الدجال، ثم قال: إنما هى قيام الساعة»(٤).

وروى سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد العدوى عن عبد الله بن عمر قال: لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، وهم يعلمون كافرهم ومؤمنهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: تخرج الدابة وهى دابة الأرض فتمسح كل إنسان على مسجده فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو فى وجهه حتى يبيض لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتة سوداء فتفشو فى وجهه حتى يسود لها

---

(١) **إسناده منقطع**: أخرجه الترمذي بنحوه، برقم (٢٢١٠)، (٢٢١١)، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.
(٢) أخرجه مسلم مختصرًا، رقم (٢٩٤١)، وأبو داود، برقم (٤٣١٠)، وأحمد، برقم (٦٨٨١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٧٥٣٧)، ونعيم بن حماد في الفتن عن عبيد بن عمير مرسلاً.
(٤) أخرجه أحمد، برقم (١٩٦٣٨)، والطبراني في الكبير، برقم (٦٩١٩)، وأورده الهيثمي في المجمع، (٧/ ٣٣٦)، وقال: رواه الطبراني وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، رواه البزار بإسناد ضعيف.

وجهه، حتى يتبايعوا فى أسواقهم فيقولون: كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ وكيف تأخذ هذا يا كافر؟ فما يرد بعضهم على بعض.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: إن الدابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] قال: الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم ويومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا»(١).

وعن ابن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ستأتى عليكم ليلة مثل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كانت تلك الليلة عرفها المتهجدون فيقوم الرجل فيقرأ ورده ثم ينام ثم يقوم فيقرأ ورده ثم يقوم فيقرأ ورده، فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم فى بعض فيقولون: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها فتجيء حتى إذا توسطت السماء رجعت فطلعت من مشرقها فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية.(٢)

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «الأنبياء إخوة العلات أمهات شتى ودينهم واحد، وأنا أولاهم بعيسى ابن مريم إنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه خليفتى فى أمتى وإنه نازل فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها، فيملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم وحتى يلعب الصبيان بالحيات»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الشحم، فيقتل الدجال وتتفرق عنه اليهود فيقتلون حتى إن الحجر ليقول: يا عبد الله المسلم هذا يهودى تحتى تعال فاقتله».

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون الردم كل يوم حتى إذا كادوا أن يروا شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٦٣٦)، ومسلم، برقم (١٥٧)، وأبو داود، برقم (٤٣١٢)، وابن ماجه، برقم (٤٠٦٨)، وأحمد، برقم (٩١٦١).

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه، انظر الدر المنثور (٣/ ٣٩٢)، وأورده ابن حجر في الفتح، (١١/ ٣٥٥).

(٣) أخرجه أحمد، برقم (٩٢٥٩)، وابن حبان بنحوه، برقم (٦٨١٤)، وابن أبي شيبه في مصنفه، برقم (٣٧٥٢٦).

فتسحفرونه غدًا إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته التي تركوها بالأمس فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيبعث الله عليهم نغفًا في أعناقهم فيهلكهم الله بها»(١).

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: «ليحجن البيت وليغرسن الشجر بعد يأجوج ومأجوج». وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: ما مات الرجل من يأجوج ومأجوج إلا ترك له ألف ذرية فصاعدًا من صلبه.

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، ويصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع فيها أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل»(٢).

وروى العلاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تظهر ست: طلوع الشمس من مغربها والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحدكم - يعني: الموت - وأمر العامة - يعني يوم القيامة-»(٣).

وعن عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ قال: «إنه سيكون فيكم الخسف والمسخ والقذف» قالوا: يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ قال: «نعم إذا ظهرت فيهم الأربع: القينات، والمعازف، والخمور، والحرير»(٤).

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]

قال: هي خلال أربع وهن واقعات لا محالة، فمضت، ثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعًا، يعني: الأهواء المختلفة - وذاق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجف.

وروى أنه لما نزلت هذه الآية دعا النبي ﷺ فعفى عن اثنين الخسف والمسخ، وبقي اثنان وهما الأهواء والبأس(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي، برقم (٣١٥٣)، وابن ماجه، برقم (٤٠٨٠)، وأحمد، برقم (١٠٦٤٠). انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١١٨)، والترمذي، برقم (٢١٩٥)، وأحمد، برقم (٨٠١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وزادوا قوله: «**بادروا بالأعمال**».

(٣) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٤٧)، وأحمد، برقم (٨٤٢٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٧٥٤٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ١٠)، وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن الزناد، وفيه ضعف، وبقية رجال إحدى الطريقين رجال الصحيح، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن سابط، ثقة، كثير الإرسال.

(٥) أخرجه أحمد، (٦/ ٣٩٦)، وابن جرير في تفسيره (٧/ ٣٣٢)، انظر مجمع الهيثمي (٧/ ٢٢١).

وروى الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث فى المسجد قال: إذا كان يوم القيامة نزل دخان من السماء فأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، وأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، قال مسروق: فدخلت على عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فذكرت ذلك له وكان متكئًا فاستوى قاعدًا ثم قال: أيها الناس، من كان منكم عنده علم فسئل عنه فليقله ومن لم يكن عنده فليقل الله أعلم، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]

وذلك أن قريشًا لما كذبوا رسول الله ﷺ قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف، اللهم سنين كسنى يوسف» فأخذتهم السنة فأكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] (١).

قال: حدثنى أبى رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن عن أبى الليث حدثنا أبو بكر بن يحيى عن حفص عن عبد الرحمن بن إبراهيم الراسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كتب عمر رضى الله تعالى عنه إلى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية إلى حلوان، فوجه سعد نضلة فى ثلثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان فأغاروا على نواحيها وأصابوا غنيمة وسبيًا، فرجعوا فجعلوا يسرقون الغنيمة والسبى حتى نزلوا إلى سفح جبل، ثم قام نضلة فأذن للصلاة، وقال: الله أكبر الله أكبر. فإذا مجيب من الجبل يجيبه: كبرت كبيرًا يا نضلة. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. قال: هى كلمة الإخلاص يا نضلة. ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله.

قال: هو الذى بشرنا به عيسى عليه السلام، ثم قال: حى على الصلاة. قال: طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها. ثم قال: حى على الفلاح، قال: أفلح من أجاب محمدًا ﷺ. ثم قال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله. قال: أخلصت إخلاصًا يا نضلة فحرم الله بها جسدك على النار. فلما فرغ من أذانه. **قال:** من أنت رحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا صورتك فإنا وفد الله عز وجل ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. فإذا شيخ له هامة كالرحا أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقلنا: وعليك السلام والرحمة من أنت رحمك الله؟ قال: أنا زرنب بن برتملا وصى العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، أسكننى هذا الجبل ودعا لى بطول البقاء إلى وقت نزوله من السماء، فأما إذا فاتنى لقاء محمد ﷺ فأقرءوا عمر منى السلام. وقولوا له: يا عمر، سدد وقارب فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها إذا ظهرت فى أمة محمد ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٧٧٤)، ومسلم، برقم (٢٧٩٨)، والترمذي، برقم (٣٢٥٤).

فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا إلى غير مناسبهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وتركوا الأمر بالمعروف فلم يأمروا به وتركوا النهى عن المنكر فلم ينهوا عنه، ويتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظًا، يعنى: أيام الصيف، والولد غيظًا، يعنى: يغيظ والديه، ويفيض اللئام فيضًا، ويغيض الكرام غيضًا، يعنى: يقلون، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا بالدماء، وقطعوا الأرحام، وباعوا الحكم، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وأكلوا الربا، وصار الغنى عزيزًا، وركب النساء السروج، ثم غاب عنا، وذكر أن سعدًا خرج بعد ذلك فى أربعة آلاف رجل فنزل هناك أربعين يومًا يؤذن لكل صلاة فلم يسمع جوابًا ولا كلامًا. والله الموفق.

٨٩ - باب أحاديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه

(قال الفقيه) أبو جعفر رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن سهل القاضى حدثنا إبراهيم بن الحسن البصرى عن أبيه عن شعبة عن سعيد بن الحجاج عن أبى إسحاق الهمدانى عن الحارث الأعور أن أبا ذر رضى الله تعالى عنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فقلت: ما جلس رسول الله ﷺ إلا لوحى أو لحاجة. فقال: «ادن منى يا جندب». فدنوت منه واستغنمت خلوتى من رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أمرتنا بالوضوء فما الوضوء؟ قال: «يا أبا ذر، لا صلاة إلا بالوضوء وإن الوضوء يكفر ما قبله من الذنوب».

فقلت: يا نبيّ الله، أمرتنا بالصلاة فما الصلاة؟ قال: «الصلاة خير موضوع فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر». فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالزكاة فما الزكاة؟ فقال: «يا أبا ذر، لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا زكاة له، وإن الله تعالى افترض على الأغنياء زكاة أموالهم بقدر ما يستغنى فقراؤهم، وإن الله تعالى سائل الأغنياء عن الزكاة ومعذبهم عليها، يا أبا ذر، ما انتقص مال من زكاة ولا ضاع مال فى برّ أو بحر إلا بمنع الزكاة، يا أبا ذر، لا يعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه إلا مؤمن ولا يمنع الزكاة إلا مشرك». فقلت يا نبيّ الله أمرتنا بالصوم فما الصوم؟ قال: «الصوم جنة وعند الله الجزاء، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه، وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، ويوضع للناس يوم القيامة مائدة فأوّل من يأكل منها الصائمون». فقلت يا نبى الله، أمرتنا بالصبر فما الصبر؟ فقال: «إن مثل الصبر كمثل رجل معه صرّة من مسك وهو فى عصبة من الناس كلهم يعجبه أن يوجد ريحها منه».

فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالصدقة فما الصدقة؟ قال: «بخ بخ يا أبا ذر الصدقة فى السرّ تطفىء غضب الرب والصدقة فى العلانية تذهب من صاحبها سبعمائة شر، والصدقة تطفئ الخطيئة وتطفىء غضب النار وغضب الرب، والصدقة شيء عجيب والصدقة شيء عجيب والصدقة شيء عجيب»

فقلت يا نبى الله، أمرتنا بالرقاب فأى الرقاب أفضل أن يعتق؟ قال: «أغلاها ثمنًا».

قال: فقلت: يا نبى الله فأى الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر السوء». فقلت: يا نبى الله فأى الناس أسلم؟ قال: «من سلم الناس من لسانه ويده» فقلت: يا نبى الله فأى الناس أعجز؟ قال: «من عجز عن الدعاء» فقلت: يا نبى الله فأى الناس أبخل؟ قال: «من بخل بالسلام»

فقلت: يا نبى الله فأى المجاهدين أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه». فقلت يا نبى الله، أخبرنى عن صحف إبراهيم عليه السلام وعن الكتب متى أنزلت؟ قال: «أنزلت صحف إبراهيم أوّل ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل فى اثنى عشر من رمضان، وأنزل الزبور فى ثمان عشرة مضين من رمضان، وأنزلت التوارة فى ثمان مضين من رمضان، وأنزل الفرقان فى أربع وعشرين مضين من رمضان».

فقلت: يا نبى الله، كم كان الأنبياء وكم كان المرسلون؟ قال: «كان الأنبياء مائة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى، وكان المرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً وقد يكون نبيًا ولا يكون مرسلاً وقد يكون نبيًا مرسلاً».

قال: وحدثنا عبد الوهاب بن محمد بإسناده عن أبى ذر نحو هذا وزاد فيه: فقلت: يا نبى الله، فأى وقت الليل أفضل؟ قال «جوف الليل الغابر» قال: قلت: فأى الصلاة أفضل؟ قال «طول القنوت».

قال: قلت: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقل معسر سيق إلى فقير». فقلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال «آدم» فقلت: يا رسول الله، كان آدم مرسلاً؟ قال: «نعم خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه». قال: «وأربعة من الأنبياء سريانيون: آدم وشيث وإدريس ونوح». وقيل: «عيسى عليه السلام». «وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك عليه الصلاة والسلام، يا أبا ذر».
فقلت: وكم كتابًا أنزل الله على أنبيائه؟ قال: «مائة و أربعة كتب: أنزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان». فقلت: يا نبى الله ﷺ أوصنى؟ قال: «عليك بتقوى الله فإنها رأس أمرك كله».

قلت: يا رسول الله، زدني؟ قال: «عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه نور لك فى السماء وشرف وذكر لك فى الأرض، وعليك بالجهاد فى سبيل الله تعالى فإنه رهبانية أمتي، وعليك بالصمت إلا بخير فإنه مطردة الشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، وإياك والضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه»[1].

---

(١) **ضعيف جدًا:** أخرجه ابن حبان، برقم (٣٦١)، والطبراني في الكبير، برقم (١٦٥١)، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ١٦٨)، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢١٢٢).

قال: وحدثني أبي رحمه الله بإسناده عن أبي ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه أنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فمرة قلت فى نفسى: آتيه لأستفيد منه فى حال خلوته ومرة قلت: لا أشغله عما هو فيه فأبيت إلا أن آتيه، وسلمت عليه وجلست عنده طويلاً لم يكلمني حتى قلت فى نفسى: إنه قد شق عليه جلوسى. ثم قال: «يا أبا ذر هل ركعت؟» قلت: لا. قال: «قم فاركع فإن لكل شيء تحية وتحية المسجد ركعتان». فقمت وركعت ثم جلست إليه طويلاً، ثم قال: «يا أبا ذر، إستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر شياطين الإنس والجن».

فقلت: يا رسول الله، أو من الإنس شياطين؟ قال: «أما تسمع قوله تعالى ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ثم سكت، فلما رأيت أنه لا يكلمنى، ولا يحدثنى أفضت فى الكلام فقلت: يا نبى الله، أمرتنى بالصلاة فما الصلاة؟ وذكر نحو السؤالات التى ذكرناها، قال: ثم اجتمع الناس، فقال النبى ﷺ: «ألا أنبئكم بأبخل الناس؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ».

قال: حدثنا عبد الوهاب بن محمد الفضلانى بسمرقند بإسناده عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه: لما خرج النبى ﷺ إلى غزوة تبوك صحبه رجال من المنافقين وكان يتخلف عنه الرجل والرجلان فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان. فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه». فقالوا: يا رسول الله، تخلف أبو ذر. قال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم». وكان أبو ذر تخلف لأنه أبطأ به بعيره فتلوّم بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم رجع يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا حاملا على ظهره فى شدة الحر وحده، فقالوا: يا رسول الله، أقبل إلينا رجل يمشى وحده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليكن أبا ذر». فلما تأمله الناس قالوا يا رسول الله، هذا والله أبو ذر رضى الله تعالى عنه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده»[1].

قال محمد بن إسحاق: حدثنا بريدة بن سفيان الأسلمى عن محمد بن كعب رضى الله تعالى عنهم قال: لما سار أبو ذر رضى الله تعالى عنه إلى الربذة فى عهد عثمان رضى الله تعالى عنه وأصابه بها قدره ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصى إليهما: أن غسلانى وكفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق، فأول ركب يمر عليكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا به ذلك ثم وضعاه على قارعة الطريق، فأقبل عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى رهط من العراق، فلما رآهم الغلام قام إليهم فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على

---

(١) أخرج أحمد أوله بنحوه، برقم (٢١٥٩٢)، وأخرجه ابن هشام في سيرته (٤/ ١٧٧)، والطبرى في تاريخه (٣/ ١٠٧)، والذهبي في المغازي، برقم (٦٣٣).

دفنه. فأقبل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وهو يبكى رافعًا صوته ثم قال: صدق رسول الله ﷺ تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، ثم واروه ومضوا وهو يحدثهم بما قال رسول الله ﷺ فى مسيره إلى تبوك(١).

وعن إياس بن سلمة عن أبيه عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «سيصيبك بعدى بلاء». قال: قلت: فى الله؟ قال: «فى الله» قلت: فمرحبًا بأمر الله. قال: «يا أبا ذر، اسمع وأطع ولو صليت خلف أسود». فلما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضى الله تعالى عنه دعاه فحياه وبكى فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه: قد سمعت قول رسول الله ﷺ فيك فأعوذ بالله أن أكون صاحبك. يعنى: أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببى أو فى زمانى. فلما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وولى عمر رضى الله تعالى عنه دعاه وأثنى عليه وقال: قد سمعت قول رسول الله ﷺ فيك فأعوذ بالله أن أكون صاحبك. يعنى: أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببى أو فى زمانى. فلما توفى عمر رضى الله تعالى عنه وولى عثمان رضى الله تعالى عنه قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما: كنت قاعدًا عند عثمان رضى الله تعالى عنه فاستأذن أبو ذر رضى الله تعالى عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا أبو ذر يستأذن، قال: ائذن له إن شئت. قال: فأذنت له، فدخل حتى جلس فقال عثمان: أنت الذى تزعم أنك خير من أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما؟ قال: ما قلت هذا. قال: أنا أقيم عليك البينة. قال أبو ذر: نضر الله وجهك لا أدرى ما بينتك وقد عرفت كيف قلت. قال: فكيف قلت؟ قال: قلت: قال رسول الله ﷺ: «أن أحبكم إليّ وأقربكم منى الذى يأخذ بالعهد الذى تركته عليه حتى يلحقنى وكلكم قد أصاب من الدنيا غيرى».

قال عثمان رضى الله تعالى عنه: الحق بمعاوية، فأخرجه إلى الشام، فلما قدم إلى الشام أخذ يعلم الناس فأبكى عيونهم وأحزن صدورهم، وكان فيما يقول: لا يبيتن أحدكم وفى بيته دينار ولا درهم إلا شيء ينفقه فى سبيل الله أو يعدّه لغريم، فأبكى معاوية والناس فبعث إليه بألف دينار فأراد أن يخالف قوله فعله وسريرته علانيته، فأخذ الألف وقسمه كله فلم يبق عنده شيء، فدعا معاوية الرسول فى اليوم الثانى فقال له: اذهب إلى أبى ذر وقل له: إنما أرسلنى بالألف دينار إلى غيرك فأخطأت به إليك، فجاءه الرسول وقال له: أنقذنى من عذاب معاوية فإنما أرسلنى بألف إلى غيرك فأخطأت به فدفعته إليك.

فقال أبو ذر للرسول: أقرئ معاوية منى السلام وقل له: ما أصبح عندنا من دنانيرك شيء فإن أردتها فانتظرنا ثلاثة أيام نجمعها لك. فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان رضى الله تعالى عنه إن كان لك بالشام حاجة فأرسل إلى أبى ذر واستدعه، قال: فكتب عثمان رضى الله تعالى عنه أن الحق بى.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم (٤٣٧٣)، والطبري في تاريخه (٢/ ١٨٤، ١٨٥)، انظر تقريب التهذيب، (١/ ٩٦).

قال: فقدم أبو ذر رضى الله تعالى عنه وعثمان فى المسجد فأقبل حتى سلم عليه، فردّ عليه السلام، وقال له: كيف أنت يا أبا ذر؟

قال: بخير فكيف أنتم، ثم خرج عثمان رضى الله تعالى عنه فقام أبو ذر إلى سارية فصلى ركعتين، ثم قعد وجلس إليه الناس.

فقالوا له: يا أبا ذر، حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: نعم حدثنى حبيبى: «أن فى الإبل صدقة وفى الزرع صدقة وفى الدرهم صدقة وفى الشاة صدقة، ومن بات وفى بيته دينار أو درهم، لا يعدّه لغريمه أو ينفقه فى سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة»، قالوا: يا أبا ذر اتق الله وانظر ما تحدث فإن هذه الأموال قد فشت فى الناس، فقال: أما تقرءون القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] فمكث ليلتين أو ثلاثًا فأرسل إليه عثمان رضى الله تعالى عنه فقال: الحق بالربذة وهى قرية خربة فخرج إلى الربذة فوجدهم يؤمهم أسود، فقيل لأبى ذر: تقدم، فأبى وصلى خلف الأسود وقال: صدق الله ورسوله قال لى: «اسمع وأطع وإن صليت خلف أسود». ومكث هناك حتى مات رحمه الله [١].

وروى عن امرأة أبى ذر رضى الله تعالى عنهما قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت قال: ما يبكيك؟

قلت: تموت فى فلاة من الأرض وليس لى ثوب أكفنك فيه. قال: لا تبكى وأبشرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر كنت أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين». وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا والله ما كذب ولا كذبت فأنا ذلك الرجل فأبصرى الطريق؟ قالت: فقلت قد ذهب الحاج وانقطع الطريق فكنت أقوم على كثيب فأنظر فأرجع إليه فأمرضه، فبينما أنا كذلك إذا بنفر على رحالهم فألحت إليهم بثوبى فأسرعوا إلى فقالوا: يا أمة الله، ما لك؟ قلت: رجل من المسلمين يموت فكفنوه، قالوا: ومن هذا؟

قلت: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟

قلت: نعم. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، فأسرعوا حتى دخلوا عليه وسلموا فرحب بهم، وقال: أبشروا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم «ليموتن رجل منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين». وليس من أولئك القوم أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا، فأنا ذلك الرجل وأنتم أولئك العصابة، ولو كان لى ثوب يسعنى كفنا أو لامرأتى لم أكفن إلا فى ثوب لى أو لأهلى، وإنى أنشدكم بالله لا يكفننى رجل منكم كان أميرًا أو بريدًا أو عريفًا أو نقيبًا، ولم يكن فى

(١) انظر ما قبله.

القوم إلا قد أصاب ذلك أو بعض ذلك إلا رجل من الأنصار فقال: يا عم أنا أكفنك فإنى لم أصب شيئًا مما ذكرت أكفنك فى ردائى هذا أو فى ثوبين أو فى عباءتين من غزل أمي . قال: أنت تكفننى، فمات فكفنه الأنصارى فى النفر الذين شهدوه وكلهم من أهل الدين، فرجعوا مسرورين بما سمعوا منه[١] .

٩٠ - باب الاجتهاد فى الطاعة

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا الفقيه أبو جعفر حدثنا على بن أحمد حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا غندر عن شعبة عن الحكم عن عروة بن الزبير عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على أبواب الخير؟» قلت نعم. قال: «الصوم جنة، والصدقة برهان، وقيام العبد فى جوف الليل يطفيء كل خطيئة»[٢] .

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضيل حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن واصل بن يسار عن الوليد بن عبد الرحمن عن الحرث عن أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصوم جنة ما لم يخرقها»[٣] . يعنى ما لم يخرقها بالغيبة.

(قال الفقيه) أبو جعفر: حدثنا على بن أحمد حدثنا عيسى بن أحمد رفعه إلى الحسن رحمهم الله تعالى قال: أربع من زاد الآخرة: الصوم صحة النفس، والصدقة ستر ما بينه وبين النار، والصلاة تقرب العبد إلى ربه، والدموع تمحو الخطيئة.

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: يقال: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحب. فعلامة الخوف ترك المحارم، وعلامة الرجاء الرغبة فى الطاعة، وعلامة الحب الشوق والإنابة. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص، والحسد. فأما الكبر: فقد ظهر من إبليس حيث أمر بالسجود فاستكبر حتى صار ملعونًا.

وأما الحرص: فقد ظهر على آدم عليه السلام حيث تناول من الشجرة لكى يخلد فى الجنة فأخرج منها، وأما الحسد: فقد ظهر على ابن آدم قابيل فقتل أخاه حتى أدخل النار. فالواجب على كل أحد أن يجتنب المعاصى ويجتهد فى الطاعة ويخلص فى طاعته لوجه الله تعالى.

فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أخلص العبادة لله تعالى أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٤] . ويقال: ثلاثة يزرعون لأنفسهم فى القلوب المقت ويوجبون السخط

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (١/ ١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد، برقم (٢١٥٠٥)، وابن حبان، برقم (٦٦٧٠)، والهيثمي في الموارد، برقم (٢٢٦٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **ضعيف:** أخرجه النسائي، برقم (٢٢٣٣)، وأحمد، برقم (١٧٠٠)، والدارمي، برقم (١٧٣٢)، برقم (٥١٥٣)، انظر ضعيف سنن النسائي للألباني.

ويهدمون ما يبنون: أحدهم المشتغل بعيوب الناس، والثاني المعجب بنفسه، والثالث المرائي بعمله. وثلاثة أصناف يزرعون المحبة في القلوب ويرثون العافية والمنزلة في أهل السماء: أحدهم صاحب الخلق الحسن، والثاني المخلص بعمله، والثالث المتواضع. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أيسر وأهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وروى عن يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه أنه قال:

الناس ثلاثة أصناف:

رجل يشغله معاده عن معاشه، ورجل يشغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعًا. فالأول درجة الفائزين العابدين، والثاني درجة الهالكين، والثالث درجة المخاطرين.

وذكر عن حاتم الزاهد أنه قال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، ولا قدر الحياة إلا الموتى.

(قال الفقيه) رضي الله تعالى عنه: هذا مستخرج من خبر رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[(١)].

فينبغي للإنسان أن يعرف قدر حياته ويغتنم كل ساعة تأتي عليه ويقول: لا أدري كيف يكون حالي في ساعة أخرى، ويتفكر في ندامة الموتى وإنهم يتمنون الحياة مقدار ركعتين أو مقدار قول لا إله إلا الله، وإنك قد قلتها فاجتهد في عبادة الله تعالى قبل أن يأتيك وقت الندامة والحسرة.

وقيل لحاتم رضي الله عنه: علام بنيت عملك؟

قال: على أربع: أحدها: أني علمت أن لي رزقًا لا يجاوزني إلى غيري كما لا يجاوز رزق أحد إلى فوثقت به. والثاني: علمت أن علي فرضًا لا يؤديه غيري فأنا مشغول به. والثالث: علمت أن ربي يراني كل وقت فأستحي منه. والرابع: علمت أن لي أجلاً يبادرني فأنا أبادره.

(قال الفقيه) رضي الله تعالى عنه: المبادرة إلى الأجل الاستعداد بالأعمال الصالحة والامتناع عما نهى الله، والتضرع إلى الله تعالى لكي يثبته على ذلك ويجعل خاتمته في خير.

وقال بعض الحكماء: لا يجد الرجل حلاوة العبادة حتى يدخل في العبادة بالنية، ويرى المنة لله ويعمل بالخشية ويسلمه بالإخلاص، لأنه إذا دخل فيه بالنية فيعلم أن الله تعالى قد وفقه لذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٤٣٤٤)، وابن المبارك في الزهد، برقم (١٠١٤)، وهناد في الزهد، برقم (٦٧٨)، وأبو نعيم في الحلية، (١٠/ ٧٠)، من حديث مكحول.

العمل، وإذا رأى لله عليه المنة فيدخل فيه بالشكر فكان له من الله الزيادة، لأن الله تعالى قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وإذا عمله بالخشية وجب ثوابه على الله تعالى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، والثواب فى الدنيا هو الحلاوة فى الطاعة وفى الآخرة الجنة، وإذا سلمه بالإخلاص تقبله الله منه، وعلامة القبول أن يوفقه لطاعة هى أرفع منه.

ويقال: علامة الاغترار فى ثلاثة أشياء: أن يجمع مالاً يخلفه، الثانى: زيادة الذنوب تهلكه. والثالث: ترك عمل ينجيه.

وعلامة المنيب يعنى: المقبل إلى الله تعالى ثلاث خصال:

أوّلها: أن يجعل قلبه للتفكر.

والثانى: أن يجعل لسانه للذكر.

والثالث: أن يجعل بدنه للخدمة.

ويقال: للمخادع نفسه ثلاث علامات:

أحدها: أن يبادر إلى الشهوات ويأمن الزلل.

والثانى: يسوف التوبة بطول الأمل.

والثالث: يرجو الآخرة بغير عمل.

قال بعض الحكماء: من ادعى ثلاثًا بغير ثلاث فاعلم أن الشيطان يسخر منه:

أوّلها: من ادعى حلاوة ذكر الله مع حب الدنيا.

والثانى: من ادعى رضا خالقه من غير سخط نفسه.

والثالث: من ادعى الإخلاص مع حب ثناء المخلوقين.

وعن أبى نضرة قال: أربع من كنّ فيه فلم يزدد بهنّ خيرًا فذاك الذى لم يتقبل الله منه عمله ذلك: أوّلها: من غزا ثم رجع فلم يزدد خيرًا فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن صام شهر رمضان ولم يزدد خيرًا فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن حج فرضًا فلم يزدد خيرًا فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه، ومن مرض فعوفى فلم يزدد خيرًا فذاك آية أنه لم تكفر عنه ذنوبه.

ويقال: ينبغى للعاقل أربعة أشياء حتى يصلح عمله ولا يضيع اجتهاده:

أوّلها: العلم ليكون علمه حجة.

والثانى: التوكل حتى يكون له فى العبادة فراغ ومن الخلق إياس.

والثالث: الصبر ليتم به العمل.

والرابع: الإخلاص لينال به الأجر.

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى: ما طلب رجل هذا الخير يعنى الجنة إلا اجتهد ونحل وذبل واستمرّ أى استقام حتى يلقى الله تعالى ألا ترى إلى قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال بعض الحكماء: علامة الذى استقام أن يكون مثله كمثل الجبل، لأن الجبل له أربع علامات: أحدها أنه لا يذيبه الحرّ. والثانى: لا يجمده البرد. والثالث: لا تحركه الريح. والرابع: لا يذهبه السيل. فكذا المستقيم له أربع علامات: أحدها: إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير حق. والثانى: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يكون بغير حق. والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى. والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله عز وجل.

ويقال: سبعة أشياء من كنوز البر وكل واحد من ذلك واجب بكتاب الله تعالى:

أولها: الإخلاص فى العبادة لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والثانى: بر الوالدين لقوله عز وجل ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤].

والثالث: صلة الرحم لقوله عز وجل ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

والرابع: أداء الأمانة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

والخامس: أن لا يطيع أحدًا فى المعصية لقول الله عز وجل ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٦٤].

والسادس: أن لا يعمل بهوى نفسه لقول الله عز وجل ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

والسابع: أن يجتهد فى الطاعة ويخاف الله تعالى ويرجو ثوابه لقوله تعالى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. فالواجب على كل إنسان أن يكون خائفًا باكيًا فإن الأمر شديد.

وروى فى الخبر أن عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بقرية وفى تلك القرية جبل وفى الجبل بكاء وانتحاب كثير، فقال لأهل القرية: ما هذا البكاء وهذا الانتحاب فى هذا الجبل؟ قالوا: يا عيسى، منذ سكنا هذه القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل، فقال عيسى عليه السلام: يا رب ائذن لهذا الجبل أن يكلمنى؟ فأنطق الله الجبل فقال: يا عيسى ما أردت منى؟ قال: أخبرنى ببكائك وانتحابك ما هو؟ قال: يا عيسى، أنا الجبل الذى كانت تنحت منى الأصنام التى يعبدونها من دون

الله فأخاف أن يلقيني الله تعالى في نار جهنم، فإني سمعت الله يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن قل للجبل: اسكن فإني قد أعذته من جهنم، فالحجارة مع صلابتها وشدتها تخاف الله فكيف لا يكون المسكين الضعيف ابن آدم يخاف من النار ولا يتعوذ بالله منها، يا ابن آدم احذر منها وإنما الحذر منها باجتناب الذنوب فإن بالذنوب يستوجب العبد سخط الله تعالى وعذابه، ولا طاقة لك بعذاب الله تعالي.

وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل قوله تعالي: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، دمعت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «يا معشر الناس، إن الله تعالى بعثني نبيًا وأرسلني رسولاً واختاركم لنبيه وأشهدني عليكم وأشهدكم على الأمم السالفة والقرون الماضية» فقام إليه رجل من الأنصار يقال له قيس بن عروة فقال: يا رسول الله، وكيف نشهد على الأمم السالفة ولم نكن منهم ولم يكونوا في زماننا؟ فقال النبي ﷺ: «يا ابن عروة إذا كان يوم القيامة وبدلت الأرض غير الأرض وطويت السموات كطي السجل للكتاب وحشر الخلائق فمنهم سود الوجوه ومنهم بيض الوجوه فيقفون أربعين عامًا». قيل: يا رسول الله ماذا ينتظرون؟ قال: «الصيحة التي قال الله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] يعني تحريك الشفتين من غير نطق وهما يساقون إلى أرض لم يسفك عليها الدماء ثم يؤتى بالبهائم فيقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابًا فتكون ترابًا فذلك قوله تعالى﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] ثم يؤتى بكل نبي وأمته ويحكم بينهم بالحق ففريق في الجنة وفريق في السعير، ثم ينادي مناد أين نوح عليه السلام فيؤتى به، فيقول الله: يا نوح هل بلغت الرسالة وأديت الأمانة؟ فيقول نعم يا رب بلغت الرسالة وأديت الأمانة. فيؤتى بقومه فيقال: يا أمة نوح هذا نوح بعثته إليكم يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، فهل بلغ إليكم الرسالة؟ فيقولون: يا ربنا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقول الله تعالى: يا نوح هؤلاء أمتك أنكروك فهل من يشهد لك بذلك؟ فيقول نعم أمة محمد ﷺ. فينادي مناد يا خير أمة أخرجت للناس يا صوام شهر رمضان؟ فيقومون من الصفوف كما قال تعالى في محكم تنزيله ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] فيقولون: لبيك داعي الله. فيقول الله عز وجل: يا أمة محمد هل تشهدون لنوح؟ فيقولون أي رب نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة. فتقول أمة نوح عليه السلام: إن نوحًا أوّل نبي ومحمد آخر نبي فكيف يشهدون لمن لم يدركوا زمانه؟ فيقولون: في كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] كنا قرآناه إلى آخره، فيقول الله تعالى: صدقتم يا أمة محمد، وإني آليت على نفسي أن لا أعذب أحدًا إلا بحجة فتواهبوا يا أمة محمد المظالم فيما بينكم فإني قد وهبت الذي بيني وبينكم»[١].

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٤٨٧)، بنحوه، من حديث أبي سعيد، وأخرجه الترمذي، برقم (٢٩٦١)، وأحمد (٣/ ٣٢، ٥٨).

٩١ - باب عداوة الشيطان ومعرفة مكايده

(قال الفقيه) أبو الليث رحمه الله تعالى: حدثنى أبى رحمه الله حدثنا أبو الحسن الفراء حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجانى حدثنا سلمة عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن صفية بنت جحش أن رسول الله ﷺ قال: «الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[١].

قال: حدثنا أبى رحمه الله حدثنا أبو الحسن الفراء حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق حدثنا سلمة عمن حدثه عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى: سيد الناس ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ كلهم من الجن والإنس ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ يقول: خالق الناس ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ يعنى: الشيطان ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ يقول: يدخل فى صدور الجن كما يدخل فى صدور الإنس فيوسوس فى صدورهم، فإذا ذكر الله خنس وخرج من صدورهم.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «بُعثتُ داعيًا ومبلغًا وليس إلىَّ من الهداية شيء، وخُلق إبليس مزينًا وليس إليه من الضلالة شيء»[٢] يعنى: أنه يوسوس ويزين المعصية وليس بيده أكثر من ذلك.

فينبغى للعبد أن يجتهد فى دفع الوسوسة عن نفسه ويجتهد فى مخالفة عدوه، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

وينبغى للعاقل أن يعرف صديقه من عدوه فيطيع صديقه ولا يتبع عدوه، فإنه يقال: علامة الجاهل أربعة أشياء:

أحدها: الغضب من غير شيء.

والثاني: اتباع النفس فى الباطن.

والثالث: إنفاق المال فى غير حق.

والرابع: قلة معرفة صديقه من عدوه. يعنى: يختار طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى فبئس البدل طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وعلامة العاقل أربعة أشياء: الحلم عن الجاهل، ورد النفس عن الباطل، وإنفاق المال فى حقه، ومعرفة صديقه من عدوه.

وذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال: إن إبليس لقى يحيى بن زكريا عليهما السلام

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٧١٧١)، ومسلم، برقم (٢١٧٥)، وأبو داود، برقم (٢٤٧٠)، وابن ماجه، برقم (١٧٧٩)، وأحمد، برقم (٢٦٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣٢٨١)، ومسلم، برقم (٢١٧٥)، وأبو داود، برقم (٢٤٧٠)، وابن ماجه، برقم (١٧٧٩).

فقال له يحيى بن زكريا: أخبرنى عن طبائع ابن آدم عندكم؟ فقال إبليس: أما صنف منهم فهو مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء، والصنف الثانى فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى صبيانكم وقد كفونا أنفسهم، والصنف الثالث فهم أشد الأصناف علينا فنقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع إلى الاستغفار فيفسد به علينا ما أدركنا منه فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه.

وقال بعض الحكماء: نظرت وتفكرت من أى باب يأتى الشيطان إلى الإنسان فإذا هو يأتى من عشرة أبواب:

أولها: يأتى من قبل الحرص وسوء الظن فقابلته بالثقة والقناعة، فقلت: بأى آية أتقوى عليه من كتاب الله تعالى؟ فوجدت قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الآية [هود: ٦]، فكسرته بذلك.

والثانى: نظرت فإذا هو يأتى من قبل الحياة وطول الأمل فقابلته بخوف مفاجأة الموت، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] فكسرته بذلك.

والثالث: نظرت فإذا هو يأتى من قبل طلب الراحة وطلب النعمة فقابلته بزوال النعمة وسوء الحساب، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قوله تعالى ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ [الحجر: ٣] الآية، ويقول ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ الآية [الشعراء: ٢٠٥]، فكسرته بذلك.

والرابع: نظرت فإذا هو يأتى من باب العجب فقابلته بالمِنَّة وخوف العاقبة، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] فلا أدرى من أى الفريقين أكون فكسرته بها.

والخامس: رأيته يأتى من باب الاستخفاف بالإخوان وقلة حرمتهم فقابلته بمعرفة حقهم وحرمتهم، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى فى كتابه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فكسرته بها.

والسادس: نظرت فإذا هو يأتى من باب الحسد فقابلته بالعدل وقسمة الله تعالى فى خلقه، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فكسرته بها.

والسابع: نظرت فإذا هو يأتى من قبل الرياء ومدح الناس فقابلته بالإخلاص، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] يعنى: مخلصًا فكسرته بها.

والثامن: نظرت فإذا هو يأتى من باب البخل فقابلته بفناء ما فى أيدى الخلق وبقاء ما عند الله

تعالى، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فكسرته بها.

والتاسع: نظرت فإذا هو يأتى من باب الكبر فقابلته بالتواضع، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله عز وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فكسرته بها.

والعاشر: نظرت فإذا هو يأتى من باب الطمع فقابلته بالإياس من الناس والثقة بما عند الله، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وذكر فى الخبر أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجى ربه، فقال له ملك من الملائكة: ويحك ما ترجو منه على هذه الحالة؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة.

ويقال: إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس جنوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس ويشغلوهم عن صلاتهم، فيجيء الشيطان إلى من أراد الصلاة فيشغله ليؤخرها عن وقتها فإن لم يقدر فإنه يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسبيحها ودعواتها فإن لم يستطع فإنه يشغل قلبه بأشغال الدنيا، فإن لم يقدر على شيء من ذلك أمر إبليس بأن يوثق هذا الشيطان ويقذف به فى البحر، فإن كان يقدر على شيء من ذلك فإنه يكرمه ويبجله. وقال الله عز وجل حكاية عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني: على طريق الإسلام ولأرصدنهم ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى من أمر الآخرة حتى أجعلهم فى الشك ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ لأزينن لهم الدنيا حتى يطمئنوا إليها ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعنى: آتيهم من جهة الدين والطاعة ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعنى: من جهة المعاصى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] يعني: على نعمك.

وقال فى آية أخرى: ﴿يَا بَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال فى آية أخرى: ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال فى آية آخرى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فقد بين الله تعالى أن الشيطان عدوّ لبنى آدم ويريد ضلالتهم ليجرّهم مع نفسه إلى النار، فالواجب على العاقل أن يجتهد فى مجاهدته لكى يخلص نفسه منه فإنه عدوّ ظاهر للمؤمنين، وللمؤمن أيضًا أعداء سوى الشيطان.

كما روى أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وعدوّ يقاتله وشيطان يضله ونفس تغويه»[1].

(١) **موضوع**: أخرجه اللالكائي في الاعتقاد، برقم (١٠٨٢)، والديلمي في الفردوس، برقم (٢٠٩٤)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر ضعيف الجامع الصغير للألباني، رقم (٢٣٣٨).

يعنى أن النفس مائلة إلى ما هو سبب ضلالته وإغوائه، فينبغى للمسلم أن يستعين بالله تعالى ليقويه على أعدائه ويوفقه لما يحب ويرضي، فإن هذا كله يسير على من يسره الله تعالى عليه

وروى صالح بإسناده عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس فى بعض مجالسه إذ جاءه إبليس وعليه برنس متلون، يعنى: قلنسوة ذات ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أقبل فسلم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمكانك من الله عز وجل. قال: فما البرنس الذى كان عليك؟ قال: به اختطف قلوب بنى آدم. قال: أخبرنى ما الذنب الذى إذا أذنب ابن آدم استحوذت عليه، يعنى: غلبت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنبه استحوذت عليه.

وذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتى محمدًا ﷺ ويجيبه عن كل ما يسأله، فجاءه على صورة شيخ وبيده عكاز فقال له: من أنت؟ قال: أنا إبليس. فقال: لماذا جئت؟ قال: إن الله أمرنى أن آتيك وأجيبك عن كل ما تسألني. فقال النبى ﷺ: «**يا ملعون، كم أعداؤك من أمتى؟**». قال: خمسة عشر: أولهم أنت، والثانى إمام عادل، والثالث غنى متواضع، والرابع تاجر صادق، والخامس عالم متخشع، والسادس مؤمن ناصح، والسابع مؤمن رحيم القلب، والثامن تائب ثابت على التوبة، والتاسع متورع عن الحرام، والعاشر مؤمن يديم على الطهارة، والحادى عشرة مؤمن كثير الصدقة، والثانى عشر مؤمن حسن الخلق مع الناس، والثالث عشر مؤمن ينفع الناس، والرابع عشر: حامل القرآن يديم على تلاوته، والخامس عشر قائم بالليل والناس نيام.

ثم قال النبى ﷺ «ومن رفقاؤك مـن أمتى ؟»

قال: عشرة:

أولها سلطان جائر، والثانى غنى متكبر، والثالث تاجر خائن، والرابع شارب الخمر، والخامس القتات، والسادس صاحب الزنا، والسابع آكل مال اليتيم، والثامن: المتهاون بالصلاة، والتاسع مانع الزكاة، والعاشر الذى يطيـل الأمل، فهـؤلاء أصحـابى وإخوانى[1].

وذكر فى الخبر: أنه كان فى بنى إسرائيل رجل متعبد فى صومعة يقال له برصيصا العابد كان مستجاب الدعوة وكان الناس يأتـونه بمريضهـم فكان يدعو فيبرأ المريض، فدعا إبليس الشياطين لعنهم الله. وقال: من يفتن هذا فإنه قد أعياكم؟ قال عفريت من الشياطين: أنا أفتنه فإنه لم أفتنه فلست لك بولى. فقال له إبليس: أنت له. فانطلق الشيطان حتى أتى منزل ملك من ملوك بنى إسرائيل وله ابنـة من أحسن النساء وهى جالسة مع أبيهـا وأمهـا وأخواتها فخبلهـا، ففزعـوا لذلك

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٦٥٤٨).

فزعًا شديدًا فصارت بمنزلة المجنونة وكانت على ذلك أيامًا ثم أتاهم على صورة إنسان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة فاذهبوا بها إلى فلان الراهب يعوذها ويدعو لها. فذهبوا بها إليه فدعا لها فبرأت من علتها، فلما رجعوا بها عاودها ذلك، فأتاهم الشيطان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة فاجعلوها عنده أيامًا، فانطلقوا بها إليه ليضعوها عنده، فأبى الراهب أن يقبلها فألحوا عليه وتركوها عنده، فكان الراهب يظل صائما ويمسى قائمًا فلا يتعرض الشيطان للجارية، فإذا جلس الراهب ليطعم أظهر خبلها وكشفها فيعرض الراهب عنها بوجهه حتى طال ذلك، فنظر يومًا إلى وجهها وجسدها فرأى وجهًا وجسدًا لم ير مثله، فلم يصبر على ذلك حتى قربها فحبلت منه، ثم أتاه الشيطان فقال له: إنك قد أحبلتها وليس ينجيك مما صنعت بها من عقوبة الملك إلا أن تقتلها وتدفنها عند صومعتك، فإذا سألوك عنها فقل: أتى عليها أجلها فماتت فإنهم يصدقونك، فقام إليها فذبحها ودفنها فجاءوا يسألون عنها فأخبرهم بأنها قد ماتت فصدقوه فرجعوا.

وفي رواية: قال: إنها برئت وذهبت إلى منزلها فصدقوه فرجعوا وجعلوا يطلبونها من بيوت أقاربها، فانطلق الشيطان فقال لهم: إن الراهب قد وقع عليها فأحبلها، فلما خشى إن يطلع على ذلك ذبحها ودفنها. فركب الملك في الناس مقبلاً نحو الراهب فحفروها فوجدوها مذبوحة، فأخذوا الراهب فصلبوه، ثم جاء الشيطان وهو مصلوب فقال: أنا الذى فعلت بك ما فعلت، وأنا أنجيك من ذلك وأخبرهم بأنه ذبحها غيرك وهم يصدقونني بذلك إن أنت سجدت لي سجدة من دون الله، فقال: كيف أسجد على هذه الحالة؟ قال أنا أرضى أن تومئ إلى برأسك، فسجد له سجدة، فقال له الشيطان: أنا بريء منك. فذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧][1].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه:

اعلم أن لك أربعة من الأعداء، فتحتاج أن تجاهد مع كل واحد منهم:

أحدها: الدنيا وهى غرارة مكارة، قال الله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾، وقال تعالى ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. **والثاني**: نفسك وهي شر الأعداء.

والثالث: الشيطان.

والرابع: شيطان الإنس فاحذره فإنه أشد عليك من شيطان الجن، لأن شيطان الجن يكون أذاه بالوسوسة وشيطان الإنس هو رفيق السوء يكون أذاه بالمواجهة والمعاينة، لا يزال يطلب عليك وجهًا يردّك عما أنت فيه.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن مردويه والبيهقي، انظر كنز العمال، برقم (١٧١٠).

وروى شدّاد بن أوس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» يعنى: حاسب نفسه فى الدنيا وعمل الطاعة لكى تنفعه بعد الموت «والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل المغفرة»(١).

وروى عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك. ولكن العجب ممن نجا كيف نجا. يعنى: أن الجنة قد حفت بالمكاره والنار قد حفت بالشهوات، وأن فى كل نفس شيطانًا يوسوس إليها وملكا يلهمه، ولا يزال الشيطان يزين ويخدع، ولا يزال الملك يمنعه ويلهمه الخير، فأيهما كانت النفس معه كان هو الغالب.

٩٢ - باب الرضا

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا العباس ابن الفضل حدثنا موسى بن نصر الحنفى حدثنا محمد بن زياد الكوفى عن ميمون بن مهران قال: أمرنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أن آتيه فى كل شهر مرتين، فجئته يومًا فنظر إلى من فوق حصن له فأذن لى قبل أن أبلغ الباب، فدخلت كما أنا فإذا هو قاعد على بساط له وشاذكونة على قدر البساط وهو يرقع قميصًا له، فسلمت عليه فردّ على السلام ولم يزل بى حتى أجلسنى على شاذكونته، ثم سألنى عن أمرائنا وعن أمر شرطنا وعن جلاوذتنا وعن سجوننا وعن شعائرنا كلها، ثم سألنى عن خاصة أمري، فلما نهضت لأخرج قلت: يا أمير المؤمنين، ما فى أهل بيتك من يكفيك ما أرى؟ قال: يا ميمون، يكفيك من دنياك ما بلغك المحل نحن اليوم ههنا وغدًا فى مكان آخر. ثم خرجت وتركته. حدثنا أبو منصور بن عبد الله الفرائضى بسمرقند بإسناده عن قتادة رحمهم الله فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]. قال قتادة: هذا صنيع مشركى العرب أخبرنا الله تعالى بخبث صنيعهم، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله عز وجل للمؤمن خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضى الله لك يا ابن آدم مما تكره خير من قضائك بما تحب، فاتق الله وارض بقضائه.

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: هذا القول موافق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] يعنى: ما فيه صلاحكم وصلاح دينكم ودنياكم وأنتم لا تعلمون ذلك. يعنى: ارضوا بما قضيت لكم فإنكم لا تعلمون ما فيه صلاحكم.

قال بعض الحكماء:

المنازل أربعة: عمرنا فى الدنيا، ومكثنا فى القبر، ومقامنا فى الحشر، ومصيرنا إلى الأبد الذى

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الترمذي، برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه، برقم (٤٢٦٠)، وأحمد، برقم (١٦٦٧٤)، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

خلقنا له، فمثل عمرنا فى الدنيا كمثل المتعشى فى الحاج لا يطمئنون ولا يحلون الدواب والأثقال لسرعة الارتحال، ومثل مكثنا فى القبر كمثل النزول فى بعض المنازل يضعون الأثقال ويستريحون يومًا أو ليلة ثم يرتحلون، ومثل مقامنا فى الحشر كنزولهم بمكة وهو غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق يقضون النسك ثم يتفرقون يمينًا وشمالاً، كذلك يوم القيامة إذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فرقًا إلى الجنة وفرقًا إلى السعير. وقال شقيق بن إبراهيم رحمه الله تعالى: سألت سبعمائة عالم عن خمسة أشياء فكلهم أجابوا بجواب واحد. قلت: من العاقل؟ قالوا: العاقل من لم يحب الدنيا. قلت: من الغنى؟ قالوا: الذى يرضى بما قسم الله له. قلت: من الكيس؟ قالوا: من لم يغره الدنيا. قلت: من الفقيه؟ قالوا: الذى يمتنع من طلب الزيادة. قلت: من البخيل؟ قالوا: الذى يمنع حق الله تعالى من ماله.

ويقال: سخط الله تعالى على العبد فى ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يقصر فيما أمر الله تعالى.

والثانى: أن لا يرضى بما قسم الله تعالى له.

والثالث: أن يطلب شيئًا فلا يجده فيسخط على ربه.

وقال بعض الحكماء فى قول الله عز وجل ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

قال الفقهاء: من سرق عشرة دراهم تقطع يده، وليست لهذه العشرة حرمة حتى تقطع يد الرجل المؤمن لأجلها، ولكن تقطع يده لمعنيين: أحدهما: لهتك حرمة المسلمين. والثانى: لأنه لم يرض بما قسم الله تعالى له ومال إلى مال غيره فأمر الله تعالى أن تقطع يده نكالاً بما كسب، ليكون عبرة لغيره لكى يرضى بما قسم الله تعالى له. وينبغى للمؤمن أن يكون راضيًا بما قسم الله تعالى له فإن الرضا بما قسم الله له من أخلاق الأنبياء والصالحين.

وروى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه انه قال: اثنتا عشرة خصلة من اخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أولها: أنهم كانوا آمنين بوعد الله.

والثانى: كانوا آيسين من الخلق.

والثالث: كانت عداوتهم مع الشيطان.

والرابع: كانوا مقبلين على أمر أنفسهم.

والخامس: كانوا مشفقين على الخلق.

والسادس: كانوا محتملين لأذى جميع الخلق.

والسابع: كانوا موقنين بالجنة. يعنى: إذا عملوا عملاً أيقنوا أن الله لا يضيع ثوابهم ولا ثواب عملهم.

والثامن : كانوا متواضعين فى مواضع الحق .

والتاسع : كانوا لا يدعون النصيحة فى موضع العداوة .

والعاشر : كان رأس أموالهم الفقر ، يعني : كانوا لا يمسكون فضل المال وينفقون على الفقراء .

والحادى عشر : كانوا يديمون على الوضوء .

والثانى عشر : كانوا لا يفرحون بما وجدوا من الدنيا ولا يغتمون على ما فاتهم من الدنيا .

وقال بعض العلماء: حرفة الزاهدين عشرة أشياء:

أولها : عداوة الشيطان يرونها واجبة على أنفسهم لقوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر : ٦] .

والثاني : لا يعملون عملاً إلا بالحجة يعني : لا يعملون عملاً إلا بعدما ثبتت لهم الحجة يوم القيامة لقول الله عز وجل ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة : ١١١] . يعني : حجتكم .

والثالث : أنهم مستعدون للموت لقول الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

والرابع : يحبون فى الله ويبغضون فى الله لقول الله عز وجل ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة : ٢٢] يعني : من كان مؤمنًا لا تكون له صداقة مع من يخالف أمر الله ولو كان أباه أو ابنه أو إخوانه أو عشيرته .

والخامس : أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لقول الله عز وجل ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧] .

والسادس : أنهم يعتبرون ويتفكرون فى أمر الله تعالى لقول الله عز وجل ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران : ١٩١] . وقال فى آية أخرى : ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر : ٢] .

والسابع : يحرسون قلوبهم لكيلا يتفكروا فيما لم يكن فيه رضا الله سبحانه وتعالى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] .

والثامن : أن لا يأمن مكر الله لقول الله تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

والتاسع : أن لا يقنطوا من رحمة الله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] .

والعاشر : لا يفرحون بما آتاهم الله من الدنيا ولا يحزنون على ما فاتهم لقوله تعالي : ﴿لِّكَيْلَا

تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]

يعنى: أن العبد لا يعلم بأن الصلاح فيما يفوته أو فيما يأتيه فينبغى أن يكون فى الحالين سواء، فإن المؤمن مثله مثل الآس والمنافق مثله مثل الورد، فالآس يكون على حال واحد فى حال البرد والحر وأما الورد فيتغير حاله إذا أصابه أدنى آفة، فكذلك المؤمن يكون حاله عند الشدة وعند الرخاء واحدًا ويكون راضيًا بما قسم الله له، وأما المنافق فلا يكون راضيًا بما قسم الله له فيطغى عند النعمة ويجزع عند الشدة، فينبغى للمؤمن أن يقتدى بأفعال الأنبياء والزهاد ولا ينبغى أن يقتدى بأفعال الكفار والمنافقين. وبالله التوفيق.

٩٣ - باب المواعظ

(قال الفقيه) أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبو نصر الدبوسى منصور بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى حدثنا أبو القاسم أحمد بن خنيم حدثنا محمد ابن الفضل حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعد العصر إلى مغيربان الشمس، حفظها منا من حفظها ونسيها من نسيها.

فقال: «ألا إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت مؤمنًا، ومنهم من يولد مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت كافرًا، ومنهم من يولد كافرًا ويحيا كافرًا ويموت مؤمنًا، ألا وإن الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فالأرض الأرض، ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الفيء، فإذا كان سريع الغضب سريع الرضا فإنها بها، ألا وإن شر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا، فإن كان بطيء الغضب بطيء الرضا فإنها بها، ألا وإن خير التجار من كان حسن الطلب حسن القضاء، فإذا كان حسن الطلب سيء القضاء فإنها بها، ألا وإن شر التجار من كان سيء الطلب سيء القضاء، فإن كان سيء الطلب حسن القضاء فإنها بها، ألا وإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، ألا ولا غدر أكبر من غدر إمام عامة، ألا وإن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، ألا لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا شهده وعلمه» حتى إذا كان عند مغرب الشمس قال: «ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من هذه الشمس أن تغيب» (١).

قال: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا العباس بن الفضل المدنى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا الحكم عن نافع حدثنا شعبة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي، برقم (٢١٩١)، وأحمد، برقم (١٠٧٥٩)، انظر ضعيف جامع الترمذي للألباني.

عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فقال النبى ﷺ لرجل ممن يدعى الإسلام: «إن هذا من أهل النار».

فلما حضر الرجل القتال قاتل الرجل أشد القتال، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل الذى ذكرت أنه من أهل النار، فوالله ليقاتل فى سبيل الله أشد القتال؟ فقال: «أما إنه من أهل النار».

فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد ألم الجراح فأهوى بيده إلى الكنانة فاستخرج منها سهمًا وتكلم بكلمة منكرة ونحر نفسه، فاشتد الرجال من المسلمين إلى النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد صدّق الله حديثك، قد فجر فلان فقتل نفسه. فقال النبى ﷺ: «قم يا فلان فناد لا يدخل الجنة إلا مؤمن»(١). وقال النبى ﷺ: «إنما الأعمال بالخواتيم»(٢)، لا عبرة بكثرة الصلاة والصيام، وإنما ينظر إلى خاتمة أمره.

(قال): حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك حدثنا سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة أربعين يومًا ثم يكون مضغة أربعين يومًا، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات فيقال له: اكتب أجله وأمله وعمله ورزقه واكتب شقيًا أو سعيدًا، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها».

فهذا الحديث موافق للحديث الأول: «إنما الأعمال بالخواتيم».

فالواجب على كل مسلم أن يدعو الله عز وجل أن يجعل خاتمته بخير فإن أكثر ما يخاف ذهاب الإيمان عند النزع. وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى أنه كان يقول: اللهم إن أكثر سرورى فيما أكرمتنى بالإيمان، وأخاف أن تنزعه منى، فما دام هذا الخوف معى أرجو أن لا تنزعه مني.

وسئل أبو القاسم الحكيم بسمرقند رحمه الله تعالى: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة من الذنوب تنزع الإيمان من العبد:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٠٦٢)، ومسلم، برقم (١١١)، وأحمد، برقم (٨٠٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٦٠٧)، ومسلم، برقم (٢٦٤٣)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وأخرجه ابن حبان، برقم (٣٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

أولها: أن لا يشكر الله على ما أكرمه به من الإيمان.

والثاني: أن لا يخاف فوت الإيمان عنه.

والثالث: أن يظلم أهل الإسلام. وروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: يعذب الرجل فى النار ألف سنة ثم يخرج منها إلى الجنة، ثم قال الحسن: يا ليتنى كنت أنا ذلك الرجل. وإنما قال الحسن ذلك لأنه يخاف عاقبة أمره. هكذا كان الصالحون يخافون خاتمة أمرهم.

٩٤ - باب الحكايات

(قال الفقيه) أبو الليث رحمه الله تعالى: حدثنا أبى رحمه الله حدثنا أبو الحسن الفراء حدثنا محمد بن حاتم الهروى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو الكلاعى عن قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أيمنعنى سوادى ودمامة وجهى من دخول الجنة؟ قال: «لا والذى نفسى بيده ما أيقنت بربك وآمنت بما جاء به رسوله» قال فوالذى أكرمك بالنبوة لقد شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله من قبل أن أجلس هذا المجلس بثمانية أشهر، ولقد خطبت إلى عامة من بحضرتك ومن ليس معك فردونى لسوادى ودمامة وجهى، وإنى لفى حسب من قومى من بنى سليم ولكن غلب عليّ سواد أخوالي. فقال رسول الله ﷺ «هل شهد اليوم عمرو بن وهب؟» وكان رجلا من ثقيف قريب العهد بالإسلام. قالوا: لا. قال له: «أتعرف منزله؟» قال: نعم. قال: «فاذهب واقرع الباب قرعًا رقيقًا ثم سلم، فإذا دخلت فقل: زوجنى رسول الله ﷺ فتاتكم». وكان له ابنة عاتقة وكان لها حظ من الجمال والعقل، فلما أتى الباب وقرع وسلم فرحبوا به حيث سمعوا لغة عربية ففتحوا الباب، فلما رأوا سواده ودمامة وجهه انقبضوا عنه فقال: إن رسول الله ﷺ قد زوجنى فتاتكم، فردوا عليه ردًا قبيحًا، فخرج الرجل ومضى حتى أتى رسول الله ﷺ.

فقالت الفتاة لأبيها: يا أبتاه، النجـاة النجـاة قبل أن يفضحك الوحى، فإن يك رسول الله ﷺ قد زوجنى منه فقد رضيت بما رضى الله لى ورسوله، فخرج الشيخ حتى أتى رسول الله ﷺ وجلس فى أدنى المجلس، فقال له رسول الله ﷺ «أنت الذى رددت على رسول الله ما رددت؟» قال: قد فعلت وأستغفر الله، وظننت أنه كاذب فيما يقول فأما إذا كان صادقًا فقد زوجناه فنعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله. فزوجها منه بأربعمائة درهم، فقال رسول الله ﷺ للزوج وهو سعيد السلمى: «اذهب إلى صاحبتك فادخل بها».

فقال: والذى بعثك بالحق نبيًا ما أجد شيئًا حتى أسأل إخوانى؟ فقال رسول الله ﷺ: «مهر امرأتك على ثلاثة نفر من المؤمنين، اذهب إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فخذ منه مائتى درهم»، فأعطاه وزاده، «واذهب إلى عبد الرحمن بن عوف وخذ منه مائتى درهم». فأعطاه وزاده «واذهب إلى على وخذ منه مائتى درهم» فأعطاه وزاده «فبينما هو فى السوق ومعه ما يشترى لزوجته

فرحًا قرير العين إذا سمع صوت النفير ينادى يا خيل الله اركبى» يعني: أن منادى رسول الله ﷺ ينادى: النفير النفير. فنظر نظرة إلى السماء ثم قال: اللهم إله السموات والأرض وإله محمد ﷺ لأجعلن هذه الدراهم اليوم فيما يحب الله ورسوله والمؤمنون، فاشترى فرسًا وسيفًا ورمحًا واشترى مجنة وشدّ عمامته على بطنه واعتجر فلم ير إلا حماليق عينيه، حتى وقف على المهاجرين فقالوا: من هذا الفارس الذى لا نعرفه؟ فقال لهم على رضى الله تعالى عنه: كفوا عن الرجل فلعله ممن طرأ عليكم من قبل البحرين أو من قبل الشام، فجاء يسألكم عن معالم دينكم، فأحب أن يواسيكم اليوم بنفسه، فأقبل يطعن برمحه ويضرب بسيفه حتى نام به فرسه فنزل وحسر عن ذراعيه وتشمر للقتال. فلما رأى رسول الله ﷺ سواد ذراعيه عرفه فقال: «أسعد أنت؟» قال: نعم بأبى أنت وأمى، قال: «سعد جدّك» فما زال يطعن برحمه ويضرب بسيفه كل ذلك يقتل أعداء الله إذ قالوا صرع سعد. فخرج رسول الله ﷺ مقبلاً نحوه فأتاه فرفع رأسه ووضعه على حجره ومسح عن وجهه التراب بثوبه وقال: «ما أطيب ريحك وأحبك إلى الله ورسوله».

قال: فبكى رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أعرض بوجهه ثم قال: «ورد الحوض ورب الكعبة». قال أبو لبابة: بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما الحوض؟ قال: «حوض أعطانيه ربى عرضه ما بين صنعاء إلى بصري، حافتاه مكللتان بالدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا» فقال: يا رسول الله، رأيناك بكيت ثم ضحكت ثم أعرضت بوجهك؟ قال: «أما بكائى فبكيت شوقًا إلى سعد، وأما ضحكى ففرحت بمنزلته من الله تعالى وكرامته على الله، وأما إعراضى فإنى رأيت أزواجه من الحور العين يتبادرنه، كاشفات سوقهنَ باديات خلاخيلهن فأعرضت عنهن حياء منهن». فأمر بسلاحه وفرسه وما كان له من شيء فقال: «اذهبوا به إلى زوجته فقولوا: إن الله قد زوجه خيرًا من فتاتكم»[(١)].

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا محمد بن داود حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسى حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمير رضى الله تعالى عنهما، قال: خرج ثلاثة نفر ممن قبلكم ينبسطون فى الأرض فأصابهم المطر فلجئوا إلى غار، فبينما هم فيه إذ انقضت صخرة من الجبل فأطبقت عليهم بابه، فقالوا: عفا الأثر وانقطع الخبر وليس لكم إلا الله وصالح أعمالكم، يعنى: أنه قال بعضهم لبعض: ادعوا الله بصالح أعمالكم الذى عملتم فلعل الله يفرج عنا، فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لى بنت عم، وأنها كانت تعجبنى فراودتها عن نفسها فأبت فأصابتها حاجة شديدة فأتتنى وسألتنى، فقلت: لا، حتى تمكنينى من نفسك فأبت، ثم ذهبت فرجعت وقد أصابتها حاجة شديدة. وفى رواية أخرى: أن زوجها كان مريضًا وكان بينهما أولاد صغار وقد أصابهم القحط.

---

(١)أخرجه البخاري، برقم (٣٢٠٨)، ومسلم، برقم (٢٦٤٣)، وأبو داود، برقم (٤٧٠٨).

قال: فأتتنى فسألتنى المرّة الثالثة والرابعة، فقلت: لا حتى تمكنينى من نفسك، فقالت: دونك. فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت، فقالت: لا يحل لك أن تفك هذا إلا بحقه. فتركتها ووفرت عليها ما احتاجت إليه، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت هذا ابتغاء لوجهك ففرّج عنا، فانفرجت من باب الغار فرجة.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وإنى حلبت حلابًا فجئت أعشيهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وخشيت على غنمى لو تركتها لضاعت من السباع، فتركت ماشيتى وأمسكت الإناء على يدى حتى طلع الفجر وغنمى فى البرية، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا، فانفرجت عنهم فرجة أخرى. وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنى استأجرت أجراء يعملون لى كل رجل بمدين من الطعام، فعملوا لى فوفيتهم أجورهم فقال رجل منهم: كان عملى أفضل فأعطنى أفضل فأبيت فغضب.

وفى رواية أخرى قال: جاء رجل آخر فى نصف النهار فعمل فى بقية نهاره مثل ما عمل غيره فى يومه كله فرأيت أن لا أنقص من أجرته شيئًا، فقال رجل منهم: إنه جاء فى وسط النهار وأنا جئت فى أول النهار فسوّيت بيننا فى الأجرة.

فقلت: هل نقصت من أجرتك شيئًا؟ فغضب وترك أجرته وذهب فأخذت المدين فزرعتهما فجاء منه المال، فاشتريت من ذلك البقر والغنم والإبل وشيئًا كثيرًا، فجاءنى بعد ذلك يطلبه منى بعدما اشتدت حاجته، فقلت: انظر كل شيء ههنا فخذه، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فانفرج عنهم فخرجوا منها [(١)].

وروى هذا الخبر أيضًا النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ أنه كان يحدّث حديث الرقيم وذكر هذا الحديث. وروى غير النعمان أيضًا هذا الخبر عن رسول الله ﷺ إلا أنهم رووه بألفاظ مختلفة.

[حكاية أخرى]

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: إنه كان فى بنى إسرائيل عابد وكان قد أوتى جمالاً وحسنًا، وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها فمرّ ذات يوم باب الملك فنظرت إليه جارية لامرأة الملك، فدخلت إليها وقالت لها: ههنا رجل ما رأيت أحسن منه يطوف بالقفاف. قالت: أدخليه على. فأدخلته فلما دخل نظرت إليه فأعجبها فقالت له: اطرح هذا القفاف وخذ هذ الملحفة. وقالت لجاريتها: هات الدهن يا جارية وهات الطيب، فنقضى منه حاجتنا ويقضيها منا. وقالت: نغنك عن بيع هذا. فقال: ما أريد ذلك. مرارًا. قالت: وإن لم ترد فإنك غير خارج حتى نقضى حاجتنا منك. وأمرت

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكنها موجودة بلفظ آخر في قصة أصحاب الغار أخرجه البخاري، برقم (٣٤٦٥)، ومسلم، برقم (٢٧٤٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بالأبواب فأغلقت، فلما رأى ذلك قال: هل فوق قصركم هذا موضع؟ قالت: نعم، ثم قالت: يا جارية، ارقى بوضوئه. فلما رقى جاء إلى ناحية السطح فرأى قصرًا مرتفعًا ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح، فأخذ يعاتب نفسه ويقول: يا نفس أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الرب الكريم، حريصة عليه فى الليل والنهار، جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله، إنك والله لخائنة إن جاءتك هذه العشية وأفسدت عليك عملك فتلقى الله ببقية عملك فجعل يعاتبها. قال رسول الله ﷺ: «فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله عز وجل لجبريل: يا جبريل. قال لبيك وسعديك. قال: عبدى يريد أن يقتل نفسه فرارًا من سخطى ومعصيتى فتلقه بجناحك لا يصيبه مكروه. فبسط جبريل عليه السلام جناحه فأخذه به ثم وضعه كما يضع الوالد الرحيم ولده. قال: فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس، فقالت له امرته: أين ثمن القفاف؟ فقال لها: ما أصبت لها ثمنًا. فقالت: على أى شيء نفطر الليلة؟ قال: نصبر ليلتنا هذه، ثم قال: قومى فأسجرى تنورك فإنا نكره أن جيراننا إذا لم يرونا نسجر التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت فسجرته ثم جاء فقعدت، فجاءت امرأة من جيرانها فقالت. يا فلانة هل عندك وقود؟ قالت: نعم ادخلى فخذى من التنور، فدخلت ثم خرجت فقالت: يا فلانة، ما لى أراك جالسة تتحدثين مع فلان وقد نضج خبزك فى التنور ويكاد أن يحترق، فقامت فإذا التنور محشو خبزًا نقيًا فجعلته فى جفنة، ثم جاءت به إلى الزوج فقالت له: إن ربك لم يصنع بك هذا إلا وأنت عليه كريم، فادع الله أن يبسط علينا بقية عمرنا. فقال لها: تصبرى على هذا فلم تزل به حتى قال: نعم أفعل، فقام فى جوف الليل يصلى ودعا الله تعالى وقال: اللهم إن زوجتى سألتنى فأعطها ما تتوسع به فى بقية عمرها فانفرج السقف فنزلت إليه كف عليه ياقوتة أضاء لها البيت كما تضيء الشمس، فغمز رجلها وكانت نائمة قريبة منه، فقال لها اجلسى وخذى ما سألت، فقالت: لا تعجل ألهذا أيقظتنى قد كنت رأيت فى المنام كأنى أنظر إلى كراسٍ مصفوفة من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد فيها ثلمة، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: هذا مجلس زوجك. فقلت: ما هذه الثلمة؟ قالوا: ما تعجل به زوجك. فقلت: ما لى حاجة فى شيء يثلم عليك مجلسك ادع ربك فدعا ربه فرجع الكف»[1].

حكاية

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن عبد الله بن الفرج العابد يقول: خرجت يومًا أطلب رجلاً يروم لى شيئًا فى الدار، فذهبت فأشير إلى برجل حسن الوجه بين يديه مروز وزنبيل، فقلت: أتعمل لى اليوم إلى الليل؟ قال: نعم. فقلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق. فقلت له: قم. فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، ثم أتيته فى اليوم الثانى فسألت عنه

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٩٧٤)، ومسلم، برقم (٢٧٤٣)، وأحمد، برقم (٥٩٧٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فقيل لى: ذلك الرجل لا يرى فى الجمعة إلا يومًا واحدًا يوم كذا. فتربصت حتى أتى اليوم الذى وصفوه ثم جئت ذلك اليوم فإذا هو جالس وبين يديه مروز وزنبيل، فقلت له: أتعمل لى؟ قال: نعم، قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق. فقلت: قم، فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، فلما كان بالمساء وزنت درهمين ودانقين وأحببت أن أعلم ما عنده، قال: لم هذا؟ قلت: درهمان ودانقان. قال: ألم أقل لك بدرهم ودانق؟ قد أفسدت عليّ أجرتى لست آخذ منك شيئًا. قال: فوزنت له درهمًا ودانقًا فأبى أن يأخذ وألححت عليه، فقال: سبحان الله أقول لا آخذ وتلح عليّ فأبى أن يأخذ ومضي. فأقبلت على أهلى فقالت: فعل الله بك ما أردت من الرجل قد عمل لك عمل ثلاثة أيام وأفسدت عليه أجرته. قال: فجئت يومًا أسأل عنه فقيل: إنه مريض فاستدللت على بيته فاستأذنت عليه فدخلت عليه فإذا هو مبطون فى خربة ليس فى بيته شيء إلا ذلك المروز والزنبيل، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام فقلت له: لى إليك حاجة وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن وأنا أحب أن تأتى إلى بيتى أمرضك. قال: أتحب ذلك؟ قلت: نعم. قال: آتيك بثلاث شرائط. قلت: نعم. قال: أحدها: أن لا تعرض عليّ طعامًا حتى أسألك. قلت: نعم.

والثانية: إذا متّ أن تدفننى فى كسائى هذا وجبتى هذه. فقلت: نعم. قال:

أما الثالثة: فهى أشد منهما وسأخبرك عنها. فحملته إلى منزلى عند الظهر، فلما أصبحت من الغد نادانى: يا عبد الله، فأتيته فقلت: ما شأنك؟ قال: الآن أخبرك عن حاجتى الثالثة وإنى قد احتضرت، يعنى: قد حضرت وفاتى، ثم قال: افتح صرة على كمّ جبتى ففتحتها فإذا فيها خاتم له فصّ أخضر، فقال لى: إذا أنا مت ودفنتنى فخذ هذا الخاتم وادفعه إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك ندمت على ذلك. فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون الرشيد وكتبت له القصة وتعرّضت له فدفعتها إليه وتأذيت أذيّ شديدًا، فلما دخل القصر وقرأ القصة قال على بصاحب هذه القصة، فدخلت عليه فقال: ما شأنك؟ فأخرجت الخاتم، فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا؟ فقلت: دفعه إلى رجل طيان، ونظرت إلى دموعه تتحدر من عينيه على لحيته ومن لحيته على ثيابه ويقول: طيان طيان وقربنى منه وأدنانى.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه أوصانى أيضًا، وقال لى: إذا أوصلت إليه الخاتم قل له: إنه يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت. فقام على رجليه قائمًا فضرب بنفسه على البساط وهو يتقلب برأسه ولحيته ويقول: يا بني، نصحت أباك حيًا وميتًا. فقلت فى نفسى: كأنه ابنه ولم أشعر به فبكى بكاء طويلا ثم جلس وجاءوا بالماء وغسل وجهه ثم قال: كيف عرفته؟ فقصصت عليه القصة، فبكى بكاء شديدًا طويلاً ثم قال: كان هذا أول مولود ولد لى، فكان أبى المهدى ذكر لى أن يزوجنى زبيدة فنظرت يومًا إلى

امرأة فعلق قلبى بها فتزوجتها سرًا من أبى وأولدتها هذا الولد، فأنفذتهما إلى البصرة ودفعت إليهما هذا الخاتم وأشياء كثيرة وقلت لها: اكتمى نفسك فإذا بلغك أنى قد قعدت للخلافة فأتيني، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذكر لى أنهما ماتا ولم أعلم أنه باق فأين دفنته؟

فقلت: دفنته فى مقابر عبد الله بن المبارك. قال: إن لى إليك حاجة إذا كان بعد المغرب وقفت لى حتى أخرج إليك متنكرًا فأخرج إلى قبره فأزوره، فوقفت له فخرج والخدم حوله حتى وضع يده فى يدى فجئت به إلى قبره، فما زال ليلته يبكى إلى الصبح ويقول: يا بنى، نصحت أباك حيًّا وميتًا. فجعلت أبكى لبكائه رقة منى حتى طلع الفجر، ثم رجع حتى إذا دنا إلى الباب فقال لى: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم وأمرت بأن تجرى عليك، فإذا أنا مت أوصيت من يلى من بعدى أن يجرى عليك ما بقى لك عقبى فإن لك على حقًّا بدفنك ولدى، فلما أراد أن يدخل الباب قال لى: انظر إلى ما أوصيتك إذا طلعت الشمس. فقلت: إن شاء الله فرجعت من عنده فلم أعد إليه.

[حكاية]

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى: حدثنى أبى رحمه الله تعالى حدثنا العباس بن الفضيل حدثنا يحيى بن أبى حاتم عن همام بن سمرة عن ليث بن خالد عن يزيد بن هارون عن يحيى بن موسى عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة عن عليّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم قال: لما آخى نبى الله ﷺ بين المسلمين آخى بين سعيد بن عبد الرحمن وبين ثعلبة الأنصارى، وغزا نبى الله ﷺ غزوة تبوك فخرج سعيد بن عبد الرحمن غازيًا وخلف أخاه ثعلبة فى أهله، فكان يحتطب لأهله الحطب ويستقى لهم الماء على ظهره فى كل ذلك يرجو الثواب من الله تعالى، فأقبل ثعلبة ذات يوم فدخل المنزل فجاءه إبليس لعنه الله فقال له: انظر ما خلف الستر. فرفع ثعلبة الستر فرأى امرأة أخيه وكانت امرأة جميلة فلم يصبر حتى دخل عليها ومسها، فقالت له: يا ثعلبة، ما حفظت فينا حرمة أخيك الغازى فى سبيل الله. فنادى ثعلبة بالويل والثبور وخرج هاربًا إلى الجبل، فنادى بأعلى صوته: إلهى أنت أنت وأنا أنا، أنت العوّاد بالمغفرة وأنا العوّاد بالذنوب والخطايا. فلما أقبل النبى ﷺ من غزوته أقبل جميع الإخوان يتلقون إخوانهم ولم يستقبل أخو سعيد، فأقبل سعيد إلى منزله فقال لامرأته: يا هذه، ما فعل أخى المؤاخى فى الله؟ قالت: إنه ألقى بنفسه فى بحور الخطايا فخرج هاربًا إلى الجبل، فخرج سعيد يطلب أخاه فوجده منكبًا على وجهه واضعًا يده على رأسه ينادى بأعلى صوته: واذل مقاماه مقام من عصى ربه. فقال له سعيد: قم يا أخى فما الذى بلغك ما أري؟ فقال ثعلبة: لست بقائم معك حتى تغلّ يديّ إلى عنقى وتقودنى كما يقاد العبد الذليل إلى باب مولاه، ففعل وكانت له ابنة يقال لها خمصانة، فأقبلت تقود أباها حتى أتت به إلى باب عمر رضى الله تعالى عنه، فدخل عليه فقال: لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟.

فقال عمر: اخرج من عندى فقد هممت أن أقوم إليك وآخذ بشعرك اخرج من عندى فلا توبة لك

عندى، فانطلق من عنده إلى باب أبى بكر رضى الله تعالى عنه، فلما دخل قال: لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟ .

فقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه: اخرج من عندى لا تحرقنى بنارك فلا توبة لك عندى أبدًا. فخرج من عنده إلى باب على رضى الله تعالى عنه وقال: لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟ فقال له: اخرج من عندى فلا توبة لك عندى أبدًا. فخرج من عنده وهو يقول: يا أخى ويا ابنتى، قد آيسنى هؤلاء النفر وأرجو أن لا يؤيسنى رسول الله ﷺ، فأتت به ابنته إلى باب رسول الله ﷺ، فلما دخل عليه نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «ذكرتنى سلاسل جهنم وأغلالها». فقال له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟ فقال النبى ﷺ: «اخرج من عندى فلا توبة لك عندى أبدًا». فخرج فقالت له ابنته: يا أبت لست لى بوالد ولا أنا لك بابنة حتى يرضى عنك محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه، فأقبل ثعلبة هاربًا إلى الجبل ينادى بأعلى صوته يا رب أتيت عمر فأراد ضربى، وأتيت أبا بكر فانتهرنى، وأتيت عليًا فطردنى، وأتيت النبى ﷺ فآيسني، فما أنت يا مولاى صانع بى أن تقول لدعائى نعم أو تقول لا، فإن قلت لا فيا ويلتاه ويا شقوتاه ويا ندامتاه، وإن قلت نعم فطوبى لي. قال: فأقبل ملك من السماء وهو يقول للنبى ﷺ: يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق أو أنا؟ قال: «بل أنت يا سيدى». قال: يقول لك الجبار تبارك وتعالى: بشر عبدى أنى قد غفرت له. قال: فقال النبى ﷺ؟ «من يأتينى بثعلبة؟». قال فقام أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقالا: يا رسول الله، نحن نأتى به. فقام على وسلمان رضى الله تعالى عنهما فقالا: يا رسول الله نحن نأتى به. فأذن لعلى وسلمان فخرجا وأخذا فى وجهه فانطلقا فإذا هما براع من رعاة المدينة، فقال له على كرم الله وجهه: هل رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ؟ .

قال الراعى: عسى أنكما تطلبان الهارب من جهنم؟ قالا: نعم، فدلنا على موضعه. قال: إذا جنّ عليه الليل حضر هذا الوادى حتى يجيء تحت هذه الشجرة ثم ينادى بأعلى صوته واذلّ مقاماه مقام من عصى ربه. فأقاما حتى جن عليهما الليل إذ أقبل ثعلبة نأتى الشجرة فخرّ تحتها ساجدًا باكيًا، فلما سمع بكاءه سلمان مشى إليه فقال له: يا ثعلبة، قم فإن رب العالمين قد غفر لك؟ قال كيف تركتما حبيبى محمدًا ﷺ؟ قال سلمان: كما يحب الله وتحب أنت.

فلما أقام بلال الصلاة أدخلاه المسجد فأقاماه فى آخر الصف، فقرأ رسول الله ﷺ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] فشهق شهقة فلما تلى ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] شهق شهقة أخرى وفارق الدنيا، فلما انفتل النبى ﷺ جاء إلى ثعلبة فقال: «يا سلمان، انضح عليه الماء». فنادى سلمان: يا نبى الله، قد فارق الدنيا. فأقبلت ابنته فقالت: يا نبى الله، ما فعل والدى فإنى كنت بالأشواق إليه؟ قال: «ادخلى المسجد». فدخلت فإذا هى بوالدها ميت مُسَجَّي، فوضعت يدها على

رأسها ثم أنشأت تنادى: واغماه فمن لى بعدك يا أبتاه. فقال النبى ﷺ «يا خمصانة، أما ترضين أن أكون لك والدًا وتكون فاطمة لك أختًا» فقالت: بلى يا رسول الله. فلما حمل ثعلبة أقبل النبى ﷺ يتبع جنازته حتى إذا بلغ شفير القبر أقبل يمشى على أطراف أصابعه فلما رجع قال عمر رضى الله تعالى عنه: يا رسول الله، رأيتك تمشى على أطراف أصابعك؟ قال: «يا عمر، ما قدرت أن أضع باطن قدمى من كثرة الملائكة»(١).

قال الفقيه: قد روى هذا الخبر بألفاظ مختلفة، ويقال: هذه الآية نزلت فى شأنه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

حكاية

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبى رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن موسى ابن رجاء رفعه إلى أحنف بن قيس قال: قدمت المدينة وأنا أريد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فإذا أنا بحلقة عظيمة فإذا بكعب الأحبار يحدث الناس ويقول: لما حضر آدم الوفاة قال: يا رب، سيشمت بى عدوى إذا رآنى ميتًا وهو منظر إلى الوقت المعلوم. فقيل له: يا آدم، إنك ترد الجنة ويؤخر الملعون إلى النظرة ليذوق بعدد الأولين والآخرين ألم الموت. ثم قال آدم عليه الصلاة والسلام لملك الموت: صف لى كيف تذيقه الموت، فلما وصفه قال آدم: رب حسبى حسبى فضج الناس وقالوا: يا أبا إسحاق يرحمك الله حدثنا كيف يذوق الموت؟ فأبى أن يقول، فألحوا عليه فقال: إنه إذا كان آخر الدنيا وقربت النفخة فإذا الناس قيام فى أسواقهم وهم يتخاصمون ويتجرون ويتحدثون، إذا هم بهدة عظيمة يصعق فيها نصف الخلائق فلا يفيقون منها مقدار ثلاثة أيام، والنصف الباقى من الناس تذهل عقولهم فيبقون مندهشين قيامًا على أرجلهم كالغنم الفزعة حين ترى سبعًا، فبينما الناس فى هذا الهول إذا هم بهدة بين السماء والأرض غليظة كصوت الرعد القاصف، فلا يبقى على ظهرها أحد إلا مات فتفنى الدنيا ولا يبقى آدمى ولا جنى ولا شيطان ولا وحش ولا دابة، فهذه النظرة المعلومة التى كانت بين الله تعالى وبين إبليس، ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: إنى خلقت لك بعدد الأولين والآخرين أعوانًا، وجعلت فيك قوة أهل السموات وأهل الأرض، وإنى ألبسك اليوم أثواب الغضب والسخط كلها، فانزل بغضبى وسخطى إلى ملعونى ورجيمى إبليس فأذقه الموت، واحمل عليه من الموت مرارة الأولين والآخرين من الجن والإنس أضعافًا مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألف ملك قد امتلأوا غيظًا، وليكن مع كل زبانية سلسلة من سلاسل لظى، وانزع روحه المنتن بسبعين ألف كلابة من كلاليب لظى، وناد مالكًا ليفتح أبواب النيران.

---

(١) أخرجه أبو نعيم. وانظر تنزيه الشريعة (٢/ ٢٨٥).

فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليه أهل السموات السبع والأرضين السبع لذابوا كلهم من هول رؤية ملك الموت، فإذا انتهى إلى إبليس وزجره زجرة إذ هو صعق منها ونخر نخرة لو سمعه أهل المشرق والمغرب لصعقوا من تلك النخرة، وملك الموت يقول: قف يا خبيث، لأذيقنك اليوم الموت بعدد من أغويت، كم من عمر أدركته؟ وكم من قرون أضللت؟ وكم من قرناء لك بسواء الجحيم يقارنونك؟ وهذا الوقت المعلوم الذى بينك وبين ربك، وإلى أين تهرب؟ فيهرب الشيطان إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه، فيغوص فى البحار فإذا هو بملك الموت، فترميه البحار فلا تقبله، فلا يزال يهرب فى الأرض ولا محيص ولا ملجأ له ولا منجا، ثم يقوم فى وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويقول: من أجلك يا آدم حوّلت ملعونًا رجيمًا، فيا ليتك لم تخلق.

فيقول لملك الموت: بأى كأس تسقيني؟ يعنى: بأى عذاب تقبض روحى.

فيقول ملك الموت: بكأس أهل لظي. يعنى: مثل عذاب أهل النار. وبكأس أهل سقر، وبكأس أهل الجحيم أضعافًا مضاعفة.

قال: وإبليس يتمرغ فى التراب مرة ويصيح أخرى ويهرب مرة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، حتى إذا كان فى الموضع الذى أهبط فيه يوم لعن وقد نصبت له الزبانية الكلاليب، وصارت الأرض كالجمرة، وتحتويه الزبانية فيطعنونه بالكلاليب فيكون فى النزع والعذاب إلى ما شاء الله، ويقال لآدم وحواء: اطلعا اليوم على عدوكما وانظرا ما نزل به كيف يذوق الموت؟ فيطلعان فإذا نظر إلى ما هو فيه من شدّة العذاب والموت قالا: ربنا قد أتممت النعمة.

حكاية الشاب الذى باع نفسه

(قال الفقيه) رضى الله تعالى عنه: حدثنى أبى رحمه الله تعالى بإسناده عن عبد الواحد ابن زيد رحمهم الله تعالى قال: بينما أنا يومًا فى مجلسنا هذا وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابى أن يتهيئوا غداة الإثنين وقد قرأ رجل فى مجلسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] الآية. فقام غلام ابن خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وأورثه مالاً كثيرًا، فقال: يا عبد الواحد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾. فقلت: نعم حبيبى. فقال لى: إنى أشهدك يا عبد الواحد أنى قد بعت نفسى وما لى بأن لى الجنة. فقلت له: إن حدّ السيف أشد من ذلك وأنت صبي، وإنى أخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذا البيع. قال: فقال لى: يا عبد الواحد، إنى أبايع الله بالجنة ثم أعجز؟ إنى أشهدك أنى بايعت الله. فقال: فتقاصرت إلينا أنفسنا، فقلنا: صبى يفعل ونحن لا نفعل. قال: فخرج من ماله كله، يعنى: تصدق به، إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا، فقال: السلام عليك يا عبد الواحد. فقلت له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ربح البيع. ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويرعى دوابنا ويحرسنا إذا بتنا، حتى دفعنا إلى بلاد الروم، فبينما

نحن كذلك يومًا إذ أقبل وهو ينادى : واشوقاه إلى العيناء المرضية . حتى قال أصحابى : لعله وسوس الغلام أو خلط عقله حتى دنا ، وجعل ينادى : يا عبد الواحد ، لا صبر لى واشوقاه إلى العيناء المرضية . فقلت : حبيبى ، وما هذه العيناء المرضية . قال : إنى غفوت غفوة ، يعنى نمت نومة ، فرأيت كأنه أتانى آت فقال : أذهب بك إلى العيناء المرضية ، فهجم بى على روضة فيها شط نهر من ماء غير آسن ، فإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل ما لا أصف ، فلما رأيننى استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية قد قدم . فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن : لا نحن خدم لها وإماؤها ، فتقدم أمامك ، فتقدمت فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة فيها جوار ، فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن وجمالهن ، فلما رأيننى استبشرن وقلن : هذا والله زوج العيناء المرضية قد قدم علينا فقلت : السلام عليكن أفيكنّ العيناء المرضية؟ فقلن : وعليك السلام يا ولى الله نحن خدم لها وإماء لها فتقدم أمامك . فتقدمت فإذا بنهر آخر من خمر على شط الوادى فيه جوار أنسيننى من خلفت فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن : لا نحن إماء لها وخدم لها امض أمامك فتقدمت فإذا بنهر آخر من عسل مصفى وروضة فيها جوار لهن من النور والجمال ما أنسانى من خلفت ، فقلت : السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ قلن : يا ولى الرحمن ، نحن إماء لها امض أمامك ، فتقدمت فوقعت فى خيمة من درة مجوفة على باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أصفه ، فلما رأتنى استبشرت ونادت من الخيمة : أيتها العيناء المرضية ، هذا بعلك قد قدم . قال : فدنوت من الخيمة فدخلت فيها فإذا هى على سريرها قاعدة ، وسريرها من ذهب مكلل بالدرّ والياقوت ، فلما رأيتها افتتنت فيها وهى تقول : مرحبًا بوليّ الرحمن قد دنا لك القدوم علينا . فذهبت لأعانقها فقالت : مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقنى فإن فيك روح الحياة ، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى . فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها . قال عبد الواحد : فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدوّ فحملنا عليهم وحمل الغلام . قال : فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام وكان هو العاشر صار شهيدًا ، فمررت به وهو يتشحط فى دمه فضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا .

حكاية جريج الراهب

(قال الفقيه) رحمه الله تعالى : حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى قال : حدثنا عليّ ابن أحمد حدثنا عبد الله بن بشير بإسناده عن يزيد بن حوشب الفهري ، عن أبيه رضى الله تعالى عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو كان جريج الراهب فقيهًا لعلم أن إجابته أمه أفضل من عبادة ربه»[1] .

قال : سمعت غيره يذكر قصة جريج أنه كان راهبًا فى بنى إسرائيل يعبد الله تعالى فى صومعته ، فجاءته أمه يومًا وهو قائم فى الصلاة فنادته : يا جريج ، فلم يجبها لاشتغاله بصلاته ، فقالت : ابتلاك الله بالمومسات ، تعنى : الزوانى . وكانت امرأة فى تلك البلدة خرجت لحاجة لها فأخذها راع

(١) ضعيف: انظر الحلية الأولياء (٩/ ٣٢٩)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٨٥) .

فواقعها عند صومعة جريج فحملت، وكان أهل تلك البلدة يعظمون أمر الزنا فظهر أمر تلك المرأة في البلد، فلما وضعت حملها أخبر الملك أن امرأة قد ولدت من الزنا، فدعاها فقال: من أين لك هذا الولد؟ .

قالت: من جريج الراهب قد واقعني. فبعث الملك أعوانه إليه وهو في الصلاة فنادوه فلم يجبهم، حتى جاءوا بالمرازب وهدموا الصومعة، وجعلوا في عنقه حبلاً فجاءوا به إلى الملك، فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابدًا ثم تهتك حرم الناس وتتعاطى ما لا يحل لك؟ قال: أيّ شيء فعلت؟ قال: إنك قد زنيت بامرأة كذا. فقال: لم أفعل. فلم يصدّقوه وحلف على ذلك فلم يصدّقوه فقال: ردّوني إلى أمي، فردّوه إلى أمه فقال لها: يا أماه، إنك قد دعوت الله عليّ فاستجاب الله دعاءك، فادعي الله أن يكشف عني بدعائك.

فقالت أمه: اللهم إن كان جريج إنما آخذته بدعوتي فاكشف عنه. فرجع جريج إلى الملك فقال: أين هذه المرأة؟ وأين الصبي؟ فجاءوا بالمرأة والصبي فسألوها فقالت المرأة: بلى هذا الذي فعل بي. فوضع جريج يده على رأس الصبي وقال: بحق الذي خلقك أن تخبرني من أبوك؟ فتكلم الصبي بإذن الله وقال: إن أبي فلان الراعي. فلما سمعت المرأة ذلك اعترفت بالحق وقالت: قد صدقت وكنت كاذبة وإنما فعل بي فلان الراعي[1] .

وفي رواية: أن المرأة كانت حاملاً لم تضع حملها بعد فقال لها أين أصابك؟ قالت: تحت شجرتك. وكانت الشجرة تحت صومعته، قال جريج: أخرجوني إلى تلك الشجرة، ثم قال: يا شجرة أسألك بالذي خلقك أن تخبريني من زنى بهذه المرأة؟ فقال كل غصن منها: راعي الضأن. ثم طعن بأصبعه في بطنها وقال: يا غلام من أبوك؟ فنادى من بطنها أبي راعي الضأن. فاعتذر الملك إلى جريج الراهب وقال: ائذن لي أن أبني صومعتك بالذهب؟ قال: لا. قال: فبالفضة؟ قال لا، ولكن بالطين كما كانت فبنوها بالطين كما كانت.

وروى إبراهيم عن مهاجر بن مجاهد قال: ما تكلم صبي في حال صغره وهو طفل إلا أربعة: عيسى ابن مريم عليهما السلام، وصاحب الأخدود، وصاحب جريج الراهب، وصاحب يوسف عليه الصلاة والسلام وهو قوله سبحانه وتعالي: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، آمين

* * *

(١) قصة جريج الراهب، أخرجها البخاري، برقم (٣٤٣٦)، ومسلم، برقم (٢٥٥٠)، وأحمد، برقم (٨٠٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفهرس

الفهرس

* * *